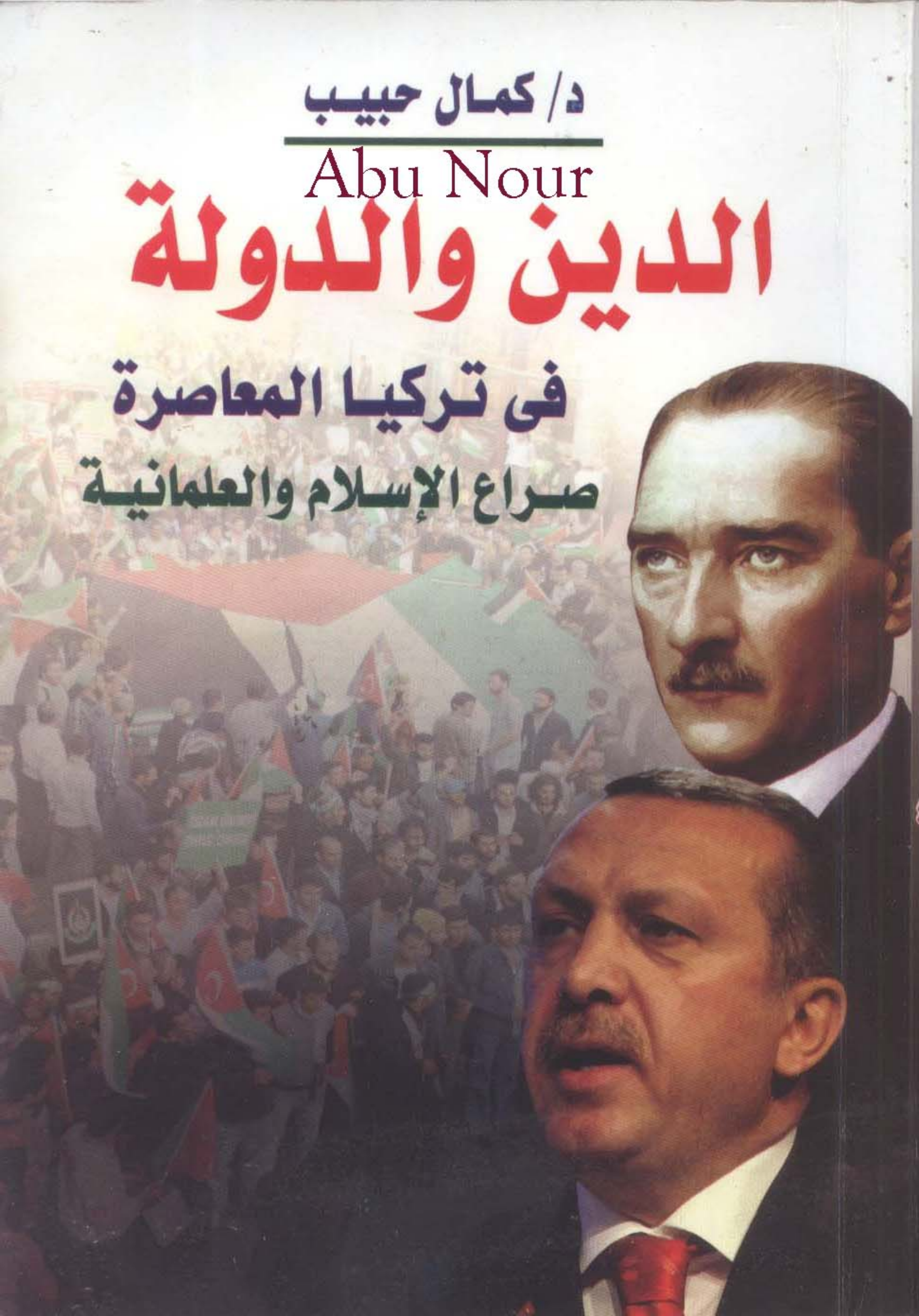

د/ كمال حبيب
Abu Nour
الدين والدولة
فى تركيا المعاصرة
صراع الإسلام والعلمانية

بطاقة الفهرسة

اسـم الكـتـاب:	الدين والتدين في تركيا المعاصرة
المؤلـــــف:	كمال السعيد حبيب
الطـــــبعة:	طبعة أولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
الناشـــــر:	مكتبة الإيمان - مكتبة جزيرة الورد
رقـم الإيـداع:	٢٠١٠/٤٣٨٤٠
الترقيم الـدولي:	

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة ميدان حليم

خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

٠٢ ٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٣ ٢٩٦١١٦٣٥

٠٩٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠ ٠٠٠٤٠٤٦

إهداء

إلى روح السلطان محمد الفاتح وعبد الحميد الثاني

إلى روح الشيخ عاطف الإسكليبي وسعيد الكردي

إلى روح الشيخ سعيد النورسي والأديب نجيب فاضل

إلى روح الأديب محمد عاكف أرصوي

إلى نجم الدين أربكان

ورجب طيب أردوغان وعبد الله جول

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب

راجيا أن يكون جسرا للتواصل بين عالم العرب وعالم الترك

المؤلف

كمال السعيد حبيب

* * *

مسلمة ، وهناك خبرات عربية استفادت من الخبرة التركية منها خبرة العدالة والتنمية في المغرب ، وأيضا هناك خبرة جبهة العمل الإسلامي في الأردن . وبانتظار ما تسفر عنه التطورات هنا في مصر على جبهة الإخوان المسلمين وجبهة حزب الوسط والمشاريع الإسلامية الأخرى . أذكر أن مناقشتي في الماجستير والدكتوراه لا تحضرني أبدا بسبب أن أقدم الشكر لمن قاموا بالإشراف علي ، ولم يكن ذلك إغماطا لحق هؤلاء الأساتذة الكبار علي وإنما كان تعبيرا عن حب وتقدير عميق لهم في نفسي آثرت أن أبقيه لهم بيني وبين ربي ، وهاأنذا اليوم أقدم الشكر الخالص لهم فهم من أحاطوني بالعناية والرعاية وعلي رأسهم الأستاذ الدكتور علي الدين هلال عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الأسبق وأستاذ العلوم السياسية الذي أشرف علي رسالتي للماجستير والمستشار الجليل طارق البشري الذي ناقش الرسالة وتابعها معي بصبر القاضي وأناة الحكيم ، ثم الأستاذ الدكتور كمال المنوفي عميد كلية الاقتصاد السابق وأستاذ النظم السياسية ، والأستاذ الدكتور حمدي عبد الرحمن أستاذ النظم الأفريقية اللذين أشرفا علي رسالتي للدكتوراه ، والأستاذ الدكتور جلال معوض (عليه رحمة الله) الذي وضع معي اللمسات الأولي لمشروع الرسالة وفتح آفاقا مهمة لي قبل أن يغادرنا فجأة وعلي غير ميعاد إلي الدار الآخرة ، كما لا أنسي فضل الأساتذة الذين شاركوا في مناقشتي للحصول علي درجة الدكتوراه وهم الأستاذ الدكتور جمال زهران رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القناة والنائب البرلماني المثالي والأستاذ الدكتور جابر عوض أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد . كما أوجه الشكر للدكتورة ماجدة مخلوف رئيسة قسم اللغات الشرقية بجامعة عين شمس والتي لم تبخل علي بالترجمة للنصوص التركية والنقاش حول قضايا عديدة في الرسالة ، كما لن أنسي جهد الصديق سعد عبد المجيد الذي ترجم

لبعض اللقاءات والحوارات وسهل من خلال علاقته بجمعية نشر العلم إقامتي في تركيا لأشهر عدة من أجل إنجاز الرسالة، ولن أنسي أبدا مساعدة "حسن بتماز" المسئول في حزب السعادة الذي سهل لي كافة لقاءاتي مع قيادات الحزب وعلي رأسهم أبو الأحزاب التركي المعاصر "نجم الدين أربكان"، كما لا أنسى نقاشات عديدة حول [illegible] تركيا مع صديقي [illegible] أقطاي أستاذ علم الاجتماع في جامعة [illegible] ونقاشاتي مع الباحث "عمر توقات" في اسطنبول، ونقاشاتي مع صديقي أستاذ علم الاجتماع في جامعة فاتح "رجب شانتورك"، ومئات الحوارات التي أجريتها مع فاعلين سياسيين وشخصيات تركية مرموقة أبرزهم "أحمد داود أوغلو" وزير الخارجية التركي و"أكمل إحسان الدين أوغلو" الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي و"سزائي قراقوج" المفكر التركي الكبير، وهذه الحوارات آمل أن تخرج بنصها كاملا في كتاب مستقل في المستقبل، ثم كانت زياراتي العديدة لتركيا من بعد فاتحة لنقاش مستمر حول أوضاعها مع أصدقاء أتراك وباحثين ومتخصصين في الشأن التركي، وكان آخر تلك الزيارات في فبراير عام ٢٠٠٩ لحضور مؤتمر نصرة غزة الذي دعت إليه الحملة العالمية لمقاومة العدوان، و في هذه الزيارات ثارت مناقشات عديدة مع قوي اجتماعية وسياسية وفكرية وباحثين أتراك أحاطوني بالعناية والرعاية علي رأسهم "سادات أقيوز" مسئول العلاقات الثقافية ببلدية "بيرم باشا".

لكل من ساعدني علي إنجاز ذلك العمل العلمي أقدم له شكري وتقديري، ولا يجب أن أنسي هنا أسرتي: زوجتي وأولادي الذين تحملوا وضحوا من أجلي

* * *

مقدمـــة

مقدمة

"الدين والدولة في تركيا المعاصرة" هو موضوع هذا الكتاب وتركيا اليوم تطرح كنموذج جديد للتوفيق بين العلمانية والإسلام والديموقراطية والحداثة وكثيرا مايتم الحديث عن النموذج التركي[1] لتسويقه ونقله إلى مناطق أخرى في العالم العربي والإسلامي ومن ثم فالتعرف على مايجري داخل هذا البلد مهم لأن له علاقة بما يجري خلف حدوده، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لخلق نموذج إسلامي متوافق مع الحداثة والعالم الغربي في مواجهة نماذج أخرى ذات طابع راديكالي أو نضالي تمثل تحدياً للنموذج الحضاري الغربي وتتبنى الصدام معه كما في حالة التيارات الجهادية والسلفية أو التيارات الإسلامية السياسية التي تحمل رؤية مضادة للغرب كحزب السعادة في تركيا وتيارات مؤتمر الشرق هناك، وحتى الإخوان المسلمون في مصر، وتقرير مؤسسة "راند" بعنوان "الإسلام المدني الديموقراطي.. الحلفاء والموارد والاستراتيجيات" للباحثة شيريل برنارد وأيضا تقرير "عقول وقلوب ودولارات" الذي يعبر عن رؤى أمريكية تهتم بخلق وتدعيم الاتجاهات الإسلامية التي تتوافق مع الرؤية الأمريكية يعبران عن ذلك[2].

(١) عن النموذج التركي والجدل حوله راجع: محمد السطوحي، فوكوياما يتحدث إلى وجهات نظر عن الإسلام والأصولية، وجهات نظر، ع [illegible] ٢٠٠٢ والمدرسة المهمة: جراهام فولر، النموذج، وجهات نظر، ع ٦١، ٢٠٠٤ يقول: [illegible] تركيا العلمانية اليوم هو تقييمي أكثر مما [illegible] الغرب عن هذه الدولة ورآه اعترافا بتقدم [illegible] لنموذج السياسي الثقافي الغربي. لكن تركيا لم تكن أبدا علمانية أصيلة. وفي موضع آخر يقول: [illegible] لقوة وحيوية الدين في تركيا الجديدة تركت تدينات روحية واجتماعية [illegible] للانتباه. وأيضا [illegible]، العلمانية بين تركيا ومصر، [illegible] ١٤/١/٢٠٠٤ [illegible] والاستشارة [illegible].

(٢) يمكن مراجعة نص تقرير راند على مواقع مختلفة على الشبكة مثلا

يقدم الكتاب إسهاماً جديداً لفهم ظاهرة الإحياء الإسلامي في تركيا وانبعاثه في سياق كان مفروضاً أن يتوارى فيه وفقاً للنظريات الاجتماعية المادية التي تفترض أن المزيد من التحديث والعلمنة سوف يقود لاختفاء الدين. والحالة التركية الإحيائية تعبر عنها الأحزاب الإسلامية تعبر عن استجابة ذات وجه مفقود من مجتمع الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين "[1] تستند لمرجعية حضارية وثقافية يقع الإسلام في قلبها، وهنا يلفت الكتاب لشكل جديد من الفعل الاجتماعي والسياسي هو "النص الديني كفاعل اجتماعي وسياسي "[2] في مواجهة محاولات الدولة لبناء مجتمع فوقي عصري وحداثي جديد مستنداً إلي قوة القمع لاستنساخ حالة عن مجتمعات أخري تنتمي لحضارات مختلفة جرياً وراء وهم اللحاق بالغرب.

ويلقي الضوء علي نمط العلاقة بين الدين الإسلامي والدولة[3] في بلد

---

www.alwihda.com وهي تنقل مقالاً بعنوان "ماذا يعرفون عن وجهة البلد الإسلامي" مجلة البيان، ع ٢٠٠٢ ربيع الثاني ١٤٢٥ هـ يونيو - يوليو ٢٠٠٤ م وموجز لتقرير على مجلة السنة ع ١٣٧ جمادي الأولي ١٤٢٥ هـ - يوليو - أغسطس ٢٠٠٤ م بمناسبة تقرير حقوق وقلوب وعقول ... فقد نشرته مجلة يو إس نيوز أند ورلد ريبورت في عددها الأسبوعي ١٨ - ٢٥ أبريل ٢٠٠٥ وموقع المجلة:

www. usnews. com usnews/news/articles/050425mots. htm.

(١) الفاعل الاجتماعي هنا هو الذات المسلمة بالمعنى الذي قصده "ألان تورين" وهابرماس حيث يفترض أن الذات المسلمة عليها أن تقاوم التهميش والاغتراب كتعبير عن المسئولية ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ (الأحزاب - ٧٢)، وكتعبير عن فعل إيماني وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) مثل النص الديني بمفهوم حبة الناس في تركيا أهم أدوات المقاومة لديهم في مواجهة العلمانية الأتاتوركية وراجع مؤلف الدراسة بعنوان: شريف مردين، الذاكرة والشعب الجمعي، المؤتمر العلمي الثاني لمجمع الزمان التركي، ٢٧ - ٢٩ سبتمبر ١٩٩٢ حيث يشير إلي دور النص في تحديد شخصية الفرد وتوجيهه وترشيده في حياته اليومية، ولم يركز فقط على النص الديني في الأحداث والتحولات ولكنه ركز على محاولة ربط النسق بالنص والوحي والأدب والتقاليد الإسلامية.

(٣) عن العلاقة بين الدين والدولة راجع ... سوسيولوجيا الدين، ترجمة درويش الحلوجي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي

غالبية سكانه مسلمين ٩٩٪ وينص دستوره على أن العلمانية هي أيديولوجية الدولة ، وهذا يقود للحديث عن طبيعة العلمانية في تركيا وعلاقتها بالإسلام كدين للأغلبية .[١] هل العلاقة هي علاقة توظيف أم صدام أم تعايش أم أنها تزاوج بين هذه الأنماط معا وفق كل حالة وموقف؟ وماهي شروط كل علاقة من هذه العلاقات؟ ، وهل التطور الاجتماعي والسياسي للمجتمع نحو الانفتاح والتعدد يغير من طبيعة أيديولوجية الدولة ويجعلها تتحول من الصدام إلي التوافق والتعايش؟ أم أن وعي القوي الاجتماعية والسياسية الجديدة القادمة للساحة السياسية هي التي تطرح للنقاش العام ما كان محرما من قبل ، ومن ثم تهز أسس الأيديولوجيات المحمية بقوة السلطة؟ أم أنهما معاً يعملان لبناء يوتوبيا جديدة تحرر الدولة والمجتمع من الأيديوجيات المتصلبة ذات الطابع القمعي لمرجعيات أكثر تكيفا مع مطالب المجتمع والنظام السياسي ، وماهو دور الإسلام في كل هذا التحول والتفاعل باعتباره العامل الذي يمكننا أن نصفه بالمستقل للتأثير

للترجمة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، وفي مقدمة الكتاب كما مهمته يشير المؤلفون إلي ضرورة الدين وأهميته كمرجعية حاكمة علي أفعال الفاعلين الاجتماعيين ، إذ لا تصنع مفاهيمهم هم وخبراتهم وحدها لتنظيم المجتمع وينقل عن دوركهايم في كتابه قواعد المنهج العلمي "ليس بواسطة المفاهيم التي يكونها أولئك الذين يشتركون في هذه الخبرة الاجتماعية إنما بواسطة أسباب عميقة تخرج عن سيطرة الوعي" ، ص ٩ . وهذا هو نفس ما ذهب إليه "آلان تورين" و"يورجن هابرماس" من دارسي الحركات الاجتماعية عن ضرورة وجود مرجعية ثقافية حول الصراعات الاجتماعية بين الفاعلين الاجتماعيين . وهذا الكتاب الذي تجيء أهميته يشير إلي عودة دراسات الظواهر الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالدين ، وهذا يريد أكثر من إعادة قراءة ماركس من منظور علم الاجتماع الديني راجع علي سبيل المثال كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) وروبرت بلر (١٩٣٠ - ١٩٩٥) . ملاءمة وحدود التحليل الماركسي للدين ، في موسوعة [illegible] ص ٣٥ وما بعدها

(١) ينص الدستور التركي في مادته الرابعة عشر علي حظر تطبيق الشرائع الدينية ولو جزئيا في كيان الدولة السياسي أو الاقتصادي والاجتماعي والقانوني ، ولا يجوز استخدام المشاعر الدينية في تحقيق مآرب شخصية أو سياسية . وتركيا هي الدولة الوحيدة التي ينص دستورها علي العلمانية في العالم الإسلامي وتعتبرها أيديولوجية الدولة الرسمية لا يجوز المساس بها [illegible] فهي دولة [illegible]

في العوامل الأخرى باعتبارها متغيرة وتابعة؟ ، وهل مايسمى "بالدين السياسي" (١) الذي تحاول النظم الثورية أن تعرضه على مجتمعاتها لخلق عالم أفضل – كما في حالة الثورة الفرنسية أو الانقلاب الكمالي في تركيا – ، أو "الدين المدني" (٢) وكلاهما مفهومين مختلفين يمكن أن يكون بديلا عن الدين الإلهي الذي جاءت به الرسل كتعبير عن حاجة فطرية وإنسانية ومجتمعية [illegible] في حالة الدين الإلهي؟

---

(١) الدين السياسي هو تعبير عن دين تحاول الدولة فرضه بالقوة من أعلى مسيطرة على المجالات التي كان يعمل فيها الدين الموحى به ولتحقق وأهمية المجالات التي يملئها الدين الموحى لشخص فإن الدولة بمفهومها السياسي الجديد لا يمكنها أن تملأ الفراغ الذي فرضته بمحاولة تدمير الدين الموحى به وهنا تكون أمام دين سياسي ذات طابع استبدادي وشمولي هو وجه آخر للعلمانية التي عرفت عنها الكمالية كأيديولوجية سياسية حاولت أن تحل محل الدين الإسلامي وهذه العلمانية توصف بأنها علمانية راديكالية أو متطرفة أو أصولية ، وبقدر تحضير الدين في حياة الناس تكون مقاومتهم للدين السياسي الجديد ، وبقدر الفشل الذي مني به الدين السياسي الجديد – وهو لا بد سيفشل تكون صورة الدين الموحى به مرة أخرى لاستعادة المجالات التي تم استلابها منه ، وهنا نقول: إن مجال عمل الدين الموحى به لا يجوز للدولة أن تقترب منه . كما أن ممارسة الدولة لمجال الحكم والسلطة يتم وفق القواعد السياسية ويتطلب الحكم والسياسة الشرعية بتعيين الحاكم الذي حيث يكون هناك نوع من التوازن والتركيب الذي لا يحول الدولة إلى إله ولا يحول السياسة إلى تعبير ديني كما في حالة الدولة الدينية وحالة الدين السياسي كما في تركيا هي في الواقع دولة أصولية وتحمل دين علماني سياسي . عن الدين السياسي في تركيا راجع:

David E. Apter, Political Religion in The New Nations in Clifford Geertz(ed), Old Societies and New States:The Quest For Modernity in Asia and Africa, (New York: The Free Press of Glencoe, 1963) pp 57 - 60.

(٢) الدين المدني هو تطويع قيم الدين لعملية دنيوية تمارس من خلال السلوك في المجال الاجتماعي والسياسي بحيث تتماشى مع طريقة الحياة كما هو الحال في أمريكا حيث أصبح الدين المدني هو طريقة الحياة الأمريكية التي تستمد جذورا دينية ولكنها تحتفظ بمضمون مدني وعن الدين المدني راجع: دانيال هيرفيه وجان بول ويلهم ، ألكسيس دي توكفيل (١٨٠٥ – ١٨٥٩م) مستقبل الدين في المجتمعات الديموقراطية ، م . س . ذ ، ص ٤٧ ومابعدها وهو يعتبر أن الكنائس الفرنسية تعبر عن الدين السياسي بينما الكنائس الأمريكية على جانب الأطلسي المواجهة تروج لدين [illegible] تعرف بالدين المدني . وفي تركيا اليوم يحاول الإسلاميون وقطاعات عريضة من المجتمع [illegible] السياسي الذي تعبر عنه الأيديولوجية الكمالية الحصرية بحثا عن علمانية متسامحة أو معتدلة كما يتحدث المعظم – هي أقرب لروح الدين المدني كما تحدث عنها ألكسيس دي توكفيل .

المسألة السياسية والاجتماعية في تركيا تبدو ملغزة ومحيرة وإشكالية جعلت مصطلح "الدولة الخفية" أو الدولة العميقة" أحد التعبيرات المفتاحية لفهم ألغاز السياسة التركية. فنحن أمام تنازع حقيقي بين الدين كتعبير عن حاجة روحية وثقافية تعبر عن الهوية والوجود للإنسان والمجتمع في تركيا وبين الدولة التي وضعت نفسها في مواجهة كاملة مع الدين باعتباره قوة رجعية لابد من الابتعاد عنه والتخلص منه ، وهنا انتزع طرح مشكلات متعددة في المجتمع والسياسة والثقافة والهوية لا تزال تركيا تعاني منها إلى اليوم. وستظل تعاني مالم تصل لحل هذه المشكلة بين الإسلام والسلطة السياسية بحيث تعترف الدولة بالإسلام كمكون رئيسي للثقافة التركية، عبرت الظاهرة الإسلامية في تركيا عن نفسها بأشكال متعددة بعضها اتخذ طابعا صوفيا (الطرق الصوفية) وبعضها اتخذ طابعا علميا (السليمانيون) وبعضها اتخذ طابعاً إحيائيا إيمانيا (النورسيون) وكان قمة استواء التعبير الإسلامي عن نفسه متمثلا في ظهور الأحزاب الإسلامية المستقلة منذ عام ١٩٧٠ م، والسؤال الرئيسي هنا هو كيف استطاع الإسلام أن يصمد في تركيا ويظل بعد سقوط الخلافة في ظل الجمهورية العلمانية من الاغتراب إلى الاختراق لتصل إلى حالة مدهشة وجديدة ألا وهي وصول أول رئيس وزراء ينتمي للأحزاب الإسلامية في تركيا وهو حزب الرفاه إلى سدة رئاسة الوزراء مؤتلفا مع حزب علماني (يونية ١٩٩٦ - يونية ١٩٩٧ م)، ثم وصول حزب ذي جذور إسلامية (الإسلاميون الجدد في تركيا أو مابعد الإسلام السياسي) - حزب العدالة والتنمية إلى السلطة (نوفمبر ٢٠٠٢) بعد عام واحد من تأسيسه ليمنح الحياة السياسية التركية معناها عبر خلق حالة سياسية جديدة تعبر عن التيار الرئيسي في المجتمع ، وهو أمر افتقدته

الحياة الحزبية والسياسية التركية منذ نهاية الستينات (١). واستطاع هذا الحزب أن يصل بمرشحه إلي سدة الرئاسة وهو "عبد الله غول"، وأن يجعل اختيار الرئيس من الشعب مباشرة. كما حقق فوزا ساحقا في الانتخابات الأخيرة التي جرت في يونيو عام ٢٠٠٧ حيث حصل علي ٤٧٪ من الأصوات. "الإسلاميون الديمقراطيون في تركيا هم من أعطوا للحياة السياسية معناها، في تصريف للأقدار السياسية تلك التي عاشتها تركيا، فبدلا من تحديث الإسلام وتتريكه إذ بالإسلاميين الأتراك هم الذين يؤسلمون الحداثة والعصرنة ويقدمون وجها بمزاوج بين الإسلام والديمقراطية والحداثة والعصرنة ويثبتون أنهم قادرون علي ممارسة السياسة والحكم وأنهم أكثر وفاءً لقواعد الديمقراطية والحفاظ علي النظام السياسي أكثر من غيرهم من التيارات العلمانية الأخري"(٢).

هذه الخبرة التركية يمكن مقارنتها بغيرها من الحركات الأخري في مناطق أخري من العالم العربي والإسلامي، بيد أن الخبرة التركية تظل نموذجا لحالة استوعب فيها النظام العلماني القوي الإسلامية، وتطورت هذه القوي بحكم مشاركتها في الحكم لتصبح أكثر نضجا ومسئولية تجاه الدولة والنظام السياسي بحيث أصبحت هي التي تطالب بنظام أكثر ديمقراطية وإنسانية.

---

(١) عن فقدان السياسة التركية لنقطة مرجعية أو قوة سياسية مركزية تعبر عن التيار الرئيسي بعد الستينيات راجع: جلال معوض، "الأحزاب السياسية والمشكلة الكردية في تركيا" مصطفي كامل السيد وصلاح سالم زرنوقة (محرران) الأحزاب والتنمية في الوطن العربي وخارجه، القاهرة، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ص ٦٩ - ١٠٠.

(٢) اعتبر المفكر الأمريكي "ليونارد بيندر" في كتابه "الليبرالية الإسلامية: نقد للايديولوجيات التنموية" أنه من المستبعد اعتماد العلمانية كأساس فكري لليبرالية السياسية في الشرق الأوسط وهو يرى أنه بدون تطوير الليبرالي الإسلامي لا يمكن [illegible] ليبرالية سياسية في الشرق الأوسط، [illegible] العلمانية تواجه مأزق ويستخلص [illegible] في المنطقة [illegible] لصالح نظرية الإسلام الليبرالي. النهار اللبنانية، ٢٥ يونيو ٢٠٠٦

ينقسم الكتاب إلي اربعة فصول:

الأول بعنوان: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا. ويناقش بزوغ القوي الاجتماعية التي قاومت العلمانية الكمالية علي أسس إسلامية مثل الطرق الصوفية كالنقشبندية والبجانية وحركات إحياء العلوم الإسلامية مثل السليمانية والحركة النورسية التي عملت علي إنقاذ الإيمان واستمرار بقاء الإسلام والحركة الثقافية التي مثلها المثقفون الأتراك والتي اعتمدت علي الإسلام في مقاومة التيارات العلمانية الثقافية والسياسية واستطاعت أن يكون لها موطئ قدم قوي في الجدال الثقافي والسياسي في تركيا.

والفصل الثاني بعنوان الإسلام والأحزاب السياسية قبل ظهور الرفاه: وهو يتعقب العلاقة بين الإسلام وحزب الشعب الجمهوري الكمالي من عام ١٩٢٢وحتي عام ١٩٤٦ وهي بداية التعددية السياسية في تركيا، ثم يلقي الضوء علي علاقة الإسلام بالأحزاب السياسية في فترة التعددية السياسية من عام ١٩٤٦ وحتي الانقلاب الأول عام ١٩٦٠ م، ويعرض لعلاقة الإسلام بالأحزاب السياسية بعد عام ١٩٦٠ وحتي الانقلاب الثاني عام ١٩٧٠ م، ثم يوضح كيف استقل الإسلاميون في تركيا بأحزابهم السياسية بعد عام ١٩٧٠ فيما عرف باسم حركة "الملي جوروش" أي الفكر الوطني - والتي أسسها "أربكان" ويعرض لتطور هذه الأحزاب وأدائها حتي عام ١٩٨٠ م موعد الانقلاب الثالث في تركيا.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان الخبرة السياسية لحزب الرفاه (١٩٨٣ - ١٩٩٧م): وهو يتعمق في دراسة حالة حزب الرفاه من التأسيس عام ١٩٨٣ م وحتي وصوله إلي السلطة عام ١٩٩٦ م، ثم يعرض لأيديولوجية الحزب وبرنامجه، ثم التنظيم السياسي للحزب والمدرسة السياسية له حتي خروج "أربكان" من رئاسة الوزراء عام ١٩٩٧م.

أما الفصل الرابع والأخير فهو بعنوان: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام السياسي في تركيا وهو يبحث في التوجهات الجديدة في تركيا والتي ستقود إلى اتساع مساحة التأييد للإسلاميين في الشارع التركي وهؤلاء الإسلاميون يمكن وصفهم بالإسلاميين الجدد كما عبر عن حزب العدالة والتنمية العديد من المراقبين ودعني أقول: إن توجهات التيار المحافظ الذي [illegible]
[illegible]
بين العلمانية والإسلام في تركيا سوف يقود لانتصار التيار المحافظ الذي يجعل من الإسلام جزءاً من توجهه وافكاره وإدراكه بدليل أن مجموعة رجال الأعمال العلمانيين والمعروفين بالتوسياد دعموا حزب العدالة والتنمية في معركته مع العسكر والعلمانية الأصولية ممثلة في حزب الشعب الجمهوري.

* * *

الفصل الأول
الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيــــا

ينقسم هذا الفصل لأربعة مباحث:

المبحث الأول : الطرق الصوفية ومقاومة العلمانية الكمالية

المبحث الثاني: السليمانيون وتحدي الحفاظ علي العلوم الإسلامية

المبحث الثالث: النورسيون وتحدي إنقاذ الإيمان ونصرة الإسلام

المبحث الرابع: المثقفون الإسلاميون من الاغتراب إلي الاختراق

الفصل الأول:
الاسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

طرح انتصار حزب العدالة والتنمية الكاسح في انتخابات ٣ نوفمبر ٢٠٠٢ م البرلمانية ما أطلق عليه بولنت أراس وبولنت جوكاي " بداية جديدة لتركيا الإسلام يقع في القلب منها " ، فكما أشارت دراستهما فإن انتقال التصويت من الأحزاب التقليدية لحزب جديد جذوره تعود للإسلام طرح أسئلة جوهرية من مثل: هل تركيا ستصبح دولة أكثر إسلامية ، وماذا وراء النصر الانتخابي؟ ولماذا سقطت الأحزاب التقليدية؟ وكيف ستؤثر نتائج الانتخابات علي العلاقات مع أوروبا؟ ولكن السؤال الأكثر تداولا كان حول العلاقة بين الإسلام والديموقراطية الليبرالية بمعني هل يمكن أن تكون هناك ديموقراطية في دولة إسلامية وهو مايتعارض مع جذور التصور الغربي للعالم الإسلامي [1].

---

(1) Bulent Aras and Bulent Gokay. Turkey After Copenhagen: Walking a Tightrope. Journal of Southern Europa and The Balkans. volum 5. Number2. August2003. p149 - 150.

حيث أشار الباحثان إلي أن هناك قرون عديدة من سوء الفهم والجهل والتبسيط من جانب الغرب للإسلام والتي صورته علي أنه عنوان للتعصب وأن السلطة السياسية في الإسلام هي تعبير عن الاستبداد والتقاليد الإسلامية عودة للوراء ويجادل الباحثان في أن الإسلام هو تعبير عن قدر عال من الفردية وأنه ليس بالضرورة متعارض مع الحداثة بل إن هناك اتجاهات قوية في العالم الإسلامي تفسر الإسلام بطريقة ليبرالية ، كما كان الحال في الدولة العثمانية التي اعترفت أن الدين هو تعبير عن المجال الخاص بسبب النظام الاجتماعي والتاريخي [illegible] الإسلام كان لديه مرونة عالية في التعاطي مع سياسات الدولة [illegible] مع السلوك البشري وراجع Op. cit. P. 150

وسوف نلاحظ أن العلمانية [illegible] الإسلام [illegible] في الثمانينات هي [illegible] والدولة وبين الإسلام والغرب وبين [illegible] الإجابات التي تعبر عن أزمة تركيا [illegible]

وفي الواقع فإن انتقال التأثير الإسلامي من الأطراف إلى المركز مع صعود حزب العدالة والتنمية جاء نتيجة طبيعية لفشل الخيار العلماني الذي قدمه "أتاتورك" والنخبة وثيقة الصلة به لتركيا كطريق لتحديثها وتغريبها، وهو خيار لم يعرض على الشعب التركي أي استفتاء أو إجماع لتطبيقه، وإنما تم الاعتماد على الجيش لفرض ما تريده هذه النخبة وحدها ومن هنا تحقق النجاح [illegible] في [illegible] إلى المركز [illegible] [illegible] [illegible] في سمي [illegible].

تحولت العلمانية إلى مايشبه الدولة الدينية في تركيا، فحرية التعبير عن المعتقد والضمير الديني مثل حق المرأة في ارتداء الحجاب أصبح سببا لمنع قبولها في الجامعة أو مؤسسات الخدمة المدنية. كما أن القومية التركية الجديدة والتي أنكرت الميراث العثماني ذا الطابع الإسلامي مثلت مشكلة كبيرة في قدرتها علي التواصل أو الفهم من قبل الغالبية المسلمة في البلاد.

ومن هنا فإن الشرعية والسلطة من قبل الدولة الكمالية الجديدة والتي بدا أنها تبدأ من نقطة الصفر أسست علي صيغة صراعية بين المركز العلماني وبين الهامش عميق التدين والتقليدية. وأصبحت أطروحة "أتاتورك" علي المجتمع التركي والمستندة إلي القوة لفرض التحديث موضعاً للتساؤل والشك بل والرفض علي نطاق واسع بين التيارات والجماعات المكونة للمجتمع التركي"(10).

هذه التيارات الرافضة للعلمانية الكمالية عبرت عن نفسها كقوة اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية وبأشكال مختلفة تراوحت بين استخدام القوة والعنف كما هو الحال مع انتفاضة الشيخ سعيد الكردي سنة

معاصر وبشكل واضح عن التقاليد العثمانية محافظة التي تحترم [illegible] حديثة وتكتسب من ذلك سمة دينية

(10) Op. cit. p. 155.

١٩٢٥م والتي استدعت قوات الجيش لإخمادها وبين العمل من داخل النظام السياسي مستغلة المساحات التي منحتها الأحزاب في فترة التعددية السياسية بداية من عام ١٩٤٦ للتيارات الإسلامية وعبرت عن معارضتها لنظام الكمالي من داخلها، ثم تحول التعبير السياسي لهذه القوي عبر بنائها لأحزاب تعبر عنها بشكل مستقل عن الأحزاب الأخري منذ العام ١٩٦٩م والتي أعلن فيها "أربكان" عن تأسيس حزب النظام الوطني.

وعبرت الطرق الصوفية عن نفسها بشكل انسحابي سري بدت فيه وكأنها تحافظ علي الهوية الإسلامية من خطر التهديد الذي تواجهه مع الهجمة الكمالية ولا تزال تمثل إلي اليوم أحد معالم قوة الإسلام في تركيا، وعبرت هذه القوي أيضاً عن نفسها في المجال الفكري والحضاري كما هو الحال بالنسبة للتيار الذي عبر عنه "نجيب فاضل"، "وسزائي قراقوج" و"عصمت أوزال" وغيرهم.

فهناك تعبيرات متعددة عن الإسلام في تركيا يمكن القول أنها أوجه لظاهرة واحدة ولكن كل وجه له لون وتوجه ومنهج في التعاطي مع الواقع ربما يختلف أو يتقاطع أو حتي يتعارض مع الوجوه الأخري، ولكنها تصدر جميعها عن موقف واحد من " الكمالية " باعتبارها خطراً يهدد الإسلام، وقد استطاعت هذه التيارات والقوي الاجتماعية والفكرية التي تتخذ من الإسلام قاعدة لمعارضة سياسات الدولة وحاضنة لحماية هويتها ووجودها من الاستئصال أن تنتقل من الهامش إلي القلب عبر بناء نخبة إسلامية جديدة تداولت المواقع من النخب العلمانية التي أصبحت غير قادرة علي أن تؤسس قاعدة للتلاحم الاجتماعي يعبر عن الهوية والشرعية والمصلحة القومية لتركيا"[1]. وتبدو

(١) عن أزمة العلمانية التركية راجع: [illegible] مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان [illegible] ١٩٩٦ [illegible]

المشهد السياسي التركي من حصار الإسلام ومحاولة استئصاله في بداية القرن الماضي إلى محاصرة العلمانية والأتاتوركية في تركيا وتراجعها"[1]

ونحن نتعقب كيف أثر الإسلام في التيارات الفكرية والقوي الاجتماعية والسياسية التي قاومت العلمانية الكمالية؟ وماهي الأدوات التي استخدمتها في المواجهة؟ وكيف تحول الإسلام من الهامش بل ومحاولة الإلغاء إلى المركز بحيث أصبح هو قلب النقاش والجدال الفكري والسياسي والمجتمعي في تركيا والعالم الإسلامي.

* * *

كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، التحدي الماثل أمام كل من أوروبا والولايات المتحدة، تعريب فاضل جتكر، العبيكان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م حيث يقول "الكمالية ما هي إلا قاعدة أيديولوجية ولى زمانها وغير صالحة لإدارة نظام ديموقراطي قائم علي الانفتاح وتطوير دولة قومية موحدة ذات مجتمع متعدد الأعراق والثقافات، ص ١٧ - ١٨ حيث عنون هذا الجزء من الكتاب "اهتراء النموذج الكمالي".

(١) لا يعرف الأتراك مصطلح الكمالية ولكنهم يعرفون مصطلح الأتاتوركية والمحللون الأجانب لتركيا الحديثة هم الذين ابتدعوا مصطلح الكمالية.

المبحث الأول
الطرق الصوفية ومقاومة العلمانية الكمالية

مثلت الطرق الصوفية القاعدة الاجتماعية للدولة العثمانية في بدايات تكوينها ، وظلت هذه الطرق مع تطور مؤسسات الدولة تعبر عن الإسلام الشعبي متوازية مع الإسلام الرسمي تعبيراً عن الطبيعة الجمعية للدولة العثمانية [1] التي لم تكن تحتكر لنفسها الإسلام لتتحدث باسمه وحدها ، ومن هنا سمحت للتعبيرات الدينية الإسلامية الأخري مثل المذاهب الفقهية غير الحنفية والفرق غير السنية مثل المذهب الشيعي والطرق التي تعبر عن الإسلام الشعبي بتقاليده الخاصة والتي تختلف بالضرورة عن الإسلام الرسمي الذي تبته الدولة .

وكما هو معلوم فإن معظم سلاطين الدولة كانوا يؤيدون الطرق الصوفية كتعبير عن الإسلام غير الرسمي وانتمي الكثير منهم لهذه الطرق ،

---

(1) عن الصوفية وعمق تغلغلها في المزاج التركي وتعبيرها عما يعرف بالإسلام الشعبي راجع: محمد فؤاد كوبريللي ، المتصوفة الأوائل في الأدب التركي ، ترجمة عبدالله أحمد إبراهيم ، القاهرة ، المجلس الأعلي للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، (جزءان) الأول برقم ٣٤٨ والثاني برقم ٣٧١ وكلاهما مطبوع عام ٢٠٠٢ ، وهو يشير إلي أن الصوفية عبرت عن الفوران الشعبي لحركات الطرق في منطقة الأناضول في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادي ، وكيف أنها مثلت ملجأً للجماهير من القلق السياسي والاضطراب الاجتماعي ، واضطر الحكام في الدولة السلجوقية إلي أن يتواصلوا مع شيوخها لاستيعاب خطرهم وشعبيتهم من أن تمثل تحديا لهم ، كما أن الشخصية القومية التركية عبرت عن نفسها باستقلال عبر أدب أحمد يسوي ويونس أمره وغيرهما ، وتواكب الاكتساح الصوفي أو الإسلام الشعبي مع ظهور الدولة العثمانية التي عبرت عن الإسلام الرسمي الذي عبر عن محاولة لتخفيف العوامل المهرطقة في الإسلام الشعبي الصوفي ، وعبرت التقاليد التركية ماقبل الإسلام عن نفسها في الصوفية ، وتبقي القصر السلطاني الأدب والفن الصوفي حيث لا تزال موسيقي القصر الصوفية هي أهم التعبيرات الفنية لتركيا وكذلك موسيقي المهتر التي كانت تسبق الجيوش العثمانية وبينما عبرت الأولي عن العشق والإلهام والوجد والذوبان فإن الثانية عبرت عن روح الفداء والتضحية والقتال ، فالإسلام التركي المعاصر هو مزيج قوي لا يمكن فصمه بين التقاليد الصوفية وروح الشريعة والشخصية القومية التركية قبل الإسلام

ومع تشجيع السلاطين هذه الطرق انتشرت في قطاعات مهمة بين العثمانيين مثل التجار والحرفيين بطوائفهم المختلفة، بحيث تداخلت الحرف مع الانتماء لطرق صوفية معينة كانت تمثل الإطار الأخلاقي الضابط لمنتسبين إليه. وحين كان "أتاتورك" يخوض معركة صراعه مع الخلافة الإسلامية ومعركة التحرير فإنه تملق الطرق الصوفية وخاصة "النقشبندية" التي شاركت على نطاق واسع في حروب ومعارك التحرير معه ولذا فإن دستور ١٩٢٤ ترك الطرق الصوفية حرة بدون أية قيود.

وفي أغسطس عام ١٩٢٥ ألقى خطابا في مدينة "قسطموني" التي تنتشر فيها الطرق الصوفية وقال "إن طلب العون والمساعدة من قبور الأموات صفعة على جبين المجتمع الإنساني المتحضر.. يجب أن تتعلموا أيها السادة أنتم وأفراد أسركم، وعلى الأمة التركية بأسرها أن تعلم أن الجمهورية التركية العلمانية لا يمكن أن تكون بعد اليوم أرضاً خصبة للمشايخ والدراويش وأتباعهم من أصحاب الطريقة، وإذا كان هنالك من طريقة حقيقية فهي طريقة الحضارة المبنية على العلم.. وعلى مشايخ الطرق أن يفهموا هذا الكلام بوضوح وبالتالي يغلقوا زواياهم وتكاياهم عن طيب خاطر وإلى الأبد قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم"(١).

وعقب عودته استصدر عددا من القوانين استهدفت الطرق الصوفية بالمنع والحظر ومن أهم هذه القوانين:

١- إغلاق الزوايا والتكايا الموجودة بالدولة سواء أكانت وقفا أو ملكا لمشايخها.

(١) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، القاهرة: مركز الشرق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٤٦ - ٤٧.

٢- إلغاء كل أنواع الطرق وألقاب مشايخها ودراويشها والأعمال التي يقومون بها للجمهور.

٣- حظر الملابس والأزياء التي تدل علي الطرق وصفاتها وتنويعاتها.

٤- إغلاق جميع المزارات وقبور الأولياء والسلاطين ومشايخ الطرق.

٥- الحكم علي من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة.

٦- تحويل جميع ممتلكات الزوايا والتكايا من الأساس إلي متاحف الدولة[1].

وتضمن قانون العقوبات التركي مايفيد تحريم تأسيس أو تشكيل أو تنظيم أو إدارة أي جمعية علي أساس ديني أو عقائدي يخالف العلمانية أو يخل بنظامها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي كما يعاقب كل من ينتمي لهذه الجمعيات أو يدعو إلي الانضمام إليها أو يعمل دعاية لها أو يستغل الدين كأداة سياسية، كما أن النشر أو المساعدة في النشر لمواد تخل بالعلمانية هي جرائم يعاقب عليها القانون[2].

---

(١) راجع: حمدي درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية، نموذج الإمام سليمان حلمي، تقديم الدكتور محمد حرب، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨، ط١، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) يشير الدستور التركي العلماني إلي أنه كحكم ثابت استحالة تطبيق القواعد الدينية ولو جزئياً في كيان الدولة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والقانوني، كما لا يجوز إطلاقاً لأي أحد أن يسيء استخدام المشاعر الدينية وقيمها المقدسة بغرض تحقيق مآرب سلطوية أو سياسية أو مصلحة شخصية، ويشير قانون العقوبات التركية في مادته ١٦٣ إلي أنه يعاقب كل من يؤسس أو يشكل أو ينظم أو يدير جمعية بهدف ديني أو عقائدي تخالف علمانية الدولة وتخل بنظامها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو القانوني بالسجن من عامين إلي سبعة أعوام ويعاقب كل من ينضم أو يحرض الآخرين بالانضمام إليها بأقل من ستة أشهر، وكل شخص يقوم بدعاية بهدف تحريك الأسس العلمانية بأي شكل من الأشكال أو استغلال الدين كأداة سياسية يعاقب بالحبس من عدة إلي خمسة أعوام وكل من يقوم بنشر أو مساعدة في نشر ما يخل بالعلمانية يعاقب بالسجن من ستة

- لجأت الطرق الصوفية في دفاعها المستميت عن هويتها ووجودها إلي العمل السري وأصبحت أكثر تسيساً وعنفا بشكل لم تعرفه في كل تاريخها ، كما هو الحال بالنسبة للطريقة "النقشبندية" والتيجانية" و"السليمانية و"المولوية" والرفاعية - والقادرية والشاذلية والخلوتية والجراحية والملامتية وغيرها من الطرق التي كانت تغص بها الدولة العثمانية(١)

- مثلت المواجهة الكبيرة الأولي بين الدولة والشيخ سعيد الكردي النقشبندي في فبراير ١٩٢٥ احد أخطر التحديات التي واجهتها الدولة الكمالية ، فهي أكبر انتفاضة للأكراد التي تعرضت هويتهم للتهديد واستندت إلي النقشبندية كطريقة صوفية وهي التي عبرت عن الإطار المرجعي الفكري للحركة والذي استخدم في التعبئة والحشد والدعاية واستخدام الرموز ، وكما تشير أحد الدراسات عن الحركة فإنه لا يمكن إغفال أن العامل الديني كان أحد أبرز العوامل في قيامها ، فلقد اعتبر قادة الحركة أن إلغاء الخلافة هو أحد أسباب المروق علي الدين ، كما كان إلغاء نظام الخلافة الوراثي في الطريقة النقشبندية والتي كان ينتمي إليها معظم علماء الدين في كردستان تركيا أثر كبير في تأجيج نار الحقد علي الحكومة التركية واتهامها بالابتعاد عن الدين ، كان برنامج الحركة وشعارها المعلن هو إعادة الاعتبار إلي الدين

أشهر إلي عامين وراجع كتاب تركيا ٢٠٠٢ ، إعداد وكالة "تورلد غير لر ، ونص الدستور التركي باللغة الإنجليزية

. The Constitution OF The Repuplic of Turkey, Ankra: 1995, 2Print, Article 24.

(١) تحولت الطرق الصوفية إلي الهجوم علي الدولة الكمالية واعتبارها عدواً للإسلام واتخذ عنفها المدافع طابعاً سياسياً وعنيفاً من الناحية الحركية والرمزية وراجع باللغة الإنجليزية:

Cemal Kafader. The New Visibility Of Sufism in Turkish Studies and Culture Life in Raymond lichez(ed) , TheDervish Lodg: Architecture. Art and Sufism in Ottoman Turkey, Berkeley: University of California 1992, p. 21 - 25

وحكم الشريعة ونصيب سليم آفندي أحد أبناء السلطان عبدالحميد سلطانا وخليفة[1].

وبعد المواجهة الكمالية مع النقشبندية والقبض علي الشيخ سعيد وإعدامه في إبريل ١٩٢٥ م، قامت حوادث متعددة ذات طابع فردي ضد الكمالية خاصة رفض لبس القبعة وأعلن أحد حزبي النقشبندي نفسه خليفة للشيخ سعيد.

وفي أرضروم هاجم الأهالي مبني المحافظة تحت قيادة "خوجة عثمان" النقشبندي وقامت حوادث مماثلة في مرعش وكيره سون، وفي سنة ١٩٣٠ هاجم الشيخ "محمد النقشبندي" قصبة منمن "وسيطر عليها ورفع البيرق النبوي وقتل ضابطا تصدي له، وقبض عليه ثم مات مسموما في السجن، وفي عام ١٩٣٥ م قامت ثلاث انتفاضات نقشبندية مرة واحدة.

وفي الأربعينيات والخمسينيات ظهر نشاط الطريقة التيجانية ذات الطابع الصدامي مع الدولة حيث قام التيجانيون بتحطيم تماثيل "كمال أتاتورك" وقبض علي زعيمهم "الشيخ كمال بلاو أوغلو" رجل الأعمال الضليع في القانون سنة ١٩٥٠ وحكم عليه بالسجن عشر سنوات.

وفي فبراير ١٩٥٤م ألقت السلطات الكمالية القبض علي سبعة عشر من شيوخ الطريقة النقشبندية في ماردين وحاكمت شيخ الطريقة المولوية في يونية ١٩٥٠ م وشيخ القادرية في مارس سنة ١٩٥١ م كما قبضت علي جماعة من الطريقة البكتاشية[2].

(١) إبراهيم خليل العلاف، خارطة الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا علي موقع:
www. alwatanvoice. com/pulpit. php?go=articles&id=34756

(٢) عن المواجهات بين الدولة والطرق الصوفية راجع: محمد نور الدين، قبعة وعمامة مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، بيروت: دار النهار، ١٩٩٧، ط١، ص ٣٨ - ٣٩ وما بعدها.

وبدءا من الستينيات انتقلت الطرق الصوفية من السرية إلى العلنية وأصبحت جزءا من الحركة الإسلامية في تركيا، بل إنها أصبحت حدا مؤثرا في الحياة السياسية تأخذها الحكومات والأحزاب في تقديرهم لأسس متصلة بالحصول على أصوات أتباعها الانتخابية. لكن الطرق الصوفية نأت بنفسها عن ممارسة العمل السياسي المباشر باعتبار أن العمل الاجتماعي والدعوي والأخلاقي هو مجال عملها الأساسي وحتى لا تدخل في مواجهة مع الدولة بحكم بنيتها التنظيمية فهي محظورة بحكم القانون. واتسم التوجه الصوفي للإسلام في تركيا بعدائه للعلمانية وللغرب معا واتخذ الطريق التربوي والدعوي والسلوكي والاجتماعي والتعليمي الثقافي والاقتصادي مجالاً لفعله من أجل ما يمكن وصفه باستراتيجية "اختراق للنظام العلماني المعادي للشريعة من أسفل".

وتمتاز الطرق الصوفية ببنيتها التنظيمية القوية التي تستند إلى مفهوم الطاعة والعلاقة الصارمة ذات الطابع الروحي بين الشيخ والمريد، وتنتشر الطريقة بين الجمهور عبر الدعوة إليها ونقل تقاليدها من جانب المريدين الذين بلغوا مرحلة الإجازة وفي تركيا تبدو الطريقة الوعاء الروحي لممارسة الشريعة بحيث نجد ارتباطاً لا ينفصم بين الطريقة والشريعة، فكل مسلم في تركيا لديه طريقة ومذهب لممارسة دينه، وربما يكون ذلك أحد تجليات نزعة النظام الحادة وقوة التقاليد وعمقها في الثقافة التركية[1].

المصري في شت. الحركة الإسلامية في تركيا ١٩٢٠ - ١٩٨٠ القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ص ٦٥ وما بعدها وأيضا الحركة الإسلامية في تركيا حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع الديني والدولة في تركيا، عمان، دار البشير، ١٩٩٢ ص ٢٩، ص ٤٢.

(١) عن الثقافة التركية ونزعة المقدسة والنفوذ القوي داخلها راجع: كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ط١، ص ٢٢٩ - ٣١ وغالب الزعماء السياسيين لهم ارتباطات قوية بالطرق الصوفية وعلى سبيل المثال فإن ال... نقشبندي وتورجوت أوزال نقشبندي وكوركوت أوزال نقشبندي وعدنان مندريس كان يتبع ... بالنورسية وكان يراسل أحد مشايخها برسائل خاصة يصوت له فيها ...

ويقدر تقرير للمديرية العامة للأمن في تركيا أن عدد مراكز الطرق الدينية في مدينة اسطنبول وحدها قد ارتفع من ٣٠٧ مركزا عاما ١٩٩١ م إلى ٥٦٠ عام ١٩٩٦ فيما بلغ عددها في أنقرة نحو ١٣٠ مركزا، وتمثل الطرق الصوفية شبكة اجتماعية ذات طابع مدني تعاوني تمثل سقفا من الحماية للطبقات الفقيرة والمحرومة من الحرفيين والعمال والطلاب الذين لم يكملوا تعليمهم والطبقات الوسطى [illegible]، وتعرف الطرق الصوفية حضورا قويا حول أحزمة الفقر وأكواخ الصفيح Gecekondu التي تحيط بها ولا سيما في اسطنبول[1]، كما تعرف الطرق نفوذاً قويا في مناطق شرق تركيا حيث يتضاءل وجود الدولة المركزية هنالك بسبب الاضطراب الأمني الناشئ عن المشكلة الكردية.

أولا: الطريقة النقشبندية:

نسبة إلي محمد بهاء الدين البخاري النقشبندي وهي أقدم الطرق الدينية في تركيا وأكثرها انتشاراً، ويقدر عدد منتسبيها بأكثر من ٢ مليون نسمة، وهم يرفضون الذكر الجهري ويهتمون بالذكر الخفي وهم يرفضون الرقص والسماع ويهتمون بالصحبة مع الشيخ والإخوان، وهم يتبعون السنة ويعرفون الطريقة بأنها كنز والشريعة مفتاحه لذا معرفة الشريعة أي قواعد الإسلام ومبادئه الظاهرة هي شرط الالتحاق بالطريقة لأن جهل الشريعة قد يوقع في البدع والخرافات[2].

أسباب إعدامه من قبل انقلابيي عام ١٩٦٠ وعن الواقعة الأخيرة راجع النعيمي، الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ١٠٣

(١) محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ٣٧.

(٢) ولد عام ٧١٧ هـ - وتوفي عام ٧٩١ هـ والنقشبندي كلمة مركبة من العربية والفارسية وتعني نقش محبة الله في قلوب المنتسبين لطريقة بالذكر الدائم، وقد وقعت علي كتاب كبير عن النقشبندية كتبه تركي، فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها علي موقع

والنقشبندية تأثرت بالحركة التي بدأت مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا ولذا فهي على وعي بقضايا الإسلام المعاصرة وإن كانت جماعة تقليدية ، وربما هم يرفضون وصفهم بالتأثر بهذه التيارات التجديدية وقد يقولون إنهم سلفيون ونحن صوفيون . ولكن التعمق في آرائهم ووضعهم السياسي يكشف تأثرهم بهذه الحركات التجديدية كما يكشف أنهم تعبير عن حركة عقلانية في فهم الدين .

وتأثراً بتفسيرات المنار التي قدمها "محمد رشيد رضا" ، هناك نزعة تأويل واسعة عندهم ، وهم يهتمون بالوجه الدنيوي للإسلام مثل الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والعسكرية ، وهم يقولون "لو أحسن المسلم علاقته بالله سوف تتحسن علاقاته الأخرى مع المجتمع والدولة" ، هم تأثروا بالأطروحات التي قدمتها الحركات الإسلامية التجديدية بعد انهيار الخلافة وبعد ظهور الدولة القومية .

- النقشبنديون أصوليون يقدسون الدولة الإسلامية أكثر مما ينبغي وهم في ذلك مثل الحركات الإسلامية يقولون "نبدأ من الدولة - فهم إسلاميون بهذا المعنى - والنقشبنديون المعاصرون لهم جريدة اسمها "SAGDUYU" صاغ دويو" أي الرأي السديد بالتركية ، ومعظم النقشبنديين يؤيدون حركة "الملي جورش" التي أسسها "أربكان" وفي الانتخابات النيابية الأخيرة التي جرت في نوفمبر ٢٠٠٢ م أيدت أكبر جماعة نقشبندية حزب السعادة ولم تؤيد حزب العدالة والتنمية وهم يؤيدون حركة "الملي جورش" - أي الفكر الملي -

www.saaid.net/book.4/777.doc ، ومن كتبه أشار إلى أنه من المثقفين الأتراك ، موقع: www.ikraislam.com .

لأنهم يرونه أقرب لإقامة الدولة الإسلامية"[1].

وتتفرع الطريقة النقشبندية في تركيا إلي عدة أفرع أهمها:

١ - جماعة اسكندر باشا:

أسسها الشيخ "محمد زاهد كتكو" واتخذ جامع "اسكندر باشا" في اسطنبول مقراً للجماعة منذ عام ١٩٥٨ م، وهي صوفية نقشبندية وشيخ الجماعة بعده اسمه "أسعد جوشان" صهره وزوج ابنته. خرج من تركيا بعد سقوط حكومة أربكان في ٢٨ فبراير ١٩٩٧ م وله جماعة تتبعه في استراليا ولكنه توفي هناك في حادث سيارة أوائل عام ٢٠٠٢ م، **ويترأس الجماعة اليوم ابنه " محمد " وهذه الجماعة كان لها أنشطة مهمة جداً وكثير من المثقفين الأتراك عملوا معها وكتبوا في مجلتهم "إسلام " ومجلة " العلم والفن". ويقدر توزيع " مجلة إسلام " بأكثر من مائة ألف نسخة**[2].

يتمركز هؤلاء في مسجد "اسكندر باشا" الذي تسمت الجماعة باسمه، والشئ المهم في هذه الجماعة هو أن الشيخ **" محمد زاهد كوتكو " هو شيخ "**

---

(١) نحن مدينون بهذه المعلومات الثمينة عن الطرق الصوفية بتركيا والتي تنشر للمرة الأولي بهذا التفصيل والاستقصاء باللغة العربية للباحث التركي "عمر توقات" الذي التقيناه في اسطنبول في شهر اكتوبر عام ٢٠٠٣ م، وسوف نحيل دائماً إليه بخصوص هذه المعلومات بالإشارة إلي حوار الباحث مع عمر توقات.

(٢) عن أهمية هاتين المجلتين راجع: جلال معوض، **الإسلام والتعددية في تركيا ١٩٨٣ - ١٩٩١**، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، يوليو ١٩٩٤، ص ٥٠ حيث يشير إلي أن توزيع صحيفة "إسلام" ١٠٠ ألف نسخة وأن إصدارها بدأ في أنقرة عام ١٩٨٣ م وانتقل مركزها إلي اسطنبول وتنتشر مكاتبها وفروعها في قونيا وازمير وارضروم وقيصري وسيواس وبورصة. وصحيفة العلم والفن وتوزع ٢٠ ألف نسخة شهريا وبدأ إصدارها عام ١٩٨٥ ثم انتقل مركزها في العام التالي إلي اسطنبول، وصحيفة المرأة والعائلة وتوزع ٦٠ ألف نسخة. وهم دار نشر كبيرة يرأسها أستاذ بكلية الإلهيات في جامعة أنقرة بقسم أصول الدين وهو متزوج من كريمة أحد كبار مشايخ الطريقة النقشبندية، وتدعو الرؤية التي تمثلها هذه الصحف إلي عدم تقليد الغرب في نفسه وتقاليده وإلي الانضمام للعدل الإسلامي وليس إلي الاتحاد الأوربي، ص ٥٠

تورجوت أوزال" رئيس وزراء تركيا ورئيس جمهوريتها فيما بعد وهو - أي أوزال - من مريدي الشيخ وأخوه الكبير "كوركوت أوزال" هو أيضاً من مريدي الشيخ . كما أن بعض النقشبنديين في "إنامي جورتش" هم من مريدي الشيخ "محمد زاهد كوتكو" الذي يتمتع بتأثير كبير في أوساط النخب المثقفة والنخب السياسية الإسلامية وهو الذي وجه الكثير منهم للعمل السياسي وتأسيس حركات إسلامية ذات طابع سياسي وعلى رأسهم "أربكان" نفسه فالمعلومات التي حصلنا عليها من مصادر موثوقة تشير إلى أن "أربكان" استشار الشيخ "محمد زاهد كتكو" قبل أن يعلن حزبه الأول "النظام" عام ١٩٦٩م[١] . وهو عالم متمكن كان يهتم بقراءة الحديث فيفتح كتاب "رياض الصالحين" ويقرأ منه وهناك كتاب آخر اسمه "رامز الأحاديث" Ramizu, L - Ehadis وهو مكتوب بالعربية وله شرح بالتركية ألفه الشيخ ضياء الدين جومشخانوي" الذي كان شيخاً لـ "محمد زاهد أفندي كوتكو" وألف هذا الكتاب بالتركية والعربية .

تقدس المجموعات النقشبندية الدولة الإسلامية بتأثير الإسلاميين من الجماعات والحركات المعاصرة علي الصوفية التركية ، وكانت مجموعة اسكندر باشا "تؤيد أربكان" حتي عام ١٩٩٠ ثم اختلفت معه وارتبطت بحزب الوطن الأم الذي أسسه "تورجوت أوزال" أيام وجوده ، ولكنها صوتت لحزب العدالة والتنمية في الانتخابات الأخيرة ، وكان الشيخ "أسعد جوشان" تناقش مع "كوركوت أوزال" بشأن تأسيس حزب سياسي إسلامي يعبر عن الطريقة النقشبدية ولكنهم

---

(١) حوار المؤلف مع محمد فرتهه أقدم طلاب النور الأحياء وفق ما أفادنا إحسان قاسم الصالحي مترجم كليات رسائل النور وقد التقيته في اسطنبول بوقف العلوم الإسلامية التابع لجماعة النور، حيث كان شاهداً علي المناقشات التي دارت بين المجموعة الإسلامية في تركيا من أجل الاستقلال بحزب سياسي وقال: إن "أربكان" وكان رئيساً للغرف التجارية وقتها قال: إنه لا بد من استشارة شيخه في اسطنبول .

قرأوا الواقع ووجدوا أن هذا لن يكون في صالح المسلمين في تركيا . وأنشأوا بدلا من ذلك حزب " الوطن الأم " أي أن أهم حزب تركي بعد عام ١٩٨٣ كان نتاج تشاور بين سياسي وبين شيخ طريقة صوفية هي النقشبندية وهو مايؤكد عمق التأثير الصوفي في الحياة السياسية التركية وعبر الحزب داخله عن أربع اتجاهات وهي:

- الإسلاميون:

ويمثلهم " سليمان جندز " وهو الآن في حزب العدالة والتنمية و" حسن جلال جوزال " الذي كان وزيرا للتعليم والتربية . وكان يصدر مجلة " ترجمان " وقد استقال من السياسة بعدئذ ، وهم من بقايا حزب السلامة الوطني .

- ليبراليون:

ويمثلهم مسعود يلماظ وهؤلاء هم من كان يمثل الاتجاه اليميني في حزب العدالة .

- محافظون:

" محمد كتجلر " والذي كان وزيراً في الحكومة قبل أن يصل حزب العدالة والتنمية إلي السلطة .

- يساريون:

قطاع منهم ترك اليسار وتبني الأفكار الليبرالية أو الكمالية وهم من بقايا الاتجاه الاشتراكي لحزب الشعب الجمهوري"[1] .

(١) راجع في تكوينات حزب الوطن الأم الذي سمح بوجوده بعد انقلاب ١٩٨٠: جلال معوض ، الإسلام والتعددية في تركيا ١٩٨٣ - ١٩٩١ ، م . س . ذ ، ص ١٩

٢ - جماعة "أضي مان ADIYAMAN:

واتجاه هذه الجماعة من الناحية السياسية يختلف داخلها فهم أيدوا في بعض الأحيان "الحزب الوطني القومي" الذي تزعمه "ألب أصلان توركش" و"الاتحاد الكبير" الذي يرأسه "محسن يازجي أوغلو" وفي بعض الأحيان أيد بعضهم "أربكان" وبعضهم أيد أحزاب أخرى مختلفة. وهذه الجماعة شعبية جدا ومنتسبوها من المواطنين العاديين ولعبت الجماعة دور كبير في هداية غلاة الناس وإدخالهم في الطريقة، واشتهر عن شيخها "محمد راشد أفندي" بأنه يخلص الناس من الخمر والحياة الكريهة والذي يواجه مشكلة ويريد التخلص من هذه الحياة يذهب إلي الشيخ، فدور الشيخ هنا مركزي في الخلاص من الآثام والعادات السيئة، وتصدر الجماعة مجلة اسمها "سمرقند" وهم يفضلون هذا الاسم، وحتي المحلات التجارية يسمونها باسم "بخاري" أو "سمرقند" غالباً تيمنا باسم الشيخ "بهاء الدين النقشبندي"، ومعظم المنتسبين إلي الطريقة يدخنون السجائر لأن الشيخ كان متسامحاً في هذه المسألة[1].

٣ - جماعة يهي للي YAHYALI[2]:

هذه الجماعة يرأسها "علي رمضان أفندي" ومنذ نشأتها الأولي أيدت أربكان" والفكرة الملية" الملي جوروش "وهي تؤيده لأنها تري انه يمكن ان يقود إلي تأسيس الدولة الإسلامية، ولهم مجلة اسمها "يني دنيا" أي الدنيا الجديدة - يعتنون بالطلاب ولهم وقف "الصفة" ويساعدون الطلاب ويشجعونهم علي الدراسة خاصة الطلاب الفقراء وغير القادرين في المدن التركية أومن الضواحي أو من الأناضول.

---

(١) حوار المؤلف مع عمر توقات بمدينة اسطنبول عام ٢٠٠٣م.

(٢) وهي ضاحية ضمن منطقة "قيصري"

٤ - جماعة إسماعيل أغا أو "تشارشمبا":

صوفية نقشبندية مركزها في "تشرشمب فاتح" وهي ضاحية في اسطنبول ويرأسها الشيخ "محمود الأفندي الأوفي". نسبة إلى "أوف" وهي ضاحية بمدينة "طرابزون" بالبحر الأسود، وهذه الجماعة تهتم بالمدارس الدينية والشعارات والملابس الدينية الإسلامية مثل الجبة والسروال والعمامة للرجال والشرشف للنساء وهم ممن كانوا يؤيدون "أربكان". وعندما استضاف "أربكان" وهو رئيس وزراء المشايخ ورجال الدين كان "الأوفي" واحدا منهم وذهب لمقر رئاسة الوزراء بالجبة والسروال، وهم يتجولون بشكل واضح في مدينة "اسطنبول" الرجال والنساء بل والأطفال بملابسهم العثمانية التقليدية، فهي تعبير عن التمسك بالتقاليد العثمانية التي يرونها تقاليد إسلامية، ويمكن القول إنهم تعبير عن بعث "تيار العثمانية الاجتماعي"، وهم يهتمون بإحياء الحروف العربية الإسلامية في تركيا[1].

فتحوا في كل مدينة بل وضاحية مدارس رسمية وغير رسمية ودرسوا علوم الشريعة للطلاب، وكل من يدرس في هذه المدارس حتي الأطفال يرتدي الثياب التقليدية العثمانية وهم يهتمون بكتاب الشيخ "سرهندي "المكتوبات" ويدرسه الشيخ للطلاب ككتاب رئيسي بعد القرآن الكريم والحديث كل يوم[2] وهم يفهمون الصوفية كما بلورها وجددها الشيخ "

(١) وقد قمت بزيارتهم بمسجدهم في منطقة "تشرشمب "فاتح اسطنبول ولاحظت أنهم يتشددون في استخدام اللغة العربية حتي إن الساعة المعلقة علي حائط المسجد كانت إشاراتها وأرقامها مكتوبة باللغة العربية.

(٢) وفي حوار المؤلف مع الشيخ "حسن أفندي" ممثل الجماعة في منطقة "تشرشمب" فاتح أفادنا أن الجماعة لا تتعاطى السياسة ولكنها تشترك في التصويت والشيخ يترك لهم حرية الاختيار ولكنهم لا يعطون للشيوعيين وفي الانتخابات الأخيرة نوفمبر ٢٠٠٣ صوتوا للعدالة والتنمية والسعادة، وغير المكتوبات" هناك الرسالة القدسية للشيخ "مصطفى عصمت أفندي" والرسالة الخالدية لمولانا خالد البغدادي، وللجماعة دور في التأليف وهو شديد والجهاد ... وهم يعملون في كل البلاد التركية، وهناك تشاور بين الشيخ وممثلي الجماعة في المناطق وهناك ثقة تامة ... للشيخ "محمود الأوفي" نفسه

"أحمد الفاروقي السرهندي في كتابه "المكتوبات" الذي وفق بين التصوف والفلسفة والشريعة مستندا لعقيدة أهل السنة"[1] وهم يكرهون التلفزيون ولا يدخلونه في بيوتهم مثل التيارات السلفية المتشددة في مصر والعالم العربي والإسلامي، كما أنهم يجتنبون أشد الاجتناب للموسيقى ويبتعدون بشدة عن أي شيء له صلة بالغرب والثقافة الغربية فهم يحافظون على أنفسهم لا يعتبرونه غير لائق بالخصوصية التركية. وتشير المعلومات التي حصلنا عليها إلى أن "عبد الله جول" رئيس الوزراء التركي ينتمي هذه الطبقة

٥ - جماعة "طوب بشلر":

يرأسها "عثمان نوري طوباش باشا" وهي تهتم بالمدارس في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، ولهم مدارس عديدة هناك بل إن لهم كلية في موسكو ذاتها، أيدوا "تورجوت أوزال" في عهده كما أيدوا "أربكان" أحيانا وأيدوحزب السعادة في الانتخابات النيابية الأخيرة، وهي جماعة غنية وشيخها من رجال الأعمال وأسرته معروفة بالتجارة ولهم شركات كبيرة

بتفسير للقرآن اسمه "روح الفرقان"، وهم يفصلون فصلا تاما بين الرجال والنساء، ويسهلون أمر الزواج على قدر المستطاع ويصممون أن لا يزيد المهر على ٦٠٠ دولار، وهم يحبذون عدم تعدد الزوجات لقوله تعالى ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء: ١٢٩]، وعن الإصرار على ارتداء الملابس العثمانية قال لنا نحن قاومنا وتمسكنا بهذه الملابس وهذا الإصرار أنتج ثمرات مفيدة جدا ونفع المسلمين أكثر من غيره لأن معناه رفض القيم الغربية الحاكمة والمسيطرة، ونقل عن نبع السنة ظاهرا وباطنا واجتناب البدعة.

(١) المكتوبات هو أهم المصادر التي تستند إليها الجماعات الصوفية التركية وهو يضاهي لديها في العربية "إحياء علوم الدين" للغزالي الذي حاول التأسيس لعلوم الدين وإحيائها في مواجهة الهجمة الصوفية الباطنية التي أشرنا إليها من قبل في العالم الإسلامي منذ القرن العاشر الميلادي وحتى القرن الخامس عشر خاصة منطقة الأناضول ويزاوج كتاب الشيخ "أحمد الفاروقي السرهندي" الإمام العالم الرباني مجدد الألف الثاني بين الصوفية والشريعة لضبط شطحات الصوفية بميزان الشريعة، وهو في ذلك أشبه بالجهد الذي قام به "ابن قيم الجوزية" في كتابه "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" على كتاب "منازل السائرين" لأبي إسماعيل عبد الله الأنصاري المعروف بالخواجه الأنصاري، وراجع أحمد الفاروقي السرهندي، المكتوبات، ملول يبنات نشر وتكى مكتب عنه باللغة التركية Carsamba - Fatih, Istanbul.

معروفة في تركيا مثل "بهاريا" و"وبولارس" وللجماعة مجلة اسمها "أولتن أولك" ALTINOLUK ، الكاتب الرئيسي في جريدة "يني شفق" أي الفجر الجديد وهو "أحمد طاشكتن" من الجماعة وهو المسئول عن تحرير ونشر مجلة الجماعة[١] .

٦ - أوشك جيلار أو الضونيون[٢] :

مؤسس الجماعة من أسرة "أوشك" واسمه "حسين حلمي أوشك" وتوفي ويرأسها اليوم رجل أعمال اسمه "أنور أورن" وهو يملك مجموعة شركات اسمها "إخلاص هولدنج" و"إخلاص فيناس" وهي عبارة عن مصرف وجريدة يومية اسمها "تركيا" ولهم تلفاز TGRT وهي نقشبندية صوفية وعن الجماعة قال "سليمان ديميرل" رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية التركية "إنها لا تنتظر في المحطة ، أي قطار يأتي فهي تركب فيه" فهم براجماتيون يؤيدون من يحقق لهم المصلحة وهم يؤيدون أي حزب في السلطة حتى ولو كان يسارياً ، فهم مثل جماعة الأحباش في لبنان، ويكفرون سيد قطب والمودودي ويقولون عنه: " مردودي ".

وينتسبون للشيخ السرهندي ويقولون: إن المسلمين اليوم تفرقوا علي ثلاث فرق: الأولي: علي طريق الصحابة الكرام وهؤلاء هم المسلمون

---

(١) عن الجماعة راجع محمد نور الدين ، قبعة وعمامة ، مدخل إلى الحركة الإسلامية التركية ، م ، ص ، ٥ ولكنه يطلق عليها "إيرينكوي" وذكر أن الدركاه تدار بواسطة أربعة أشخاص ولكنه ذكر أن مؤسسها "محمود سامي رمضان أوغلو" وترجع المعلومات التي استقيناها عن الجماعة حيث يعتمد محمد نور الدين علي المصادر المكتوبة وليس المقابلات الميدانية

(٢) حوار المؤلف مع عمر توقات في استنبول وأشار محمد نور الدين في كتابه إلى تشعبات النقشبندية ولكنه لم يشر إلى الدركاه التي أشرنا إليه وذكر "دركاه منزل" وهي نقشبندية كردية مع الحقوق الكردية لكنها ضد النزعة الانفصالية ، علاقتها جيدة مع الوطن الأم ومع حزب الحركة القومية (اليميني المتطرف) وراجع محمد نور الدين ، قبعة وعمامة ، ص ٤٠

الحقيقيون ونحن نسميهم أهل السنة أو السني . الفرقة الثانية الشيعة . الفرقة الثالثة وهم من يسب الفرقتين الأخيرتين يقال لهما " الفرقة الملعونة " فهم يكفرون المسلمين ويصفونهم بالشرك وأثبتوا هذا في كتاب لشيخهم بعنوان "العقائد والآخرة" وهو يقول "إن الذي فرق المسلمين وشتتهم إلى هذه الفرق هم اليهود والإنجليز وهم يكفرون الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" ويدافعون عن الإسلام التركي الذي يدعمه العسكر والدولة والذي يعتمد صيغة معتدلة للإسلام لا تتعارض مع الأوضاع العلمانية لتركيا ولهم علاقة قوية مع "البيرنوريين" وهم ينشرون كتب الصوفية والماتريدية والأشعرية ويوزعونها مجاناً في جمهوريات آسيا الوسطى وفي أفريقيا وآسيا مثل "عمدة المقامات" و"بركات أحمدية" ومنتخبات" ولهم مستشفيات استثمارية كبيرة ويقدم تلفزيونهم الرقص والأغاني وساعة للتفسير كل يوم"[1] .

ثانياً: الطريقة القادرية:

أكبر جماعة قادرية في تركيا هي جماعة "حيدر باشا" ومقرهم في اسطنبول وشيخهم يترأس حزباً سياسياً اسمه "حزب تركيا المستقلة" ويبدو أن المؤسسة العسكرية هي التي تقف وراء إنشاء الحزب لينازع حركة "الملي جوروش" وحزب العدالة والتنمية" وأعضاء الحزب يقدسون الجيش ويصلون به إلى مرتبة المحرمات التي لا تمس والمثير للاستغراب أن الجيش وقياداته يرفضون رئيس الحزب الذي هو شيخ أكبر جماعة قادرية في نفس الوقت وهو حدث فريد في تاريخ تركيا العلمانية التي تفصل بين الدين والسياسة وتحرم استخدام الدين في السياسة . فلأول مرة يجمع شخص واحد بين مشيخة الطريقة

(1) المعلومات التي اعتمدنا عليها هنا استقيناها من لقاءات الميداني مع الأستاذ " عمر الفاروق توفيق" الباحث المتخصص في شئون الطرق الصوفية في تركيا ، وقد حققت معلوماته بسؤال مصادر أخرى في تركيا لها صلة ومعرفة بهذه الجماعات والطرق .

الصوفية ورئاسة حزب سياسي في وقت واحد. ولجماعة "جهلر باشا" قناة اسمها MELTEM أي نسيم ولها جريدة يومية اسمها "الرسالة الجديدة" YENI MESAY وهم يعطون منحاً لطلاب الجامعات ويقدمون لهم إمكانية السكن والأكل وللجماعة أيضاً مجلة شهرية اسمها "إجمال"، وقد تختلف بعض المجموعات القادرية عنهم في الفكر السياسي فيؤيدون "أربكان" أو الطيب أردوغان"[1].

ثالثاً: الطريقة التيجانية:

بعد شهر من فوز الحزب الديموقراطي الكاسح في الانتخابات البرلمانية دعا زعيم الطريقة التيجانية "كمال بيلاف أوغلو" إلى إلغاء الأتاتوركية والعودة للإسلام، إلا أن حكومة الحزب الديموقراطي ساقته للمحاكم، لكنها اضطرت لتأجيل المحاكمة بسبب التظاهرات العنيفة التي قام بها أنصاره خارج قاعة المحكمة وكان أغلبهم من الشباب، والتيجانية طريقة تأسست في القرن الثامن عشر في الجزائر ثم جاءت لتركيا في وقت غير معروف وكان السلاطين يدعمونها، وهي تتركز في أنقرة والأناضول الأوسط، في مايو عام ١٩٥١م وزعت التيجانية منشوراً في "أنقره" تضمن البرنامج السياسي لها

---

(١) أشار محمد نور الدين في كتابه قبعة وعمامة إلى الطريقة القادرية وأشار إلى أنها ترى في أمريكا عقبة كبيرة أمام إحياء القومية التركية، وهي تعارض الدخول إلى الاتحاد الأوروبي. ص ٤١ وعن صحيفة إجمال أشار جلال معوض إليها بقوله "صحيفت الإحالة" و "النصح" وتصدران عن أحد أفرع الطريقة القادرية منذ عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٦ على التوالي ويصل حجم توزيع الأولى ٧٠١ ألف نسخة) والثانية (٣٠ ألف نسخة) شهرية ويبدأ إصدارهما في "طرابزون" بمنطقة البحر الأسود حيث لا تزال تتواجد مراكزهم الرئيسية، وتوجد مكتب وفروع لها في "أنقرة" و"قونيه" ويعطي توزيعهم صحفاً علمانية تركية أهمها "اسطنبول"، وتشير أفكارهم إلى أن الحضارة الغربية تهمل الجانب المعنوي لتحقيق سعادة الإنسان وتركز على الجانب المادي بينما الإسلام يملك القدرة الثقافية والمعنوية لعلاج هذا القصور من خلال التربية المعنوية للنفس البشرية وتنقيتها من الرغبات وتحقيقها وإشباعها في إطار أخلاقي مشروع، ص ٤٩.

والذي يدعو لوضع دستور جديد يقوم على أساس الشريعة الإسلامية ، وتندد بعباد الأصنام وأتاتورك" واعتبرته المسئول عن ذلك ، وعمد التيجانيون إلى الحملات الدينية لنشر أفكارهم واعتمدوا العنف في تحطيم ومهاجمة تماثيل أتاتورك" ففي مدينة "كير شهر" حطم أتباع التيجانية تمثالا لأتاتورك واعتبروه ملحداً ، ووقع ٧٠ اعتداء على تماثيل "أتاتورك" في مختلف أنحاء البلاد وهو ما جعل الدولة تصدر قانونا يمنع بعض [illegible] الإصابة "لأتاتورك" وبسبب هذا القانون حكم على زعيم التيجانية بالسجن ، ولكن أتباعها استمروا في المقاومة فنظموا اجتماعا حاشدا عام ١٩٥١ في مسجد "أنقرة الكبير" استمر شهرا وهو ما جعل الحكومة تعتقل حوالي ألف منهم ، وتشكلت لجنة تحقيق حكومية لمعرفة بواعث نشاط هذه الحركة والتي أفادت بوجود علاقة بينها وبين الإخوان المسلمين وبين حركة "فدائيان إسلام"، وقدرت بعض المصادر عدد المنتسبين للتيجانية في تركيا أوائل الخمسينيات بـ ٣٠٠ ألف عضو موزعين في مختلف أنحاء البلاد[1] .

رابعا:الطريقة المولوية[2] :

ينتسبون لجلال الدين الرومي وهم أصلاً قادريون ومنهم جراحون كانوا يهتمون بالطب النبوي ولهم زوايا تحت عنوان " تقايات " لدعم وتطوير الموسيقى الصوفية الكلاسيكية والتي حازت شهرة واسعة بين المثقفين العلمانيين وبعض المغنين والمغنيات والفنانين والفنانات الذين لهم توجه ديني وتعبر هذه

---

(١) عن التيجانية راجع الدراسة المهمة: إبراهيم خليل العلاف ، خارطة الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة على موقع:
www. elwatanvoice. com/pulpit. php?go=articles&id=34756

(٢) عن المولوية راجع الكتاب الضخم والمهم عبد الباقي جلبنارلي ، المولوية بعد جلال الدين الرومي ، ترجمة عبد الله أحمد إبراهيم ، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

الطريقة عن طبيعتهم ومزاجهم، وهم لا يتدخلون أبداً في السياسة، وعادة ما يرأس حلقات الذكر مغن معروف خبير متخصص في الموسيقى الكلاسيكية التركية ومن أبرزهم "أحمد أوزحان" وهو رجل مُصلّ ومتدين، وقد قدم أغنية صوفية بعد تدخل الجيش عام ١٩٨٠ م بحضور "كنعان إفرين" وهو ما أغضبه فقال الرجل "السياسة لا تهمني، أنا قدمت فناً لا صلة له بالسياسة ولا أي شيء"، والطريقة معروفة في أمريكا وفي أوروبا [illegible] تركيا خاصة نجحت في عهد شيخها السابق "مظفر أوزاك"

***

المبحث الثاني :
السليمانيون وتحدي الحفاظ علي العلوم الاسلامية

مثلت حركة السليمانيين رد فعل مقاوم للحفاظ علي العلوم الإسلامية والحروف العربية في مواجهة الإجراءات العلمانية التي ألغت هذه الحروف وقلبتها إلي اللاتينية وهو ما جعل مؤسس الحركة يشعر بضرورة العمل علي بقاء العلوم الإسلامية والحروف العربية للحفاظ علي الهوية الإسلامية. و الحركة السليمانية أحد الوجوه البارزة للعمل الثقافي الاجتماعي في تركيا من أجل الحفاظ علي هويتها الإسلامية.

وهي تعبير عن رد فعل إحيائي في مواجهة العلمانية الكمالية قصد منها مؤسسها الإمام "سليمان حلمي طوناخان"[1] الحفاظ علي اللغة العربية

---

(1) ولد سليمان حلمي توناخان بقرية فرحتلر التابعة لسلستيرة عام ١٨٨٨ م من عائلة أرستقراطية. تخرج من مدرسة "دار الخلافة العلية" عام ١٩١٣ م ونجح في امتحان مدرسة القضاء وكان ترتيبه الأول. واصل دراسته حتي نال مرتبة كبير المدرسين في فروع التفسير والحديث عام ١٩١٩ م وحصل علي شهادة مدرسة القضاء فأصبح مدرسا عاما. [illegible] منصب القضاء. درس القانون الروماني والقانون البحري والتجاري والقانون الدولي المقارن مع الشريعة الإسلامية في كلية السليمانية. وقام بالتدريس عام ١٩٢٦ ولكن حياته التدريسية لم تستمر طويلا حيث انتهت بإغلاق المدارس الدينية. وعندما أغلقت الجمهورية المدارس الدينية ووحدت قوانين التعليم عام ١٩٢٤ م رفض "سليمان حلمي" التوقف عن تعليم العلوم الإسلامية وبدأ تعليمها في بيته [illegible] زوجته وأولادهم. عارض "سليمان حلمي" إغلاق مدارس الأئمة والخطباء بوزارة التعليم القومي كما عارض [illegible] الشئون الدينية [illegible] ٤٦٥ مدرسة [illegible] و٢٩ مدرسة من مدارس الأئمة والخطباء وكانت حكومية [illegible] مهمة التدريس الديني بصفة غير رسمية. بدأ سليمان حلمي تدريس العلوم [illegible] والمزارع وإرسال الطلاب للخارج. وافتتح أول مدرسة لتحفيظ القرآن بشكل غير رسمي عام ١٩٥١ ثم أصبحت المدارس رسمية. توفي في ١٦ سبتمبر عام ١٩٥٩ م وأصرت السلطة علي دفنه في مكان مجهول ورفضت دفنه إلي جوار ضريح السلطان محمد الفاتح. وكان الإمام نقشبندي

والعلوم الإسلامية والقرآن الكريم أمام التهديد الذي مثلته الدولة الكمالية والتي أعلنت بشكل لا هوادة فيه إلغاء كل المناهج والمدارس والجامعات الإسلامية التي كانت موجودة في ظل الدولة العثمانية واستبدالها بنظم تعليم غربية علمانية تعتمدها وزارة التعليم التركية والتي استبعدت بشكل كامل من مناهجها برامج العلوم الإسلامية.

وكما رأينا فإن ضغط الدولة الجديد على مجتمعها ومحاولة فرض تغييره بالقوة كان لها ردود فعل مختلفة ففرض القبعة وإلغاء الطربوش العثماني ولد رد فعل إسلامي مثله الشيخ " عاطف الاسكليبي " والذي دفع حياته ثمنا لرفض القبعة والتمسك بالزي العثماني، وإلغاء الطرق الصوفية وزواياها وتكاياها[1] ولد رد فعل تمثل في نشاط الطرق الصوفية السري للحفاظ علي تراثها، وإلغاء الأحرف العربية ومناهج التعليم الديني ومدارس حفظ القرآن الكريم مثل رد فعل " الحركة السليمانية " التي وضعت علي عاتقها استمرار حضور التراث الإسلامي العثماني سراً بعيداً عن أعين الدولة فيما يشبه المعجزة الحية التي تؤكد أن للأمة وللمجتمع صوته الذي لا يمكن لدولة مصنوعة مهما كانت قوتها أن تسكته أو تخرسه.

- حالة الحركة السليمانية " هي تعبير عن رد فعل الجسد الاجتماعي عبر النصوص والحفاظ علي التراث الإسلامي للحفاظ علي الهوية الإسلامية من

وراجع عن حياة الإمام هدتي درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية، نموذج الإمام سليمان حلمي، م.س، ذ.ص ص ١٧٦ وما بعدها وأيضا، النعيمي، الحركات الإسلامية في تركيا، ص ٤٧.

(١) الشيخ عاطف الاسكليبي ولد عام ١٨٧٦م وتخرج من كلية الإلهيات عام ١٩٠٥م، وكتب في مجلتي بيان الحق وصراط مستقيم، دافع عن الخلافة الإسلامية في كتبه طريق الإسلام ورفض تقليد الغرب بارتداء القبعة وكتب Frenk ve Mukallitligi ve Islam أي شبيه الفرنج والإسلام وقبض عليه عام ١٩٢٦م بتهمة كتابته ضد القبعة وصدر حكم عليه بالإعدام رغم أنه كتب كتبه قبل صدور قانون ارتداء القبعة بسنة وأربعة أشهر وراجع أحمد وكت فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، م.س، ذ.ص ٤٦، ومحمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية، ١٤١٤ - ١٩٩٤م، ط١، ص ٢٢١ - ٢٢٦.

الفناء"، هل يمكننا القول إن روح الأمة التي تعبر عن صوت الحق لا يمكن أن يخفت أو تموت تحت قهر واعتساف انبطاح الجسد إلى عشم الثروة وبريقها وغرورها؟!.

إننا أمام الجدل الرئيسي الذي تمثل الأساس في علاقة الدولة بالمجتمع (الأمة) في الاجتماع الإسلامي فحيث تنحرف الدولة عن مهمتها الرئيسية كتعبير عن الأمة بالتزامها بالمنهج (القرآن والسنة وأقوال العلماء، وخبرات التاريخ والأمم والممالك الإسلامية) فإن المجتمع يعبر عن رفضه في مواجهة الدولة لإعلانه التمسك بالمنهج والخبرة والتراث الإسلامي، والدولة الكمالية هنا لا تعبر عن مجرد انحرافها الجزئي عن المنهج (الثقافة والحضارة والخبرة الإسلامية) وإنما تتحول لأداة في يد نخبة متغربة معادية لتقاليد مجتمعها من أجل القضاء التام على استمرارية مثلتها دولة عالمية هي الدولة العثمانية وكل تراثها العلمي والإسلامي.

وكما قال أتاتورك "إن غلطة آل عثمان وآل سلجوق من قبلهم كان نسيانهم لتركيتهم وانتماؤهم للجامعة الإسلامية ونسيانهم جنسيتهم فكانت النتيجة أنها ارتضت الذل والأسر وتدحرجت إلى هدف حقير جعلها مستعبدة في سبيل الله" وكان يخاطب طلبة المدارس بقوله "إن المرشد الوحيد لكم هو العلم ومن السخف والجهالة والتعصب أن نبحث عن مرشد غير العلم"، ومن هنا كان رد المجتمع معاندًا مثابرًا مصرًا للحفاظ على الهوية والوجود ذاته. إنها دولة الكفر كما عبر " عصمت أوزال " يواجهها مجتمع الإيمان بعقيدة امتلاك الحق في مواجهة القوة[1].

---

(1) عن مفهوم دولة الكفر والذي يملك الإسلام وحده وصم الدولة الأتاتوركية بها وكيف تمثل ذلك أداة رمزية لإسقاط شرعية الدولة راجع رسالة الدكتوراة المهمة للباحث التركي "...... المعاني" بعنوان

أولا: السليمانيون ومهمة الحفاظ على العلوم الإسلامية:

- الإمام "سليمان حلمي" (١٨٨٨م - ١٩٥٩م) هو من علماء الدولة العثمانية الممتازين عمل بالتدريس واشتغل بعلوم الدين في أواخر عهد الدولة العثمانية وكان من معارضي الانقلاب ومؤيدي الخلافة وضد التغريب ومدارسه، رفض ثورة الحروف وعند أن تغيير حروف الكتابة العربية إلي اللاتينية [illegible] وثقافته وهويته وعبر عن ذلك بقوله: "[illegible] الإسلام والإيمان والعادات والتراث والصناعة والتجارة والزراعة أن تلغي الحروف الإسلامية على النحو الذي شاهدناه"[1].

وأمام الخطر المروع لتهديد العلوم الإسلامية والتراث الإسلامي توجه الإمام "سليمان حلمي" إلي زملائه المدرسين محذرا من ضياع علوم الدين والقرآن وقال لهم: "إخواني المدرسين، إنكم اليوم ضمانة الدين فعندنا خمسمائة شخص لو علم كل واحد منا أمور الدين لثلاثة أشخاص في البيوت لأمكننا أن نربي ألفا وخمسمائة شخص فيمد الله بهم عمر الإسلام خمسين عاماً وهو عمر جيل أو جيلين" وبعث المدرسون ببرقية إلي حكومة أنقرة يطالبون فيها الحكومة بالسماح لهم بتعليم تلامذتهم العلوم الدينية بلا مقابل ولكن الحكومة ردت عليهم قائلة "لقد تم قبول قانون توحيد التدريس، وكل من يخالف هذا القانون يستحق العقوبة الشديدة فتراجع المدرسون خوفا من الحكومة.

- قرر الإمام "سليمان حلمي" أن يقوم بمفرده بواجب الحفاظ على

Aktay Yasin, Body, Text, Identity, The Islamist Discourse Of Authenticity in Modern Turkey (Metu, Ankara: 1997) p. 261

(١) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، [illegible] ص ٢٣٧

علوم الدين والقرآن والشريعة حتى أدرك أنه هجمة الدولة العلمانية المتوحشة الكاسرة [illegible] للإحياء على حب القرآن الكريم. الكتاتيب والمدارس لتعليم علوم الشريعة في القرى [illegible] المؤقتة وخاصة في الأماكن البعيدة عن أعين الدولة ورقابتها [illegible] ثم [illegible] الأماكن [illegible] القرآن الكريم [illegible] الشريعة [illegible] الفقه [illegible] وذلك [illegible] الكتب في اللغة والفقه والحديث والتفسير والأصول [illegible] كان يتنقل بتلاميذه من مكان إلي مكان في سرية تامة وكان يقول لهم "تنقلوا من مكان إلي مكان كالنحلة التي تنقل [illegible] علوم الإسلام ليعلموها لأزواجهم وأبنائهم وأحفادهم، لم يكن يأخذ أجرا من التلاميذ كان يمنحهم هو أجر محاضرتهم بالحضور إلي دروسه، وكان يغير هيئته وصنعتهم ليمكنه تعليمهم بعيدا عن أعين الرقابة التي تلاحقه وتحاصره.

- تم القبض علي الإمام "سليمان حلمي" وسجنه وتعذيبه ومصادرة كتبه فسجن عام ١٩٣٦ م واعتقل عام ١٩٣٩م ثم سجن عام ١٩٤٤، وعام ١٩٥٧[1]. ولكنه واجه ذلك بإصرار علي استمرار مشروعه الإحيائي بالدعوة الدائمة لطلابه في الذهاب إلي القرى والمدن لفتح المدارس والكتاتيب بها باعتبارها فرض عين عليهم ويقول لهم "المهم أن تنجح دعوتنا ولا نهتم بالمناصب ونقبل أن نكون عند أحذية المصلين بالمساجد، ونجحت دعوته حتى وصل عدد دور الطلبة أكثر من ثلاثة آلاف مدرسة اندرجت تحت اسم "اتحاد مدارس القرآن" وسميت أيضا بـ "اتحاد رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم".

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٢٣.

يقول نجيب فاضل "تعرفت علي " سليمان حلمي " أفندي عام ١٩٤٦ م ومن النظرة الأولي أدركت أنني أمام مثقف حقيقي ومفكر إسلامي طاف الكثير من البلاد"، نحن أمام نموذج لمثقف رسالي يري نفسه موقعا عن الله للناس ويري ان مسئوليته هي الحفاظ علي استمرار عنود الأمة واحيائها في مواجهة بطش السلطة وعنفها ، فهو مدرك لمعني حديث النبي صلي الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء" وحين قال مدرسو العلوم الإسلامية في عهد الجمهورية الكمالية: "إن التدريس لم يعد وسيلة للكسب فالندين عن تبوخ هذه المهنة أجابهم "سليمان حلمي " غاضبا " التدريس ليس سلة خبز فهي تبليغ كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم للناس"[1]

- يرجع تاريخ افتتاح أول مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لجامعة الإمام "سليمان حلمي" إلي عام ١٩٥١ م وكان ذلك بشكل غير رسمي أما أول مدرسة رسمية فكان عام ١٩٥٢ م أي بعد اكتساح الحزب الديموقراطي للحياة السياسية بعامين ، وبافتتاح هذه المدرسة بدأت قوافل الابتعاث إلي الأناضول لفتح المدارس هناك علي خريطة كان يتابعها الإمام"[2].

واستطاع تلاميذ مدرسة " سليمان حلمي " أن يتقدموا لمسابقات الوعظ والإفتاء التي كانت تعلن عنها رئاسة الشئون الدينية وان يحتلوا أماكن متقدمة فيها بحيث صار قطاع كبير من العاملين في رئاسة الشئون الدينية هم من خريجي مدارس الإمام "سليمان حلمي" ويقول نجيب فاضل عنهم: "عرفني سليمان أفندي علي هؤلاء الطلبة فدهشت لأمرهم كمن يدهش من العثور علي كنز في حديقة بيته، كنت اظن أن عمل هذه المدارس هو التكرار والحفظ ، لكني رأيت أنها بأيدي مسئولين أطهار، هم مهرة في تعيين أهدافهم وتشخيص مشاكل مجتمعهم ،

(١) علتي درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، نموذج الإمام سليمان حلمي ، [illegible] ص ٤٣
(٢) طارق عبد الجليل ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، [illegible] ص ٢٢١

ويمكن أن أقول: إنه لا توجد في تركيا مؤسسة مثلها في الوحدة والحجم والرباط الذي يربط هؤلاء الأشخاص هو الشريعة والمدارس القرآنية ... تستمد قوتها من هذه الرابطة ، وإني أعتبرها أنقى وأصفى العروق في ... الإيماني الجديد فمرجعه هو هذا الرباط" وعارض "نجيب فاضل" موظفي ... الشئون الدينية التركية الذين حاولوا استبعاد طلاب "سليمانية" من ... داخل رئاسة الشئون الدينية بضغط من الدولة العلمانية وقال "إن ... يتطاولون على المجموعة المعروفة في مجال التعليم الديني بالسليمانية ويعرقلون نشاطاتهم ما هم إلا ردود أفعال ناجمة من البعد عن الخشية والحسد وعدم الثقة بالنفس"[1]

- منهج "سليمان أفندي" التدريس لطلابه من أمهات الكتب العربية على نفس المناهج العثمانية ولم يصرف وقته لتأليف الكتب لأنه لم يكن لديه وقت لذلك ، وحين سئل عن السبب قال "نحن نعلم ما نعلمه للأجيال فتقوم هذه الأجيال بتأليف الكتب ، نحن نعد الآثار التي تؤلف الكتب ، وقد رأيت بعض الكتب التي لا تقدر بثمن دفنت في التراب وتلفت فخير لنا أن نربي طلاباً يفهمون الكتب العلمية ويفهمونها لغيرهم ، فينقلون العلوم من السطور إلي الصدور" ولكنه خط عدة كتب تمت طباعتها أهمها بعنوان "ترتيب جديد وطريقة حديثة في تعليم قراءة حروف وحركات القرآن الكريم" و هذا الكتاب يحاول اختصار وقت قراءة وحفظ القرآن من شهور إلي أيام ، وله رسالة أخري بعنوان "رسالة كبريت أحمر" وهي رسالة تتضمن السلوك الذي يجب اتباعه في الطريقة وله أيضا كتاب بعنوان "رسالة الرسائل" وهو كتاب يتحدث عن أهل الحقيقة ويتناول الصحبة وآدابها وأسرار الطريق إلي الله"[2].

---

(١) حدثي درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، م . س ، د . ص ١٨٨

(٢) طارق عبد الجليل ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، م . س ، د . ص ٢٢٤

- ينتسب الإمام "سليمان حلمي" إلي الطريقة النقشبندية وشيخه ومرشده فيها هو "صلاح بن مولانا سراج الدين" وهو الذي نشأه علي قواعد الطريقة وتتحدث المصادر عن أن شيخه كان علي صلة بالسلطان عبد الحميد وحكي له عن "سليمان حلمي" وأنه أخوه في الطريقة ، وكان يذهب مع شيخه إلي مدينة "بورصة" ، وحذره شيخه من الانشغال بالكرامات التي يمكن أن تبعده عن مهمته الأساسية وهي إحياء العلم بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي ، وتجاوز شيخه في الاهتمام بحقائق الطريقة وله نسب موصول بسلسلة الطريقة النقشبندية ، وكما تشير المعلومات فإن أتباعه كانوا يلتزمون السنة ويجتنبون البدعة والأساس الجامع بينهم هو المحبة ، وكان "سليمان حلمي" يقرأ الأوراد واحداً وعشرين مرة في اليوم ويواظب علي صلاة التهجد والضحي والأوابين وطلابه أولوا اهتماماً خاصاً بصلاة التسابيح وكانوا يؤدونها جماعة في الليالي المباركة ، وكان الشيخ يتلو أوراد الطريقة النقشبندية مساء كل يوم أربعاء ويقول عنها إنها هدية من "الخضر" عليه السلام إلي الطريقة النقشبندية ، وكان له ارتباط بالطريقة القادرية ، والذكر القلبي عندهم له أهمية كبيرة ويرون أنه أقصر الطرق للوصول إلي الله ، ومفهوم النور الإلهي مركزي عندهم فهو يقول "إن كل شئ في الوجود قائم علي الرابطة ، فالأرض والقمر والكواكب الأخري علي رابطة بالشمس ، والشمس علي رابطة بالعرش الأعلي ، والعرش الأعلي علي رابطة بنور الصفات الإلهية ونور الصفات الإلهية علي رابطة بنور الذات الإلهية"[1] .

- طلاب "سليمان أفندي" ملتزمون بالدين الإسلامي التزاما كاملا ومذهبهم هو مذهب أهل السنة في العقيدة والعمل وهم يتبعون المذهب

(١) هدى درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، م . س ، د . ص ٩٠

الحنفي ويرون أن مصدر كل الحقائق هو القرآن الكريم ، ويرفض أتباع الأستاذ "سليمان حلمي" إطلاق لفظ السليمانيين على حركتهم ، فلم تكن هذه التسمية معروفة عندهم ولم تظهر إلا بعد وفاته بعشر سنوات ، وأول من ابتدع هذه التسمية هو " صفوت يوماي " رئاسة الشئون الدينية في تصريح رسمي له قال إن السليمانية طريقة تأسست على يد سليمان حلمي في الثلاثينيات ويديرها حاليا صهره "كمال قاجار" واتهمها أنها تقوم بتنظيمات لها أهداف سياسية واقتصادية بهدف الانتشار والتوسع كما اتهمها بأنها تهدف إلي تغيير النظام الأساسي للدولة"(1).

- تشير المعلومات إلي أن هناك حوالي ثلاثة آلاف مركز ثقافي يعبر عن السليمانيين في تركيا ، ولهم تواجد في أوروبا الغربية وخاصة في ألمانيا ولهم مراكز في أنطاليا واسبرطه ومانيسا وأفيون وبوردو وكوتاهية ، وأعدادهم تقدر بمئات الآلاف ولهم دار نشر خاصة بهم تسمي " فضيلت ". ولهم صحف يومية ، ويعبر عن المدارس السليمانية ما يعرف باسم "اتحاد مدارس القرآن" ثم صار اسمه اليوم "اتحاد رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم". ويحقق هذا الاتحاد الأهداف التالية:

١- حماية حقوق ومصالح الأعضاء

٢- عقد محاضرات ومؤتمرات في المجالات الاجتماعية والأخلاقية والمعنوية والاقتصادية .

٣- تقديم المساعدات النقدية والعينية التي يحتاجها الأعضاء

٤- انشاء المباني واستئجارها وافتتاح مرافقها للخدمة

---

(1) نفس المرجع ص١٩٨ - ١٩٩

٥- القيام بأعمال الصيانة والإصلاح اللازمة لهذه المباني.

٦- تأسيس الأوقاف[١].

يعتقد تلامذة الإمام أنه الوارث الحقيقي للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يملك التصرف في كل كوكب فيه وهذا التصرف مستمر بعد موته. ولذا فهم يشعرون أن روحه وتصرفاته المعنوية باقية.

- له آراء متعددة في قضايا التدين والاجتماع والسياسة فهو يرى أن الجهاد هو جهاد النفس فكان يخصص وقته الأكبر لجهاد النفس وتعليم طلابه اللطائف الخمس وهي القلب والروح والسر والخفي والأخفي ويبين لهم مكان هذه اللطائف في القلب ووظيفة كل منها وكيفية مقاومة أخطارها وكان يرى أن الجهاد بالمال مثل جهاد النفس وجهاد المال عنده هو الإكثار من المؤسسات الخيرية لخدمة الصالح العام ومبدؤه هو "أن الطالب يعطي المال ولا يؤخذ منه".

وفي التعليم يرى أن أنسب وسيلة للتعليم هي التلخيص واختصار مدة التعليم لأقصر مدة ممكنة، واتباع أسلوب اعتماد الطالب علي نفسه وثقته بها حتي يستطيع القيام بدور المرشد والمعلم في أقصر وقت ممكن.

وفي الحياة يرى أن الدنيا سفلية ذليلة، والدنيا والسياسة أداتين لنشر الدين ولا يصح أن يصبح الدين وسيلة للمصالح الدنيوية والسياسية. ويقول "لا يلهكم القلق علي معيشتكم، فالمعيشة مضطرة للحاق بمن ارتبطوا بالله" ويقول أيضا "إن هدفنا في هذه الدنيا هو شحن القلوب بالفيوضات الإلهية" وحذر تلامذته من الخلاف علي الدنيا فقال "إياكم والفرقة والخلاف في الحياة الدنيا واستمروا في القيام بأي خدمات تطلب منكم"، وعن السياسة

(١) نفس المرجع، ص ٢٠٠

ومواقفه منها يقول "ظاهرنا مع الخلق وباطننا مع الحق". ويقول أيضاً "الدين أصل والدنيا والسياسة فرع. قد تكون الدنيا والسياسة وسيلة لانتشار الدين. ولكن أن يكون الدين مطية لمصالح الدنيا وسياستها فذلك حرام".

– حث طلابه علي متابعة أحداث ووقائع عصرهم وأن يعيشوا زمنهم ويتابعوا مشاكله وأزماته ويكون لهم رؤية وعمل إيجابي تجاه مجريات الأحداث [illegible] [illegible] جريدة "الصباح الجديد" ليقرأ عليه تلامذته التعليقات علي السياسة الخارجية والأخبار الهامة بصورة منتظمة وكان شعاره في ذلك "من لا يعرف أوضاع العصر لا يكون عارفاً بالله" وشارك بالرأي في قضايا المسلمين الجارية في عصره من علي منصة منبر الدعوة والوعظ فقد عارض موقف الحكومة التركية من القضية الجزائرية وكانت تؤيد الموقف الفرنسي وقال "لا أقل من أن ندعم لإخواننا الجزائريين" واستجوب بسبب ذلك أكثر من مرة، وأيد كفاح الفرنسيين للحصول علي الاستقلال وأعلن "إن تركيا قد حل عليها الوبال لأنها صوتت في الأمم المتحدة ضد الجزائر ولصالح فرنسا" وقبض عليه بسبب ذلك[1].

وقف "سليمان أفندي" إلي جانب العاملين في حقل الدعوة والعمل الإسلامي وساندهم علي قدر إمكانه وأولي اهتمام بالصحافة الإسلامية والنشر وقدم الدعم المادي والمعنوي "لنجيب فاضل" لكي يستمر في إصدار مجلته "الشرق الكبير" حتي إنه باع بيته الوحيد وأنفق ثمنه علي استمرار إصدار تلك الجريدة، وقدم الدعم الكبير "لجواد رفعت أتيلخان" للاستمرار في إصدار كتبه التي توقظ وعي الأمة بأخطار الماسونية والصهيونية في تركيا، وقدم الدعم

---

(١) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ. ص ٢٢٩

لكل كتاب أو مجلة أو صحيفة تدافع عن الفكرة الإسلامية ومنها مجلة " أهل السنة " ومجلة " الرجل الحر ".

كانت له صلة حسنة " بالنورسي " يتواصل معه ويطلعه فيها على المنهج والخدمات التي يقوم بها وعبر " النورسي " عن عمّا يمكن أن تصفه " بالنوعي الوظيفي " بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية في تركيا والقائم على التخصص وتقسيم العمل بقوله عن جهود السليمانيين إن واجبنا الرئيسي اليوم هو العمل على صيانة الإيمان ، ونحن نقوم بهذا الواجب ولا نقوم بالتدريس أما مهمة تعليم القرآن الذي هو أساس الإسلام ومصدر النجاة المادي والمعنوي ونشره ليس في تركيا فحسب ، بل في كافة أرجاء المعمورة ، فيقوم بها أخي " سليمان أفندي " ومعاهد القرآن التي أسسها ويقوم بهذا العمل كله خلال وقت قصير جداً ، فالعلوم الإسلامية التي كانت تدرس سابقاً في عشر سنوات أو خمس عشرة سنة تدرس الآن بمراكزه في سنة أو سنتين فتخرج علماء وفقهاء ومفسرين إنها معجزة قرآنية " [1] وبشكل عام فقد جعل طلابه يتابعون الحياة السياسية ويصوتون في الانتخابات ويشاركون فيها ومنهم من ترشح كنائب في البرلمان وترشح في البلديات .

- تقييم نجيب فاضل لمدارس السليمانيين يبين لنا كيف استطاعت هذه المدارس أن تملأ فراغاً مهما في حياة المسلمين الأتراك وهو مجال الحفاظ على علوم القرآن والشريعة والتراث الفقهي التقليدي الذي يخرج متخصصين في علوم الشريعة والفقه واللغة والتفسير والحديث ، إنه الاستجابة التقليدية العنيدة في مواجهة الحداثة الناجزة التي جاء بها " أتاتورك " يقول نجيب فاضل " المدارس القرآنية هي الوعاء الذي يصنع بداخله الجيل الإيماني الجديد

(١) نفس المرجع ، ص ٢٢٩

وهدفنا علمي وروحي بحت". وفي موضع آخر يقول "في هذه المدارس يدرس كتاب الله ويحفظه [illegible] التصوير [illegible] في المدارس سياسة [illegible] حرارة الشعور بالتوحيد [illegible] الإسلام وحب الله وحب [illegible] في هذه المدارس مثل حرارة [illegible] التي [illegible] أصحابها [illegible] باعتبارها [illegible] أنها [illegible] مؤسسات أنشأها "سليمان أفندي" وأتباعه.

ثانيا: التطور التنظيمي لحركة السليمانيين:

– اتخذت الطريقة السليمانية شكلها التنظيمي والإداري مع "كمال قاجار" صهر الإمام "سليمان حلمي" بعد وفاته عام ١٩٥٩ م، وشارك "كمال قاجار" في الحياة السياسية فدخل البرلمان نائباً عن حزب الأمة في محافظة "كوتاهية" عام ١٩٦٥ م وانتقل بعد ذلك إلي حزب العدالة الذي ترأسه "سليمان ديميريل" وظل نائباً عنه لمدة ثلاث دورات متتالية، واختير لعضوية المجلس الأوربي وبعد انقلاب عام ١٩٨٠م ألقي القبض عليه [illegible] تسعة أشهر في سجن محافظة "أنطاليا" ثم برئت ساحته بعد ذلك"[1]، وأصبح حسين قماش "هو الرجل الأول في الطريقة منذ أوائل التسعينيات"[2].

– يتسم السليمانيون بالتشدد الصارم في معارضتهم لأتاتورك والنظام العلماني وهم في نزاع مع رئاسة الشئون الدينية ويتحفظون علي تمثيلها للإسلام في تركيا، ودخلت رئاسة الشئون الدينية في تركيا معارك مع أتباع "سليمان حلمي" منذ عام ١٩٦٥م وذلك بالتضييق علي مدارسها ومراكزها [illegible]

---

(١) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، [illegible] ص ٢٣٦

(٢) محمد نور الدين، قبعة وعمامة مدخل إلى الحركات الإسلامية في [illegible] ص ٤٤

القرآن وإقصاء أعضائها عن رئاسة الشئون الدينية واضطرت الجماعة تحت هذا الضغط أن تفتح مساكن للطلاب اعتباراً من عام ١٩٧٣م، وتهتم الجماعة بتعليم الفتيات العلوم الدينية وفتحت لهن مراكز للتأهيل والتدريب، ويعارض " السليمانيون " السلفية ويطلقون عليها " الوهابية ". ويرون أن تركيا هي " دار حرب " يجب الجهاد لتحويلها إلى دار الإسلام، وتتسم الطريقة بنظام صارم في مراتبها وعلاقة أعضائها ببعضهم وعلاقتهم بمن هم من خارج الطريقة ولذا فهم يعتبرون من جسد واحد يحمل روح إمامهم، ويستخدم أعضاء الطريقة صورة "سليمان حلمي" في حلقات الذكر للتوحد معه، وللطريقة مشاريع تجارية متعددة توفر لها مصدر دخل قوي.

- ظلت أفكار السليمانيين مجهولة وغير معروفة وذلك للطابع السري للجماعة ولكن حواراً أجري مع "كمال قاجار" في أواخر الثمانينيات (عام ١٩٨٩م)، كشف ملامح تفكير الطريقة وتتلخص في:

- أتاتورك بعيد عن الدين الإسلامي.

- الجمهورية لم تبق إماماً يصلي في الجنازات.

- الجوامع تحولت إلي ثكنات.

- تركيا ليست بلداً إسلامياً.

- تركيا دار حرب[١].

- أيدت "الحركة السليمانية" الحزب الديموقراطي وحزب العدالة حتي انقلاب ١٩٨٠م لكنها بعد ذلك واعتباراً من عام ١٩٨٤م أيدت "تورجوت أوزال" زعيم حزب الوطن الأم، كما أنها ساندت "حزب الرفاه"

(١) نفس المرجع، ص ٤٨ وعن بعض أفكار الحركة وتطورها وبعض قادتها راجع: إبراهيم حسن العلاف، خارطة الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، [illegible]

في الانتخابات المحلية التي جرت في ٢٧ مارس ١٩٩٤ م .

ويمثل " السليمانيون " مركز ثقل ذا أهمية في الانتخابات على الرغم من ابتعادهم عن العمل السياسي المباشر لحرصهم على الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات ومشاركتهم الفعالة فيها . ولذا عملت الأحزاب اليمينية على استرضائهم للحصول على أصواتهم فهم لا يستهان بهم فهي تمثل كتلة تصويتية كبيرة لا يمكن التغافل عن أهميتها ، فالتقديرات تشير إلى أن عدد السليمانيين يبلغ ٢ مليون شخص بينما تذهب بعض التقديرات إلى أنهم ٤ مليون شخص . والتقت " طانسو شيلر " مع " كمال قاجار " في يناير عام ١٩٩٥ م لمدة عشرين دقيقة ودعته لحضور افتتاح المركز العام لحزب الطريق القويم ، ولم يتعرض " السليمانيون " للانقسام بعد وفاة المرشد الروحي لهم ، وهم يفصلون بين شخصية المرشد الروحي وبين القائد الإداري ، وتمتاز الطريقة بهيكل تنظيمي وإداري يقسم أماكن انتشارها إلى مناطق لكل منطقة مسئول وهكذا وفق النظام الإداري التركي .

ويلاحظ أن هنالك تحولات في الجماعة تجعلها أكثر انفتاحاً على مجتمعها وتفاعلا معه ، ويبدو منهجها اليوم أكثر وضوحاً عما كان عليه من قبل ، وأيضا تنظيماتها وتشكيلاتها الاجتماعية والذي كان غموضها يعرضها للشبهات والاتهامات"[1] .

* * *

(١) طارق عبد الجليل ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، م س ، د ، ص ٢٣٩

المبحث الثالث:
النورسيون وتحدي أنقاذ الايمان ونصرة الاسلام

- بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٣م - ١٩٦٠ م)، داعية ومفكر إسلامي كردي العرق وله مكانة بارزة في تاريخ التثبت الإيماني والعقدي والدعوة الإسلامية في تركيا في العقد الاخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، عاش النورسي "في إطار كيانين سياسيين متعاقبين مختلفين هما كيان الدولة العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٢ م)، وكيان دولة تركيا التي أسسها "أتاتورك (١٩٢٣ - ١٩٣٨م) علي أنقاض الدولة العثمانية، والنورسي هو مؤسس الحركة الدينية المعروفة باسم " جماعة النور " أو باسم آخر هو " جماعة طلاب النور"، وهم المسلمون الذين ارتضوا فهم مؤسس الحركة للإسلام والإيمان من خلال رسائله التي ألفها وتعرف باسم "رسائل النور" والذين اتخذوا رسائل النور كنبراس في حياتهم الشخصية وعلاقاتهم الاجتماعية وحتي رؤيتهم لتكوين المجتمع المسلم والتعامل مع الدولة العلمانية"[1].

- رسائل النور "هي التي ألفها النورسي "وتضمنت أفكاره وأساليبه في معالجة قضايا الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية والتربية وتقع هذه الرسائل في ١٣٠ رسالة تعالج شتي القضايا الإسلامية الإيمانية والعقدية والفكرية والسلوكية والأخلاقية، ويفسر مترجم "رسائل النور" إلي العربية لنا سبب اقتصار طلاب النور" علي رسائله وحدها كمصدر أساسي للمعرفة إلي غياب الأسس العقدية لدي الأتراك ومن ثم فهم يقتصرون عليها في البداية وقد يتجهون إلي أشياء

١) محمد حرب، اتجاهات الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة الخليج العربي مسقط، العدد السابع والثلاثون، السنة الحادية عشرة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١، ص ١١١

أخري بعد ذلك مثل "إسكلوبيديا الصحابة" وتاريخ الأنبياء" وتاريخ الخلفاء

ويصف الرسائل بأنها لا مثيل لها في العربية فهي "منهج [illegible] ومنهج متكامل إيماني حياتي، كيف نعرف الله ونحب الرسول صلي الله عليه وسلم ونعيش مع سنته في صيغة إيجابية بعيدة عن التعقيدات فقد كانت [illegible] النورسي [illegible] في [illegible] إلى [illegible] [illegible] بريطانيا [illegible] في [illegible] المصحف الشريف "مادام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة علي الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان"[2].

- تمثل رسائل النور وفق مترجم رسائل النور - المرجعية الإسلامية الأساسية للأتراك، وإذا كانت جذور الرفاه في النقشبندية فإن النقشبندية جذورها في رسائل النور[3]، والأصل في رسائل النور "إنقاذ الإيمان"، وفي ذلك يقول النورسي "إن منهج رسائل النور هو الحقيقة وليس الطرق، ورسائل النور هي شعبة من منهج الصحابة، فعصرنا هذا هو عصر إنقاذ الإيمان ليس إلا"[4]، هنا النورسي يكرس جهده لقضية جوهرية ومركزية هي الحفاظ علي الإيمان الذي يهدده هجمة الدولة الكمالية عليه من خلال مشروعها العلماني الذي اتخذ طابعاً إلحاديا يحاول تحطيم واستئصال كل ماله صلة بالإسلام كمنهج للحياة.

---

(١) حوار المؤلف مع إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور إلي العربية ومسئول [illegible] الإسلامية في إستانبول التابع لجماعة النور.

(٢) تشير العديد من المراجع لهذه الواقعة كأحد أسباب اهتمام النورسي بالقرآن وتفسيره [illegible] مثلاً: حسن عبد الرحمن بكير. بديع الزمان النورسي ١٢٩٤ - ١٣٧٩هـ / ١٨٧٧ - ١٩٦٠م [illegible] الفكر والدعوة. نسخة إلكترونية. ص ٤٣. هذا فضلاً عن شرح [illegible] لإصحاب [illegible] المسلمين بمعانيه وقال "لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن [illegible]

(٣) حوار الباحث مع إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور.

(٤) محسن رجب محمد. الداعية الإسلامي بديع الزمان النورسي. [illegible] ١٩٨٦م ص ٢٦٩

- جدل العلاقة بين العالم أو المفكر وبين المنهج أو ما نطلق عليه "الجدل الذاتي"، أي الشعور بمسئولية المثقف أو المفكر تجاه دفع التهديد الذي يدركه تجاه دينه وثقافته وتاريخه عبر عنه "النورسي" في موقفه تجاه الدولة الكمالية للحفاظ علي الإيمان، ويقول في ذلك "إن الداعي الأشد إلحاحاً إلي تأليف هذه الرسالة هو ما لمسته من هجوم صارخ علي القرآن الكريم والتجاوز الشنيع علي الحقائق الإيمانية بتزييفها وربط أواصر الإلحاد بالطبيعة وإلصاق نعت الخرافة علي كل مالاتدركه عقولهم القاصرة العفنة وقد أثار هذا الهجوم غيظاً شديداً في القلب فتفجر فيه حمما سرت إلي أسلوب الرسالة فأنزلت هذه الحمم والصفعات علي أولئك الملحدين وذوي المذاهب الباطلة المعرضين عن الحق"[1].

وللجدل الذاتي في الحركات الاجتماعية الإسلامية دائماً وجه اجتماعي يمكن أن نصفه بـ "الجدل الاجتماعي" أي المدافعة والمناضلة في الفضاء الاجتماعي المتجاوز للذات عبر مخاطبة المجتمع وإيقاظه ودعوته للدفاع عن إيمانه ودينه في مواجهة التهديد العلماني للدولة الجديدة.

وكما يقول النورسي: "أن هذا الزمان لأهل الحقيقة هو زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية، وإظهار الفردية والأنانية فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير"[2].

---

(1) سعيد النورسي، نهج رسائل النور في التصنيف، حيث نجد فيه هذا المعنى الذاتي [illegible] الكريم وإنقاذ الإيمان، وهي ضمن الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، ط٣، د. ت، ص ٢٣

(2) حسن عبد الرحمن بكير، منهج الإرشاد النورسي وأثره في [illegible] وهو يحيل إلي الملاحق لسعيد النورسي وأيضاً [illegible] الإسلامي بمنهج الزمان سعيد النورسي، القاهرة، [illegible] ١٩٩٥ [illegible] ١٤١٦ هـ [illegible] ٢٢٦ وهو يحيل بالطبع أيضاً إلي الملاحق

- : يطرح "النورسي" مشروعه عبر طريقة صوفية تقليدية و... عن طريق فضاء أوسع وأرحب من هذه الطريقة المغلق على المؤمنين بها ... من هنا نجد ملمحا لخطاب وعلاقة يمكن وصفها بأنها جديدة حديثة ، فالخطاب ... يثير قضايا الإيمان والعقيدة واليوم الآخر والرسالة المحمدية وصدقها والا... بطريقة مختلفة عن الخطاب الديني التقليدي السابق عليه ولا يختزل ... غيره إلا ... الذي يخدمها ، كما أنه يؤسس لعلاقة محورها "مدارس ..." عن طريق قراء رسائله الذي يكونون شبكة للاجتماع حولها والحركة بها ... من هنا يركز علي إيمان الفرد وتثبيته وحماية عقيدته ، ويعمل في نفس الوقت علي ملء الفراغ الاجتماعي الذي نجم عن انهيار المؤسسات الدينية العثمانية بقوة قانون الدولة العلمانية وسطوتها المخيفة . "مفهوم الشبكات الاجتماعية" كما تعبر عنه العلوم الاجتماعية له وجهه الظاهر وهو ما ذكرناه توا ، وله وجهه الخفي الذي يعبر عن تحدي الدولة الجديدة ونزع الشرعية عن اجراءاتها عبر العودة إلي المبدأ الإسلامي والتمسك به عقيدة وعبادة وشريعة ، والشبكة الاجتماعية التي تعبر عنها "رسائل النور ومدارسها" مختلفة عن الطرق الصوفية التقليدية .

وفي هذا يقول النورسي "إن الزمن ليس زمن طريقة بل زمن إنقاذ الإيمان . . . ولا يدخل الجنة من لا إيمان له خلافاً للتصوف فإنه بدونه يدخل الناس الجنة ، فلا يعيش الإنسان بدون خبز ولكن يعيش بدون فاكهة التصوف هو الفاكهة والحقائق الإسلامية هي الخبز"[(١)].

قبل النورسي في تركيا لم يكن هناك ممارسة دينية إسلامية إلا عن طريق وعاء مؤسسي له طقوسه وتعبيراته النظامية الحادة وهو الطريقة الصوفية .

- يعد النورسي هو أول من دعا لتجاوز الطريقة الصوفية إلي نفس ...

(١) سمير رجب محمد ، الداعية الإسلامي بديع الزمان النورسي ، م . س . ذ ، ص ٣٠٧ وهو يحيل إلي المجموعة ...

الانتماء لعالم الإسلام (العقيدة والأمة) المتجاوز للزمان والمكان واللحظة الراهنة، ومن الواضح أن "النورسي" كان مدركاً خطر الطرق الصوفية التقليدية القديمة علي "فاعلية المسلم" لذلك حاول تجاوزها إلي ماقبل الطرق الصوفية وهي العلاقة المباشرة مع القرآن قبل أن تكون هناك طرق تمارس سطوتها علي وعي المسلم فتسلبه فاعليته وحريته في العلاقة المباشرة مع الوحي.

وهنا أحد ملامح الإحياء والتجديد في دعوة "النورسي" تجاوز الطريقة إلي التواصل المباشر بين المسلم والوحي. ويمكننا القول أن "النورسية" من منظور العلوم الاجتماعية واقتراب الحركات الاجتماعية هي تعبير عن "حركة اجتماعية محافظة تعمل علي الحفاظ علي القيم وحماية الأخلاق الإسلامية في مواجهة محاولة تبديلها ومحوها من قبل الدولة العلمانية الكمالية، ومن ثم فهي حركة إصلاحية من ناحية ومحافظة من ناحية ثانية وتهدف إلي استعادة القيم الإسلامية لمكانتها في الممارسات اليومية وفي الفضاء الاجتماعي لعالم المسلم التركي من ناحية ثالثة.

ويلخص "النورسي" رؤيته للتعامل مع الواقع في الدرس الأخير قبل وفاته بقوله "إن القضية الأساسية هي الجهاد المعنوي هذا الزمن، ووضع عقبة ضد التخريبات المعنوية إضافة إلي تقديم العون الكامل بكل قوتنا إلي الراحة الداخلية، إن الجهاد المعنوي في الداخل هو العمل ضد التخريبات المعنوية والذي يتطلب خدمات معنوية وليست مادية"[1].

- لم يكن النورسي في كل مراحل حياته وتحولاته الفكرية والسياسية ثوريا بمعني أنه يسعي لتغيير شامل في الواقع الاجتماعي والسياسي، وإنما هو

(١) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ. ص ١٧٦ وهو يحيل إلي الملاحق للنورسي وراجع أيضا في هذه النقطة أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة، م. س. ذ. ١٢٩.

تعبير عن "النموذج الإصلاحي" الذي يحافظ على ما هو قائم في سياق رؤية الإسلامية المستندة إلى القرآن والسنة، وقد يبدو تجنبه استخدام الوسائل السياسية كأداة للتغيير الاجتماعي أو الوصول إلى السلطة فهو هنا تعبير عن "النموذج الدعوي الفكري الاجتماعي" فلم يكن مطروحا في خطته أو برنامجه في يوم من الأيام السيطرة على النظام السياسي مطلقا ولا الاشتراك فيه، بل المقصود تكوين اتجاه اسلامي عام يكون اداة للضغط على الدولة لئلا تنحرف عن أسس الإسلام لا غير وفي ذلك يقول: كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله وأن السبب المهم في هذا الزمان هو التقدم ماديا لأن الأجانب تحطمنا تحت تسلطهم بالأسلحة العلمية والصناعية الاستبدادية أما نحن فنجاهد بسلاح العلم والفنون ضد الجهل والفقر والأفكار المضادة التي تعد من ألد أعداء كلمة الله، وستحيل الجهاد الخارجي إلى السيوف الماسة للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن التغلب على المتحضرين يكون بالإقناع وليس لدينا وقت للخصوصية "[1].

ويمكننا القول: إن الحركة النورسية هي تعبير خالص عن تبني منهج الإقناع والتدرج بعيداً عن أي شكل من أشكال استخدام العنف أو القوة فيما يمكن أن نعتبره نموذجاً لدعوات الإصلاح والتجديد المستندة إلى مفهوم الصبر الجميل" تجاه السلطة السياسية والواقع الاجتماعي معاً.

أولا: الأفكار الأساسية للتيار النورسي:

عبر "النورسي" عن عصره القلق، فقد تقلب في أزمان لها طابع "الانقلاب الكامل" في تركيا أو حتى في العالم كله، فهو قد عاصر عبد

(1) احمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية المعاصرة، م س، ص ٦٩ - ٧٠ وهو نقلا عن كتاب محمد تحويرو التي تعبر عن الفكر النورسي في تركيا

السلطان عبد الحميد ، ثم شهد ثورة الاتحاد والترقي عليه وخلعه وعاصر ممارسات الاتحاد والترقي العثمانية التي روعت فؤاده وصدمته ، كما شارك في الحرب العالمية الأولي وأسر فيها ، وشارك في حرب التحرير التي قادها أتاتورك ، وعاش عن قرب البدايات الأولي لتأسيس الجمهورية وإلغاء السلطنة ثم الخلافة ، وشهد الجمهورية وانقلابها الشامل الصادم علي كل ما هو إسلامي وايقن انه يعيش في عصر إفساد الإيمان ومواجهة الإلحاد .

وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت له مساهماته الفكرية والإصلاحية ، ومن ثم فنحن أمام شخصية تعرضت لتحولات فكرية ونفسية قاسية وصادمة جعلته ينتقل من المشاركة المجتمعية والسياسية إلي الاقتصار فقط علي العمل الدعوي الذي ينقذ إيمان الناس ممثلا في " رسائل النور " ، فقد تكون لديه اعتقاد بأن مرحلة سعيد القديم (حتي عام ١٩٢٥ م) لن تجدي نفعاً مع التحولات المرعبة التي أحاقت بالعالم الإسلامي ، ومن ثم فمرحلة سعيد الجديد (١٩٢٦ - ١٩٦٠) تحتاج إلي بناء تكون قاعدته الأساسية جيلاً قرآنياً مسلحاً بعقيدة راسخة سليمة ومن هنا كان عكوفه علي " رسائل النور " وهي عبارة عن أربع مجموعات رئيسية عمدتها هي المجموعة الأولي المعروفة باسم: الكلمات Sozler ومنها تنبثق المجموعة الثانية والموسومة بالمكتوبات Mektubat ومنها تنبثق المجموعة الثالثة المسماة باللمعات Lem. alar ثم المجموعة الرابعة " الشعاعات " Su. alar وهي متفرعة عن سابقتها ، وألحق بهذه المجموعات ثلاثة ملاحق هي ملحق " بارلا " ، وملحق قسطموني " وهي رسائل توجيهية إلي طلبة النور في أساليب خدمة القرآن وفقه الدعوة والقضايا العملية التي تواجههم .

وألف النورسي أيضاً بالإضافة إلي هذه المجموعات الأربع الرئيسية رسائل اخري مستقلة منها " المدخل الي النور " . و " مفتاح لعالم النور " وهي أنموذج

رسالة كتبيت، والمحاكمات "وترجمة حياة" و"سوحات" و"مناظرات" و"ديوان حربي عرفي" ومن ثم فرسائل النور هي عمل موسوعي ضخم يبلغ حوالي ثمان مجلدات كبار تضمنت آلاف الصفحات وعالجت قضايا متعددة في فترات زمنية طويلة، وهي التي تعبر عن مجمل أفكار النورسي في ... والتي نلخص خطوطها العريضة في الآتي:

١ – الإسلام هو خلاص البشرية المعاصرة في الداخل الإسلامي وعلي المستوى الكوني فهو يقول "ان البشرية التي اخذت تصحو، تتيقظ بنتائج العلم والفنون الحديثة – أدركت كنه الإنسانية وماهيتها وتيقنت انه لا يمكنها تعيش هملاً بغير دين بل حتي أشد الناس إلحاداً وتنكراً للدين مضطر إلي أن يلجأ إلي الدين في آخر المطاف لأن نقطة استناد البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل مع عجزه وقلة حيلته وكذا نقطة استمداده لآماله غير المحدودة الممتدة إلي الأبد مع فقره وفاقته – ليس إلا معرفة الصانع "والإيمان به والتصديق بالآخرة فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلي الخلاص من غفوتها سوي الإقرار بكل ذلك، وما لم يوجد في صدفة القلب جوهر الدين الحق فسوف تقوم قيامات مادية ومعنوية علي رأس البشر وسيكون أشقي الحيوانات وأذلها"[1].

٢ – القرآن هو المصدر المعرفي الوحيد الذي يمكن الاستناد إليه في استخلاص الأفكار والمعارف التي يتحقق بها صلاح الفرد والجماعة فهو يقول: "لأبرهن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".

٣ – الإيمان والعلم قرينان ولا يعارض احدهما الآخر، ولا يوجد أي تناقض بين مسائل العلم الحديث والمعني الظاهري لحقائق الإسلام وفي هذا يقول

(١) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، د. ... ص ٣٣ – ٣٤.

"إن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلي المنطق والعقل والبرهان"[1].

٤ - الحرية الحقيقية هي التي تنبع من الإيمان وتعني عدم فرض السيطرة علي الآخرين من ناحية والالتزام بقواعد الإسلام من ناحية أخري، فالحرية والإيمان مرتبطان. وفي هذا يقول "الحرية المطلقة ما هي إلا الوحشية المطلقة بل بهيمية وتجاوز الحرية [illegible] "الحرية الخارجة عن دائرة الشرع إنما هي [illegible] النفس الأمارة بالسوء أو بهيمية أو وحشية، فليعلم جيدا هؤلاء الزنادقة والمهملون للدين أنهم لا يستطيعون أن يحببوا أنفسهم لأي أجنبي يملك وجدانا بالإلحاد والسفاهة"[2].

٥ - التغير في الأفراد والمجتمعات يأخذ في اعتباره الزمن والعصر ويعتمد سنة التدرج واستخدام الوسائل السلمية فهو يقول "إن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، مالم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون". وفي موضع آخر يقول: "وضع الله سبحانه وتعالي وجود الأشياء تدريجاً وترتيباً أشبه ما يكون بدرجات السلم وذلك بمقتضي اسمه الحكيم فالذي لا يتأني في حركاته إما أنه يطفر الدرجات فيسقط أو يتركها ناقصة فلا يرقي إلي المقصود"[3].

٦ - احترام النظام الجمهوري الصالح الذي يعتمد الإسلام مرجعية له "إنكم تستطيعون أن تعلموا مدي تقديري لحقيقة الجمهورية الصالحة، علي أن أكبر دليل علي تقديسي للجمهورية هو احترامي لخلفاء الإسلام، فقد كانوا إلي جانب كونهم خلفاء رؤساء جمهورية أيضاً، وكانت حياتهم حياة جمهورية لا

(١) نفس المرجع، ص ٥٣
(٢) نفس المرجع، ذيل الذيل، ص ١١
(٣) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، [illegible] ص ١٢٨

في الادعاء اللفظي فقط بل في الحقيقة والواقع"[1] .

٦ - تأكيد مفهوم الاتحاد للأمة الإسلامية وإحياء الوعي بمفهوم الوحدة والجامعة الإسلامية فهو يقول "نحن جمعية تحوي كل عصر أربعمائة مليون من الأعضاء المنتسبين إليها وهم في كل يوم يعبرون خمس مرات عن علاقتهم بالتسبيح المعظم لهذه الجمعية وهم يتسابقون دائماً لتحقيق شعارها الأعظم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) فنحن أفراد هذه الجمعية المقدسة العظيمة، وظيفتنا تعريف هؤلاء الإخوة المؤمنين بحقائق القرآن تعريفاً علمياً راسخاً وذلك تعاوناً منا على إعتاق أنفسنا من سجن الأبدية الذي يتهددنا .

ويقول في موضع آخر "إن ما يعطيه أرباب السياسة الحاليون في هذه البلاد من رشاوي إلى الغرب وإلى الأجانب من تنازلات سياسية ومعنوية عليهم أن يعطوا عشرة أمثالها بل ينبغي لهم أن يدفعوها من أجل إقرار إخوة أربعمائة مليون من المسلمين ستتشكل على صورة جمهوريات إسلامية متحدة"[2] .

٧ - البعد عن السياسة وعدم خوض غمارها فقد رفع شعار "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة". وفي الخطبة الشامية أوضح ضرورة تنزيه الدين عن استغلاله من قبل الساسة وقال: "أرجو أن لا يذهب بكم الظن بأني بكلامي هذا استنهض هممكم للاشتغال بالسياسة - حاش لله - فإن حقيقة الإسلام أسمى من كل سياسة، بل جميع أصناف السياسة وأشكالها يمكن أن تسير في ركاب الإسلام وتخدمه وتعمل له وليس لأي سياسة كانت أن تتخذ

---

(١) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص ١٣٨ وانظر أيضاً الحركات الإسلامية المعاصرة، م. س. ذ، ص ٨٢

(٢) البيان الذي ألقاه النورسي أمام المحكمة التي حاكمته وتلاميذه بتاريخ ١٦/٥/١٩٤٤ م. محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص ١٣٧

الإسلام لتحقيق أغراضها"[1] ويقول أيضا: "إني أفضل حقيقة واحدة من حقائق الدين علي ألف قضية سياسية من قضايا الدنيا"[2] وهو هنا أقرب ما يكون للقبول بالفصل في الممارسة بين السياسة ومشاكلها وقضاياها التي هي في التحليل النهائي نسبية ومتقلبة وبين العقيدة والإيمان والدين التي هي مطلقة وثابتة.

و يعبر عن نفس الرؤية التي يمثلها حزب العدالة والتنمية اليوم في تركيا حيث يري قادته ضرورة الفصل بين المجال السياسي وبين المجال الديني والعقدي بحيث لا تقحم قضايا الدين في السياسة أو توظف لصالحها دون أن يعني ذلك استبعاد الدين عن الحياة كما [illegible]ب العلمانية.

٨ - حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها استعداداً كاملاً لدفع أهلها لمراقي التقدم المعنوي والمادي معا، فبقدر مايتمسك أهل الإسلام بالحقائق الإسلامية يزدادون رقياً وتقدماً وبقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان الهرج والاضطرابات ويغلبون علي أمرهم"[3].

٩ - المستقبل للإسلام كدين وحضارة تستجيب للفطرة الإنسانية وللأشواق الروحية للإنسان المعاصر، والمستقبل للإسلام كعالم وأمة لا بد وأن يكون لها حضورها المستقبلي كقوة عالمية، فعلي مستوي استجابة الإسلام للحاجات البشرية الروحية وانتشاره في كل العالم قال النورسي: "إن أوروبا وأمريكا حبالي بالإسلام وستلدان يوماً دولة إسلامية، كما حبلت الدولة العثمانية بأوروبا

(١) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، م. س. ذ. ص٦٨ وعن موقفه من السياسة راجع المعصي، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ٥٧ - ٦٠.
(٢) النورسي، الخطبة الشامية، هامش ص ٥٦ - ٥٧
(٣) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، م. س. ذ، ص ٣٠ - ٣١.

وولدت دولة أوربية . . . الإسلام وحده سيكون حاكماً على قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وأن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ليس إلا الإسلام .

وعلى مستوى تحقيق الأمة الإسلامية لحضورها العالمي توحد وفق النورسي "في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي خمسة قوى لا تقهر وهي في منتهى الرسوخ والمتانة وهي الحقيقة الإسلامية ، والحاجة الملحة ، والحرية الشرعية ، والشهامة الإيمانية ، والعزة الإسلامية التي تعلن إعلاء كلمة الله والذي تتوقف على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية"[1] .

والنورسي في الواقع يجيب على سؤالين: أحدهما خاص بالعالم الإسلامي وهو سؤال النهضة الأثير كيف يمكن النهوض بالعالم الإسلامي من تخلفه؟ والثاني خاص بحيرة الإنسان المعاصر وقلقه وتوتره واغترابه وتهميشه في ظل سيادة طور جديد من أطوار الحضارة الغربية وهو طور المجتمع مابعد الصناعي – كيف يمكن الحفاظ على إنسانية هذا الإنسان وبقاء قوى الخير فاعلة في داخله لتحقيق المقصد من خلقه ووجوده وهو الاستخلاف؟

١٠ – رفض مفهوم العلمانية الذي يبعد الدين كلية عن الحياة فهو يقول: "إن الإسلام ليس فيه رجال دين بالمفهوم الغربي المسيحي لذا فالمقارنة باطلة ، ليس في الإسلام طبقة الرهبان ذلك لأن النص الوارد في أنه "لا رهبانية في الإسلام يشكل قاعدة رئيسية من قواعد تفكيرنا ، ويجب أن يكون كذلك في الواقع أيضاً والمنطق يرفض أن نحمل النتائج الضارة الناتجة من التطبيق السيئ على هذه الفكرة وأن نجعلها موضع نقاش . . إن الإسلام نظام كامل للحياة فشريعتنا لم تدع وظائفنا التعبدية شيئاً نظرياً وأمراً منفصلاً عن الحياة بل

(١) نفس المرجع ، ص ٤١ – ٤٤

أدمجتها ضمن هذه الحياة وضمن نظامها، فإن انفصلت عقائدنا تماماً عن قلب الحياة فلا يبقى في أيدينا سوى شيء نظري"[1].

١١ - اعتماد الوحي (القرآن والسنة) والشريعة كمصدر للممارسة الإسلامية بعيداً عن الذوق والإلهام والكرامات التي تتبعها الطرق الصوفية ويؤكد أن الآداب الشرعية التي هي ثمرة الوحي أسمى وأعلى من آداب الطريقة المستندة إلى الإلهام لذا فأهم أساس للطريقة هو اتباع السنة النبوية المطهرة" ويضيف في موضع آخر: "إن اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى وهو طريق ورثة النبي من الصحابة الكرام والسلف الصالح ومن ثم فهو يحذر من انفصال الطريقة عن الشريعة لأن ذلك يعني تمزيق المنهج الشمولي لفهم الإسلام الكامل الموحد"[2].

١٢ - تداول الحضارات بين صعود وسقوط، فهو يرى أن الحضارة لا تسير في خط مستقيم حتى يتباعد المبدأ والمنتهى بل يدور ضمن دائرة كدوران كرتنا الأرضية فتارة يرينا الصيف والربيع في حال الترقي وتارة يرينا الشتاء والخريف في حال التدني وكما أن الشتاء يعقبه الربيع والليل يخلفه النهار فسيكون للبشرية ربيع ونهار إن شاء الله ولكم أن تنتظروا من الرحمة الإلهية شروق شمس حقيقة الإسلام فتروا المدنية الحقيقية في ظل سلام عام شامل، ومن ثم فلا يزال المستقبل مفتوحاً أمام صعود الحضارة الإسلامية وعالم المسلمين في الدنيا وامتلاك أسباب النهوض"[3].

١٣ - البعد عن استخدام القوة المسلحة في التغيير، فهو يرى أن السلاح سوف يقتل حامله، فالخروج المسلح ضد الحكام المسلمين في الداخل

---

(١) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، م.س.ذ، ص [illegible]

(٢) محسن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م.س.ذ، ص ١٤٦

(٣) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، م.س.ذ، ص ٤٦

سيصيب أول ما يصيب المسلمين أنفسهم ولن يجني ثمرة هذا الخروج المسلح الداخلي سوى أعداء المسلمين وهو يقول في ذلك: "إن الجهاد المسلح لا يحشد كليا إلا ضد العدو الخارجي .. والجهاد في أي مجتمع مسلم هو جهاد معنوي ينحصر بتنوير الأفكار وإصلاح القلوب والأرواح ويكون جهادا إيجابيا ضد التخريبات المعنوية"[1] .

فهو يعتمد النضال الداخلي في مواجهة الاتجاهات المادية والإلحادية التي تستهدف عقيدة الأمة ودينها وتراثها سواء أكانت ممثلة للدولة او كانت تعبيراً عن تيارات فكرية داخل المجتمع ، وهذا نوع من الوعي الذاتي العميق لدى النورسي بحدود القدرات التي تملكها الحركة النورسية في السياق الاجتماعي والسياسي الذي عبرت عنه دولة علمانية ذات أيديولوجية أصولية متطرفة ومن ثم استبعاد المواجهة المباشرة معها ، لكن ذلك لم يكن يعني إقرارها على سياساتها التي عبر عنها بالتخريب المعنوي وإنما رفضها عن طريق طرح بديل لها تمثل في رسائل النور التي تحمل في طياتها مشروعاً مناوئاً للمشروع الذي تحمله الدولة الكمالية .

١٤ – حذر " النورسي " من الحضارة الغربية المادية ومن مدنيتها الزائفة التي تمثل خطراً على الإنسانية واعتبرأن الحضارة الإسلامية هي التي تحقق السعادة البشريه لغالبية البشر المعاصرين وفي هذا يقول: "يا أوروبا الثانية! اعلمي جيداً أنك أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة وبشمالك المدنية المضرة السفيهة ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما ، ألا شلت يداك وبئست الهدية هديتك ولتكن وبالاً عليك وستكون" وهو يصف إنسان الحضارة الغربية إلى فرعون طاغية ومتمرد ذليل وجبار عاجز غاية ما يصبو إليه تلبية رغبات

---

(١) طارق عبد الجليل ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، م . س . ذ ، ص ١٧٦

النفس وإشباع هواها بأي وسيلة وجدت لأنه لا يحب إلا نفسه وهو مستعد للتضحية بكل شيء في سبيلها أما إنسان الحضارة الإسلامية فهو عبد لربه، هين لين، فقير مستغن، ضعيف مستند لقوة الله"[1].

ولكنه رغم ذلك يدعو إلي الحوار بين الحضارة الإسلامية والمسيحية[2] في مواجهة قوي الإلحاد ويقول في هذا الصدد "إن علي المسلمين والمسيحيين في هذا العصر عدم الركون إلي الخلافات بينهم بل يلزمهم توحيد قواهم لمحاربة عدوهم المشترك والذي يكمن في المادية والإلحاد وغير المتدينين ذوي النوايا العدوانية

١٥ – رفضه الاستبداد السياسي فهو يعرف الجمهورية بأنها عبارة عن العدالة والشوري وحصر القوة في القانون فهو يقول "أليس من الجناية علي الإسلام أن نستجدي الأحكام من أوروبا ولنا شريعة غراء تأسست قبل ١٣ عشر قرناً؟ إن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلي غير القبلة في الصلاة. إن القوة لا بد وأن تكون في القانون وإلا فسيتفشي الاستبداد في الكثيرين، وهو يري المشروطية بأنها المشورة والعدل والقانون ويقول: "تعلموا المشروطية وعلموها علي أنها المشروعية، والمشروطية هي هدف الحكومة المستمدة من قوله تعالي ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، والمشروطية هي المشروطية الشرعية وهي التي تظهر طالع آسيا وتكشف خط الإسلام بشرط أن تغذي بالشريعة الغراء وحرية رأي الفرد والجماعة. فالديموقراطية عند النورسي مرهونة بالعدالة والشوري والقانون"[3].

---

(١) حسن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س، د. ص ١٧١ وهو ينقل عن اللمعات والكلمات

(٢) أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا، م. س، د. ص ٩٠

(٣) سمير رجب محمد، الفكر الأدبي والتصوفي عند الدعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، م. س، د. ص ٢٤٦ – ٢٤٨

١٦ - يرفض النورسي النظام الرأسمالي والاشتراكي معا ويرى أن النظام الإسلامي هو الطريق الوسط بينهما فهو لا ينكر حق الملكية وإنما يكتفي بضبطه وتحديده ومن ثم فهو لا يقبل الجمع المفرط لرأس المال ويرى أن للفقراء حق فيه وهو يشجع المشروع الحر لكنه يرفض الاحتكار ويرى ضرورة تدخل الدولة لحماية الطبقات الفقيرة ولكن دون استبداد[1].

هذه هي الخطوط العامة لأفكار التيار النورسي والذي عبرت عنها بشكل رئيسي رسائل النور التي كتبها بديع الزمان النورسي "والتي كانت تهدف بشكل أساسي إلى حماية إيمان الناس وإنقاذ أصل وجودهم وهو الإسلام أمام" تأله الدولة الكمالية وسلطانها البشع المروع".

استطاعت رسائل النور أن توجد مساحة مهمة لبقاء المشروع الإسلامي حاضراً بقوة في الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان التركي في مواجهة مشروع الدولة الكمالية والطبقات العلمانية المتغربة الملتحقة بها فيما يمكن أن نصفه بوضوح بأنه تعبير عن "صمود النص كفاعل اجتماعي وسياسي وفكري وأخلاقي".

لم يكن النورسي ولا طلابه هم الفاعلون الاجتماعيون بتعبير الأداة التحليلية الرئيسية التي نستخدمها في هذه الدراسة وهي "الحركات الاجتماعية" ولكن النص ممثلا في القرآن والسنة بشكل أساسي ثم رسائل النور والتي كانت تعبيراً عنهما من وجهة نظر العصر الذي كتبت فيه، ومن هنا كان رفض النورسي القاطع لكل ما يحول دون التفاعل المباشر بين المسلم والوحي أو بين الواقع الاجتماعي والنص القرآني والنبوي ويمثل ذلك بشكل أساسي في رفضه التام للطريقة الصوفية التقليدية ومفاهيمها القائمة

---

(١) النعيمي، الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا، م. س. ذ، ص ٩٥ - ٩٦

علي الفناء والإلهام ووحدة الوجود التي تحول الإنسان إلي جزء من الطبيعة يخضع لقوانينها وليس هو الإنسان الذي خلقه الله ليكون خليفته وليسخر قوانين الطبيعة من أجل رفاهية البشرية وسعادتها وسلامها.

ثانيا: تجليات النورسية المعاصرة في تركيا:

لم يترك "النورسي" جماعة واحدة أو تنظيما واضحا فهو لم يعين خليفة لتلاميذه[١] من بعده وتشير معلوماتنا إلى أن أول جماعة خرجت من النورسية هم "جماعة النساخ" وهؤلاء كانوا يرون كتابة رسائل الإمام بالحروف العربية العثمانية وعدم كتابتها بالحروف اللاتينية و انطلقوا من اهتمام "النورسي" باللغة العربية وحروفها والتي هي لغة القرآن وتتضمن بداخلها روح الرسائل والجو التاريخي الذي كتبت فيه، بينما يري أعضاء آخرون داخل الجماعة أن "النورسي" لم ينص علي ضرورة الكتابة بالحروف العربية وطبعت في عهده بعض كتبه باللاتينية مثل رسالة "كنجلك رهبري" أي مرشد الشباب، كما أنه سمح لطلابه بالدراسة في المدارس والجامعات التركية ولكن هذا الفصيل داخل الجماعة انتهي مع الزمن ولم يبق منه أحد يذكر[٢].

انقسم "التيار النورسي" بعد ذلك حول المسألة السياسية خاصة في أواخر الستينيات مع اتجاه الإسلاميين لتكوين كيان سياسي مستقل لهم وكما قال لنا أقدم طالب في مدارس النور اليوم في تركيا كان للنورسي علاقات قوية

(١) حوار الباحث مع الأستاذ محمد فرقعه وكذلك حواره مع الأستاذ أورخان محمد علي في ... في أواخر عام ٢٠٠٣ م. وهي في الوقت الذي تختلف عن حركات إسلامية أخرى مثل الإخوان المسلمين والتي حسمت اختيار مرشدها بعد مؤسسها الأول.

(٢) عن مجموعة النساخ راجع: حسين عبد الرحمن بكير، بديع الزمان النورسي وثورة الفكر والدعوة، م. س. ذ. ص ٢١٦

مع القوي الإسلامية في تركيا في الخمسينيات مثل علاقته بنجيب فاضل و جواد رفعت آتيلخان "الذي عرض علي النورسي "تأسيس حزب الإسلام الديموقراطي "ولكنه رفض لعدم تفتيت القوي المعارضة لحزب الشعب الجمهوري العلماني الذي كان النورسي " يري أن التناقض الرئيسي للحركة الإسلامية هي مع الحزب الجمهوري الذي يمثل الدولة العلمانية.

وبعد انقلاب عام ١٩٦٠ وتأسيس حزب العدالة بقيادة "سليمان ديميريل "دخل الإسلاميون جميعا تحت عباءته في مواجهة حزب الشعب وكان شعار "ديميريل "في ذلك الوقت "الذي أصبعه علي زناد البندقية غير الذي أصبعه علي السبحة "[١] وعندما جرت انتخابات مجلس الشيوخ التركي أصبح أحد طلاب النور عضواً فيه وهو "أحمد توفيق باكسو ". ويبدو أنه كان يمثل التيار الذي يري المشاركة في العمل السياسي داخل "جماعة النور "وكان من بين المجموعة الإسلامية الأولي التي قررت خوض الإسلاميين لغمار العمل السياسي مستقلين عن غيرهم من الأحزاب الأخري، وهذه المجموعة نتقلت من "جماعة النور "إلي أول حزب إسلامي أسسه "أربكان "عام ١٩٦٩ وهو حزب النظام الوطني.

الغالبية من طلاب النور "لم تكن توافق علي إنشاء حزب سياسي وذلك لأسباب معتبرة عندهم وهي أنهم لم يحسموا بينهم الدخول في العمل السياسي المباشر، وأن الخط الرئيسي في تفكير "جماعة النور " هو إرشاد أهل السياسة وليس الانخراط فيها... فالنورسي يقول للحكام: ابقوا في مكانكم الطريق الصحيح هو كذا وكذا.. "[٢] وبشكل عام يمكن القول أن هناك

[١] حوار الباحث مع محمد فرغة في اسطنبول عن الحركة النورسية وتحولاتها وتطوراتها.
[٢] أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة... حيث أشار إلي أن الجماعة عرض عليها أن تؤسس حزباً سياسيا ولكنها رفضت بالإجماع، وهو يشير إلي بعض معاصري

مجموعة من الأفرع تفرعت عن مدارس النور تتفاوت في اجتهاداتها حول التعامل مع الواقع ولكنها جميعا تعبر عن الفكر النورسي وهذه الأفرع هي:

١ - مجموعة فتح الله كولن:

انفصلت عن المجموعة الرئيسية للنورسية وهي "يني أسيا" عام ١٩٧١ م، وتنتسب المجموعة إلى مؤسسها زعيم "فتح الله" أحد تلامذة النورسي، ورغم أنه لم يره فهو يعد من أبرز المطورين داخل "التيار النورسي" حيث يملك أفقاً واسعاً وله شخصية قيادية تملك استراتيجية يمكن وصفها بالشمول، لا تقتصر فقط علي المجالات التقليدية للإسلاميين مثل التربية والوعظ ولكنه تتسع لتشمل مجالات الحياة كلها بما في ذلك السياسة، فلديه جريدة يوميه مهمة هي Zaman ولديه مجلة أسبوعية هي Acision أي الحركة وهو يتناول السياسة من جانب إبدائه للرأي فيما يجري في العالم الإسلامي ويطرح آراء جديرة بالانتباه حول الإسلام والعلم والديموقراطية والحداثة والدين وأيديولجية التسامح وأهمية التعليم والاهتمام بالأحداث الجارية، بيد أنهم لا يطرحون أنفسهم منافسين للحكومة أو الدولة ولا يتجهون لبناء حزب سياسي، علي العكس هم يرون أنفسهم جناحاً للدفاع عن الدولة التركية ويتبنون مفهوم "الإسلام التركي" أو ما يطلق عليه "جولن" إسلام الأناضول "Anatolian Islam" الذي يقوم علي التسامح والتصالح مع الدولة والواقع وليس معارضته أو حتى نقده فضلاً عن التعرض له بالتغيير"[1].

معظم أعضاء الجماعة السياسية حتى لا تستعدي القوى السياسية المنافسة عليها وحتى تحتفظ بحسب مواردها فهي تريد أن تحتفظ بالجميع. والأمر عند ولك النقشي الشرقي تحضر جماعة النور تدعم بحظى لأفضل مرشح من الأحزاب التي يتوسم فيه القدرة على خدمة الإسلام، ص ٣٢٨ - ٣٢٩

(1) Bulent Aras and Omar Caha. Fethullah Gulen and His Liberal Turkish Islam Movement. MERIA Journal. 4 December 2000. Volume 4. p. 3.

ولدي هذه المجموعة بنوك غير ربوية وشركات للتأمين وعندهم مؤسسة اقتصادية كبيرة اسمها " آسيا فاينس " رأسمالها يبلغ حوالي ١٢٥ مليون دولار وتسعي لعمل استثمارات في جمهوريات آسيا الوسطي ، ولهم بنك غير ربوي ، وعندهم جامعة خاصة في اسطنبول اسمها "فاتح يونيفرسيتي" ولهم جامعات منتشرة في منطقة آسيا الوسطي وعندهم محطة تلفزيون اسمها Saman Yolu (STV) أي [illegible] "درب التبانة" ، وعندهم إذاعة اسمها Burc [illegible] تركيا وأخرى [illegible] ، ويمكن وصف الجماعة بأنها تعبير عن " الإسلام الاجتماعي " الذي يهتم بشكل أساسي بالتواجد في مجالات التعليم والتربية والإعلام والاقتصاد .

ففي مجالات التربية أسست مجموعة "فتح الله جولين" أكثر من مائة مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية ولغة الدراسة بها هي الإنجليزية ومنذ عام ١٩٩٠ تشارك هذه المدارس في المسابقات الدولية ويحقق طلابها أفضل النتائج في علوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والحاسوب ونصف هذه المدارس معترف بها من قبل الدولة وهي من أرقي المدارس التركية من حيث مستوي التدريس ، وخارج تركيا توجد حوالي ٢٠٠ مدرسة في أغلب قارات العالم في أوروبا وأمريكا وأفريقيا وأغلبها يتركز في آسيا الوسطي ، وأنشأت سبع جامعات في آسيا الوسطي وعندما سمحت الدولة بتأسيس الجامعات الخاصة في تركيا سنة ١٩٩٦ م فتحت الجماعة "جامعة الفاتح" المشار إليها سابقاً وفتحت أبوابها للدراسة عام ١٩٩٦ - ١٩٩٧ م .

وأقامت مجموعة "كولن" مدارس للطلبة في أغلب المدن التركية بلغ عددها أربعمائة مسكن بطاقة استيعابية قدرها مائتي ألف طالب وأقامت أيضاً بيوتاً للطلبة الجامعيين بلغت حوالي ستة آلاف تستوعب ما يزيد علي مائة وأربعين ألف طالب وطالبة ولها مدارس يحضر فيها الطلاب لدخول

امتحانات القبول في الجامعات وعددها يبلغ حوالي مائتي مدرسة تستوعب ما يزيد على ٣٠٠ ألف طالب وطالبة. ولدى الجماعة ستون ألف طالب تخرج منهم في عام ١٩٩٣ - ١٩٩٤ م أكثر من أربعة آلاف طالب وطالبة من كليات مختلفة محلية ودولية. وكما علمنا فإن مدارس مثل " روبرت كوليج وأمريكا كوليج وجالاطا سراي " هي مدارس تابعة للجماعة وهي تخرج أهم طلاب تركيا اليوم والذين يتبوأون أعلى مناصب الدولة فهم متعلمون بالتركية والألمانية والإنجليزية"[1]

وفي مجال الإعلام تصدر جريدة زمان التي تأسست في إسطنبول إنها منذ عام ١٩٨٨ م، وهي تطبع في تركيا في خمسة مراكز. وفي الخارج في ثلاث عشرة دولة منها وسط آسيا وألمانيا، وتطبع يومياً حوالي ٤٠٠ ألف نسخة وفيما يتصل بالقضايا الإسلامية مثل الحجاب والأحزاب التي لها جذور إسلامية والمدارس الإسلامية فإن جريدة زمان تكون مسموعة الكلمة.

وللجماعة مجلة اسمها SIZINTI وهي مجلة علمية وأدبية شهرية باللغة التركية ويطبع منها أكثر من مائة ألف نسخة وكان "فتح الله" قد اتخذ منها منبراً لإطلاق آرائه الإيمانية والفلسفية منذ عام ١٩٧٨ م وتصدر الجماعة مجلة بعنوان yeni umit أي الأمل الجديد، وهي فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر وتوزع حوالي ٢٠ ألف نسخة، ومجلة إيكولوجي وتهتم بقضايا البيئة والحفاظ عليها والتلوث والقضاء عليه وهي فصلية ويصدر منها خمسة عشر ألف عدد، ومجلة "فونتين" fountain وهي علمية فصلية تصدر بالإنجليزية وتنتشر في أوروبا وأمريكا. وللجماعة دور نشر وعدد من المطابع وكما قال

---

(1) عن تفصيلات أكثر بخصوص أنشطة مجموعة فتح الله جولن الاجتماعية والخدمة التعليمية راجع محمد نور الدين، حجاب وحراب، [illegible] فتح الله جولن [illegible]، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، يونيو ٢٠٠١ حيث أورد قائمة مفصلة بحجم وعدد مؤسسات التعليم التابعة لجولن، ٢٤١ - ٢٥٨

لنا العديد من المصادر فإن الإسلاميين يسيطرون علي مايقرب من حوالي ثلث الصحافة الكلية في تركيا ولكنها لم تصل بعد إلي النصف

وبالنسبة للإعلام فالإسلاميون يسيطرون علي مايقرب من ٩٠٪ منه، وتعد مجموعة "جولين" هي أكبر مجموعات جماعة النور وينتسب إليها ما يبلغ حوالي ٦٠٪ من مجمل منتسبي الجماعة وتشير المعلومات إلي أن عدد أتباعها يتراوح مابين ٢٠٠ ألف من الأتباع والأنصار - ٤ مليون من المتأثرين بأفكاره وهم ينتمون بشكل أساسي للشباب الصغير الذي يعيش في المدن خاصة من الأطباء والأكاديميين والمتخصصين في مجالات عدة، وللجماعة برنامج تثقيفي منتظم يتمثل في الدروس الدورية بحيث يلتزم كل منتسب للجماعة بحضور درسين في الأسبوع لتلقي رسائل النور وعلوم الشريعة الأخري أو يستمع للدروس المسجلة السمعية أو البصرية، وتنظم الجماعة عدة رحلات ومخيمات صيفية داخل تركيا وخارجها ويرجع الصعود الكبير في اتساع قاعدة أنصار الجماعة إلي اهتمامها بالطلبة والشباب ومشاكلهم وقضاياهم بتأسيسها بيوت الطلبة والمخيمات الصيفية لطلبة الجامعات والمدارس العليا والمراكز الثقافية والتربوية"[1].

وليس للجماعة تنظيم كما هو الحال بالنسبة للحركات الإسلامية الأخري. فلا توجد لها هياكل تنظيمية وإنما الرابطة الأساسية التي تجمع بين المنتسبين للجماعة هي العلاقة مع الشيخ ومع النصوص التي ينتجها فيما أطلقنا عليه "النص كفاعل اجتماعي" فالحركة لا تزال تعبر عن الطابع الصوفي في العلاقة بين الشيخ كإمام وقائد روحي وبين المريدين أو الأتباع

(1) Bulent Aras and Omar Caha. Fethulla Gulen and His Liberal "Turkish Islam" Movement, Op. cit, p. 4
http: meria. Idc ac il/journal/ 2000/ issue 4 / jv4n4a4. html.

وهذه العلاقة ذات طابع رأسي يشبه الهرم حيث يقف الشيخ علي رأسه ثم طبقات الأتباع التي تتخذ طابع العلاقة الأبوية أو العلاقة مع الأكبر سنا "abi elder brothers" حيث تكون الفكرة والعلاقة الروحية هي الرابط الأقوي بين الأتباع وليس قوة التنظيم . ولمجموعة "فتح الله جولن" موقع باللغة العربية علي الشبكة العنكبوتية عنوانه http: ar.fgulen.com وآخر إصدارات المجموعة مجلة تخاطب الجمهور العربي ببناء جسور تتواصل مع الثقافة العربية ومع العالم العربي اسمها "حراء" وموقعها علي الشبكة www.hiramagzine.com .

وتمثل مجموعة فتح الله جولن " وزنا معتبراً في السياسة التركية بالنسبة لأحزاب اليمين خاصة وهو مايفسر حرص قادة العديد من الأحزاب السياسية علي وجود علاقة خاصة معها فمنذ عام ١٩٩٤ التقي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والعديد من قادة الأحزاب السياسية ورجال الأعمال الكبار في تركيا مع زعيمها "فتح الله جولن" الذي كثيراً ما يتم استضافته كأحد الوجوه التركية المهمة في الميديا ، ففي عام ١٩٩٧ م مثلا زار "سليمان ديميرل " رئيس الجمهورية أحد المؤسسات التابعة لجماعته وأثني علي النشاط التعليمي للجماعة ، وقابله " بولنت أجاويد " زعيم اليسار التركي الذي صرح بعد اللقاء بقوله "الحوار بالكامل كان حول الدين والفلسفة ولم يكن له أبعاد سياسية ووجدت الرجل ودودا مخلصاً وكان لقاؤنا مفيداً" ، هذا يدل علي مدي قبول خطاب الجماعة حتي لدي اليسار .

لكن مؤسسة الجيش التي تري نفسها حامية العلمانية في تركيا لا تزال تنظر لمجموعة " جولين " باعتبارها خطرا يتهدد المؤسسة العسكرية الاستراتيجية عبر اختراقها ، ومجلس التعليم العالي في تركيا "yok" أحد ركائز العلمانية التركية المهمة ينظر هو الآخر بعين محاذرة للجامعات التي تنشئها الجماعة حول العالم

ويقيم العراقيل أمام خريجيها.

ويتفق مع هذه الرؤية مفكرون علمانيون غلاة من النخبة المثقفة الذين يقولون: "إن الجماعة تستخدم تكتيكات توصلهم لنفس أهداف الإسلاميين ويزعمون أنهم خائفون من أن يكون هذا الوجه الودود ستارا لمطامع سياسية تقلب الدولة التركية إلي النموذج الإيراني للدولة الإسلامية ويعلنون تخاوفهم من دعم الأحزاب العلمانية للجماعة حتي تضمن ولاءها في مواجهة الرفاة".

بينما تنظر قطاعات مهمة أخري من النخب العلمانية الفكرية في تركيا لمجموعة "جولن" باعتبارها أحد أدوات الأحزاب السياسية العلمانية المهمة في تحجيم التيار الذي يعبر عنه "نجم الدين أربكان" وهي حركة "الملي جوروش" ويذهبون إلي أن مجموعة "جولن" يتم دعمها من وزارة الخارجية التركية وأن مخصصات سرية كبيرة حولتها "تانسو شيلر" لدعم الجماعة لاستخدام نفس أدوات أعدائها من الرفاه لمواجهتهم بها، وهو ما يفسر العلاقة المتينة بين حزب الطريق المستقيم وبين الجماعة[1].

وعلي الجانب الآخر يحظي "جولن" بدعم مجموعة من الوجوه الليبرالية المثقفة المهمة في تركيا مثل الصحفي "محمد الطان وعلي بيرام أوغلو ومحمد علي بيراند وجنكيز شاندار" وهؤلاء يجادلون حول أن حل المشكلة التركية يكمن في التوصل لحالة من التوافق في الآراء ولذا فهم يقدرون الوجه الهادئ للإسلام الذي تعبر عنه الجماعة، ويمثل الموقف الناقد للجماعة من الرفاه قبل حله أحد مصادر الدعم لها من الاتجاهات القومية المحافظة[2].

(1) Ibid, p. 5 - 8.

(2) Ibid, p. 7

وعلي صعيد علاقة "جولن" بالتيار الذي يمثله "أربكان" وحركة الملي جوروش "فإنها عدائية حيث ينظر أتباع أربكان إلي حركة "جولن" بأنها مدعومة من الدولة لتعويق حركة الرفاه ومن جانبه يشن "جولن" حملة علي الرفاه ويقول إن النسبة العالية التي حصل عليها في انتخابات عام ١٩٩٥ (٢١٪)، لا تعبر عن قوته الحقيقية في الشارع والتي لاتزيد عن ١٥٪ وربما أقل بينما الفارق الذي حصل عليه الرفاه يعبر عن التصويت العقابي من جانب المواطنين ضد حكومات فاشلة. ويحمل "جولن" الرفاه مسئولية التصادم مع الجيش والذي قاد إلي الانقلاب الأبيض عليه في يونيه ١٩٩٧ م والذي حمي تركيا في تقديره من الانجراف إلي صراع شبيه بما حدث في الجزائر"[1].

٢ - مجموعة الجيل الجديد Yeni Nasil وآسيا الجديدة Yeni Asya:

رغم أن البعض يفصل بينهما ولكنهما مجموعة واحدة، وهي تمثل الجيل القديم من طلبة النور والمهتمين أساساً بنشر فكره ورسائله ومؤسسها هو "محمد فوتلولار" وتصدر هذه المجموعة جريدة يومية اسمها "يني آسيا" ولها دار نشر بنفس الاسم ولها علاقات قوية مع البرجوازية الإسلامية وتعتمد تكتيكات العمل داخل مؤسسات الدولة وهي دعمت حزب الطريق القويم. ومجموعة "يني آسيا" هي التي دشنت النشاط الصحفي داخل التيار النورسي، وأيدت هذه المجموعة حزب العدالة بزعامة "دميريل" حتي انقلاب عام ١٩٨٠ م وبعده بنحو شهر أغلقت الجريدة فقام النورسيون بإصدار جريدة جديدة بعنوان Yeni Nesil أي الجيل الجديد ولما أعيدت جريدة "يني آسيا"

(1) Turkish daily News, February: 18, 1995 for Rafah Opinion & Milliyet. August, 31, 1997 for Goln View.

وللمزيد من آراء جولن حول مختلف القضايا راجع:
www.zaman.com/?syf=fgulen حيث يتوافر العديد من الحوارات حول الديموقراطية والعدالة والإسلام والغرب وغيرها من القضايا

أصبح الجيل الجديد هم المسئولون عنها ومنذ بداية التسعينيات تقلص تأثير هذه المجموعة بسبب انسحاب أغلب الأعضاء منها وانضمامهم لمجموعة الشوري "، وقام دار نشر باسم "دار نسل للنشر" وتضاءل توزيع جريدة "اسيا الجديدة" من ٤٠٠ ألف نسخة إلي ٢٥٠٠ نسخة ووفق معلوماتنا فإنهم لا يمثلون سوي ٥% من التيار النورسي"[1].

٣ - مجموعة وقف الزهراء:

يتولى قيادتها "عز الدين يلدرم" وهم تبنوا مشروع إنشاء جامعة باسم الزهراء وهو المشروع الذي حاول "النورسي" إنشاءه في عهد السلطان عبد الحميد ومشروع الجامعة في طريقه إلي الاكتمال، وهم يتولون الدعوة إلي الإسلام وإلي أفكار النورسي وربما تكون هذه المجموعة هي الأقرب لأفكار الرجل وهم يوسعون من مصادرهم خارج رسائل النور ويستعينون في الدعوة بخبراء من خارج الجماعة، وهم أوسع أفقا وأكثر تقبلا للنقد، وتشير معلوماتنا إلي أنهم يمثلون نسبة ضئيلة من التيار النورسي ربما لا تبلغ ٥%. ويكثر الأكراد المنتسبين لهذه المجموعة لدرجة أنهم يعرفون بالنورسيين الأكراد، وتصدر المجموعة مجلة بعنوان " نوبهار " باللغة الكردية أي الربيع الجديد، وهم يهتمون ببناء البيوت للطلاب في المحافظات التركية ويرسلون بعض الطلاب للدول العربية للتخصص في الدراسات العربية والإسلامية"[2].

---

١) عن مجموعة "يني أسيا" و"يني نسل" راجع: محسن عبد الرحمن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص ٢٢٠ وطارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

٢) محسن عبد الرحمن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص ٢٢٠

٤ - مجموعة الشوري:

هذه المجموعة يمثلها ما يقرب من ٣٥٪ من منتسبي الجماعة وهم يعبرون عن الفكر التقليدي للنورسية وهم يهتممون بإنشاء المدارس النورية في تركيا وخارجها ، والمدرسة عبارة عن بيت يتم الاجتماع فيه لقراءة رسائل النور وتدارسها في مواعيد محددة كل أسبوع ، وتهتم هذه المجموعة بالطباعة فلديها ثلاثة دور للنشر هي "سوزلر والإخلاص والأنوار" وتقوم بطباعة رسائل النور "وطباعة الكتب والأبحاث التي تتناول حياة النورسي" ومؤلفاته وفكره وهي تعمل علي امتداد نشاطها إلي العالم العربي واللغة العربية ولها مركز أبحاث للترجمة اسمه (مركز أبحاث رسائل النور باسطنبول) ، وينظم المركز مؤتمرات دولية حول فكر النورسي "يدعو فيها الباحثين من العالم كله للمشاركة ويتعاون مع المركز في هذه الأنشطة (وقف العلوم والثقافة باسطنبول) .

وأشارت بعض الدارسات إلي أفرع أخري للنورسية مثل "جماعة الخدمة HizmetVakfi" ولكنها ليست ذات أهمية كبيرة[1] .

ويؤيد " النورسيون " اليوم في تركيا حزب العدالة والتنمية " الآق بارتي" ويرون أنه يعبر عن روح الجماعة التي لا تزال تري أنها لا تعمل بالسياسة ولكن فقط إرشاد السياسيين وتقوية التيارات السياسية التي ترفع سقف العمل الإسلامي والدعوة بعيداً عن الدخول في صدام واضح مع العسكر والدولة التركية العميقة ، ولذا فهم يتحفظون علي سلوك "التيار الأربكاني" ذات الطابع الصدامي ويرون أنه لم يكن مناسباً للروح التركية .

وتعبر المجموعة التي يمثلها " فتح الله جولن " عن أهمية الدولة التركية حتي

(١) طارق عبد الجليل ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، م س ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

بصيغتها العلمانية فهي خير من غيابها ، فهو لا يرى الدولة عدوا مخالفا في ذلك أغلب الحركات والتيارات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي ويقول في هذا الصدد "لا أستطيع القول إنني أصوب الدولة أو غيرها فيما قامت به من أمور باطلة. إلا أنني أستطيع أن أقول إنني أرجح أشد الدول " لا ديموقراطيه " على اللادولة " ومن هذه الناحية فأنا ضد ضياع معنى الدولة وسقوط هيبتها ، ويرفض تسييس الإسلام ويعون. "يمكن أن يختلف الناس في آرائهم ولكن [illegible] في تسييس الإسلام خسارة كبيرة لروح الإسلام" وهو يدعو لعلاقة جيدة مع الغرب"[1] .

وبشكل عام فإنه يمكننا القول: إن التيار النورسي " بأفرعه المتعددة هو تعبير عن حضور وجه الإسلام الاجتماعي والثقافي في الحياة التركية حيث يفتح آفاقا لمساحات ثقافية واجتماعية جديدة تعبر عن خطاب ورؤى إسلامية متسامحة تتجه نحو الإجماع والتوافق ودمج أتباعها في النظام السياسي القائم دون معاندة له أو تمرد عليه ، كما أن مجموعة "جولين" خاصة تشير إلي محاولة حقيقية للتسوية والتصالح بين القيم التقليدية وبين الحداثة المعاصرة وهي أيضا تعبير عن تمثيل لقطاعات مجتمعية تركية ليس لها علاقة مع الدولة ومن ثم فهي تعبر عن حالة من حالات المجتمع المدني التي استطاعت أن تستقل عن الدولة وتلعب دوراً مميزا في المجتمع .

والجماعة عبرت في الواقع عن القطاعات الأناضولية المهمشة من قبل بيروقراطية الدولة الكمالية منذ ظهورها والتي استطاعت أن تنتزع بعض تأثيرها عن طريق قدرتها الاقتصادية المستندة إلي قيم الأناضول الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي منذ عقد السبعينيات . وتمثل فكرة الخدمة

(١) نفس المرجع ، ص ٢٠٦ .

hizmet والعمـل الجاد والتنظيم الجيد والزهد كما عبر عنها "ماكس فيبر" أسسا لقوة الفرد والمجتمع والمتابعة بشكل أساسي من ابتغاء مرضاة الله ودخول الجنة[1].

والنورسيون هم أيضاً تعبير عن أحد أوجه الإسلام السياسي ولكن عن طريق دعم القوي السياسية التي تحترم حضور الإسلام الاجتماعي والدعوي والفكري وتعبر عن روح المجتمع التركي القائم على التوافق والتوازن والحلول الوسط بعيداً عن المواجهة والصراع والاستبعاد والإقصاء، ومن هنا فإن المشهد التركي اليوم يعبر عن حالة مثالية للبيئة التي يرجوها التيار "النورسي" فهو يمارس العمل الدعوي والاجتماعي والفكري والخيري بدون ضغوط من القوي العلمانية وفي نفس الوقت يدعم حزب العدالة والتنمية باعتباره نموذجاً للحالة السياسية المثالية من وجهة نظره فهو يمارس السياسة والحكم وفق الموازين النورسية.

* * *

(1) Bulent Aras and Omar Caha, Fethulla Gulen and His Liberal "Turkish Islam", op. cit. p. 9.

المبحث الرابع :
المثقفون الاسلاميون من الاغتراب الي الاختراق

تمثل تركيا فضاء متسعا لاستقبال الأفكار الإسلامية من البلدان الأخرى في العالم العربي والإسلامي وخاصة مصر وإيران وباكستان بشكل أساسي وكما يقول "علي بولاج": "لو كتب عربي فإنها ستترجم إلى التركية"(1) ويختلف اتجاه المثقفين باختلاف اقترابهم من فهم الإسلام، وبالطبع يوجد تشبع عال بالأفكار ذات الطابع التوفيقي بين الإسلام والقومية وبين الإسلام والعلمانية وبين الإسلام والديموقراطية والحداثة، **فالحالة التركية هي تعبير عن البحث عن نقاط للتوافق وتوسيع ماهو مشترك من اجل الوصول لحل وسط بين جميع القضايا ذات الطابع الاجتماعي والسياسي والثقافي.**

- حين نقول: مثقف إسلامي في تركيا فنحن أمام نخب هي بالضرورة تعبير عن الحداثة بكل معنى الكلمة، فهم تخرجوا جميعاً من الجامعات وحصلوا على شهادات عليا منها وهم يمارسون التفكير والاجتهاد الذي يعبر عن رؤيتهم المستقلة في مختلف قضايا أمتهم من ناحية و غالباً ما يكون مصدر معاشهم وحياتهم من عملهم الفكري والثقافي من ناحية أخرى. وهم يمتلكون تأثيرهم الواسع على تيارات وقوى اجتماعية وسياسية يمثل الإسلام جزءا من هويتها استنادا إلى مكانتهم الثقافية.

ويمثل الإسلام المرجعية الرئيسية لهؤلاء المثقفين ومن ثم فهم بالضرورة يقفون ضد الدولة الكمالية وممارستها الاستبدادية فهم يمارسون في التحليل النهائي دورا كفاحيا ذا طابع سلمي يعتمد سياسة النفس الطويل في مواجهة ما يعتبرونه

(1) حوار علي بولاج مع الباحث في اسطنبول في أكتوبر ٢٠٠٣

أصولية علمانية تمارسها الدولة في مواجهة مجتمعها الذي يمثل الإسلام جوهر هويته وركيزة حياته ووجوده.

- هم يواجهون أيضا معركة الأفكار مع الاتجاهات المادية والمعادية للفكرة الإسلامية من المثقفين العلمانيين والوضعيين والماديين وحتى الإلحاديين، لكننا نلاحظ أنه في الفترة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى نهاية الستينيات كانت المهمة الأولى للمثقف المسلم في تركيا هي الدفاع عن الايمان والعقيدة و الفكرة الإسلامية في مواجهة اكتساح الأفكار المادية واللادينية التي مثلت الرافعة الفكرية للنظام السياسي العلماني والذي أنتج أصولية علمانية متطرفة ضاق بها الإسلاميون ذرعا حتى شعروا بالاغتراب داخل أوطانهم وبلدانهم وثقافتهم، وسوف نلاحظ أنه بينما كان دور المثقف الإسلامي هو المقاومة كان دور المثقف العلماني هو الالتحاق وبينما كان حظ المثقف الإسلامي التهميش والحصار والهجرة من الوطن كان حظ المثقف العلماني التواجد في المركز متقاسما مع النظام المغانم والأضواء والحضور.

- من الأسماء المهمة للمثقفين الإسلاميين الأتراك الذين يعبرون عن حضور الإسلام كفاعل في عالم الثقافة والفكر "محمد عاكف ارصوي"، نجيب فاضل "عصمت أوزال" أمينه شانيلك أوغلو" سزائي قراقوج"، علي بولاج" ورجب شانتورك" وأحمد داوود أوغلو" وياسين اقطاي"، "محمد خيري كرباش أوغلو"، وأغلب هؤلاء المثقفين يرتبطون بمؤسسات وقفية وجامعية تعكس ارتباطهم بمجتمعهم من ناحية ومحاولتهم تخريج أجيال جديدة تمثل التواصل مع أفكارهم من ناحية أخرى، فدور المثقفين الأتراك يعبر عن محاولات اختراق للمجتمع عبر القطاعات الوسيطة فيه والتي يمثل الطلاب في الجامعات المجال الرحب لذلك.

وعلى سبيل المثال فإن البروفسور "أحمد داوود أوغلو" هو المسئول عن

احد أهم المؤسسات التي يمكن وصفها بأنها ThinkTank التي تصنع العقول والأفكار كما أنها تمد صانع القرار بالرؤى والأفكار الاستراتيجية ، تلك هي معهد وقف العلوم والفنون[1] Bilim Ve Sanat Vakf فمديرها هو المستشار السياسي لرئيس وزراء تركيا وأحد المسئولين الكبار عن إدارة السياسة الخارجية لتركيا وهو ينتمي لجيل "طيب أردوغان" وجيل "عبد الله غول" الذي وصفه "علي بولاج" بأنه الجيل الثالث في الحركة الإسلامية التركية ، ولداود أوغلو[2] كتابا مهما بعنوان "الاستراتيجية العميقة" وهو يعبر عن تصوره لتحول تركيا من دولة هامشية إلي دولة مركز لها حضورها المستند إلي تاريخها وثقافتها وروابطها مع العالم الإسلامي والعالم كله وله كتاب مهم بعنوان "الأزمة العالمية بعد ١١ سبتمبر" ترجم لعشر لغات .

ورجب شانتورك "يعمل بمؤسسة " الموسوعة الإسلامية " التابعة لوقف شئون الديانة أو " إدارة الأوقاف " ورغم ذلك فهي تتمتع بقدر كبير من الاستقلاليه عن الحكومة وطبع من الموسوعة حتي اليوم أكثر من عشرين مجلدا محكما يعبر عن رؤية الإسلام الصحيحة عن كافة القضايا وهي تتمتع بثقة كبيرة لدي الباحثين والمثقفين والجمهور التركي والموسوعة تستكتب متخصصين من غير الأتراك في العالم الإسلامي وتصدر الموسوعة كتباً إسلامية كثيرة ، والأهم من ذلك أنهم يرسلون الطلاب إلي العالم الغربي للدراسات العليا ولديهم مراكز بحثية وباحثون متخصصون في مختلف التخصصات يعملون في

(1) Bilim ve Sanat Vakfı, 1997 Bahar Programı Kayıt Analizleri, 1997, 39, p4 - 5

(٢) هو أحمد داوود أوغلو راجع مقابلته مع قناة الجزيرة بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠٠٣ م وهي تتحدث [illegible] من مواليد ١٩٥٩ م وتخرج من قسم العلوم السياسية من جامعة البسفور عام ١٩٨٤ م وحصل على الماجستير في الإدارة والدكتوراة في العلاقات الدولية عام ١٩٩٠ وعمل رئيسا لقسم العلوم السياسية بماليزيا حتى عام ١٩٩٦ ، وعنوان الحلقة "السياسة التركية تجاه المخطط الأمريكي الجديد للمنطقة

تحرير الموسوعة"[1].

و"محمد خيري قراباش أوغلو" ينتمي لكلية الإلهيات في أنقرة وهي تعبر عما يطلق عليه الأتراك "مدرسة أنقره" وهم يعتمدون على العقل في التأويل ويهتمون بقضايا حديثة مثل العلاقة بين الإسلام والديموقراطية والإسلام والحداثة، والتفسير اليساري للإسلام وهم متأثرون بالتيار الإسلامي وحسن حنفي بشكل خاص من مصر وبفضل الرحمن من باكستان وهم يصدرون مجلة فصلية اسمها إسلاميات". وكانوا يصدرون من قبل مجلة اسمها مجلة الدراسات والبحوث الإسلامية".

" وياسين أقطاي " ينتمي إلى قسم الاجتماع في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة "سلجوق" في قونية" أحد المعاقل المهمة للإسلام في تركيا وهي الدائرة التي فاز فيها "أربكان" في انتخابات عام ١٩٦٩ م وظلت الدائرة الانتخابية المفضلة له دائماً بعد ذلك رغم أنه لم يولد فيها. ويصدر "ياسين" مجلة بعنوان " تذكر " وهو ينتمي لجيل الشباب من المثقفين الإسلاميين.

- دور المثقف التركي يعبر عن موقف جدلي مع الدولة العلمانية والتيارات الفكرية الأخرى من خلال منظور يمكن وصفه بأنه " إصلاحي " وليس إحيائي بالمعنى الجذري الذي عبر عنه مثلاً " سيد قطب " في مصر، وحتى قراءة المثقف التركي

(١) أهمية الموسوعة الجديدة تبدو مقارنة بالموسوعة التي نشرتها تركيا عام ١٩٣٢ م وكانت تسمى Hayat Ansiklopedisi أي موسوعة الحياة. وكما يشير أورخان محمد علي في كتابه "سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة" نقلا عن الموسوعة السابقة في مادة "آدم وحواء" حسب الأساطير الدينية فإن الله قام بخلق الإنسان بعد خلقه الأرض كما خلق امرأة باسم "حواء" ووضعهما في الجنة ولكنهما طردا منها ونزلا إلى الأرض بعد قيامهما بأكل الثمرة التي حرمت عليهما. ومن نسلهما وجد الناس الحاليون. ويستحيل الإيمان اليوم بهذه الأسطورة الدينية ذلك لأن العلم كشف الحقيقة عن كيفية ظهور الإنسان" ومادة الإنسان كلها تقوم على فكرة التطور والداروينية وراجع الكتاب، ص ١٤٦ - ١٤٧

للمصادر الفكرية لتيارات إسلامية ذات طابع جذري إحياني مثل "المودودي وسيد قطب" ومحمد قطب "تمت عبر المصفاة التركية التي يمثلها المزاج الإصلاحي التركي فأخرجتها في صيغة معدلة ذات طابع مسالم ولكنه في التحليل النهائي إصلاحي " وليس " جذريا أو ثوريا "

ربما تكون أهمية الدولة في الثقافة والفكر التركي هي التي جعلت المثقف [illegible] يقف من الدولة [illegible] موقفا [illegible] وحتما نحو التصالح مع الإسلام وليس من أجل القضاء عليها هي ذاتها . ولعل غالب المثقفين الإسلاميين في تركيا قبلوا بمقولة نقل مهام الخلافة إلي البرلمان التركي الأول الذي تشكل بعد إعلان الجمهورية[1] ومن ثم فالخلافة لاتزال حاضرة وقائمة والدولة الحديثة تعبر عن استمرار جوهرها ، بالطبع هنا تفسير له طابع رمزي يحاول التوفيق بين الوضع الجديد واستمرار ماكان قائما ، ومن ثم فهذه الرؤية تعبر عن موقف ثقافي ونفسي مضاد للأطروحة الكمالية التي تقول بعكس ذلك .

- يهتم المثقف التركي عادة بما يوصف في الحركات الاجتماعية الجديدة بالإجابة علي المشاكل اليومية الحياتيه للمسلم التركي Every day life بلغة بسيطة بعيدة عن التعقيد والتي تمكنه من الحفاظ علي هويته واستمرار بقاء القيم والثقافة الإسلامية حية في وجدانه وفي نفس الوقت ممارسة حياته وفق

(١) عن تصورات "أتاتورك" عن الخلافة ورؤيته الكثير من رفاقه وأعضاء المجلس الوطني الكبير حول بقائها وضرورة الحفاظ عليها ونقل سلطاتها إلي الشعب عن طريق المجلس الوطني الكبير [illegible] ماحدث بخلوف . الخلافة في خطاب أتاتورك . [illegible] وهذا الخطاب مترجم للإنجليزية [illegible] "NUTUK" وقد استمر أتاتورك في إلقائه علي المجلس الوطني الكبير لمدة ستة أيام ابتداء من [illegible] أكتوبر إلي ٢٠ أكتوبر عام ١٩٢٧ م وراجع أيضا حول الخطابات المختلفة عن الخلافة [illegible] كوثراني ، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا (رشيد رضا - علي عبد الرازق - عبد الرحمن الشهبندر) ، بيروت: دار الطليعة ، يونيو ، ١٩٩٦ ، ط١ .

الإسلام سواء في المجال العام أو الخاص ، وهنا نجد بعدا هاما متصلا بمهمة المثقف التركي وهو تقديم الحلول والأجوبة العملية لتمكين المواطن التركي من أن يحيا مسلما في ظل دولة علمانية وهو ما يمكن أن نعبر عنه "بفقه الحياة او المعاش وفق النظام الإسلامي" وكما يقول "جراهام فولر" عن مؤشرات الإحياء الإسلامي في تركيا "يضاف إلى ذلك ظهور نخبة جديدة من المثقفين الإسلاميين تختلف طريقة عملهم عن طريقة عمل مثقفي سائر البلاد الإسلامية حيث يتبع هؤلاء أسلوباً جديداً في طرح نظرة الإسلام للتاريخ والسياسة والاقتصاد والأخلاق والحكم من خلال كتب ذات لغة سهلة تخاطب أولئك الذين يبحثون عن الجواب حول القضايا المذكورة"[1].

أولا : محمد عاكف رائد المدرسة الإصلاحية :

يمثل محمد عاكف المرجع الفكري لكل المثقفين الإسلاميين الذين جاءوا من بعده ، فهو ولد في اسطنبول في أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٧٣ م ، وأجاد اللغة العربية ودرس اللغتين الفارسية والفرنسية وتخرج من المدرسة البيطرية باسطنبول وعمل في وزارة الزراعة العثمانية وأتاح له عمله الاطلاع علي العالم الإسلامي والتعرف علي أحواله من قرب ، زار البلقان والبلاد العربية وتجول في الأناضول ، وكان الأدب هو شاغله وأهله اطلاعه الواسع علي الأدب أن يعمل أستاذاً في جامعة استنبول والقاهرة ، رأس تحرير مجلة "الصراط المستقيم" التي تعد المرجع الفكري والثقافي للمقاومة الإسلامية للمثقفين الإسلاميين وحين تغير اسمها إلي "سبيل الرشاد" كتب فيها محمد

(١) جراهام فولر، الحركة الإسلامية في تركيا، مؤسسة راند التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية، وراجعه علي: www.darislam.com/home/alfker/data/feker1516/k8.htm

ونحن نعرض ملامح من فكر المثقفين الأتراك الإسلاميين لمعرفة توجهاتهم الفكرية وكيف يستخدمون الإسلام كمرجع للمقاومة [illegible] أو الفترة التاريخية التي مثلها المثقف في دفاعه عن الإسلام بصرف النظر عن عصره.

عاكف . والمجلتان هما الديوان الفكري التركي للآراء والأفكار والمساجلات التي جرت بين المثقفين أنصار الفكرة الإسلامية وأنصار الأفكار المادية .

نظم "محمد عاكف" ديوان شعر بعنوان "صفحات" وموضوعاته تدعو إلي الالتزام بالوحدة الإسلامية ونقد بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ، وعقد المقارنات بين الشرق والغرب من أجل التوصل إلى الطريق السوي لنهوض المسلمين ، زار "برلين" بدعوة من امبراطور ألمانيا لمشاهدة معسكرات اللاجئين المسلمين بها وزار الحجاز ونجد في مهام رسمية لحل بعض المشكلات السياسية ، وزار سوريا ولبنان ، وشارك في حرب التحرير ونظم قصائد ألهبت حماس المقاومين والمجاهدين ، ونظم نشيد الاستقلال ليصبح النشيد الوطني لتركيا وهو يقول فيه:

لا تخف! فلن ينطفئ أوار هذا العلم الأحمر

السابح في الشفق

إلا إذا أخمد آخر موقد في بلادي

يا أيها الهلال! لا تقطب جبينك هكذا

فأرواحنا فداء لك

عشت حرا منذ الأزل وسأحيا حرا حتي الأبد

أي مجنون هذا الذي يتصور أن يكبلني بالقيود

أنا السيل الهادر ، أحطم قيودي لأنطلق[1] .

ويدعو "محمد عاكف" المسلمين إلي العودة إلي ما كان عليه السلف الصالح ففي قصائده يقول:

---

(١) محمد حرب ، الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية في تركيا المعاصرة ، بدون بيانات نشر ، ص ١١ .

الذين كانوا يئدون بناتهم

أنظروا كيف صاروا في ثلاثين عاما

ملكوا الأرض ثلاثين ألف عام

فليرجع المسلمون لصدر الإسلام"[1].

وعن تضامن العالم الإسلامي يقول:

لن يحيا التركي بدون العربي

ومن ينكر قولي هذا فهو أبله

فالتركي للعربي عينه اليمنى وساعده الأيمن

فلندفن الفرقة في قبر النسيان....

وأنصت فهناك حكم قاطع لا يتبدل

البعد عن الجماعة بعد عن الإسلام والإيمان"[2].

وعن نبذ العصبية القومية يقول: "أين ماكنتم عليه من ملية الإسلام.. وما هذه القومية!

ماذا لو اعتصمتم بمليتكم الدينية

ماهي الألبانية؟ ألها مكان في الشريعة!

إنه كفر وليس بشيء آخر أن تفضل قومك

---

(١) محمد حرب، الشعر التركي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، د. ت، ص ٧١ - ٧٠.

(٢) أحمد فهد بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، م. س، ص ٥٣.

أهناك تفضيل في الإسلام لعربي على تركي "[1]

وعن النهوض الإسلامي يقول:

لم يلقنونا الأمل وإلا فإن هذا الدين

قد نشر على الكائنات ظله الأخضر

وصوت الحق قد خنق صوت الضلال

مادام وعد الله لنا هو الحق.

فإن فجر الشرق الأزلي سيشرق

المؤمن لا يقع في اليأس ولو قيد ذرة

اليأس مستنقع قذر

لو وقعت فيه لاختنقت"[2].

هاجر "محمد عاكف" عام ١٩٢٥ بعد إعلان الجمهورية بسنتين إلى القاهرة واستضافه الأمير "عباس حليم باشا" في حلوان وظل يدرس لطلاب الجامعة المصرية اللغتين التركية والفارسية حتى مرضه الأخير وتوفي عام ١٩٣٦ م.

وهو أحد الذين تأثروا بجمال الدين الأفغاني " ومحمد عبده " وترجم هما

---

(١) نفس المرجع، ص ٥١ - ٥٢

(٢) حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، القاهرة، ١٩٥١، ص ٤١٥

وأيضاً: حسين مجيب المصري، الأدب التركي، القاهرة، دار المعارف، سلسلة، كتاب رقم ٨٢، ص ٧٢ ويزيد من مصلحة شعر الرجل والتعرف على سيرته راجع محمد عاكف شاعر النشيد التركي على شبكة:

www. islam - online. net iol - arabic dawalia mashaheer - jan 2000 mashaheer - s. asp.

العديد من الترجمات الفكرية إلي اللغة التركية ، وتأثر أثناء إقامته بمصر ببعض "عبد العزيز جاويش" وترجم له "القومية والدين" و"الإسلام والمدنية" ونقل عن "محمد فريد وجدي" معركته مع "قاسم أمين" حول حجاب المرأة المسلمة بعنوان "المرأة المسلمة" عام ١٩٠٩ م ، وأكثر من ترجم له هو الإمام "محمد عبده" حيث نقل له أكثر من ثلاثين مقالة إلى اللغة التركية ومن أشهرها إشارة في إسطنبول مناقشات الإمام مع هانوتو وزير الخارجية الفرنسية بعنوان "رد محمد عبده علي افتراء هانوتو سنة ١٩١٥ م" ، ثم عمد بعنوان "الأضرار الناجمة عن تناول المسكرات في الحياة الاجتماعية" سنة ١٩٢٢ م و "إجابة علي الكنيسة الإنكليكانية" عام ١٩٢٤ م وأيضا أعمال "سعيد حليم باشا" "المؤسسات السياسية في المجتمع الإسلامي" عام ١٩٢١م ، والتكوين السياسي في الإسلام" ، ومن هنا يمكننا القول أن "محمد عاكف" كان أحد المصادر المهمة لنقل تأثير المدرسة الإصلاحية والتجديدية إلي المثقفين الأتراك المسلمين والتي لايزال لها حضور كبير عندهم حتي اليوم . وكما يذهب "فاروق بلبيسي" ، فإن "عاكف" تأثر بالجانب التربوي عند "محمد عبده" أكثر من تأثره بالطابع الراديكالي لجمال الدين الأفغاني رغم دفاعه عنه علي صفحات "سبيل الرشاد" وهو قال: "أنا أريد ثورة ولكن علي غرار محمد عبده وليس مثل قطاع الطرق الذين يريدون بواسطة سلاح غير حاد أن يتولوا الباب العالي ويعدموا الرجال ، فلينسحب كل أشقائك وانسحب أنت نفسك ، لا تبق في هذا المكان ، إني سر في طريق ضيق ، وإذا كانت هناك وسيلة فاذهب إلي أوربا غدا"[1].

---

(١) فاروق بلبيسي ، الثقافة السياسية للإسلاميين في مصر وتركيا ، [illegible] ، الإسلام والحداثة ، [illegible] ، ١٩٩٣ ، ص ١١٥ - ١٣٧ [illegible]

Yasin Aktay, Body, Text, Identity, The Islamist Discourse of Authenticity in Turkey, Op. cit., p. 149.

ثانيا: نجيب فاضل رائد المدرسة الإحيائية التركية:

يمثل نجيب فاضل الجيل الثاني من المثقفين الإسلاميين في تركيا والذين ولدوا بعد بداية القرن العشرين فهو ولد عام ١٩٠٥ م من أسرة عريقة تعرف باسم "ذو القادر" وهي من الأسر التي حكمت ... الوسطي وكان جده رئيساً لمحكمة الجنايات والاستئناف في عهد السلطان عبد الحميد وهو أمضي طفولته في قصر جده. وتعلم في مدارس مختلفة منها المدرسة الأمريكية في اسطنبول والمدرسة البحرية الثانوية، والتحق بجامعة اسطنبول قسم الفلسفة عام ١٩٢١ م ثم ابتعث إلي فرنسا فدرس الفلسفة في جامعة السوربون وعاش في باريس علي حد قوله حالة بوهيمية كاملة وعاد إلي تركيا دون أن يكمل دراسته واشتغل موظفاً في عدة مصارف مالية ثم عمل أستاذا للغة التركية في كونسرفتوار الدولة في أنقرة عام ١٩٣٨ م ثم مدرساً في كلية الفنون الجميلة في اسطنبول ثم معلماً في روبرت كولج ثم مدرساً في جامعة أنقرة. اتخذ نجيب فاضل من الكتابة مهنة يعيش منها ابتداء من العام ١٩٤٢ م ولكنه بدأ نظم الشعر عام ١٩٢٢ م، وبدأ كتابة القصة عام ١٩٣٢م وكتب المسرحية عام ١٩٣٥ م وفي أوئل عام ١٩٤٣ م أصدر مجلته " الشرق الكبير" وهي أطول المجلات عمرا في تركيا، وكانت تناقش قضايا الاجتماع والأدب والسياسة وصودرت مرات عديدة لمخالفاتها قوانين الصحافة والنشر.

عام ١٩٣٤ م هو العام الأهم في حياة نجيب فاضل وفكره ففيه التقي بالشيخ " عبد الحكيم الأروسي " وهو نقشبندي وجه حياة المفكر والأديب التركي الكبير من الحيرة إلي الإسلام وبدأ نجيب فاضل عهدا جديدا من الوعي والاعتراف بدور القيم في الحياة، وبتحوله إلي الفكر الإسلامي بدأ يلعب دوراً مهما في تاريخ تركيا السياسي والاجتماعي والثقافي. وهنا يمكننا القول أن " نجيب فاضل " استعاد وعيه الحقيقي وروحه عبر اكتشاف ذاته الحقيقية علي يد شيخ

من الطريقة النقشبندية وتحول ذلك المثقف الكبير إلي مريد للشيخ علي المستوي النفسي والروحي.

بدأت رحلة المفاصلة للواقع والحياة التي كان يعيشها إلي حياة جديدة ورؤية جديدة يتحول فيها المثقف إلي رائد لكشف الحقيقة للجمهور في مواجهة الدولة من ناحية والتيارات الفكرية الملتحقة بها من ناحية أخري، فهو من ذكر الأتراك بأن لهم تاريخ عميق يمتد في جذور الحضارة الإسلامية لما يزيد علي الألف عام، وكانت الأسطورة الكمالية تقول إن التاريخ بدأ مع الجمهورية، وهو من أعلن أن طريق النهضة وسؤالها الملغز والمحير ليس بالارتماء في أحضان الغرب الذي يعني الانسلاخ من التاريخ والحضارة والثقافة التركية وإنما بمراعاة القيم والعودة إلي الحضارة الإسلامية ونبذ التقليد بلا ضرورة ولا معني.

وقف متحديا جوقة الدولة الكاسحة وصوتها المرعب الذي لا صوت يعلو فوقه بكشفه عن حقيقة التاريخ العثماني وكيف أسهم في بناء الحضارة وأعاد الاعتبار للسلطان " عبد الحميد الثاني " والسلطان محمد وحيد الدين " بل وأعلن إدانته لفترة التنظيمات التي كانت محاولة عقيمة للالتحاق بالغرب ومفاهيمه وتقاليده ومن هنا كانت فكرته المهمة " الشرق الكبير " أي العالم الإسلامي الواسع بكل بلدانه وتاريخه وحضارته وقيمه التي لا تعرف الاستبعاد والعنصرية والغزو والاحتلال وله في ذلك كتاب مهم بعنوان " نسيج الفكرة ".

وأهمية " نجيب فاضل " كمثقف أنه هو الجسر الذي حفظ الاستمرارية لحضور الفكرة الإسلامية في المجتمع التركي ونقلها إلي الأجيال الجديدة من التيارات الإسلامية في تركيا، خاصة وأنه توفي عام ١٩٨٣ م. لنجيب فاضل مؤلفات عديدة في كل فنون الكتابة وتلاوينها من السيناريو والمذكرات والدراسات

والأبحاث في التاريخ والأدب والدين والتاريخ وله دفاعيات كتبها للدفاع عن نفسه في المحاكم التي وقف أمامها متهماً بمعارضة النظام العلماني ومن أهم كتبه وهي "الأطلال" عام ١٩٤٠ و "تبيع الفكر" عام ١٩٥٩ م و"مشاهد من تركيا" عام ١٩٦٦ م و"الاشتراكية والشيوعية والإنسانية"

و"نجيب فاضل" يعبر عن "التيار الثوري" في فكر الحركات الإسلامية التركية فهو أول من تكلم عن " الثورة الإسلامية " قبل إيران في الستينيات و له كتاب اسمه " الانقلاب ". وهو ينتقد المودودي وسيد قطب ويقول: إنهم جعلوا من الإسلام أيديولوجية وهو يري أن الإسلام له جانب تربوي وأخلاقي وله جانب دنيوي أيضا وهناك جماعة مهمة في تركيا تعرف باسم "جماعة إبداع" يقولون: إنهم تلامذة "نجيب فاضل" وهم يعملون علي تحويل الدولة من العلمانية إلي الدولة الشرعية أو الإسلامية ، ورغم كونهم صوفيون نقشبنديون لكنهم يهتمون بالدولة الإسلامية ويقدسونها أكثر مما ينبغي كأن الدولة هي الركن السادس في الإسلام ولهم مجلة يصدرونها باسم "يني نظام" أي النظام الجديد ، ولهم دار نشر اسمها "إبداع" وهم منتشرون في بعض المدن المختلفة في اسطنبول وبورصة وانقرة وفي مناطق الأكراد في شرق تركيا"[2].

وطورت حركات محلية إسلامية شبابية أفكارها الثورية من خلال مطالعتها لنجيب فاضل وهم ينسبون أنفسهم إليه منهم جماعة تسمي نفسها "بالثورية" ويصدرون مجلة اسمها AK Dogus:Islamci Militar Dergi[3].

---

(١) عن نجيب فاضل راجع: محمد حرب، الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية في تركيا المعاصرة، م س. ذ، ص ١٧ – ٣٢ وأيضاً: Yasin Aktay, Body, Text, Identity, Op. cit. ٢١٩ – ٢٢٥.

(٢) حوار للباحث مع عمر دوران في اسطنبول في شهر اكتوبر عام ٢٠٠٣ م.

(٣) عن منظمة "جبهة مقاتلي الشرق الكبير الإسلامي" والتي يرمز إليها في تركيا بـ IBDA ومعناها "جبهة مقاتلي الشرق الكبير الإسلامي المسلحة" ويرمز إليها بـ IBDA-C [illegible] الأعلى صالح

وهذه أول مرة في تركيا تستخدم تلك التسمية في نهاية الثمانينيات وهم لا يزيد عددهم عن الفين وتنسب إليهم بعض الأعمال العنيفة مثل وضع القنابل في البنوك وتفجير الخمارات والقيام ببعض المظاهرات المؤيدة لفلسطين والجزائر والبوسنة وشعارهم Barbarosa. un Izind Sunni Cezayir أي الجزائر السني على طريق "باربروس" وهم يرفضون الوهابية والشيعة ويكفرونهم حتى أنهم دخلوا في معارك مع مجموعات الإسلام الراديكالية الأخرى المتأثرة بالثورة الإيرانية وهم يرفضون السلفية ولا يحبون المودودي ويتوقفون في "سيد قطب" والنورسي "ومشايخ الصوفية" ولكنهم يهتمون كثيرا بأحمد بن بيللا.

ثالثا: سزائي قراقوج رائد المدرسة الحضارية:

أسس "سزائي قراقوج" جماعة أطلق عليها البعث أي "دلريش" Dirilis عام ١٩٦٠ م، وهو يقصد هنا بعث العالم الإسلامي من غفوته وتفرقه، وكما أوضح للباحث في حواره معه قال: "دلريش" **هي أعمق من مفهوم النهوض أو البعث إنما يمكن وصفها بالإحياء**. وهو منذ عام ١٩٦٠ يدعو لفكرة إحياء الوحدة بين الدول الإسلامية وخلق ما يصفه "**بالدولة الإسلامية العالمية**" أي التي تعبر عن العالم الإسلامي كله كما عبرت عنه "الدولة العباسية" والدولة العثمانية "عثمانلي دولتي"، وهو يرى أن الدولة الإسلامية العالمية هي السبيل لحماية العالم الإسلامي من الاكتساح الغربي له وأسس "سزائي قراقوج" دارا للنشر اسمها "دلريش" أيضا وأصدر **أكثر من ٥٥ كتابا عن هذه القضية**.

[illegible]

وهو يري أن الدولة الواحدة هي تعبير عن الاستجابة لأوامر الشريعة الإسلامية والحضور التاريخي لها لمدة أكثر من ١٣٠٠ سنة والتحدي المعاصر الذي يفرض علي العالم الإسلامي التوحد، وهو يري أن التمزق الذي تعبر عنه الدولة القومية الحالية هو حالة مصطنعة ويمكن تغييره وأن المثقفين والمفكرين هم الذين يمكنهم القيام بذلك. ويري أن الدولة الإسلامية هي تعبير عن الملة والأمة ويري أن الملة هي التعبير الظاهر عن الحضارة والامه ويفهمها علي أنها دينية " ملة إبراهيم ". والملة هي قماشة واسعة لكل المسلمين من ناحية ولغيرهم من ناحية أخري في سياق "الدولة الإسلامية العالمية الكبيرة الواحدة"[1].

ويري أن "العمق" في العمل السياسي هو الأهم من السطح، فالأحزاب السياسية التي تطفو علي السطح تذهب وتأتي ولكن العمق هو البنية التحتية التي تستند إليها، والبنية التحتية من وجهة نظره هي خلق رؤية وثقافة عامة عبر التربية لجيل من الشباب يؤمن بأهمية الدولة العالمية الإسلامية الواحدة التي تجعل الشاب يؤمن بأن وطنه هو كل العالم الإسلامي وليس مصر أو تركيا أو إيران.

ويقول كما كان عندنا في الحضارة الإسلامية " إحياء لعلوم الدين " في مواجهة النزعة الكلامية والفلسفية، فنحن بحاجة إلي " إحياء علوم المدنية وروح الحضارة الإسلامية " وهو يقول الحركات الإسلامية ركزت علي الإيمان والاعتقاد ونحن نركز علي المرتكز الحضاري.

---

(١) حوار مع الباحث بمكتبه في اسطنبول عام ٢٠٠٣ في شهر أكتوبر وراجع أيضا سعد عبد المجيد، سزائي قرا قوج يحلل وينتقد التجارب الإسلامية التركية. علي موقع إسلام أون لاين نت بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٩ وهو من مواليد عام ١٩٣٦، طبع من كتابه "الإحياء الإسلامي" ثمان طبعات وحوكم بسببه عام ١٩٦٧ م.

نحن نتحدث عن الإحياء الحضاري ، وهو يري أن الخط الإسلامي يكمل بعضه بعضا ، فسبيل الرشاد التي أصدرها مجموعة من العلماء عام ١٩٢٥ م توقفت في العهد الجمهوري وكانت تهدف للدفاع عن الإسلام ثم عادت للظهور مرة أخري عام ١٩٤٥ م . ثم ظهر "نجيب فاضل وحركة الشرق الكبير" ثم "ديريش حركتي" ، وكلها تصب في اتجاه واحد ، فمجموعة [illegible] الإيماني [illegible] حركة الشرق الكبير [illegible] على [illegible] الشريعة والوعظ وشرح مفهوم الإسلام .

وأسس حزبا سياسيا عام ١٩٩٠ اسمه "ديريليش" أيضا استمر لمدة سبع سنوات ثم أغلق ، و يري أن في تركيا خطين رئيسيين منذ عصر التنظيمات والمشروطية:

الخط الأول هو خط الاتحاديين والذي مثله في تركيا بعد ذلك الحزب الجمهوري فهو استمرار للخط الاتحادي .

وما أطلق عليه هو خط المخالفين ومثلهم الحزب الديموقراطي وحزب العدالة وحزب الوطن الأم وهو ما يطلق عليه الديموقراطية المحافظة ، فالدولة والعسكر يسمحون فقط بهذين الخطين أو الاتجاهين السياسين ، وهناك تياران آخران خارج ماهو مسموح به و هما التيار اليساري (الاشتراكي والشيوعي) والتيار الإسلامي . . وهذان التياران وفق وجهة نظره يتعرضان للإقصاء والغلق فتنشأ أحزاب ثم تغلق"[١] .

يفرق بين الأحزاب الإسلامية والأحزاب السياسية ، ويري أن الحزب الذي أنشأه باسم "ديريليش" هو حزب إسلامي بينما أحزاب "اربكان" هي

---

(١) حوار الباحث مع سزائي قراقوج بمكتبه في استنبول ، سبتمبر ٢٠٠٣ م

أحزاب سياسية لأن من انشأها وأسسها لم يكونوا جزءا معبرا عن الدعوة الإسلامية ولكن بوصفهم سياسيين.

ويري "سزائي قراقوج" أن حركة إنقاذ العالم الإسلامي التي بدأت في نهاية القرن الثامن عشر عندما بدأت الدولة العثمانية في الضعف فشلت لأنها استلهمت الأفكار الغربية في الوقت الذي سعي فيه الغرب لتفكيك العالم الإسلامي والدولة العثمانية، وهو يري أن حماية مقدرات العالم الإسلامي وموارده مرهونة بقيام تجمع إسلامي واحد يكون تعبيرا عن الإحياء الإسلامي، و يري أن التوجهات التي تمثلها الدولة القطرية عاجزة عن حماية العالم الإسلامي في مواجهة المطامع الغربية لأنها لم تفكر في المستقبل، وكان تفكيرها منصبا علي اللحظة الحاضرة، التفكير في الغد هو ما يمكن أن ينقذ العالم الإسلامي وهو مهمة الساسة والمثقفين معا. ويضيف أن المراهنة علي انضمام تركيا إلي الاتحاد الأوروبي هو نوع من الخيال وهو ليس أمرا جديدا، فرجال التنظيمات راهنوا علي الغرب والتوجه إليه ولكنهم فشلوا.

و يؤكد دائما علي أن الوضع القائم هو حدود مصطنعة بين الممالك والشعوب الإسلامية صنعها الأعداء، ومن عوامل إنقاذ العالم الإسلامي الوصول إلي قناعة بأن ماهو قائم ليس حقيقة، الحقيقة هي النظر لبلادنا وأوطاننا ومدننا علي أنها ملك لنا جميعا وأن الواقع مصنوع، وهو وهم التخلي عنه هو طريق الإنقاذ للعالم الإسلامي.

و يري أن الصراع القائم اليوم بين العالم الإسلامي وخصومه الغربيين هو صراع حضارات وحروب حضارية وهذه ليست قائمة اليوم ولكنها من الماضي، توينبي "أشار إلي أن الأوضاع القائمة في العالم الإسلامي هي نتيجة طبيعية لتمزق وانهيار الدولة العثمانية (فلسطين نموذجا) واليوم يتكلم "هنتنجتون" عن صراع الحضارات.. منطلقاته في هذا منطلق الاحتلال

والاستعمار ولكنه بالنسبة لنا إنقاذ ودفاع عن أنفسنا وليس بقصد الاستعمار والاحتلال ، ولكي ندافع عن أنفسنا لابد من وحدة إسلامية لأنها السبيل الوحيد للدفاع عن النفس والمواجهة وتركيا لا يمكنها أن تنقذ نفسها وحدها[1].

[illegible] "[illegible]" [illegible] وصاحب مدرسة [illegible] إسلامية متميزة فقد كان [illegible] في الفكر الإسلامي فأصدر كتابين منهجيين الأول بعنوان "انبعاث الإسلام من جديد" والتكوين الاقتصادي للمجتمع المسلم" عام ١٩٦٧م ، وصودر الكتابين وقدم للمحاكمة عام ١٩٧٢ وصدر عليه حكم بالأشغال الشاقة ولكنه عام ١٩٧٤ م صدر عفو عام أنقذه من السجن . وفي نهاية كتابه "اقتصاديات مجتمع الإسلام".

يقول "على الجيل البطل مخلص المجتمع الإسلامي من قبضة الرأسمالية الغربية والشيوعية أن يبدأ برنامجا إسلاميا ينفذه كالتالي "إزالة المؤسسات الاقتصادية الغربية العالقة بجسد المجتمعات الإسلامية كالقمل. ووضع القواعد التي تحرم الربا بكل أشكاله وجمع الزكاة كضريبة اجتماعية تحقق العدالة في التوزيع والاستفادة من المواد الخام بأحدث الطرق . . وتحقيق انفتاح اقتصادي بين الدول الإسلامية كافة عن طريق إقامة سوق إسلامية مشتركة حيث يتم تبادل العمالة والمواد الخام ، بيد أنه لتحقيق كل ذلك يجب أن يكون هناك مجتمع إسلامي به كل المقومات الإسلامية يرتكز على مبادئ تقر في القلوب بحيث نرى العامل مسلما والمثقف مسلما . والخلاصة أن يقبض كل ما عني إسلامه بيده"[2].

---

(١) نفس المرجع.

(٢) [illegible] ، القاهرة ، [illegible] ١٩٩٢ ، ص [illegible] ، [illegible] ، الأهرام ، [illegible] ١٩٩٣.

Yasin Aktay, Body, Text, Identity, op. cit, p. 225 - 234.

فنحن أمام مفكر وشاعر أصيل يعبر في وقت مبكر عن شمول الإسلام كمنهج وقدرته علي تنظيم أوضاع الحياة الاقتصادية عبر نظامه الاقتصادي المتميز والمستقل عن النظم الاقتصادية الأخري المطروحة علي العالم في ذلك الوقت وهما النظام الشيوعي والرأسمالي . كما أنه طرح النظام الاقتصادي الإسلامي كنظام فرعي داخل نظام كلي هو الإسلام لا يمكن النظر إليه معزولاً عن العقيدة والأخلاق والعبادات والنظرة الإسلامية للحياة .

المثقف التركي يعود إلي الإسلام كنظام للحياة وللدنيا والمعاش والاستخلاف وللإنسان وهو يريد أن يدحض ما يروجه النظام العلماني من عجز الإسلام كنظام للحياة الحديثة ، العودة للإسلام كانت وسيلة المثقف الإسلامي للاحتجاج علي النظام العلماني ورفضه للدولة الكمالية والأيديولوجية الفاشية التي كانت تعبيراً عنها .

ثالثاً : أحمد داوود أوغلو رائد المدرسة المؤسسية :

يعبر "أحمد داوود أوغلو" عن الجيل الثالث في الحركة الإسلامية التركية كما أوضحنا – وهو من مواليد مدينة "قونية" عام ١٩٥٩ م ويمكن وصفه بأنه رائد المؤسسية في أوساط المثقفين الإسلاميين الأتراك فهو هنا لا يعبر عما أطلق عليه "ياسين أقطاي" في رسالته المهمة للدكتوراة "دياسبورا"(١) المثقف

(١) تستخدم الدراسات الثقافية مفهوم "الدياسبورا" تعني المتحدثين باسم مواطنيهم الذين لم يبرحوا أرض الوطن ، ومن ثم لم يعد المفهوم يشير فقط إلي المهاجرين بعيداً عن أوطانهم وإنما المواطنين الذين احتلوا المواقع الخلفية وأصبحوا مهمشين ، ومن هنا فإن الدلالة التي يعنيها هنا مفهوم الاغتراب أو الشتات بالنسبة للمثقف التركي يعني تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ضد هويته وضد ثقافته بحيث أصبحت ثقافته مهمشة ووجوده نفسه ومن هنا شعوره بالاغتراب وهو داخل وطنه الذي لم يعد يعطيه معني الوطن وراجع في الموضوع: زيودين ساردار وبوورين فان لون ، الدراسات الثقافية ، ترجمة وفاء عبد القادر ، مراجعة وإشراف وتقديم إمام عبد الفتاح إمام م . س ، ذ ، ص ١٣٧ .

التركي" وإنما يعبر عن تجذر وجوده داخل مؤسسات الحكم وإدارة الدولة.

هذا الجيل الذي يمثله "أحمد داوود أوغلو" ليس هو جيل اغتراب المثقف التركي داخل وطنه بعد سقوط الخلافة الإسلامية ولكنه جيل جديد يتجاوز هذا الاغتراب.

وأحمد داوود أوغلو هو أول شخص من خارج النخبة العلمانية يخترق وزارة الخارجية التركية ليكون كبير مستشاري رئيس الوزراء ووزير الخارجية برتبة سفير وفي كتابه الأشهر "**العمق الاستراتيجي**" يتحدث داوود أوغلو" عن السياسة الخارجية التركية وكيفية تحول تركيا من دولة طرف أو هامش إلي مركز استنادا إلي ميراثها التاريخي والثقافي وموقعها الجيوبوليتيكي فهو يقول "بعد الحرب العالمية الثانية وجدت تركيا نفسها تميزان العولمة والإقليمية في شكل غير مؤهل من الناحية الاستراتيجية والنفسية وذلك عندما تأكد لها أنها غير مؤهلة حتى مع الوضع في الاعتبار تراكمها المعرفي والنفسي بالشكل الذي يؤهلها لعمل تكتيكي أو لوجيستي وهو الدور الذي تخلت عنه تركيا وهي تواجه مشكلات تتعلق بالأمن والسياسة الخارجية بشكل حاد في مناطق تقع خارج حدودها مثل البوسنة وأذربيجان، وهو ما وضع تركيا أمام حقيقة أنها مضطرة لإعادة تقويم مقاييس الثقافة والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والأمن والتحرك من خلال الموقف الذي كشف مرة أخرى عن مكانتها الدولية"[1]. ويضيف "يمكن لتركيا أن تكون ذات إمكانيات تشكل مجال نفوذ ذاتي وتقوية مكانتها الدولية في القرن القادم إذا ما استطاعت التجديد السياسي الداخلي الراسخ والمؤثر مستفيدة من إمكانياتها الجيوبوليتيكية والجيواقتصادية وميراثها التاريخي الغني وعن هذا الطريق فقط

---

(١) أحمد داوود [illegible] العمق [illegible] Stratejik Derinlik [illegible]
بالعربية [illegible] بدون بيانات نشر [illegible] ص ٧٩ - ١٠٠

يستمر لتوضيح منظوره الجديد للعلاقات الدولية بعد التغيرات الديناميكية التي شهدها النظام الدولي في السنوات الأخيرة، فقد ظلت تركيا في مظهرها الخارجي ثابتة تنأى عن التغيير سواء بالنسبة لمكانتها في العلاقات الدولية أو بنائها الداخلي. ورغم أنه يمكن القول أن كل الأحزاب السياسية سرعان ما أصبحت في حالة اختلافات حادة فإنها لم تعط خطوات تحقق تغييرات ثقافية وسياسية واقتصادية بالمعنى الحقيقي وانعدم الذي رسمته النخبة الحاكمة لتركيا لم يتلاءم مع المثالي والمتوقع المتعلق بحقيقة الدور الملائم للمجتمع التركي والموروث التاريخي، وصار المجتمع التركي في محاولة للتعرف من جديد علي ذاته وهذه المحاولة هي امتداد طبيعي لأزمة الهوية التي يعيشها، فقد أفلست سياسة فرض الهوية التي تنحاز لأوروبا والتي دأبت عليها النخبة السياسية منذ مايزيد علي نصف قرن.

ولم يكن هذا الإفلاس ذا جانب واحد فرغم كل الضمانات التي أعطتها النخبة ضد الهوية الإسلامية فإن أوروبا لم تنظر إلي المجتمع التركي بوصفه قطعة من أوروبا، كما أن الانتظار علي أبواب أوروبا لا يمكن أن يتلاءم مع المجتمع التركي الذي يشعر بشكل قوي بهويته التي تكونت من موروث تاريخي قوي هو صاحبه، وكان فرض الهوية المعمول به في السياسة الداخلية هو عبارة عن بيئة ضاغطة ترفض كل أنواع التعددية والخيارات، أما تأثير فرض الهوية علي السياسة الخارجية فقد تمثل في وجود سياسة خارجية ذات جانب واحد.. وتبدو تركيا الآن أكبر من أن تقوم بدور الجسر بين الشرق والغرب فحسب... أصبح المثار هو المصير الذي ينتظر أي مجتمع يرضي لنفسه أن يقوم بدور الجسر متجاوزين بذلك عن نفسية تثق في هويتها بقوة"[1]، أولئك حققوا

[1] عن علاقة الهوية بالسياسة الخارجية راجع: د. خاقان يافوز، الهوية التركية والسياسة الخارجية: صعود العثمانية الجديدة، مراصد، السنة الأولى، ع ١، شتاء ١٩٩٩، ص ١ حيث يرى أن الهوية

إنعاش المدنية التي فتحت أفق الإنسانية ، أما الدولة العثمانية فقد قدمت نظاما عالميا خاصا بها في مفهوم العلاقات الدولية ، وكونت مدنية جديدة بنظرية الإسلام الحاكم وبمفهوم يرى أن في التنوع ثراء وليس صراعا ، وذلك في منطقة هي أكثر المناطق في تاريخ المدنية الحديثة تتصف بالتنوع وعدم التجانس .

وفي موضع آخر [illegible] أوزال [illegible] عن علاقة الموروث التاريخي والثقافة السياسية لتركيا فيقول "أهم عامل تاريخي يفرق بين الثقافة السياسية لتركيا وغيرها من المجتمعات هو ذلك الموروث التاريخي فتركيا كانت مركزا لحضارة أسست نظام سياسي خاص بها في الماضي ، وقد جلبت الحضارة الجديدة جبهة ضد هذا المركز السياسي وجعلته يفقد علاقته بمرور الوقت ويؤثر على البنية السياسية . . . العنصر الأساسي الذي يفرق بين الثقافة السياسية التركية وبين المجتمعات الأخرى هو ذلك التوتر الموجود بين عناصر الاستمرار التاريخي الذي يهب من العصور السابقة ويستمر تأثيره في المجتمعات وبين الانكسار التاريخي الراديكالي الذي يعد الأساس الأيديولوجي للنظام السياسي ، ولا يوجد ذلك الانكسار التاريخي الذي يوجه النظام السياسي في أي مجتمع وبين المؤسسات والهوية التي تحقق الاستمرارية في البنية التحتية الثقافية المؤثرة في

هي أسس المصلحة القومية ، والعثمانية الجديدة التي [illegible] تورجوت أوزال [illegible] الإسلام في قلبها [illegible] . [illegible] أعتقد أن أقوى العوامل المحددة للهوية في هذا المجتمع هو الإسلام ، فالدين هو [illegible] وبدون الإسلام [illegible] الرابط القوي الذي يمكن من التعايش والتعاون بين مختلف الجماعات [illegible] ، فأن تكون تركيا في العهد العثماني السابق يعني أن تكون مسلما [illegible] ص ١٢ . [illegible] المثقفون الإسلاميون [illegible] من [illegible] الإسلامي [illegible] المذاهب والرموز الإسلامية في علاقة [illegible] الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ص ٢٢ . [illegible] [illegible] في [illegible] مختلف مستويات [illegible] مهم على [illegible] [illegible] ص ٢٩ .

المجتمع كما هو في تركيا فهي حالة الثورة الفرنسية والبلشفية والمجتمع الياباني الذي اعترته رغبة تجديد إلى حد الولع. لكنه في كل هذه الحالات لم يحدث ذلك الانكسار التاريخي الذي محا عناصر الاستمرارية مثلما حدث في السياسة العثمانية التركية[١].

المشكلة الأساسية التي تعيشها تركيا اليوم هي مشكلة الانسجام والتوافق بين الموروث والثقافة السياسية وبين النظام السياسي الذي تأسس على طلب الالتحاق بمحيط حضارة أخرى من قبل النخبة السياسية الحاكمة...".

ويرى أن الحضور التاريخي للموروث بدأ يعبر عن نفسه بقوة في تركيا في السنوات العشر الأخيرة من القرن الماضي بديناميه جديدة تتفق مع معطيات مابعد الحرب الباردة سواء على المستوى الخارجي أو الداخلي، فالعثمانية الجديدة كما عبر عنها "تورجوت أوزال"، والإسلامية كما عبر عنها "أربكان"، وفي مواجهتها اتجاه التغريب المتطرف العلماني، وفي الانتخابات التي جاءت بحزب العدالة والتنمية عام ٢٠٠٣ كان ذلك تعبيرا عن وعي الجماهير التركية بضرورة التصويت للاتجاه الذي يعبر عن الاستمرارية للموروث التاريخي الحضاري من ناحية وفي نفس الوقت يعبر عن توازن معين في العلاقات الدولية يعطي الاعتبار لعلاقات تركيا بمحيطها الشرق أوسطي والممتد لآسيا الوسطى والبلقان والذي يجعل منها دولة مركز صانع للسياسة الخارجية وليس مجرد تابع أو ملتحق بسياسات الدول العظمى.

(١) راجع أحمد داوود أوغلو، Stratejik Derinlik، م.س، د، ص ٨١ - ٨٢ وللمزيد من التفصيل حول الرؤية السياسية لداوود أوغلو راجع: أحمد داوود أوغلو، تركيا والديناميات الأساسية في الشرق الأوسط، فصلية شئون الأوسط، أكتوبر ٢٠٠٤، ع ١١٦، ص - ٦٥٣٣ والدراسة فصل من كتاب العمق الاستراتيجي: مكانة تركيا الدولية

وكما هو معلوم فإن "داوود أوغلو" يرفض مفهوم "الحزب الإسلامي" لأن الحزب بطبيعته هو هوية انقسامية وليست موحدة أما الإسلام فهو عنصر موحد أي قاسم مشترك ولا يجب تقليص دور الإسلام إلى مجرد التعبير عن مجموعة سياسية أو حزب سياسي لأننا سنجد مجموعات ستذهب لاحتكار الإسلام والحديث باسمه". ويرى "داوود أوغلو" أن الإحياء الإسلامي هو تعبير عن موجة إحياء عالمية تمتد في جميع أنحاء [illegible] وليس أمرا خاصا بالعالم الإسلامي وحده. ويتوقع أن هذا الإحياء سيستمر لأنه استجابة طبيعية للحداثة التي سادت في الخمسينيات والتي أدت إلى إبعاد الدين والأخلاق إلى الحياة السياسية، فهي رد فعل على رفض القيم الأخلاقية التي سادت العالم خلال مرحلة التنوير والتحديث.

ويرفض "داوود أوغلو" أن يكون هناك تصنيفات لمفاهيم من منظور غربي مثل "الإسلام الليبرالي" أو "الإسلام الراديكالي"، تطلق في العالم الإسلامي أما عندما يتعلق الأمر بمجتمعات أخرى مثل: المسيحية أو الهندوسية أو اليهودية، فلا نجد حديثا عن المسيحية الراديكالية أو المسيحية الليبرالية بل نجد الحديث عن "القيم الأخلاقية التي قد تكون محافظة أو راديكالية"[1].

وهو من أسس لفكرة "الديموقراطية المحافظة" والتي تعتمد على التكامل التدريجي بدون إخلال بالمؤسسات الاجتماعية الموجودة في البلاد والمحافظة هي سياسة الوفاق بين قوى المجتمع المختلفة، وهو يرى أن المجال الحاكم للتعامل مع الواقع هو تحقيق المقاصد بصرف النظر عن الأليات التي يمكنه

(1) عبد الوهاب [illegible]، [illegible] على الشبكة http://alwihdah.com/view.asp?cat=1&id=1315 [illegible] في الأهرام ويكلي مع أحمد داوود أوغلو نقلا عن [illegible] بتاريخ ٢١/١/٢٠٠٥.

تحقيق ذلك وهذه المقاصد هي الضروريات الخمس التي عبر عنها بحماية الحياة وحماية الفكر والدين والممتلكات وتحقيق العدل ويمكن لأي آلية أن تكون شرعية طالما حققت تلك المقاصد والقيم، وانطلاقاً من هذا يرى أن مسئولية المفكرين الإسلاميين هي تفسير وترجمة النظم السياسية وآليات عصر الحاضر ومحاولة تحقيق انسجام وتجانس جديد بين قيم المجتمع والآليات التي يمكن العثور عليها في الهياكل الثقافية، وهو بذلك يرى أن الإسلام والديموقراطية يلتقيان باعتبار أن الديموقراطية آلية لتحقيق القيم المقاصدية الإسلامية، وهو يرى أن هناك أربع آليات في الديموقراطية تلتقي مع القيم والمقاصد الإسلامية وهي:

- الشرعية العقلانية للسلطة السياسية.
- المشاركة السياسية كأحد سبل تكوين السلطة السياسية.
- المسئولية السياسية للقادة والمسئولين السياسيين.
- احتمال تغيير السلطة السياسية من خلال الانتخابات[١].

نحن إذن أمام نموذج واقعي للمفكر السياسي الذي يشارك في الحكم والسلطة واتخاذ القرارات السياسية لتغيير المجتمع نحو مايراه هو موازين تاريخية كونت الهوية التركية ومن ثم نحن أمام نمط لشكل جديد من المثقفين لا يعبرون عن الاغتراب أو "الدياسبورا" وإنما يعبرون عن الاختراق الذي ينقل المجتمع إلى توازنه النفسي بدون هزات كبيرة ومن هنا اعتبرنا "أحمد داوود أوغلو" تعبيراً عن المدرسة المؤسسية في الثقافة الإسلامية التركية وإذ

(١) عبد الوهاب المسيري، نفس المرجع، ولمزيد من المعلومات عن فكر أحمد داوود أوغلو راجع: فهمي هويدي، الشرق الأوسط ١/٤/٢٠٠٤م، ع ٩٢٣١، وأيضاً محمد [illegible]، معطف الاستراتيجية التركية الجديدة أحمد داوود أوغلو، تركيا من بلد طرف إلى بلد مركز، [illegible] ١٢/١/٢٠٠٤

كان الحزب الذي يمثله لا يصف نفسه بأنه حزب إسلامي تحت "أوغلو" هو تعبير عن المثقف التركي المسلم الذي يؤسس لاسترداد المجتمع التركي لتكامله واتزانه عبر ماهو قائم وفي حدود الممكن.

رابعا: عصمت أوزال والنظام الإسلامي المستقل:

"عصمت أوزال" الذي تعدى نفسه كمثقف مسلم وعمل على تجديد في الإسلام، وهو أديب وشاعر وفيلسوف ويطرحه دارسو الحركات الإسلامية في تركيا على أنه المناظر لسيد قطب في مصر بحيث يمكن المقارنة بينهما، وكان له تأثيره القوي ولا يزال على التيارات الإسلامية والفكرية في تركيا.

والسؤال الجوهري لدى "عصمت أوزال" هو كيف يمكن للمسلم أن يحقق وجوده كمسلم بعد سقوط الخلافة الإسلامية؟ وفي ظل نظم علمانية، فلم تكن الخلافة فقط مجرد تعبير عن الجسد السياسي لعالم الإسلام والمسلمين بل كانت هي التجسيد الحقيقي لوجود الأمة والشريعة ذاتها، بحيث أن غيابها يعني تغيير صفة العالم الذي يعيش فيه المسلم، فلم يعد العالم الذي يعيشه المسلم بعد سقوط الخلافة يمثل دارا للإسلام بل أصبح دارا للحرب. ومن هنا حالة "الدياسبورا" أي الاغتراب التي تم التعبير عنها في عالم ما بعد الخلافة، كما عبر عنه المثقفون الإسلاميون في تركيا.

ويتحدث "عصمت أوزال" عن الترابط القوي بين اختفاء دولة الخلافة وبين الحداثة والعلمنة التي أصابت عالم الإسلام وفصلت بين الثقافة الإسلامية وبين الساسة الإسلاميين حتى إن أولئك الذين يعملون لإحياء المجتمعات الإسلامية عبر إعادة تجسيد الوجود السياسي للمسلمين فإنهم لا يتحدثون عن عودة الخلافة مرة ثانية، ويبقى السؤال المركزي في فكر "عصمت أوزال" هو كيف يمكن للمسلم أن يتعامل مع عالمه بعد سقوط الخلافة؟

وإذا كان سيد قطب أعطي أهمية للنظرية علي الممارسة فإن "عصمت أوزال" تحدث عن صياغة الممارسة الإسلامية في الواقع العملي، وهو يري أن هناك نظاما عالميا مسيطرا وهذا النظام العالمي له حضوره القوي وتأثيره علي حياة المسلمين ونظمهم وعاداتهم، ومن ثم فهو يري أن مقاومة هذا النظام تفرض علي المسلمين أن يمتلكوا هم نظمهم الخاصة، وهو يري أن الجمهورية الكمالية ليست إلا استجابة لمطالب النظام العالمي وانها وظفت تركيا من أجل الموقع المحدد لها والمطلوب منها في النظام العالمي.

وفسر التحولات التي شهدتها تركيا نحو التعددية وظهور أحزاب وحكومات يمينية علي أنها مطالب الكمالية للبقاء والاستمرار، وقرأ ما قدمه "حزب الوطن الأم" بقيادة أوزال علي أنه إحياء للكمالية، بل إنه ذهب إلي أن حكومة "أربكان" ومشاركتها في النظام الجمهوري ليست تعبيراً عن مقاومة للإسلاميين بقدر ماهي استجابة للمطالب الكمالية، ومن ثم فهو يري استمرار المقاومة من جانب المسلمين وليس الاستيعاب داخل ماكينة النظام السياسي المرعبة، وهو يفسر تراجع التصويت لحزب الشعب الجمهوري باعتباره أدي مهمته التي تبدو "موضة قديمة" لم تعد "الدولة الكمالية" بحاجة إليها بعد أن تشربت مؤسساتها العلمانية ولم تعد بحاجة لحزب يدافع عنها.

كما أن النظام أصبحت لديه القدرة والخبرة علي أن يبقي مسيطراً بما في ذلك استيعاب أولئك الذين يقاومونه، ومن ثم فهو يري أن وجود نظام سياسي مستقل للإسلاميين في تركيا كتعبير عن هو يتهم هو نقطة فارقة في تفكيرهم في عالم ما بعد الخلافة. ذلك لأن المسلم في تركيا مواجه بدولة وبنظام سياسي ذات طبيعة غير شخصية ومن ثم فهو يتدخل في كل لحظة وفي كافة التفاصيل التي تخص الناس، كما أن كل الطرق التي جاءت من خارجه محاولة مقاومته تم السيطرة عليها وإجهاضها، ومن ثم "فعصمت أوزال" لديه

موقف متشاءم من النظام والدولة التركية وهو يدعو إلي ضرورة التسلح بقدرة لا متناهية من أجل التغلب علي نزعة التشاؤم هذه .

ويتساءل "أوزال" دائما عن كيف يمكن للمسلم أن يبقي متسلحا بنزعة المقاومة في مواجهة نظام شيطاني كهذا . إنه يري أن ذلك ممكن فقط برفض الاستيعاب والبقاء داخل هذا النظام ، النظام يمكن أن ينهزم فقط بعناصر من خارجه حتي لو لم تكن علي علم بمنطقه ، ومن ثم فإن الإسلاميين لن يمكنهم تحقيق أي انتصار علي النظام من الداخل"[1] .

هو لا يدعو إلي نظام سياسي بديل وإنما يدعو إلي تبني معتقدات تدين النظام وتدمغه بعدم الشرعية وذلك غير ممكن إلا عن طريق الإسلام الذي يمكنه أن يصف هذا النظام من خارجه بالكفر الذي لا يعني فقط الإلحاد وإنما يعني إخفاء ما هو ظاهر ، ومن ثم فإن بقاء الإسلام والتقاليد الإيمانية واضحة لاشية فيها لتصم النظام بأنه لا يعبر عن الإسلام هو أحد أهم أدوات المقاومة وفق "عصمت أوزال" ، إنه يدعو إلي الرفض علي مستوي العقل والشعور أو بالتعبير الإسلامي علي مستوي العقيدة والإيمان .

و يري أن السنة النبوية هي أحد المصادر المهمة لمقاومة النظام من خارجه عبر إحياء التقاليد الإيمانية في الممارسة اليومية للناس ، ومن ثم يمكن بناء جسد اجتماعي بل وهوية سياسية تستند إلي المصادر الإسلامية الصحيحة بعيداً عن التعصب لجنس أو قومية .

إنه يعود ليقول: إننا نعيش في دولة "الدياسبورا" تلك الدولة التي لا تحكم بالإسلام ولا تمكن الناس من ممارسة حياتهم وفق الشريعة ، إنها دولة

---

(١) عن عصمت أوزال ورؤاه الفكرية والفلسفية راجع

yasin Aktay- Body, Text, Identity, The Islamist Discource of Authenticty in Modern Turky, Op. cit, pp255 - 269.

ما بعد الخلافة ، ومن ثم فممارسة العادات والشعائر الإسلامية خارجيا وقبل ذلك كله الاحتفاظ بالعقيدة والإيمان المستندة إلى الإسلام الصحيح هي وسيلة المقاومة .

ولأوزال مواقف صارمة تجاه النخب المتغربة وهو يرى أن "في تركيا أمتين ولابد من توحيدهما" واحدة تلك التي تحكم والأخرى المحكومة وبينما الأولى تعبر عن النظام العالمي فإن الثانية تعبر عن الداخل ومهمة الفئة الحاكمة أن تبقي المحكومة تحت سيطرتها في سياق النظام الدولي .

وله مواقف حادة من العلمانية فحين تحدث البعض عن ضرورة عقد اجتماعي علماني للجميع ، قال "تركيا ضد الإسلاميين لأنها في حاجة لسماع صوت هذه الأمة منذ عام ١٩٤٥م، والآن تتحدثون عن حوار بين الإسلاميين والعلمانيين ، هؤلاء الذين قاتلتهم هم أنفسهم الذين يحاولون استعادة حقوقهم الأساسية منذ عام ١٩٤٥ م ، تلك الحقوق التي اغتصبت من قبل المجموعة التي رفعت شعار تحديث تركيا بإسقاط الخلافة وتأسيس الجمهورية .

والآن تحت شعار العقد الاجتماعي تريد استعادة المواقع التي حققها الإسلاميون منذ عام ١٩٤٥م ، والتي أسقطت فترة الحزب الواحد ، قبل الحديث عن عقد اجتماعي علماني علينا الحديث أولا عن الانتهاكات التي تعرض لها الإسلاميون وعلى الجميع أن يتساءل ماذا حدث؟ نحن لم نثأر بعد لأنفسنا" ، وهو يجادل حول أن العلمانية أخضعت المسلمين تحت سيطرتها باسم سيادة الدولة القومية ، ثم هي تأتي اليوم لتتحدث عن التوفيق والتصالح ، إن ذلك معناه مكافأة المخطئ ، ويتساءل هل ناضل أحد من الناس من أجل العلمانية أم أنها فرضت عليهم قسرا من جانب السلطة ، إننا هنا في تركيا نبدو وكأن شخصا سرقت نقوده ثم اعترف من سرق بالسرقة ، فهل تتوقع من الشخص

الذي سرقت نقوده أن يقول حسنا سوف أشارك في الأموال المسروقة بمجرد المشاركة فقط. إن الشخص الذي له الحق في استعادة هذه الأموال هو مالكها الأصلي والحقيقي"[1].

وتطرقت مؤلفاته وكتاباته المتعددة والواسعة الانتشار في تركيا للحديث حول قضايا ذات طابع فلسفي مثل العلاقة بين الحضارة والاغتراب والتكنولوجيا والتي تدعو إلي مقاومة مفاهيمها - كما تطرحها الحضارة الغربية - عن طريق التمسك بالطريقة الإسلامية في الفهم والتفكير، وهو يري أن هذه المفاهيم الثلاثة هي تعبير عن System في ذاتها ولكي يمكننا كمسلمين التفكير وفق الطريقة الإسلامية الصحيحة فإنه لا بد من مواجهة هذه المفاهيم الثلاثة وتحديد موقفنا كمسلمين منها.

ويري أن التكنولوجيا تنحو بالإنسان المعاصر بعيدا عن المفهوم الحقيقي للإنسانية فيما يطلق عليه مفهوم الاغتراب Alienation والذي يمثل أحد المفاهيم الرئيسية في العلوم الاجتماعية الغربية وهو يعبر عن اكتفاء الذات واستقلاليتها ومن ثم فمواجهتها لمحنة أو حادثة تنزع منها صفتها الإنسانية بقدراتها الطبيعية، ويتبني "أوزال" الرؤية الإسلامية للإنسان والتي تدعو إلي فكرة الاستعلاء علي الجانب المادي في الإنسان وقيود الطبيعة والظروف التي يوجد بها عن طريق علاقتها الروحية والعقدية مع الله سبحانه وتعالي، فالاغتراب في مفهوم "أوزال" هو رحلة للهروب من الظروف الطبيعية المسيطرة، وابتلاء الإنسان كخليفة لله هو عين مايحقق له صفته الإنسانية لأنه ورث عن الله شيئا غير الطبيعة المادية له، ووفقا له فإن الكلمة العربية التي تعني الإنسان مشتقة من التزامل والمرافقة والاجتماعية والجمال والصداقة واللطف، ومن

(1) Ibid. 269 - 272

بين كل المخلوقات فإن الإنسان وحده هو خليفة الله ، فالاغتراب الذي يعني أخذ الإسلام بقوة يكون أمرا مرغوبا فيه وليس شيئا سيئا ، هو يؤكد على المفهوم الإسلامي للإنسان والذي يعني عنده دائما الوعي بعدم التصالح مع الكفر او التهادن معه والاعتقاد أن وعد الله حق وأنه لا محالة قادم"[1].

"عصمت أوزال" تسيطر عليه فكرة النظام System والتي تعني تعبيرات ثلاث هي النظام العالمي ، الحضارة العالمية ، النظام الداخلي وهو يرى أن المقاومة هي الوسيلة الوحيدة لهذه المستويات الثلاث عن طريق إحياء العقيدة الإسلامية والإيمان بالله وتصديق وعده وإحياء الممارسات الإسلامية التشريعية والتعبدية في الحياة العملية للمسلم والوعي الدائم بخطورة الكفر وعدم التهادن أو التصالح معه ، ومن ثم فهو يقول بضرورة استقلال المسلمين بنظام خاص لهم لكي يمكنهم مقاومة النظام المسيطر عليهم بمستوياته الثلاث ، ومن ثم تمثل فكرة "الدياسبورا" تعبيراً عن عقيدة لديه تقول إن الحق ومنهج الأنبياء والرسل لا بد من انتصاره في النهاية"[2].

خامسا: مثقفون وتيارات إسلامية أخرى:

هناك مثقفون إسلاميون من تيارات مختلفة فكرية وثقافية في تركيا وهم تأثيرهم في الواقع الاجتماعي والثقافي تركيا وأهم هذه التيارات وهؤلاء المثقفون:

١ - اليسار الإسلامي.. التيار العقلاني:

هم متأثرون بفكر حسن حنفي في مصر وفكر فضل الرحمن في باكستان ويطلقون على أنفسهم "اليسار الإسلامي ، ومعظمهم أساتذة في كلية الإلهيات

---

(1) Ibid. pp273 - 277.
(2) Ibid. pp277 - 279.

بأنقرة ويصدرون مجلة "إسلاميات" وللتعرف علي أفكار هذا الاتجاه برصد الموضوعات والقضايا التي تعرضت لها هذه المجلة . من هذه القضايا "الإسلام والديموقراطية" و "التصوف والصوفية " و "العثمانيون والدولة العثمانية" بمناسبة مرور ٧٠٠ سنة علي تأسيسها . قضايا المرأة . الاستغلال الديني أو استغلال الدين" عدد خاص عن "عيسي عليه السلام" بمناسبة مرور ٢٠٠٠ سنة علي ميلاده . [illegible] المدارس الدينية [illegible] [illegible] . قضية الحجاب ". مشكلة علمانية التعليم الدينية وأثرها علي الفكر الإسلامي . الخطابات الدينية في تركيا . التدين والتشدد والعنف . التفسير اليساري للإسلام . التبشير والحوار . المظاهر الدينية في تركيا . السياسة والأخلاق . العولمة والدين . العلويون في تركيا وأصول اعتقاداتهم . الشريعة مفهوماً وتاريخاً وتطبيقاً ". قضايا العلوم الإسلامية وفيها تحدثوا عن القرآن والتاريخ ، والتجربة الأندلسية ، والإسلام والثقافة اليونانية ، والإسلام والحداثة ، وموضوعات أخري تتعلق بقضايا العلوم الإسلامية معرفيا ومنهجيا مثل مشكلات حول فهم القرآن وحول ثبوت وفهم الرواية الحديثية وغير ذلك من القضايا التي تتعلق بمستقبل الإسلام والفكر الإسلامي"[1] .

وفي حوارنا مع الدكتور "محمد خيري" سألناه عن المعيار الذي يميزون به بين ماهو تقليدي وتجديدي قال: عدم الاكتفاء بالحلول القديمة والأخذ بالعلوم العصرية للضرورة ، وهو يري أنهم يمثلون تياراً تجديدياً الهدف منه هو الأمة كلها وليست الدولة القطرية ومحاولة مواجهة التحديات الغربية والسعي لبناء نظام معرفي جديد بتفسير جديد ومناهج جديدة لمواجهة المشاكل التي تواجه

(١) حصلت علي هذه الموضوعات والقضايا من الدكتور محمد خيري [illegible] في حوار معه بأنقرة في إبريل ٢٠٠٣ وعلي [illegible]
[illegible]
www. islamdaily. net/AR/Contents.aspx?AID=2093.

العالم الإسلامي.

وهو يقول: إنهم متأثرون بأمين الخولي في قضايا المنهج وبسيد قطب في التفسير وبحسن حنفي وفضل الرحمن في الفلسفة والفكر، وعن نفسه ذكر أنه تأثر بموجة الترجمة للفكر الإسلامي من خارج تركيا من مصر وباكستان وإيران والتي قامت بها الحركة الإسلامية في تركيا، ويعتقد أن إنتاج الفكر الإسلامي الجديد والأصيل لا يكون إلا بخلق جو يعتمد على النقد الذاتي ونقد الغرب، ومعرفة العلوم الإسلامية وحدها لا تكفي بل لا بد من معرفة التقنيات الجديدة وبناء صيغة جديدة للعلوم الاجتماعية.

وقال هم بدأوا قبل عشرين سنة أصدروا مجلة جديدة اسمها "مجلة الدراسات الإسلامية" بتمويل من وقف إسلامي في أنقرة اسمه "وقف التعاون الاقتصادي والثقافي التركي" يموله أطباء متدينون واستمر ذلك لمدة عشر سنوات وتركنا هذا الوقف لأسباب إدارية ومنذ ٨ سنوات نصدر مجلة "إسلاميات" وجميع الأساتذة من كلية الإلهيات بجامعة أنقره ويقودهم رئيس القسم "محمد سعيد خطيب اوغلو" وتلقي المجلة اهتماما في الأوساط العلمية والأكاديمية في تركيا وتصدر أعدادا عن العالم الإسلامي ومشاكله وقضاياه من المغرب الي أندونسيا وتستفيد من إسهامات المفكرين في هذه البلدان وتحاول إقامة علاقات معهم علي المستوي الرسمي وغير الرسمي وهم بصدد تأسيس دار للنشر باسم "إسلاميات"، لترسيخ هذه الأفكار والدعوة إليها، والمجلة لا تمثل أي تيار سياسي ولكنها تتبنى المعايير العلمية المحكمة.

وهم يقبلون العلمانية علي مستوي الإدارة بمفهوم الحياد تجاه الدين وينادون بمجتمع إسلامي وهم يرفضون تبني الدولة لمذهب معين كما في إيران ويرون أن النموذج الماليزي هو الأقرب لتوجهاتهم، وهو يقولون بالديموقراطية ولكن عبر إشمامها بالمبادئ الإسلامية، فالديموقراطية لا

تختلف عن الاستبداد في أيدي الظلمة، وهم يدافعون عن إعطاء حقوق واسعة للمرأة بما في ذلك العمل كقاضية وحتى كرئيسة للدولة فلا يجب منعها من المشاركة في المجتمع بشكل كامل باسم الإسلام، وهم يتبعون أهل الرأي في الفقه الإسلامي ويقدرون أفكار المعتزلة ويتحفظون على العديد من أفكار الإسلاميين في تركيا باعتبارها أفكارا تقليدية من وجهة نظرهم كما في حالة موقفهم مثلا من حزب الرفاه فهم يعارضونه في كثير من أطروحاته، ويرون المعارضة السياسية السلمية ولكنهم لا يتبنون العنف لأنه يقود إلى الفتن، وهم يتحفظون على دور رئاسة الشئون الدينية التركية الذي يقتصر على إدارة المساجد وتنظيم رحلات الحج والإفتاء على مستوى الأقضية والبلدان ونشر بعض الكتب الإسلامية ويطالبون باستقلالها عن الدولة وتوسيع اهتمامها بقضايا المجتمع، وهم لا يرون النص في الدستور على أن يكون الإسلام هو دين الدولة ولكن أن يكون الإسلام قويا وحيا"[1].

وأفادتنا مصادر مستقلة أن أحد أهم أعمدة هذا التيار "يشار نوري أستورك" وهو عميد كلية الإلهيات في جامعة اسطنبول وكان عضوا في البرلمان وممثلا لحزب الشعب الجمهوري ويؤمن بمفهوم الإسلام التركي المعادي للعرب والعربية بما في ذلك الدعوة لقراءة القرآن بغير العربية في الصلاة وله كتاب اسمه "البناء الجديد للإسلام Yeni Dan Yapilanma" وكتاب آخر اسمه "الإسلام القرآني Quran Islami" وهو يكتب يوميا في جريدة "ستار" ويرفض الإسلاميين التراثيين ويتهمهم باستغلال الدين ويزعم أنه يفهم الإسلام الحقيقي والآخرون يستغلونه، وهم يرفضون السنة ويتحدثون عن

---

(١) [illegible] ٢٠٠٥

تاريخية القرآن وهم يرفضون الحجاب ، وهناك أحد ممثليهم "متين أوزمر" يرفض عذاب القبر ، ويجددون منهجية علم الحديث ويرون أن تأثير الفهم السياسي للحركة الإسلامية علي تركيا يتراجع بسبب التطور الفكري للحركة الإسلامية وتأثير مفكرين ليبراليين غربيين علي الحركة الإسلامية من أمثال "نعوم تشومسكي"(1).

ومن الواضح أن التيار العقلاني الذي تمثله مجلة "إسلاميات" كغيره من التيارات العقلانية الموجودة في العالم الإسلامي لا يحظي بقبول شعبي وتأثيره يكون في نطاق النخبة الفكرية ، لكنها بشكل عام تثير حراكاً وجدلاً بين التيارات المهتمة بالفكر الإسلامي في المجتمع ، ويظني أن مفكريها يتأثرون بانتشار الإسلام الكاسح في أوساط المجتمع وهو مايجعلهم أكثر اقترابا من فهم التيارات الرئيسية للإسلام .

٢ - اتجاه الموسوعة الإسلامية :

من التيارات الأكاديمية المهمة التي لها تأثير قوي علي أجيال الطلاب والشباب في تركيا مايطلقون عليه في تركيا "اتجاه الموسوعة الإسلامية التركية" ISAM وهذه الموسوعة هي هيئة مستقلة وإن كان الذي ينفق عليها وقف تابع لرئاسة شئون الديانة ولها مبني كبير وباحثون يعملون في مختلف التخصصات الإسلامية مثل الفقه والتاريخ والشريعة وعلاقة الإسلام بالغرب وهم - أي الباحثون - يمثلون مركز الأبحاث وهيئة التحرير التي تخدم الموسوعة ، ومعظمهم تم ابتعاثه للغرب لدراسة قضايا تتعلق بالإسلام .

بلغ عدد المجلدات التي أنجزتها الموسوعة عشرين مجلدا ضخما لكتاب من مركز أبحاث الموسوعة وكتاب آخرين متخصصين من العالم الإسلامي

(1) حوار الباحث مع عمر توقات باسطنبول في أكتوبر عام ٢٠٠٣ م

وتتميز مادة تحريرها بالحياد والعلمية وأهم من يمثل تيار باحثي الموسوعة "رجب شانتورك" وهو حصل على رسالته للماجستير في "التحديث وعلم الاجتماع في العالم الإسلامي بحث مقارن بين تركيا ومصر" İslam Dünyasında Modernleşme ve Toplumbilim ودراسته عن الدكتوراه بعنوان "تشريح شبكة رواة الحديث من ٦١٠ - ١٥٠٥ م. من البعثة وحتى وفاة السيوطي وهي باللغة الإنجليزية Narrative Social Structure: Anatomy of Hadeath Transmission Network CE 610 - 1505

وكما أوضح لنا "رجب شانتورك" قال "ادعائي أنه كان عند المسلمين واسطة فكرية علمية لحل المشاكل الاجتماعية وإيضاحها قبل وصول العلوم الاجتماعية الغربية وهذه الواسطة هي الفقه الإسلامي بمعناه العام. هم كانوا يوضحون المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وينتجون حلولها من وجهة النظر الفقهية واستمر ذلك حتى عام ١٨٣٩ م حيث حدث صراع بين الفقه الإسلامي وهو النموذج القديم وبين العلوم الغربية فكلاهما له منطق ورؤية مختلفة"(١).

في البداية المفكرون العثمانيون حاولوا التوفيق بينهما وأول عالم اجتماع تركي "ضيا جوكالب" حاول تأسيس علم اجتماع من منظور أصول الفقه "أصول الفقه الاجتماعي"، وحاول تأليف أفكار "دوركهايم" بأفكار الفقهاء لإيضاح وحل المشاكل الاجتماعية، وقال بتعاون الفقهاء وعلماء الاجتماع في حل المشاكل"(٢)، بحيث يقوم علماء الاجتماع بدارسة الحالات ويجمعوا

(١) حوار الباحث مع رجب شانتورك في مبنى الموسوعة الإسلامية [illegible] في أكتوبر ٢٠٠٣ [illegible]
[illegible]
(٢) علي [illegible]، علم الاجتماع [illegible]
الاجتماع في تركيا، قصة البحث عن هوية جديدة، مجلة الاجتماعية [illegible] ٢٠٠٩ [illegible]
[illegible] ص ٦٧ - ٩٥

المعطيات ويقدمون للفقهاء ليخرجوا الأحكام الفقهية بناء عليها.

عارض " سعيد حليم باشا " الذي كان يدعو إلى تجديد الفقه الإسلامي حتى يغنينا عن العلوم الاجتماعية الغربية وتحديد مجال العلوم الطبيعية في العالم، فالغرب عليه أن نأخذ منه العلوم الاجتماعية والأخلاقية لأن درجة تطورها عندنا تشبه تطور العلوم الطبيعية عنده، بينما تختلف العلوم الطبيعية عندنا يعكس مثيلتها بينما العلوم الإنسانية والأخلاقية في الغرب، هو رفض فكرة التأليف والتوفيق بين العلوم الاجتماعية الغربية والفقه الإسلامي[1] وهذه هي فكرة الصراع الجوهرية والأساسية في تركيا.

علم الاجتماع الغربي ← صراع الفقه

النظام الاجتماعي كالأسرة والعلاقات الشخصية، والاقتصادي كالخراج والزكاة ونظام الملة والسياسة مع العالم الخارجي كل هذا كان مصدره الفقه وأصوله ومبادئ الاستصحاب والمصالح المرسلة وغيرهما وتلك كانت مسئولية العلماء، وهذا النقاش انتهى عام ١٩٢٠ مع انتهاء الدولة العثمانية وكان من يقول بكفاية علوم الإسلام لتنظيم أوضاع المجتمع لديهم مجلة اسمها " إسلام مجموعة سي"، وبعد الجمهورية توقف هذا النقاش الفكري لأن هناك دولة جديدة سياستها الرسمية التغريب فلا حاجة للنقاش.

كان التركيز على تطبيق سياسة الغرب ولم يكن هناك مجال للنقاش الفكري، كان هناك أمل في العلوم الاجتماعية الغربية وإيمان قوي بالحل

(١) عن سعيد حليم باشا يمكن الرجوع إلى موقع الوراق بعنوان أعلام معاصرون: سعيد حليم باشا
www.alwaraq.com/core/dg/rar-indetail?id=750.
وعن جهوده التجديدية راجع: محمد رشيد رضا، سعيد حليم باشا، المنار، المجلد ٢٣، الجزء ٢، فبراير ١٩٢٢، جمادى الآخرة ١٣٤٠، وذكره محمد إقبال في تجديد الفكر الديني كأحد رواد الإصلاح

العلمي Scientism ، فحتى هو العلوم الغربية الوضعية ، بها سنحل كل مشاكل تركيا ونتخلص من التخلف ونلحق بركب تقدم مثل الأمم الغربية .

لكن هذا لم يحصل ومرور الزمن عمل ضد تلك الفكرة وبدأ الناس يتساءلون أين الحل العلمي والعلماني الغربي وبدأ تشك في الخطاب الرسمي وهذا ما فتح الباب واسعا للبديل ومن هنا ظهر " علم الاجتماع التركي " الذي يقول: إن تركيا لها ظروف مختلفة عن ظروف المجتمعات الغربية ويجب أن يكون لدينا علم اجتماع خاص بتركيا وفي الثمانينيات ظهر علم الاجتماع الإسلامي الذي يقول إن المجتمعات الإسلامية الغربية لها ظروف خاصة ومختلفة عن المجتمعات الغربية ويجب أن يكون لنا علم اجتماع خاص كمسلمين وليس كأتراك"[1] .

ورجب شانتورك " لا يوافق على أي من الاتجاهين ، لا العلوم الغربية ولا القومية التركية ولا الإسلام السياسي تصلح كإطار مرجعي وهو يستخدم مصطلح " الآدمية " أي البشر جميعا وأخذ المصطلح من الفقه الحنفي ويعتبر مرجعيته هي " العالمية " أي العالمين. الناس جميعا ، فالعلماء العثمانيين والقدامى كان عندهم إطار مرجعي عالمي اهتموا فيه بمشاكل البشر جميعا ، فأبو حنيفة دافع عن حقوق الآدميين وتكلم عن " العصمة الآدمية " فمن له صفة الآدمية له حقوق حفظ الضرورات الخمس من الدم والمال والنسل والعقل والدين"[2] والعصمة بالإيمان أو الأمان ، وهو يرى أن [illegible]

(1) [illegible]

(2) [illegible]

الإسلامي اليوم انقطع مع فكر العلماء القدامي فأصبح يهتم بمشاكله الخاصة ويقدم المسلمين على أنهم ضد باقي البشر .

نحن نأتي من تقاليد امبراطورية .. **طبيعتها القدرة علي التوليف بين الأضداد** هم عاشوا قدر قدرتهم علي **التوليف بين الأضداد في العناصر والأفكار** والمعتقدات والأعراق والأجناس والطبقات والمذاهب والمشارب المختلفة . وحين فشلوا في هذا انتهت الامبراطورية ، لم يستطيعوا الحفاظ علي سوية متماثلة لجميع العناصر الموجودة في الامبراطورية ، أهم ميزة في الفكر التركي هو التوليف بين الجديد والقديم بين الإسلام والغرب وهذه تسمي " استراتيجية البقاء " وهذا ماجعل حزب العدالة والتنمية تعبيراً عن روح الشعب التركي ، ولهذا تجد الحركات الإسلامية عندنا لم يكن لديها صراع مسلح مع الدولة أو انقطاع مع المجتمع .

ولذا العلمانية التركية هي علمانية لا تعبر عن تقاليد المجتمع التركية لأنها إقصائية ففي قضية الحجاب أكثر من ٧٠٪ يطالبون بحق المحجبات في ارتداء الحجاب ، وهو يري أن **المستقبل في تركيا لمن يكون لديه القدرة علي عمل أوسع ائتلاف بين طبقات الشعب وفئاته وتياراته وقواه الاجتماعية المختلفة** وكما في العلوم السياسية Big Leaders are Big Collection Builders ، وكثير من الناس لا يفهمون كيف يدخل هؤلاء الاتحاد الأوربي وهم مسلمون ، هؤلاء لا يفهمون الطابع التوليفي والموروث التوفيقي الذي عبرت عنه الدولة العثمانية . وهو يري أن الخطاب العثماني لم يكن فيه كلمة " غرب " فهي جديدة والخطاب الإسلامي التقليدي لم يكن ضد جغرافيا أو قوم ولكنه كان ضد الجاهلية والكفر .

بفرض له حقوقاً هي فكرة جديدة ومهمة رغم أن أبا حنيفة هو الذي وضعها والعثمانيون هم من مارسوها .

وهو يرى أن التراث مهم في فهم الحاضر ولابد من التواصل بينه وبين المعاصرة. فلا يمكن بناء نظرة جديدة أو دين جديد أو حقوق جديدة منفصلة عن البناء الاجتماعي الموروث وعلى سبيل المثال لا يمكننا فهم القرآن بدون التراث. فالفقه يكون واسطة بينك وبين القرآن. الأخذ المباشر من القرآن يكون هناك فجوة [illegible] المجتمع [illegible] في [illegible] والثقافة [illegible] هناك [illegible] يأتي أحد ويقول الآية تقول كذا والقرآن يقول كذا والحديث يقول كذا. قول لهم: كيف كان فهم وتطبيق المسلمين عبر القرون لهذه الآيات والأحاديث. أنت لست الأول الذي تقرأ هذه الآيات، ملايين المسلمين قرأوا وطبقوا.. هذا هو المنظور الاجتماعي والتاريخي المأخوذ من أصول الفقه"[1]

ويبدو أن التوليف كما قدمه لا يعني الاعتساف فعنده لا يجوز الأخذ من أصول الفقه بعض الأدلة التي توافق غرضنا وترك الأدلة الأخرى وفق مقتضيات العصر الحديث. فتركيز المحدثين على فكرة المصلحة بغض النظر عن الأدلة الأخرى لأنهم تصوروا أن ذلك يسهل لهم تغيير الفقه الإسلامي وتحديث المجتمع لكن أحداً لم يثق فيهم ولم يتبعهم فهذا تركيز منحيز على جزء واحد من نظام شامل، وهو مايقود إلى تشوش واضطراب فكري وهذا لا ينتج أصالة، الأصالة تأتي من استعمال نظام وتطبيق قواعد من خلال آليات تفاعل داخلية بين عناصر النظام نفسه لكنه لو تشوش فهذا لا

---

(١) هنا [illegible] يبدو تقليدياً ولكنه كباحث في علم الاجتماع يرى أن التواصل مع خبرة من سبق [illegible] هي السبيل الوحيد للتعامل مع الواقع والعصر الجديد. وأحد [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] ٢٠٠٦، ط١

ينتج فكراً أصيلا"[1].

هذه هي أهم التيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا وهذه التيارات بتنوعها وتشعبها وطيدة الصلة بالأحزاب السياسية فهي تبدو وكأنها القاعدة الاجتماعية لها، وفي الحالة الإسلامية فإن هذه التيارات تمثل تعبيرات متنوعة عن الوجه الإسلامي في تركيا وهي عادة ما تقف في الانتخابات مع الأحزاب الإسلامية والتي تقف مدافعة عن مطالبها، ومن هذه التيارات تجد الأحزاب الإسلامية مناصرين لها لا يقلون في العادة عن ٢٠٪ من المصوتين في الانتخابات المحلية أو العامة ومن هنا كان التعرض لها بالشرح وثيق الصلة بالفصل التالي وهو "الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه".

❊ ❊ ❊

---

(١) المصلحة كدليل معتبر في الشرع وهي المعروفة بالمصلحة المرسلة وهي تلك التي تتوافق مع أدلة النظام الفقهي الأصولي ولا تعمل ضده.

هذا الفصل يتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإسلام وحزب الشعب الجمهوري (١٩٢٢ - ١٩٤٦م)

المبحث الثاني: الإسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية الحزبية (١٩٤٦ - ١٩٦٠م)

المبحث الثالث: الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا بعد الانقلاب الأول (١٩٦٠ - ١٩٧٠م).

المبحث الرابع: أحزاب الملي جوروش والحياة السياسية في تركيا (١٩٧٠ - ١٩٨٠م).

خبرة الأحزاب الإسلامية التي عبرت عن "الملي جوروش" مثلت مذاقاً جديدا فهي أكثر من كونها حزبا محافظاً؛ لأنها تحمل مشروعا يتواصل مع المرجعية الإسلامية بشكل واضح لا لبس فيه، وهي تعادي الكمالية والعلمانية وتسعي لتغيير قيم المجتمع ومؤسساته لتعبر عن مفاهيمها النهضوية التي تختلط فيها القومية بالإسلام لكن المرجعية الإسلامية لها تبقي هي الأعلي.

قواعد اللعبة السياسية والنظام الحزبي في تركيا كما عبر "سزائي قراقوج" لم يصمم ليتسع للأحزاب الإسلامية ومن هنا كان الرفض لها وإرغام "أربكان" وأحزابه كل مرة علي الخروج من العملية السياسية، ربما يكون فهم الجيل الثاني من الإسلاميين الجدد لطبيعة النظام الحزبي التركي هو الذي دفعهم لتبني أيديولجية "الديموقراطية المحافظة" ليكونوا تعبيراً عن الاستمرارية المتوافقة مع النظام الحزبي التركي.

يقول "محمد ياشار" في كتابه الهام "الأحزاب السياسية في تركيا.. دور الإسلام" في بلد مثل تركيا لا يسمح الدستور وقانون العقوبات بأي خروج أو انحراف عن العلمانية، ولا يمكن للمرء أن يتوقع رؤية تصريحات دينية مكشوفة وصريحة لقادة الأحزاب أو في برامجها، إنما يجب علي المرء محاولة اكتشاف أي دلالات ضمنية يمكن أن تقودنا إلي تأكيد أكبر علي الدين، فقد يلجأ بعض السياسيين أحيانا أثناء خطبهم السياسية، ولأنهم يشعرون أنهم مقيدون بقوانين تمنعهم من استخدام الدين أو توظيفه في أغراض سياسية يلجأون إلي التلميح عما يريدون قوله وكأنما يقولون لجمهورهم: "انظروا في عيني وأنتم سوف تفهمون ما أعنيه" وهذا يعني أن السياسيين لا يستطيعون التحدث بحرية أكثر من هذا فيما يخص ذلك الموضوع وأن المستمعين عليهم أن يستنتجوا حقيقة مقاصدهم.

نحن إذن نخوض في حقل ألغام حين نحاول رصد العلاقة بين الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا أو حين نحاول فهم العلاقة الجدلية بين الإسلام والسياسة في تركيا، ولكن الحقيقة التي لا يمكن لأي باحث أن يتجاهلها هي أن الحضور الإسلامي في تركيا رغم علمانيتها الصارمة لايزال قويا وأنه لم يمت أبدا كما أنه لم يغط في سبات عميق. والدليل علي ذلك ظهور صحوة إسلامية في تركيا عبرت عن نفسها بشكل قوي لا يمكن أن تخطؤه العين في رحلات الحج وبناء المساجد والإقبال علي التعليم الديني بمدارس الأئمة والخطباء، وظهور كتابات إسلامية في الصحف والمجلات التركية وأيضا فيضان الإعلام التركي المسموع والمرئي الذي يتبني المقولات والأفكار الإسلامية[1].

بل إنها أي - الصحوة الإسلامية تجاوزت المجال الفردي التعبدي إلي المجال السياسي العام، ويكفي أن نشير إلي أن تركيا العلمانية هي التي عرفت وصول أول حزب سياسي يحمل أجندة إسلامية إلي الحكم وهو " حزب الرفاه " في ٢٧ يونية ١٩٩٦ م والذي حصل علي ٢٢% من أصوات الناخبين الأتراك في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٥ . لكن العلمانية الكمالية ضاقت به ذرعا وانقلبت عليه فيما عرف "بانقلاب ما بعد "الحداثة " واضطر " أربكان " أن

---

١) عن الصحوة الإسلامية في تركيا راجع مثلا:
Uriel Heyd, s, Revival Of Islam IN Modern Turkey (Jersualem: The Hebrew University Press, 1968). and Bernard Lewis, Islamic Revivel In Turkey, International Affairs, vol, xxv111, NO. 1, 1952.
فلدينا مجلات وصحف مثل "ترجمان" والملي جازيت" وصباح" وكتاب أعمدة مهمين مثل نجيب فاضل كسيكورك، وكمال بولاف أوغلو وزبير يتك. وهناك دراسة مهمة عن تطور التعليم في تركيا لعثمان أورجن باللغة التركية وعنوانها"Turkiye Maarif Tarihi أي تاريخ التعليم في تركيا وهي من خمسة مجلدات وترصد تطور التعليم من عام ١٩٣٩ - ١٩٤٣ .

يخرج من السلطة في يوليو عام ١٩٩٧م[٢]. بل إن حزب العدالة والتنمية الذي يحكم تركيا اليوم، ورغم تأكيد قادته علي أن الحزب ليس دينيا لكنه يستلهم القيم الإسلامية والتاريخ العثماني كمرجعية لـه فيما يسميه "الديموقراطية المحافظة" Muhafazakar Demokrasi [٣].

سوف نلاحظ دائما أن أحد الثوابت في الممارسة السياسية التركية هي حضور الإسلام بدرجة (ما) ولكنه حضور لطيف لا يمكن الإمساك به وإنما استشفافه واستنشاقه والشعور الحميم به.

وكما أشرنا من قبل فإن الدولة الكمالية لم تشأ أن تُلْغِيَ الدين الإسلامي ولكنها أرادت احتكاره لنفسها هي وحدها دون المجتمع وبدت في ذلك كما لوكانت تعبيرا عن "ثيوقراطية علمانية" تعيد إلي الأذهان ثيوقراطية الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطي، لكن الثيوقراطية لا تمارس في الخبرة الكمالية عن طريق مؤسسة الكنيسة وإنما عبر الجمهورية الكمالية وحزبها الأوحد الذي احتكر الحياة السياسية لنفسه بما في ذلك السلطة الدينية بتنظيمها وتفسيرها وتأويلها. وسنحاول التعمق لمعرفة العلاقة بين الأحزاب السياسية

---

(٢) مؤقتا راجع المقالة المهمة علي الشبكة الاليكترونية بعنوان "الديموقراطية ضحية ثيوقراطية تركيا العلمانية" علي موقع: http://www. ii - pt. com/web/arabi

(٣) عن مفهوم الديموقراطية المحافظة راجع: برنامج حزب العدالة والتنمية باللغة التركية والإنجليزية علي موقع الحزب علي الشبكة الإليكترونية حيث يؤمن بمفهوم الديموقراطية وحقوق الإنسان والعلمانية ولكنها ذات الوجه الإنساني التي تؤمن بالتعددية والتنوع واحترام حقوق الإنسان والأسرة واحترام قيم الناس التي ينحازون إليها باعتبارها جزءا من حرية المعتقد والتفكير والتعبير، هي علمانية متسامحة كما في أوربا وليست العلمانية الثيوقراطية المتوحشة كالتي فرضها أتاتورك. وفي لقاء للباحث مع أحد نشطاء الحركة الإسلامية في تركيا واسمه "عمر دوران" شرح لنا مفهوم الديموقراطية المحافظة بأنها تعبير عن التكامل التدريجي والتغيير التدريجي بدون إخلال بالمؤسسات الاجتماعية الموجودة في البلاد، وهي تعبير عن سياسة الوفاق بين قوي المجتمع المختلفة. وراجع موقع حزب العدالة والتنمية علي الشبكة الاليكترونية، http://www. akparti. org. tr.

التركية وبين الإسلام منذ إعلان الجمهورية الكمالية عام ١٩٢٣م.

هذا الفصل يتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإسلام وحزب الشعب الجمهوري (١٩٢٢ - ١٩٤٦م)

المبحث الثاني: الإسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية الحزبية (١٩٤٦ - ١٩٦٠م)

المبحث الثالث: الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا بعد الانقلاب الأول (١٩٦٠ - ١٩٧٠م).

المبحث الرابع: أحزاب الملي جوروش والحياة السياسية في تركيا (١٩٧٠ - ١٩٨٠م).

* * *

المبحث الأول:
الاسلام وحزب الشعب الجمهوري (١٩٢٢ - ١٩٤٦م)

مجلس الأمة الكبير الذي أسسه أتاتورك عام ١٩٢٠ استغل فيه الدين الإسلامي للظهور بمظهر المدافع عنه في مواجهة سلطة الخليفة "محمد وحيد الدين"، فالمجلس افتتح يوم الجمعة الموافق ٢٣ إبريل، وكان برنامج الافتتاح متضمنا صلاة الجمعة بمسجد "حاجي بايرام ولي"، وأعلن عن قراءة القرآن والبخاري في مركز الولاية يوميا ويتم قراءة دعاء ختم القرآن أمام الدائرة المخصوصة.

ويتم الدعاء عقب الخطبة لصاحب الخلافة حضرة سلطاننا، وبالنظر إلي تكوين مجلس الأمة الكبير فإن هناك ٦١ شيخا معمما و٨ من مشايخ الطرق الصوفية أي أن ١٨٪ من أعضاء المجلس كانوا علماء دين ومشايخ للطرق الصوفية، وهؤلاء كانوا طلائع المدافعين عن قوانين الشريعة وقواعد الدين[١] وكانوا هم المرجع للشعب في كل تعاملاته الدينية والشرعية من المهد إلي اللحد وهو ما أعطي الانطباع **بأن حركة " أتاتورك " هي حركة إسلامية.**

أولا: تأسيس حزب الشعب الجمهوري:

استمر مجلس الأمة الكبير الأول حتي عام ١٩٢٣ م، وكان المجلس الأول

---

(١) راجع تفصيلات المظاهر الدينية التي استغلها كمال أتاتورك في افتتاح مجلس الأمة التركي الكبير في. الصفصافي أحمد المرسي، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج١، ص ٤٧ - ٤٩ حيث أورد تقدم الشيخ عبد الرحمن مبعوث سينوب بطلعته الدينية وحمل علي رأسه غطاء أخضر فوقها مصحف وشعرة مباركة من لحية النبي صلي الله عليه وسلم ومن خلفه أعضاء المجلس من العلماء والمشايخ والمعممين وعلية القوم والقادة العسكريين للانتقال من الجامع للمجلس حيث تتصاعد علي الطريق التكبيرات والتهليلات والدعوات والتأمين، ص ٤٨ - ٤٩.

يضم بين جنباته توجهات متباينة أثارت مخاوف "أتاتورك"، وهو ما جعله يؤسس "**جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والروملي**" التي صارت فيما بعد "حزب الشعب الجمهوري" مع أول انتخابات عامة جاءت به إلي السلطة في تركيا بحيازته الأغلبية في مجلس الأمة الكبير الثاني، وأصبح " **كمال أتاتورك** " **هو رئيس مجلس الأمة ورئيس حزب الشعب الذي حصل علي رخصة قانونية رسمية في التاسع من سبتمبر عام ١٩٢٣م**، وتشكلت أول وزارة تمثله برئاسة "فتحي أوقيار" في ١٤ أغسطس عام ١٩٢٣م.

- نحن الآن أمام حزب واحد يسيطر علي الحياة السياسية بشكل مطلق ولا توجد معارضة له داخل البرلمان (مجلس الأمة) كما كان في المجلس الذي سبقه بعد بداية حرب التحرير ١٩١٩م، وأقر المجلس بمعارضة عالية الصوت لكنها غير حاسمة معاهدة لوزان وانتهت توابع حرب الاستقلال[١]. وكان أول قرار يتخذه المجلس الجديد نقل عاصمة الحكومة والبلاد إلي أنقره مع التعهد بالدفاع والحفاظ علي اسطنبول.

---

(١) معاهدة لوزان تم توقيعها في ٢٤ / ٧/ ١٩٢٣ م وكانت بمثابة الاعتراف الدولي العالمي بحكومة أنقرة وإسقاط معاهدة سيفر التي وقعتها حكومة السلطان في ٢٠/ ٨/ ١٩٢٠ م ووقعت معاهدة لوزان مع حكومة أنقره بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان واليونان ورومانيا ودولة السلاف الصرب والكروات وصادقت عليها أمريكا وروسيا وبلجيكا، وكانت مفاوضات الصلح بدأت بعد توقيع "اتفاقية مودانيا" التي ثبتت وقف إطلاق النار مع اليونان وأكدت انتصار الجيش التركي في ١١/ ١٠/ ١٩٢٢ وتشير المصادر إلي ان اللورد "كرزون" الوزير البريطاني في المؤتمر أفهم "عصمت إينونو" ممثل تركيا أنهم لن يمنحوهم الاستقلال إلا بشروط أربعة عرفت فيما بعد بشروط كرزون الأربعة وهي: أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام، وأن تقوم بإلغاء الخلافة، وأن تتعهد بالقضاء علي كل حركة يمكن أن تقوم لإحياء الخلافة وأن تستبدل تركيا القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية وأن تضع لنفسها دستوراً مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية، وراجع: معروف عمر كول، في السياسة والقانون الدولي، ترجمة عادل كرمياني علي موقع:
www. sardam. info/sardam%20al/%20arabic17109. htm
وأيضا: www. fustat. com/c - hist/qarn14 - 14. shtml نقلا عن مجلة الأمة، ع١٤، ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ

وأضيفت مادة إلى الدستور التركي تقول "أنقره هي مركز الحكومة، وستظل مركز الحكومة الأبدي ، ولم تستمر وزارة "فتحي أوقيار" أكثر من شهر ، وبسبب القلق في الأوساط السياسية والثقافية من توجهات "أتاتورك" الديكتاتورية ، استقالت وزارة " أوقيار " في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٣م .

وفي ٢٩ أكتوبر صارح "أتاتورك" المجموعة النافذة داخل حزب الشعب في اجتماع خاص بقوله: "أيها الأصدقاء.. غدا سنعلن الجمهورية"، وأمام مجلس الأمة طرح الموضوع علي النواب الذين وافقوا بالإجماع علي إعلان الجمهورية ، وقام أحد أعضاء المجلس المعممين وهو الشيخ راسخ خوجه وقال "إن أكثر أشكال الحكومات توفيقا من الناحية الدينية هو الشكل الجمهوري" ثم صاح هاتفا "تحيا الجمهورية" وهدرت الأصوات خلفه "ياشاسين جمهوريت" ، وأصبحت تركيا دولة جمهورية في ليلة ٢٩ / ١٠ / ١٩٢٣م ، وزكي أونونو "أتاتورك" ليكون رئيساً للجمهورية ، الذي يختار رئيس الوزراء ، الذي يختار بدوره الوزراء ويعرضهم علي رئيس الجمهورية ثم يعرضون علي المجلس ، وأصبح "أونونو" رئيس الوزراء ورئيس حزب الشعب الذي تخلي "أتاتورك" عن رئاسته ليكون رئيساً للجمهورية"[1] .

- لدينا تقاليد سياسية جديدة تعتمد "السلطوية" و "المؤامرة": وما يمكن أن نطلق عليه "الإخراج المسرحي " للسياسة ، وهو ما صدم قطاعات مهمة من الساسة والصحافة والمثقفين والبرلمانيين الذين أسسوا حزبا جديدا أطلقوا عليه "ترقي برور جمهوريت فرقه سي" أي "الحزب الجمهوري التقدمي" ، وحتي الآن الخلافة لم تلغ ولا تزال موجودة في اسطنبول وهو ما جعل بعض القادة

(١) نفس المرجع ، ص ٨٢ - ٨٣ وأيضا هـ . س . أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، م . س . ذ ، ص ١٩٣ وفي الموضوع راجع أيضا عبد العزيز محمد عوض الله ، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة ، جامعة القاهرة . مركز الدراسات الشرقية ، ٢٠٠٢ ، ص ١٧ .

المعارضين لأتاتورك ينضمون للخليفة ويزورونه، كما شنت صحافة اسطنبول حملة علي قادة "أنقرة".

وهو ماجعل "عصمت أينونو" يقول "إن رأس الخليفة التي لا تزال الرغبة تداعبها في التدخل بمقدرات الأمة سوف نبادر إلي قطعها"، واعتبر "الخلافة" زائدة في التاريخ العثماني وأنه لا بد من إزالتها[1]، ونوقشت خطة إلغاء الخلافة بين "أتاتورك" وأينونو" وعرضت علي المجموعة البرلمانية لحزب الشعب وأعد مشروع قانون إلغاء الخلافة[2] ووقع عليه الشيخ "ثروت" مبعوث بورصة" والشيخ "صفوت" مبعوث "أورفه"، ووافق البرلمان علي ثلاثة قوانين هي:

١ - إلغاء الخلافة وإخراج أفراد الأسرة العثمانية إلي خارج البلاد في ظرف عشرة أيام، وتؤول قصورهم وممتلكاتهم إلي الشعب.

٢ - إلغاء وكالة الأوقاف الشرعية.

٣ - إلغاء وكالة الأركان الحربية العمومية.

- أصبحت تركيا دولة جمهورية علمانية لا تصدر قراراتها أو سياستها عن مرجعية دينية، وكان لا بد من إصدار دستور جديد لها عرف "بقانون

---

(١) محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المجلد ٢٣، الجزء ١٠، ص ٧٧٢ تورد الجدل حول الخلافة من جانب أتاتورك ومن معه خاصة رضا نور وكيف أن الأغلبية كانت تعارضهم وأن أتاتورك والذين معه وظفوا الدين لصالحهم.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٥ - ٨٦ وعن إلغاء الخلافة راجع أيضا أرمسترونج، الذئب الأغبر، م. س. ذ، ص ٢٠٠، وتذكر بعض المراجع أن إلغاء الخلافة الإسلامية وفرض القوانين العلمانية كان جزءا من صفقة بين بريطانيا وبين النخبة التركية العلمانية الجديدة وعلي رأسها كمال أتاتورك صديق الإنجليز وعميلهم وفق هذه المراجع، بحيث يمنح لتركيا الاستقلال في مقابل إلغاء الخلافة وفرض القوانين العلمانية والحصول علي إقليم الموصل وراجع علي سبيل المثال: إبراهيم الدسوقي شتا، **الحركة الإسلامية في تركيا**، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص ٢٧ - ٣٣ وهو يعتمد علي مذكرات رضا نور بشكل قوي والتي نشرتها مجلة المجتمع الكويتية. ويؤكد ذلك علي حسون، **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية**، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨٢.

التشكيلات الأساسية رقم ٤٩١ " في ٢٠ من إبريل عام ١٩٢٤م، وظل هذا الدستور هو دستور تركيا حتي عام ١٩٦٠ م .

وبمطالعة الدستور نجد أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام في المادة الثانية منه ، كما أن المرأة لم تكن تتمتع بحق التصويت والترشيح ، وتعرض هذا الدستور لحوالي سبع تعديلات كانت باتجاه ترسيخ العلمانية وجعلها دينا بديلا للدولة الجديدة ، ففي عام ١٩٣٧ تم تعديل المادة الثانية من الدستور[1] لتقرأ علي النحو التالي " الدولة التركية هي جمهورية قومية مركزية علمانية ومتطورة"، وكما يقول "محمد ياشار" أنه من الممكن أن نتصور أنه عندما توفي أتاتورك عام ١٩٣٨م ، كانت البلد كلها قد تحولت إلي كيان علماني بحت ، وأن الإسلام اختفي من أجل الصالح العام إلا أن الوضع لم يكن كذلك ، فعلي الرغم من كون الجزء المسيطر من الصفوة المتعلمة تحول تماما إلي كيان غربي، إلا أن العامة ظلت محافظة وقريبة بطبعها من الإسلام.

- أعلن التيار المحافظ Mohafezkar ferkasi والذي مثله "الحزب الجمهوري التقدمي " عن نفسه بشكل رسمي في ١٧ ديسمبر عام ١٩٢٤م ، وكان زعماؤه من قادة حرب الاستقلال وكبار قادة الجيش والشخصيات الكبيرة في تركيا ، كما انضم إليه بعض قدامي الاتحاديين وهو ما أزعج "أتاتورك "، وأعلن الحزب برنامجه الذي تضمن احترامه للقيم والمعتقدات والأفكار الدينية.

ورغم أن الدستور التركي لا يزال يتضمن مادة أن دين الدولة الإسلام ، لكن أفكار الحزب أثارت القلق لدي حزب الشعب الجمهوري مع ظهور

---

(1) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, The Role Of Islam, Op. cit, p4.
وعن دستور تركيا الأول عام ١٩٢٤ م راجع: الصفصافي أحمد مرسي ، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة ، م . س . ذ ، ص ٨٨ - ٩٠ .

التمرد المشهور "للشيخ سعيد الكردي النقشبندي "عام ١٩٢٥ م ، وهو ما **جعل " فتحي أوقيار " الشخص المعتدل ورئيس الوزراء يطلب من رئيس الحزب " قاظم كره بكير " حل الحزب وإلا فإن الدماء ستسال ؛ لأن المستقبل مظلم جدا "**.

واستقال "فتحي أوقيار "من رئاسة الوزراء لرفضه التعامل مع ثورة الشيخ سعيد الكردي باستخدام القوة المسلحة ، وتولي رئاسة الوزراء "عصمت أونونو "للمرة الثانية وظل بها حتي عام ١٩٣٧ م ، **ولما لم يستجب الحزب لحل نفسه بنفسه حلته الحكومة في ٣ يونية عام ١٩٢٥م**[1] .

– أعلن حزب الشعب قانون "إقرار السكون "في ٤ مارس ١٩٢٥ م ، والذي تضمن ضرورة سحق "ثورة الشيخ سعيد "عسكريا ، ثم القضاء علي التحركات التي تهدد أمن الدولة ، واتهم الحزب "الجمهوري التقدمي" بالرجعية ، وبدعم التمرد ضد الجمهورية ، وتعرضت الصحف الإسلامية للإغلاق ومنها صحيفة "سبيل الرشاد "وصحيفة "توحيد أفكار "وتعرض الشاعر "محمد عاكف أرصو [1] للمساءلة ، وشن حزب الشعب الجمهوري حملة تكميم الأفواه للمثقفين والصحف التي تعارض الحزب وسياسته ، كما عرفت البلاد حملة تصفيات واسعة بلغت أوجها ضد من اتهموا بمحاولة اغتيال "أتاتورك "عام ١٩٢٦[2] .

(١) عن الحزب الجمهوري التقدمي وكيفية تكوينه وأعضاؤه وأفكاره راجع: نفس المرجع ، ص ٩٣ – ٩٩ .

(٢) عن تفصيلات القمع والإرهاب الدموي التي أشاعتها محاكم الاستقلال التي كانت محاكم عسكرية راجع: أرمسترونج الذئب الأغبر مصطفي كمال ، م . س . د ، ص ٢٠٦ – ٢١٠ حيث ذكر أن كمال أتاتورك كان يوقع الحكم علي معارضيه بالإعدام من رفاقه السابقين دون أن تهتز في وجهه عضلة واحدة وهو يضع سيجارته جانبا ويوقع علي الحكم بالموت علي ذلك الصديق القديم الحميم ، وكان "بالد علي "رئيس هيئة المحكمة يفتخر ويتباهي بأنه حكم بالشنق علي عدد من الأتراك يفوق العدد الذي حكم عليه أي تركي منذ عهد السلطان "محمود الثاني" . وحتي عام ١٩٢٦ كان حزب الشعب قد نشر الرعب والخوف بين الناس وأرسي تقاليد الجاسوسة والخلط بين الإدارة

- هنا سوف نلاحظ أن ما أطلقنا عليه " التيار الحافظ " هو تعبير عن رؤية فكرية وسياسية تدعو للتعددية واحترام حقوق الإنسان وفي نفس الوقت الدعوة لاحترام الدين والمعتقدات الدينية وأخذها في الاعتبار بحسبان أن الشعب التركي أغلبيته مسلمة ، وهذا التيار هو المعادل الموضوعي في الحياة السياسية التركية للتيار العلماني الاستئصالي الذي يمثله حزب الشعب الجمهوري وخلفاؤه ، وهذا التيار سوف يعرف بالضرورة دخول التيارات الإسلامية والمناهضة للعلمانية الاستئصالية تحت مظلته ، سوف نري ذلك في الحزب الديمقراطي بقيادة "عدنان مندريس " ثم حزب العدالة وريث الحزب الديموقراطي ثم حزب الوطن الأم بقيادة "تورجوت أوزال" وأخيرا" حزب العدالة والتنمية" بقيادة" رجب طيب أردوغان".

ثانيا : حزب الشعب وعلمنة الجمهورية التركية :

- تبني حزب الشعب الجمهوري أيديولوجية عبرت عنها مؤتمراته وهي "الجمهورية والعلمانية والملية والشعبية والدولتية والانقلابية"، وكما يقول "ارمسترونج" فإن أتاتورك الذي يقبض علي حزب الشعب وعلي الجمعية الوطنية وعلي الدولة بكاملها أراد أن يهدم كل التاريخ والتراث التركي قبل أن يبدأ في بناء الجمهورية العصرية الجديدة ، وفي سعيه لذلك قام بالإجراءات التالية:

١ - حذف من الدستور المادة التي تنص علي أن الإسلام هو دين الدولة "قانون ٩ إبريل ١٩٢٨ م" وأبطل وظيفة شيخ الإسلام واستبدلها بوظيفة مدير الأمور الدينية ، وأعلن فصل الدين عن الدولة ولم يعد رئيس

والحزب الذي انتشر في ربوع تركيا ، ويمكننا القول إن التقاليد التي أرساها اتاتورك في تركيا استلهمتها نظم الحزب الواحد والأنظمة العسكرية التي عرفتها دول العالم الثالث بعد الاستقلال .

الجمهورية يقول "أقسم بالله العظيم" في صيغة اليمين التي يحلفها كرئيس للجمهورية ولكن يقول "أقسم بشرفي بألا أعمل عملا يضر بسعادة الأمة ولا بسلامة الوطن ولا يمس سيادة الأمة المطلقة التي لا يحدها شرط ولا قيد وأقسم بشرفي أن أكون وفيا لمبادئ الجمهورية".

٢ - أمر بكتابة القرآن الكريم باللغة التركية الجديدة، وترجمته إلى اللغة التركية، وأحل اللغة التركية محل اللغة العربية في الصلوات والدعوات. فإذا ذكروا اسم الله قالوا "تاكري" ويقولون "تاكري أولودر" أي الله أكبر.

٣ - طهر اللغة التركية من الكلمات الدخيلة عليها من الكردية أو الفارسية أو العربية أو اليونانية وألف لجنة لوضع معجم لها ودعا رجال الصحافة والإعلام ورجال العلم لمعاونة اللجنة في مهمتها وبث الدعوة لاستعمال اللغة التركية في كل شيء (المراسلات، السينما، التليفون، الشكاوي والظلامات، قوائم الطعام، العرائض والعقود، وجميع مراسلات الجهات الحكومية) ومن يخالف يحكم عليه بغرامة فإذا عاد منع نشاطه حتي لوكان بائعا متجولا.

٤ - غير الأعلام العربية بأعلام تركية.

٥ - جعل لكل عائلة لقبا تركيا لسهولة تمييز الأشخاص ولسهولة معرفة العائلات التي ينتسبون إليها، وصار لكل عائلة تركية اسم خاص تعرف به، فمصطفي كمال حذف اسم "مصطفي" وسمي نفسه "كمال أتاتورك" أي أبو الأتراك وعصمت "سمي نفسه "عصمت أونونو".

٦ - أبطل المحاكم الشرعية "١٧ إبريل ١٩٢٤م" وأحل محلها محاكم نظاميه.

٧ - أبطل الحجاب والنقاب وصارت المرأة التركية سافرة الوجه ، واختلط النساء بالرجال واشتركن معهم في كافة مظاهر الحياة ، في السينما ، والمسرح ، والنوادي العامة السياسية والعلمية والرياضية وفي الأعمال التجارية والمالية والإدارية ، وفي الإدارات والمصالح الحكومية .

٨ - سن قوانين وضعية ، فأخذ القانون المدني من سويسرا (في ٤ إبريل ١٩٢٤م) ، وقانون العقوبات من إيطاليا ، والقانون التجاري من ألمانيا وإيطاليا وقانون المرافعات من سويسرا وألمانيا . وقانون الجنايات من ألمانيا ، وأدخل فيها كلها أوفق الأحكام الواردة في القوانين الفرنسية .

٩ - ألغي وزارة الأوقاف والأمور الدينية .

١٠ - أحل التقويم الميلادي محل التقويم الهجري (مرسوم ٢٦ ديسمبر ١٩٢٦) .

١١ - أبطل استعمال المقاييس والموازين الشرقية واستعاض عنها بالمقاييس والموازين الغربية ليسهل المعاملات التجارية بين تركيا والبلاد الأوروبية .

١٢ - أبطل استعمال الأرقام العربية واستبدالها بالأرقام الأفرنجية (مرسوم ٢٤ مايو ١٩٢٨) كما أبطل الحروف العربية واستبدلها بحروف إفرنجية ، وأجبر جميع الموظفين علي استخدام الحروف الأفرنجية ، وأمر بعزل كل موظف يستعمل الحروف العربية ، كما أمر بحرمانه من جنسيته التركية ، وأمر بعدم الإفراج عن المسجونين بعد انتهاء مدة عقوبتهم إذا لم يتعلموا القراءة والكتابة بالحروف الإفرنجية .

١٣ - أبطل لبس الطربوش بالنسبة للموظفين من ٣ سبتمبر عام ١٩٢٥ م ، وبالنسبة لكافة الأتراك من ٢٠ نوفمبر من نفس العام ،

واستعاض عنه بالقبعة ، واستبدل الملابس الشرقية بالملابس الغربية وحذا النساء حذو الرجال ولبسن الملابس الغربية والقبعة الأفرنجية .

١٤ - أبطل جميع التكايا ، والطرق الصوفية وصادر أملاكهم .

١٥ - ساوي بين الرجل والمرأة في كل شيء في الحقوق السياسية والواجبات الوطنية وفي الحقوق المدنية والانتخابات والتجنيد والمواريث (قانون ٥ ديسمبر ١٩٣٤) وأصبح النساء يَنتخِبْن ويُنتَخَبن ، وانتُخِبَتْ ١٧ سيدة في الجمعية الوطنية الكبري (عام ١٩٣٥) ، واشتركن في الوزارة مثل "خالدة أديب" وفي القضاء والتدريس والمحاماة والهندسة والمجالس البلدية وفي حزب الشعب وفي التدريس والمجمع العلمي .. الخ .

١٦ - جعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدل يوم الجمعة ، واستبدل التحية الشرقية بالتحية الغربية[١] ، ولم يكن أمر هذا التحول الثوري العنيف والمفاجئ تعبيرا عن حاجة تركية إليه ، **وإنما استجابة لوهم خاص في رأس " أتاتورك " سول له أنه بتغيير القوانين والنظم العثمانية القديمة واستبدالها بقوانين غربية فإن ذلك سوف يغير حياة الناس إلي النمط الغربي** ويجعل منهم أناسا متحضرين ومتمدنين علي حد قوله - لقد أراد أن يجعل من التركي المسلم العثماني الشرقي غربيا في روحه وتقاليده وتاريخه ولغته ونظام حياته الخاص والعام ، ولو استحضرنا مقولة السفير العثماني إلي فرنسا أيام السلطان أحمد

---

(١) اعتمدنا بشكل أساسي في رصد عمليات الهدم التي قام بها أتاتورك علي كتاب: عزيز خانكي بك ، **ترك وأتاتورك**، المطبعة العصرية ، مصر ، الفجالة ، د. ت ، ص ٣٠ - ٥٧ ويراجع في الموضوع نفسه: **محمد مفتي الجزايرلي ، تقرير عن تركية وانقلاباتها الحديثة بعد الحرب** ، مرفوع إلي وزارة الخارجية المصرية ، مطبعة مصر ، د. ت ، وهو يشرح التحولات الثورية التي قام بها أتاتورك في تركيا ويبدو أنه كتب قبل كتاب عزيز خانكي المشار إليه ، إذ كانت الجمعة لا تزال الأجازة الرسمية قبل أن يتقرر الأحد أجازة رسمية ، ص ٢٨ - ٥٠ . وفرضت التحية بالإشارة بالرأس داخل المكاتب الحكومية بينما فرضت التحية برفع القبعة في الشارع .

الثالث "محمد أفندي" وهو يصف الإفرنج علي أنهم نمط من البشر والحضارة تختلف عن الترك فقال بعد وصف طويل "وبالجملة خذ تركياً واقلبه رأسا علي عقب يتمثل أمامك الإفرنجي" وهاهي "الجمهورية الكمالية" تقلب التركي رأسا علي عقب لتجعل منه إفرنجيا .

وفي كل ما صدر عن التغييرات المرعبة التي حاول إرساءها كان تبريرها الرغبة في الالتحاق بعالم الغرب المتحضر والمتمدن والانفكاك من عالم الشرق المتدين المتخلف[1] ، لحد أن بعض الدراسات الموثوقة نقلت عن معلقين أتراك أن "أتاتورك كان يود أن تكون "تركيا" مسيحية ، وحيث أن لم يمكنه تحويل الأتراك عن الإسلام فقد حاول أن يضعف تأثيره بوسائل متعددة[2] .

وهنا الجمهورية الكمالية العلمانية وجدت نفسها في صدام مع مجتمعها الذي لم يعد قادرا علي استيعاب هذه التحولات العنيفة والجذرية أو فهمها أو التجاوب معها ، إنها حالة فريدة ربما لم يعرفها العالم من قبل حتي إبان الحكم اللينيني - الستاليني .

فالدولة الكمالية تحت عنوان التغريب والتحديث اللذين أصبحا ذا معني واحد تجد نفسها في صدام عات مع الجماهير استخدمت فيه كامل سلطتها بالمفهوم الواسع لتجبر المجتمع علي ما تريده و الذي هو ما يريده "أتاتورك" الذي أصبح عنوانا لأيديولجية فاشية متصلبة "هي الكمالية"[3] .

---

(1) Philip Robins, Turkey And The middle East (London: Pinter Puplishers, Royal Institue OF International Affairs, 1990) p. 7.

(2) وفي نفس الموضوع راجع أيضا: شيرين هنتر ، الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب ، شئون الأوسط ، خريف ٢٠٠٢ ، ع ١٠٨ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(3) Hugh Poulton, Top Hate, Grey Wolf and Crescent, Turkish Nationalism and The Turkish Repuplic, U. K: C. Hurst, 1997, p, 102.

ثالثا: الكمالية في مواجهة المجتمع :

قاوم الشعب التركي الإجراءات الكمالية فكانت هناك معركة كبيرة هي معركة "الطربوش والقبعة" إذ رفض التركي أن يصلي بالقبعة واعتبرها عنوانا للكفر وتقليداً للغرب، وكثير من العلماء أفتوا بحرمة ارتدائها بل إنهم أفتوا بكفر من يعتمّها، **لأن المسألة هنا طرحت في إطار صراع ثقافي متصل بتهديد الهوية الإسلامية** فأتاتورك قال: "إذا أردنا أن نكون شعبا متمديناً فينبغي أن نرتدي ثياب المتمدينين الدولية، أما الطربوش فهو رمز الجهل"[1]، وكان من قبل إبان حرب الاستقلال يستنفر الناس للمقاومة قبل أن يأتي الكفار ويرغمونهم علي ارتداء القبعة، لقد كان ارتداؤها يعني الكفر والارتداد عند المواطن التركي العثماني المسلم.

وفي مرعش قال أحد علماء الدين وهو علي المشنقة: "إن القبعة من علامات الكفر ولبسها كفر، وأنا أحمد الله أنني أموت دون أن ألبسها" ويروي أحد شهود العيان المسنين "كنت أمر من الميدان الذي كان يتدلي فيه

وهناك في الواقع العديد من الدراسات التي توافرت علي رصد الكمالية كأيديولجية متصلبة وديكتاتورية منها:

H. C. Armstrong, Grey Wolf - Mustfa Kamal - An Intimate Study of Dictator(London: Arthur Barker, 1932) p. 244 .

Suna Kili, Kemalism (Istanbul: Ropert College Research Center, 1969) And Mehmet Dogan, kemalism (Istanbul: Alternatif Universtie, 1992).

وهناك العديد من الدراسات التي تعاملت مع شخصية كمال أتاتورك باعتبارها شخصية نرجسية. يغلب عليها المزاج السوداوي الحزين والذي يجعل مثل هذا القائد يميل للخيال وعدم الواقعية راجع مثلا:

Volkan. V. D. 1980, Narcissistic Personality Organization and “REPRATIVE” Leadership, International Journal Of Group PSYchotherapy 30: 131:52

Andro Mango, ATATURK(London: Johan Murray, 2004) pp 500 – 510.

وانظر عرضا لهذا الكتاب في: البيان الإماراتية، بيان الكتب، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٥ م.

(١) أر مسترونج، الذئب الأغبر، مصطفي كمال، م. س. ذ، ص ٢١٥.

المشنوقون ، لم يكن هناك أحد باستثناء بعض الجندرمة ، وبدأت الرياح تهب ، ولا استطيع أن أنسى منظر اللحي البيضاء وهي ترف مع الريح" ، واعدم أحد رجال الدين لأنه كتب رسالة في تحريم القبعة قبل صدور قانون ارتدائها بعام[1] ، وآثر بعض علماء الدين ترك البلاد علي قبولهم لبس القبعة .

- عارض "حزب الترقي الجمهوري" الوجه اللاديني لسياسات حزب الشعب بسفور أشد إصرارا فقد أعلن أن التوجهات الكمالية لادينية ومعادية للإسلام ، واستمع الشعب لصيحته فالتحق به خلق كثير بل ولبي نداءه عدد كبير من الضباط الذين استقالوا من الجيش واستعدوا للجهاد تحت لوائه ، وزلزل حزب الشعب زلزالا كبيرا ، وشن "أتاتورك" عليهم حملة خطابية لتأليب الشعب عليهم قال في إحداها: "هل ينتظر من قوم دستورهم بيرق يرفعونه بأيديهم أن يكونوا حسني النية؟ أليس هذا هو بيرق الخداعين الذين استغلوا الجهال والمتعصبين وعباد الخرافات منذ قرون ليحققوا مآربهم الشخصية؟".

وفي الأشهر الأولي من عام ١٩٢٥م كان الرأي العام في ولايات الأناضول الشرقية يؤمن أن الدين قد ضاع "دينك الدن كيتديكي" وبأن لا بد من العمل السريع وقاد هذه الحركة كما أوضحنا الشيخ سعيد الكردي النقشبندي -

---

(١) إبراهيم الدسوقي شتا ، الحركة الإسلامية في تركيا ، م. س. ذ ، ص ٤٠ ، وراجع فوزي عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية عن لبس القبعة والتي كانت إجابة لسؤال مفتي المسلمين ببلاد اليونان في عزيز خانكي بك ، ترك وأتاتورك ، م. س. ذ ، ص ٣٩ ، وراجع محمد عبده ، المنار ، المجلد ٢٧ ، الجزء الأول ، وهو بيان أصدره المعهد الديني بالإسكندرية وتأثر بمسألة فرض القبعة في تركيا ودعا البيان لرفضها ، ولمحمد رشيد رضا نفسه عدة فتاوي في المنار حول ارتداء البرنيطة وقد ذكر أنها في ذاتها ليست حراما وأن المسلم يمكنه ارتداء أي زي إلا إذا كان ارتداؤه سببا لمفسدة أخري كترك الصلاة أو ترك عادات المسلمين واتباع الغربيين وراجع محمد رشيد رضا ، المنار ، المجلد ٢٦ ، الجزء ٦ ، صفحة ٤١٦ .

الـذي شـرع أتـباعه في مهاجمة بعض المدن، وأعلنت التعبئة الجزئية وهوجمت معاقل التمرد في مارس ١٩٢٥م.

وقبض علي الشيخ وأعدم في نفس العام، وأضيفت مادة جديدة لقانون الخـيانة الوطنية "وطن خيانتي قانوني" ونصت علي أنه لا يجوز أن تتكون جمعيات تـسـتند في تحقيق غاياتها السياسية علي الدين أو المقدسات الدينية وعلي أن كل من يؤسـس جمعية من هذا القبيل أو يشترك فيها هو خائن للوطن" وطـن خائني "[١]. لقـد ثار أتباع الشيخ "سعيد الكردي النقشبندي" ضد ما اعتبروه "إصلاحات إلحادية "atheistic reforms"[٢].

هـذه أول حـركة لهـا طابع صوفي تقاوم حزب الشعب الجمهوري، وفي "سـيواس" قـويت الدعايـة وكثـرت المنـشورات ضد اللادينية الكمالية وضد لـبس القـبعة وفي "قيصرية"، أعلن احمد حمدي النقشبندي نفسه خليفة للشيخ "سعيد"، وفي أرضروم هاجم الأهالي مبني المحافظة تحت قيادة خوجه "عثمان "ونشبت حوادث مماثلة في "مرعش"، وغيرها من الأقاليم"[٣].

- في عـام ١٩٣٠ وفي مـواجهة المعارضة الدينية المتزايدة لمشاريع "الباش معلـم" فكـر في أن يـنظم المعارضـة بحيث تكون مستأنسة لا تصدر عن رأي حقيقـي في مـواجهة مـبادئ حـزب الشعب الجمهوري، واستدعي سفيره في بـاريس "فتحـي أوقيار" وأذن له في تأسيس " الحزب الجمهوري الحر " سر بست جمهـوريت فـرقة سـي"، وكـان بـرنامج الحـزب الجمهـوري يـنص علـي أنه

---

(١) أحمد السعيد سليمان، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، القاهرة: دار المعرفة، يناير ١٩٦١، ط١، ٧٠ - ٧٢.

(2) John Parker, M. P and Charles Smith, Modern Turkey) London: George Routledge&Sons, ltd, 1940(pp. 148 - 149.

(٣) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ٥٠.

"جمهوري" قومي" ولاديني"، كما أنه صنيعة" أتاتورك" للضغط علي" عصمت أونونو" ولإظهار أن هناك معارضة حزبية في تركيا للعالم الخارجي.

فقد كان النظام الديكتاتوري موضعا للانتقاد في الغرب، وكانت المفاجأة أن الجماهير خرجت في الزوارق والسفن والفلوكات متجهة لتقابل السفينة التي جاء بها" فتحي أوقيار" إلي أزمير وهي تهتف" ليحيا فتحي بك.. وليحيا الحزب الجمهوري الحر"، وكان المشهد كله تعبيرا عن رفض الجماهير لحزب الشعب الجمهوري ولسياسة كمال أتاتورك، وبدت الجماهير التي جاءت لميناء أزمير كعملاق بمئة ألف رأس كما وصف أحد المعلقين[1].

بيد أن المعارضة الدينية المعادية لإجراءات " أتاتورك " والممثلة بشكل أساسي في الطريقة النقشبندية انضمت للحزب الجديد، وما لبثت الأمور أن تطورت بسرعة حيث تحولت المعارضة النقشبندية إلي معارضة مسلحة بقصبة" منمن" بقيادة الشيخ محمد"[2] الذي صوره حزب الشعب الجمهوري علي أنه رجل مجنون، ونفذ حكم الإعدام في المدنيين المشاركين في الحادث بلا محاكمة وتم تهجير أهالي قصبة" منمن" لأنهم وقفوا موقف المتفرج، وقبض علي زعماء" الحزب الجمهوري الحر" رغم أنهم كانوا أغلقو الحزب قبل هذه الأحداث بثلاثة أسابيع.

وتم طرد الضباط المنتمين للطريقة النقشبندية. وظلت الحكومة تحتفل بذكري الضابط" قوبيلاي" علي أنه شهيد بينما كان الأهالي يحتفلون بذكري

---

(١) عن تفصيلات وافية حول نشأة الحزب الجمهوري الحر ومبادئه وأعضائه والمداولات التي جرت بين "أوقيار" وأتاتورك" وعن الانقلاب الذي أحدثه الحزب في الحياة السياسية التركية بما لم يكن متوقعا راجع: الصفصافي أحمد مرسي: التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، م. س. ذ ص١٠٥ - ١١٧.

(٢) أحمد السعيد سليمان، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، ٧٣ - ٧٤

الشيخ "محمد" ولذا أوقفت الدولة الاحتفال[1] .

- الدلالة التي يقدمها "الحزب الجمهوري الحر" هي أن الشعب التركي قد آيس من سياسة "أتاتورك" الفاشية التي بدت فيها الدولة كوحش مفترس في مواجهة مجتمعها ، وهو ما جعل المجتمع يضج بالسخط المكتوم ، وما أن وجد مساحة للتعبير عن غضبه حتي استغلها لأقصي حد ممكن .

ولعل الكلمات التي قالها والد الصبي الذي قتل يوم مجيء "أوقيار" لأزمير وخروج الناس في فيضان جارف لمقابلته تعكس مدي نقمة الشعب التركي بعد ست سنوات عجاف من حكم حزب الشعب الجمهوري لتركيا "الولد فداء لك ومستعدون لتقديم المزيد ، المهم أن تنقذنا ، الخلاص علي يديك"[2] .

وفي الانتخابات البلدية التي جرت عام ١٩٣٠ وشارك فيها الحزب الجمهوري الحر" حصل علي ٣٠ بلدية من مجموع البلديات التي وصلت ٢٠٥ ولكن فتحي أوقيار كتب في مذكراته "**الحزب الحر كان يكسب في كل مكان ندخل فيه الانتخابات، وانهزم حزب الشعب بشكل غير متوقع، وكان الجميع بدون استثناء يعرفون ذلك، وكان من الواضح للعيان أنه لو استمرت هذه الظروف علي ما هي عليه فإن حزب الشعب الجمهوري سيفقد أغلبيته** ، وسيسقط من السلطة في انتخابات مجلس الأمة الكبير التي تقترب ، وأظن أن هذه النتائج قد أثرت جدا

(١) إبراهيم الدسوقي شتا الحركة الإسلامية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٥٠ - ٥١ .
(٢) الصفصافي أحمد مرسي ، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة ، الجزء الأول ، م . س . ذ ص ١١٨ .

في نفس الغازي"[١].

وكما تشير المراجع المختلفة فإن القوانين العلمانية التي فرضها أتاتورك لم تتجاوز المدن الكبري ، لكنها بقيت هامشية وغير محسوسة بالنسبة للغالبية العظمي من الشعب التركي والذين يقطنون الأرياف والذين تزيد نسبتهم عن ٨٠٪ من مجمل السكان وهؤلاء ظلوا يعيشون وفق التقاليد الإسلامية ، **بل إن الإسلام ظل ينظر إليه باعتباره أمرا لا يمكن التضحية به أو الاستغناء عنه للعديد من النخب الحضرية** ، كما أن النخب التي استصوبت العلمانية واعتبرتها دينا بديلا متأثرة في ذلك بالكمالية ظلت معزولة عن الجماهير الإسلامية الكارهة لها ، ولم يجد حزب الشعب بدا من الاستجابة لفيضان المشاعر الإسلامية لهذه الجماهير في أواخر عام ١٩٤٠ حين دخل في منافسة مع الحزب الديموقراطي وذلك للحصول علي أصواتها[٢].

رابعا : جدل العلاقة بين الدين والدولة بعد وفاة أتاتورك :

- عقب وفاة أتاتورك في نوفمبر عام ١٩٣٨م وانتخاب "عصمت أونونو" رئيسا للبلاد في اليوم التالي مباشرة ، وفي الاجتماع الطارئ لحزب الشعب الجمهوري عدلت اللوائح حتي يمكن انتخابه رئيساً للحزب مدي الحياة وأن يكون "أتاتورك" هو مؤسسه و رئيسه الأبدي[٣] ، واستمر "أونونو" في محاولة إخضاع تركيا للعلمانية بشكل أكثر ضراوة فقد زاد من العقوبات المفروضة علي المعارضين لقانون القبعة عام ١٩٤١ ، واستصدر

(١) الصفصافي أحمد مرسي ، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة ، الجزء الأول ، ص ١٢٧

(2) Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Turkish Nationalism and Turkish Repulic, opcite, pp. 168 – 170.

(٣) الصفصافي أحمد مرسي ، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة ، الجزء الأول ، ص ١٣٥ .

قانوناً يفرض الأذان باللغة التركية[١]. وعمق من تبعية الإدارة للحزب، وأعلي من مفهوم الدولتية،علي حساب الحرية الفردية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية للعمال والجماعات المختلفة وفرض المزيد من الرقابة علي الصحف والمطبوعات وعمق من الطابع الديكتاتوري للدولة[٢].

بيد أن التحالف الاقتصادي الاجتماعي الذي قامت عليه الجمهورية بدأ يتعرض للتفكيك، وظهرت قوي اجتماعية واقتصادية جديدة مناوئة للتحالف العلماني الجمهوري، كما أن الفساد والانتهازية والنهب وتغليب المصالح الشخصية انتشر بشكل واسع بين فئات المنتفعين من التداخل بين شبكات حزب الشعب الجمهوري وبين الدولة التركية فيما يعرف بظاهرة الحزب الواحد في الدول المتخلفة[٣].

وكما يشير " كمال كربات " فإن أيديولجية حزب الشعب الجمهوري التي قامت علي فكرة منع الصراع بين الطبقات كان عليها إما أن تقضي علي الظروف المنتجة للصراع أو التسليم بقبول التطور الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع ووضعه في الحسبان[٤]، وهنا تبدو مشكلة بنيوية عكستها "الأيديولوجية الكمالية

---

(١) صبري توفيق همام، الإسلام والعلمانية بين السياسي والثقافي، مجلة الديموقراطية، ع ١٤، ١/ ٤/ ٢٠٠٤، ص ١٠٤.

(٢) الصفصافي أحمد المرسي، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، ص ١٣٨، فلم يكن مسموحاً للعمال بالإضراب، وحين صدر قانون الجمعيات عام ١٩٣٨م منع بشكل بات أي جمعيات تكون مبنية علي أساس منفعة مشتركة، ولم يسمح بتشكيل أحزاب سياسية ومنع الجمعيات الماسونية التي كانت تباشر نشاطها إبان الفترة الكمالية، وأعطي للبوليس الصلاحية الكاملة للقبض علي أي شخص بدون إذن نيابة وحبسه إلي ماشاء الله، وفرض رقابة علي الصحف اليومية والمطبوعات الجديدة.

(٣) عن ظاهرة الحزب الواحد في الدول المتخلفة أو الفاشية راجع: أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، م. س. ذ، ص ١٥٠ومابعدها.

(4) Kamal H. karpat, T urkey, s Politics: The transition to Multi - Party System (Newjersey: Prinston University Press, 1959) pp. 32, 48 - 64.

اللادينية " وهي الفجوة بين البني السياسية للدولة وبين البني الاقتصادية والاجتماعية والدينية لها ، وهو ما عبر عن توتر وقلق كان لا بد من أن يقود لما يطلق عليه " الوظيفة التطويرية للدولة " .

- بدت الاستجابة للتطور من قبل حزب الشعب الجمهوري تجاه الإسلام الذي كان الأكثر تضررا و تعرضاً للإهانة والازدراء[1] ، **فتقرر عودة الوعاظ إلي الجيش في سنة ١٩٤٠** كأول خطوة رسمية عبرت عن إعادة الاعتبار للدين الإسلامي ، **وأعيدت مقررات التعليم الديني في المدارس الابتدائية** ، وفي دورات الوعاظ ، **وأعيد تأسيس كلية الإلهيات وافتتحت عام ١٩٤٩ م**[2] .

وتقرر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها مجموعة من المستشرقين إلي اللغة التركية ، وارتفعت **أصوات الإنتلجنسيا الإسلامية** لتنبه إلي أن دائرة المعارف الاستشراقية تنطلق من رؤية معادية للإسلام **وقرر هؤلاء وعلي رأسهم " أشرف أديب " أن يصدروا دائرة معارف خاصة بهم تحت عنوان " دائرة المعارف الإسلامية التركية "** وانضم إلي " الإنتلجنسيا الإسلامية الجديدة " بعض كبار الضباط الذين تقاعدوا أمثال " فوزي مردين " والذي تفرغ للأبحاث الدينية وتفسير القرآن الكريم[3] .

---

(١) عن الوظيفة التطويرية للنظم السياسية راجع. حامد ربيع ، مذكرات في النظرية السياسية . كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، غير منشورة ، عام ١٩٧٨ م .
علي سبيل المثال فإن اللجنة التي ألفت كتاب "تاريخ " ونشرته وزارة المعارف التركية سخرت من الشريعة الإسلامية التي وجدت لتستجيب لمطالب الحياة في الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا ، كما سخرت من اجتهادات الفقهاء التي وصفتها بالبدائية واعتبرت القانون السويسري أرقي لمطالب الحياة الاجتماعية لتركيا الحديثة وراجع ، أحمد السعيد سليمان ، التيارات القومية في تركيا المعاصرة ، م . س . ذ ، ص ٦٣

(2) Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Turkish Nationalism and Turkish Repulic, opcite, pp.

(٣) إبراهيم الدسوقي شتا ، الحركة الإسلامية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٥٨ .

وتشير المعلومات الصادرة عن وزارة العدل في فترة ما بعد أتاتورك إلي أن هناك ٨٩ قضية عرضت علي المحكمة عام ١٩٤٧م وخضعت لقانون العقوبات منها ٢٩ لمؤذنين قبض عليهم لرفعهم الأذان باللغة العربية ورفض الانصياع للقانون الذي يفرض رفعه بالتركية، بينما قبض علي ٥٦٩ شخصا لارتدائهم الطربوش أو العمامة أوغطاء الرأس وليس القبعة[١].

وبدأت العلمانية تطرح علي النقاش العام حتي داخل حزب الشعب الجمهوري نفسه الذي أكد في بياناته الصادرة عن مؤتمراته العامة أنه حزب علماني وأن العلمانية التي تستبعد الدين من الحياة العامة ومن السياسة هي الطريق للنجاح واللحاق بالحضارة المعاصرة، وأن السماح بتقرير التربية الدينية في المدارس الابتدائية كمادة اختيارية تستبعد كل التفسيرات المتعصبة التي تتعارض مع الدين الإسلامي الحقيقي، وفي عام ١٩٤٦م ثار جدل في الجمعية الوطنية حول ضرورة دعم الروح الوطنية في مواجهة الشيوعية بالدين، وفي عام ١٩٤٧ اقتنع بعض أعضاء الحزب الجمهوري بما أثير في الجمعية الوطنية بأهمية الدين لحماية السلوك الأخلاقي، وأن السياسة المعادية للدين من جانب الحكومة تدمر الأخلاق[٢].

- رغم المقاومة من جانب التيارات اللادينية المسيطرة علي حزب الشعب الجمهوري فإن العلمانية الكمالية المتصلة أصبحت في مأزق، وأنه لا بد من تأويل جديد لها يستبعد الروح العدائية الكامنة في داخلها للدين الإسلامي[٣].

(1) Mehmet yasar geyikdagi, political parties in turkey, Op. cit, p. 65.

(2) Ibid, p 67.

(٣) يصف "نظام ماردينى "العلمانية الأتاتوركية بأنها "دين علماني بديل، وأنها أصولية علمانية في طبعة قومية فاشية" وراجع: نظام ماردينى، الديموقراطية التركية مسرحا لجدل الإسلام والعلمانية، الحياة، أكتوبر ٢٠٠١، ص١٠

وظل السؤال حول الدين مطروحا بقوة في وسائل الإعلام التركية المرئية والمسموعة وحتي داخل الجدل الرسمي في الجمعية الوطنية ذاتها . ولاحظ بعض المشاركين في هذا الجدل أن الدين محترم في الحياة الخاصة ومنفتح علي المحيط الاجتماعي في العالم الغربي ، **وانتهي هذا الجدل إلي ضرورة تكيف التقاليد والتعاليم الدينية الإسلامية مع التأويلات العلمانية التي تستلهم قواعد العلم والتي يمكنها تخفيف الصراع بين الدين والعلمنة** . واقترح المتجادلون ضرورة توافر المزيد من رجال الدين المتنورين لمحاربة الخرافة والخزعبلات المنتشرة بين العامة ، ولقطع الطريق علي الأيديولوجيات المعادية للجمهورية من البزوغ والانتشار[1] .

- سمح للمدارس الدينية الخاصة بمباشرة عملها في سبتمبر عام ١٩٤٧م وفق قانون المدارس الخاصة ، وقررت وزارة التعليم أن فتح مثل هذه المدارس يكون بناء علي طلب رسمي ، وأنه لا توجد مقررات أكثر من تلك التي تفرضها الحكومة ، وأن اللغة التركية هي التي تستخدم داخل هذه المدارس بما في ذلك قراءة القرآن والصلاة ، وحذرت تعليمات وزارة التعليم من أولئك الذين يحاولون استخدام الدين بطريقة أو أخري في التأثير علي الناس .

وفرض قرار وزارة التعليم الذي جعل من مادة الدين اختيارا في المدارس الأولية قيودا مثل ألا تكون حصة الدين خصما من وقت حصص المواد الأخري ،

---

(١) عن التيارات المتعددة حول تأويل العلمانية راجع: صبري توفيق همام ، الإسلام والعلمانية بين السياسي والثقافي ، م . س . ذ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ حيث يقسم هذه التيارات إلي محافظين يرون أهمية الدين لتطوير الجانب الروحي للفرد والمجتمع ، وهو نظام تربوي لا يمكن الاستغناء عنه ، والمعتدلون وهم أقرب للمحافظين ويرون الدين تعبيرا عن حرية الضمير والاعتقاد الذي تقرها الجمهورية التركية ، ومؤيدو العلمانية وهم الذين يرون الدين الإسلامي عاملا معوقا للتقدم والالتحاق بالحضارة المعاصرة ومن أبرز هؤلاء رجب بكر السكرتير العام للحزب الجمهوري .

وأن الرسـوب في مـادة الـدين أو الـنجاح لا يؤثـر في الانتقال إلي الصفوف الأعلـي ، ومن الضروري لالتحاق الطلبة بفصول تعلم مادة الدين أن يكتب أحـد الـوالدين طلباً رسميا بذلك إلي إدارة المدرسة ، وتعتمد المقررات علي كتب منشورة من قبل رئاسة الشئون الدينية وأجازتها للدراسة ووزارة التعليم التركية .

وفي ٢٠ مايـــو عام ١٩٤٨ قررت وزارة التعليم علي وجه السرعة فصولا دراسية للأئمـــة والخطـــباء "Imam ve Hatip kurslari" ، وبدأت في يناير عام ١٩٤٩م بأنقـرة واسـطنبول ، وتبعتها بعد ذلك مدن أخري ، هذه الفصول الدراسية التي كانـت مـدتها عشرة أشهر أعطيت للمتخرجين من المدارس المتوسطة وغيرها ، ومـع نهاية عام ١٩٤٩ تخرج من هذه الفصول ما يقرب من خمسين شابا ، وأثناء الاحـــتفال بتخرجهم أكدوا أنهم لن يستغلوا مكانتهم في إشاعة التعصب الديني، وأنهم ســيظلون أوفياء للروح العلمانية ، وأوقفت هذه الفصول الدراسية حين أصبحت الدراسة منتظمة في مدارس الأئمة والخطباء عام ١٩٥١ م .

وفي يونـــية عام ١٩٤٩ م أيضا وافقت الجمعية الوطنية علي تأسيس كلية الإلهيات في أنقرة والـذي صرح وزير التعليم التركي "بأنها لن تكون كالمدارس الإسلامية التقلـيدية وإنما ستكون كالمصباح الذي يفزع الخرافة ويلقيها في سلة المهملات" ، ونظر إلي هذه المظاهر الجديدة باعتبارها عودة للدين الإسلامي[1] .

---

(١) اعتمدنا علي رصد التحولات الدينية في تركيا في هذه الفترة بشكل أساسي علي كتاب:
Mehmet yasar. Op. cit, p 67 - 68.
وراجع أيضا المتابعة الدقيقة للتحولات الدينية في تركيا في كتاب:
Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Op. cit, p. 170.
وأيضا الكتاب المهم :
Feroz Ahmad, The Turkish Experment in Democracy, 1950 - 1975, (London: Hurst, 1977) pp. 21, 38.

- كل ذلك الجدل والنقاش والقرارات المتصلة بالدين يتم في ظل سياق علماني صارم بقوده انكشارية الكمالية الجدد الذين حرصوا علي ألا تكون هناك أية قوانين دينية متعارضة مع العلمانية .

ومع ذلك فإن السياسيين الذين فضلوا أن لا يعلنوا معارضتهم للدين قد ازدادت أعداهم بشكل ملحوظ حفاظاً علي دعم الجماهير لهم ، فالحقيقة التي لم تستطع العلمانية الكمالية أن تخفيها هي إصرار **الشعب التركي علي العودة للقيم الدينية والتي لعبت الدور الأهم في حياتهم اليومية منذ دخولهم للإسلام** . فلم يعد **بالإمكان** منع المعتقدات الدينية من التعبير عن نفسها بين الناس ، بل إن ماكان **يعد** من المحظورات الدينية وفق القوانين العلمانية للكمالية ظل يعمل بقوة في بعض الأماكن ، و المعارضة للعلمانية الغالية بدأت تعبر عن نفسها داخل الحزب الجمهوري نفسه ، ومع التحول ناحية نظام التعدد الحزبي عام ١٩٤٦ م فإن التيارات الدينية سوف تعبر عن نفسها داخل فضاء أحزاب المعارضة .

* * *

وتشير "سوزانا بكيرنيج" إلي أن كلية الإلهيات افتتحت عام ١٩٠٠ ثم أغلقت عام ١٩١٩م لتصبح قسم العلوم الدينية ، وشهدت انخفاضا في طلبتها مابين عام ١٩٢٤ - ١٩٣٣م ، وتأسست عام ١٩٣٣ م كلية الإلهيات في جامعة اسطنبول ولكنها أغلقت عام ١٩٣٦ م وهي التي عبرت عن قمة الصعود العلماني للأيديولوجية الكمالية وراجع:

Susannah Pickering, Eslamic Eduction and The state in Turkey since 1980, (London University, 1992).

المبحث الثاني:
الاسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية السياسية
(١٩٤٦ - ١٩٦٠م)

- العلمانية الأتاتوركية حملت في داخلها بذور تناقضاتها التي لا تزال تركيا تتحمل أعباءها في أزمات أخطرها أزمة الهوية، كما أن أزمة الشرعية لاحقتها أيضا فهي تقدم نفسها للمواطن التركي وللعالم باعتبارها نموذجا للحداثة والعصرنة والعقلانية والتقدم في مواجهة الارتداد والتخلف والرجعية، ولكن الممارسة عكست مدي تخلف وانحطاط هذه الأيديولوجية التي عكست روحا فاشية متصلبة هزمت في الحرب العالمية الثانية.

ولم يعد ممكنا تعايشها مع العصر وقيمه الجديدة، كما أن التطورات الداخلية في تركيا خاصة الأشواق الدينية التي قمعت بقوة وعنف غير مسبوقين كانت تبحث لها عن متنفس وبدا أن النظام السياسي العلماني للحزب الواحد أضيق من التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عاشتها تركيا حتي داخل الحزب الجمهوري نفسه.

أولا: إعلان التعددية الحزبية وظهور الحزب الديموقراطي:

- هذه التطورات كان لا بد أن تجد لها متنفساً وهذا ما شعر به "عصمت أينونو"، ووجد أنه لا مفر من إعلان التعددية الحزبية خاصة وأن "أتاتورك" سبق له وأن حاول اصطناع حزب معارض من قبل هو "الحزب الجمهوري الحر"، فأتاتورك كان لديه شعور قوي بأن أحد أدوات العصرنة والالتحاق بالغرب هو أن يكون هناك أكثر من حزب سياسي واحد.

وفي نوفمبر عام ١٩٤٥م أشار " عصمت أينونو " إلي أنه حان الوقت لإجراء تعديل

رئيسي في نظام الحزب الواحد لكي نجعله متلائمًا مع متطلبات العصر ، فالنقص الرئيسي في النظام هو فقدان حزب معارض وأعلن أنه "للبقاء مع متطلبات البلاد والتعايش مع جو الحرية، والديموقراطية فإنه سيكون بالإمكان تكوين حزب سياسي آخر".

- تشير المصادر إلي أن هناك سببًا داخليًا هو مناقشة لا ئحة الإصلاح الزراعي الذي تبناه حزب الشعب الجمهوري والذي جوبه برفض من بعض أعضاء الحزب ، وسبب خارجي وهو توقيع تركيا علي اتفاقية تأسيس الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، والمطالبة بضرورة الالتزام بالاتفاقيات الدولية والمعايير الجديدة للنظم السياسية التي تحترم حقوق الإنسان وتمنح الناس حق الحرية والاختيار بما في ذلك الحق في الانتخابات الحرة بين أحزاب متنافسة .

وعبرت المجموعة المعارضة من الحزب الجمهوري عن نفسها بشكل قوي عند مناقشة ميزانية وزارة التجارة عام ١٩٤٥م وإعدادها تقريراً يطالب بالحرية والديموقراطية والمراقبة والشفافية وتعدد الأحزاب ، ورفضت الهيئة البرلمانية للحزب التقرير ، ثم طردت المجموعة المعارضة التي كان يتزعمها "فؤاد كوبريللي"، "وعدنان مندريس"، "وجلال بايار"، "ورفيق قورالتان"[(١)] .

- أسست المجموعة التي طردها "حزب الشعب" حزبا جديدا باسم

---

(١) عن التطورات التي عرفتها تركيا بعد الحرب العالمية الثانية والتي قادت إلي نظام التعدد الحزبي يمكن مراجعة العديد من المراجع: الصفصافي أحمد المرسي ، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة ، الجزء الأول ، حرب الاستقلال والجمهورية الأولي ١٩١٨ - ١٩٦٠ ، م. س. د. ، ص ١٤١ - ١٦٤ ، وأيضا:

Bernard Lewis, The Emergence Of Modern Turkkey (London: oxford university press, 1968) pp. 254 - 270.

وأيضا.

kamal H. Karpat, Turkey. s Politics: Ttransition To Multi - Party System, Op. cit, p. 143 - 146..

"الحزب الديموقراطي"، في السابع من يناير عام ١٩٤٧ م بزعامة " جلال بايار "، وكان هو الحزب الثاني في تركيا بعد حزب "النهضة القومية"[(١)].

وهكذا دخلت تركيا مرحلة سياسية جديدة هي مرحلة التعددية السياسية والحزبية، وكما يشير "أحمد السعيد سليمان" في كتابه "التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة"، الحزبان كانا يمثلان في البداية جبهة متحدة ضد التيار الإسلامي الذي لم يضعف أبدا في الأناضول، فالحزب الديموقراطي وإن كان أقل في عدائه للدين من الحزب الجمهوري ولكنه كان حزبا " لا دينياً "[(٢)]

وجرت انتخابات المجالس البلدية الأولى في تركيا في ظل نظام تعددي وبانتخاب مباشر من الشعب في ٢٦ مايو ١٩٤٦ م، ولم يدخلها الحزب الديموقراطي.

تحول سلوك الحزب الجمهوري ليتجاوب مع الحالة السياسية الجديدة فألغى العديد من القوانين المقيدة للحريات والتي غل بها الحركة السياسية والمجتمعية للبلاد، وأجريت الانتخابات العامة في ٢١ يوليو ١٩٤٦ م، ورغم تردد قادة الحزب الديموقراطي في دخول الانتخابات لكن قواعد الحزب طلبت منهم دخولها فاستجابوا، وكان مؤيدو الحزب الديموقراطي من معارضي الجمهوريين يتعاظمون بشكل مذهل لدرجة أن الحزب صار له تنظيماته في كل أقاليم تركيا وحتى قراها.

وانضم للحزب المارشال "فوزي جاقماق" المشهور بتدينه وشرفه

---

(١) عن حزب النهضة القومية راجع: عبد العزيز محمد عوض، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة، م. س. ذ، ص ٤٣ حيث يذكر أن حزب النهضة القومي دخل الانتخابات المحلية عام ١٩٤٦ م، واستطاع أن يحقق بعض النجاح، كما دخل انتخابات عام ١٩٥٠ ولم ينجح في الحصول على أية أصوات، وأسس الحزب رجل الأعمال التركي "نوري داميراغ" وتأسس الحزب في يوليو عام ١٩٤٥ م.

(٢) أحمد السعيد سليمان، التيارات القومية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص ٧٧.

واستقامته وحب الناس له وكان له مكانة متميزة بين الجماعات الدينية ، **واتخذ الحزب الديموقراطي شعار " كفاية.. خلاص "**[1] وفي هذه الانتخابات استطاع الحزب الديموقراطي أن يحصل علي ٦٤ مقعداً معظمها في المدن الكبري ، وأن يحصل علي ١٨ مقعدا في اسطنبول من مجموع ٢٧ مقعدا ولم تعلن النتائج إلا بعد ثلاثة أيام[2] .

- بدا واضحا أن الديموقراطية دقت بقوة وسرعة لم تكن متوقعة الأبواب التركية ، وأن قوي المعارضة للعلمانية الكمالية متجذرة بقوة في قلب المجتمع التركي الباحث عن الديموقراطية والحرية بكل حيواته التي لا يمكن حصارها أو مدافعتها[3] .

ووفق ما رواه " رجب بكير " أشد الكماليين تطرفاً فإنه لما كلف بتشكيل الوزارة الجديدة عام ١٩٤٦ م ، وكان في مبني مجلس الأمة الكبير تجمع علي

(١) الصفصافي أحمد مرسي ، التطور الديموقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة ، الجزء الأول ، م . س . د ، ص ١٥٨ حيث يشير إلي أن الأفيش الانتخابي للحزب الديموقراطي كان " خلاص.. كفاية " ، وكانت الجماهير تلتف حول الحزب بشكل غير مسبوق ، كما أن منع الأحزاب اليسارية والدينية جعل المعارضة الدينية واليسارية معا تحاولان التعبير عن معارضتهما تحت لافتة الحزب الديموقراطي ، ومن المصادفات القدرية المثيرة أن تكون حركة " كفاية " هي التي فجرت الوعي المصري بضرورة التغيير والإصلاح للنظام المصري نحو ديموقراطية تعددية حقيقية عام ٢٠٠٥ ، وأصبحت كلمة " كفاية .. خلاص " هي اللافتة أو المظلة التي تتحرك تحتها القوي الاجتماعية والسياسية المصرية الرافضة لممارسات الحزب الوطني الحزب الوحيد في البلاد الذي يسيطر علي موارد الدولة السياسية ويبدو معه النظام الحزبي في مصر كما لو كان نوعا من الحزب الواحد ، وهو هنا يشبه لحد كبير حزب الشعب الجمهوري الذي كان يحكم تركيا بعد الحرب العالمية الثانية ، كما أن الحالة المصرية يمكن مقارنتها مع الحالة التركية في هذه الحقبة ، وعن الحزب الجمهوري ونشأته راجع إبراهيم العريس ، **الحزب الديموقراطي يخرج إينونو من الحكم، الحياة، ٢٢ مايو ٢٠٠** ويذكر المقال أن عهد " إينونو " كان من أسوأ عهود الاستبداد في تركيا إذ كان من لا يمكنه دفع الضرائب القاسية التي تفرضها الدولة يذهب لمعتقلات السخرة .

(٢) ظل والي اسطنبول لا يريد إعلان النتائج لمدة ثلاثة أيام والناس تنتظر علي أحر من الجمر ، ووزارة المارشال فوزي جا قمق وطالبه باحترام كلمة الناس وإعلان النتائج . نفس المرجع ، ص ١٦٠ .

(٣) نفس المرجع ، وهو ينقل عن جريدة " الجمهورية " التركية عام ١٩٤٦ م في ٢٦ يوليو

الجانب المواجه للمبني جموع غفيرة من الناس البسطاء ولما رأته هتفت "يحيا الديموقراطيون"، وفي انتخابات عام ١٩٥٠ م فاز الحزب الديموقراطي بأغلبية مقاعد البرلمان التركي بنسبة بلغت ٥٣,٦٪ مقابل ٤٠٪ لحزب الشعب الجمهوري وأصبح "جلال بايار" رئيساً للجمهورية و"عدنان مندريس" رئيساً للوزراء وظل الحزب يحكم تركيا حتي عام ١٩٦٠ حين قام انقلاب جمال كورسيل" بقيادة لجنة الوحدة الوطنية Nuc .

ثانيا : الأحزاب الإسلامية الجديدة إبان التعددية السياسية :

- مع كسر شوكة حزب الشعب الجمهوري وعدم وضوح موقف الحزب الديموقراطي من الدين ، استقال المارشال " فوزي جاقماق " من الحزب الديموقراطي وأسس حزباً مستقلاً هو حزب الأمة عام ١٩٤٨م وانضم إليه التيار الديني داخل الحزب الديموقراطي ، وأكد حزب الأمة علي حرية الوجود والمعتقد للأفراد لممارسة الدين باللغة التي يختارونها . وقال السكرتير العام للحزب: "إن مبادئ العلمانية تمنع الدولة من التدخل في القضايا ذات الطبيعة الدينية".

وفي ٤ فبراير عام ١٩٤٩ م تم رفع الأذان باللغة العربية في "المجلس الوطني الكبير"، وعلقت صحيفة Kudret المتحدثة بلسان "حزب الأمة" إن الحكومة هي المسئولة عن ذلك لأنها منعت حرية التعبير عن الضمير"، بينما قالت جريدة ULUS الناطقة بلسان حزب الشعب "إننا إذا سمحنا للرجعيين بترتيل الأذان اليوم ، فإنهم سوف يطالبون غداً بالشريعة وإعادة الخلافة الإسلامية"[1] .

(1) Mehmet yasar. Op. cit, p. 70.

وطالب الحزب الديموقراطي وحزب الأمة بإلغاء المبادئ الستة للكمالية من الدستور، إذ لا يجوز إبقاءها ضمنه مع التعددية الحزبية وقبل " إينونو " هذا الجدل وحذفت مبادئ الحزب الكمالي من الدستور التركي، وأصبح لحزب الأمة وجوده المؤثر في الخمسينيات، فقد دخل الانتخابات البرلمانية وحصل علي مقعد واحد، ولكن التوجهات الإسلامية الواضحة للحزب جعلت الحزب الديموقراطي وبموافقة من الحزب الجمهوري يتخذ قراراً بحله قبل انتخابات ١٩٥٤م بحجة أنه يستغل الدين في السياسة، ولكن محكمة النقض التركية ألغت قرار الحل، بيد أن الحزب أعاد تشكيل نفسه من جديد باسم "حزب الأمة الجمهوري"، وحصل علي خمسة مقاعد في انتخابات عام ١٩٥٤ م(١).

- شهدت الخمسينيات انتعاشاً واسع النطاق للطرق الدينية مثل "التيجانية" "والنقشبندية" "والبكتاشية" "والقادرية"، وتأسس عام ١٩٥١م حزب جديد اسمه "الحزب الديموقراطي الإسلامي" أسسه "رفعت جواد أتيلخان" المعروف بعدائه الشديد للماسونية واليهودية، وكان يسعى لسد الفراغ الروحي الذي كانت تعيشه البلاد في ذلك الوقت، ولكنه أحيل للمحكمة بتهمة استخدام الدين في السياسة، وأغلق بعد ستة أشهر من تأسيسه، فقد تضمنت المادة الأولي لبرنامجه "إن رابطة الحزب التي هي المبادئ المقدسة وعقائد

ونصت المادة الثانية عشرة من برنامج حزب الأمة علي "حرية الضمير والاعتقاد لكل مواطن وحقه في ممارسة عبادته باللغة التي يريدها"، وعن واقعة الأذان في البرلمان فإن شابين دخلا خلسة ورفعا الأذان الذي كان ممنوعا منعاً باتاً.

(١) عن حزب الأمة وبرنامجه راجع طارق عبد الجليل السيد، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، دراسة في الفكر والممارسة، القاهرة: جواد الشرق، ط١، ٢٠٠١ - ١٤٢١ هـ، ص ٦٤ فهو يذكر "يقدر الحزب قيمة العقيدة والأخلاق والأعراف والعادات والتقاليد والمشاعر العظيمة في تشكيل النظام الاجتماعي فهي لايمكن أن تتغير أبداً وتظل دوماً خارج سيطرة الدولة" وايضا عبد العزيز محمد عوض الله، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة، م. س. ذ، ص ٥٤

الأمة ستحمي من كل تدخل".

أما المادة الثالثة فنصت علي "ستلغي المبادئ التي لا تتفق مع مطالب وميول الأمة" وهو ما اعتبرته المحكمة مخالفاً للدستور، ورغم عدم تحقيقه نجاحًا أو تأثيرًا يذكر لكنه وقف ضد المد الشيوعي ونظم هجمات علي اجتماعات الأحزاب اليسارية ومثقفيها وهو ما أرعبهم وأخافهم منه[١].

وتأسست أحزاب أخري مثل حزب "**الدفاع عن الإسلام**"، **وحزب "النهوض الوطني"** وكلها أحزاب ذات فلسفة إسلامية[٢] ورغم أن الحزب الديموقراطي كان تعبيراً عن اختلاف مع الحزب الجمهوري في بعض المضامين السياسية وليس في جذورها أو أصلها، **لكن نجاحه الكاسح في انتخابات عام ١٩٥٠ نظر إليه باعتباره عصراً جديداً في التاريخ التركي** لأنه للمرة الأولي منذ الجمهورية يأتي حزب إلي السلطة تعبيراً عن الإرادة الشعبية للجماهير، وتحدث نائب للحزب الديموقراطي في الجمعية الوطنية **قائلا "أتاتورك كانت رئاسته تعبيراً عن الاستقلال، وأينونو " رئاسته تعبيراً عن الشمولية،**

---

(١) عن الحزب الديموقراطي الإسلامي راجع: نفس المرجع، ٦٥ وأيضاً أحمد نوري النعيمي، **الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، حاضرها ومستقبلها**، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، م. س. ذ، ص ٣٠. وأيضا إدريس بوانو، **معادلات خفية في الصراع بين التيار الإسلامي والتيار العلماني في تركيا، المستقبل العربي**، ع يناير ٢٠٠٤، ص ٧٠، وكان "جواد رفعت أتليخان" أسس عام ١٩٤٧ حزباً اسمه "حزب المحافظين" اعتمد علي الأسس الإسلامية في برنامجه، وأغلق قبل أن يبدأ نشاطه، وهو نفسه كان من مؤسسي حزب النهضة الوطني ذات التوجهات الإسلامية أيضاً ولجواد رفعت أتليخان كتاب مترجم إلي العربية بعنوان "**أسرار الماسونية**"، وعدة كتب أخري منها "**الخطر المحيط بالإسلام**" إسلام صاران تهلكة"، **وأيها التركي اعرف عدوك** "تورك أوغلي دوشمانك طاني"، **والدولة الخفية** " كيزلي دولت"، وراجع جواد رفعت أتليخان، **أسرار الماسونية**، ترجمة نورالدين الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي، هدية مجلة الأزهر، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ. وعن وضع الماسونية في تركيا وتاريخها راجع، أورخان محمد علي، **كيف ولماذا أغلق كمال أتاتورك المحافل الماسونية في تركيا، المجتمع الكويتية**، ع ١٥٨٦، ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٤.

(2) Karapat, Turkey, s politics Transition To multi - Parti System, op. cit, P. 283 - 285.

و " بايـــار " رئاسته تعبيراً عن الحرية ، وفي أنقرة قال خطيب مسجد "تاج الدين" في أنقرة" : "الحمد لله أننا تحررنا من حكومة حزب الشعب "(١) .

ثالثا : الحزب الديموقراطي وبدايات الإحياء الإسلامي في تـركيا :

- قـدم الحـزب الديموقراطـي رؤيـة جديـدة للإسـلام تراه عقيدة ودينا للأتـراك كالمسيحية بالنسبة للمجتمعات الغربية ومن ثم لا بد من احترامها ، **فكما أن الأقطار الأوربية هي مسيحية المعتقد إلا أن أنظمتها السياسية علمانية والشئ نفـسه ينطـبق علي الدين الإسلامي** فهـو ديـن الأتراك مع الاحتفاظ بالعلمانية كنظام سياسي .

وعـبرت عـن ذلـك صـحيفة الحـزب ZAFAR بقـولها: "إن الحـزب الديموقراطـي قـد وضـع المـبادئ النقية للإسلام أمامه ، فهو المرشد والمساعد للعلم والتقدم والفضيلة والأخلاق الحسنة" . وفي التصريحات المتكررة لقادته قالوا: "لارجوع عن فصل الدين عن الدولة ، إلا أن تركيا بلد مسلم وستبقي كذلك "(٢) .

بـل إن "مـندريس " قال " **نعلن بأن تركيا مسلمة وستبقي مسلمة، ويجب عدم إبقـاء ا لطفـل بعيدا عن تعاليم الدين الذي يعد حقاً من حقوقه الطبيعية**" وكـذلك الشروح الإسلامية(٣) .

- سمـح الحـزب الديموقراطـي بعودة الأذان باللغة العربية ، وأن تكون الـصلاة باللغـة العـربية ، وعـودة تـلاوة القرآن لبرامج الإذاعة التي تبث من أنقـرة ، وعـودة حـصص التربـية الدينـية للمدارس ، وتخصيص حصص من

---

(1) Mehmet yasar. Op. cit, P. 74.

(٢) راجـع هـذه التـصريحات لمندريس في: أحمـد نـوري النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها ، م . س . ذ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٥ وهي جزء من خطاب ألقاه في مدينة "قونية" عام ١٩٥٤م .

ميزانية الدولة للتعليم الديني في مدارس الأئمة والخطباء، وفي قونية قدم أعضاء في الحزب الديموقراطي مذكرة إلي مؤتمر حزبي محلي عام ١٩٥١م تطالب بعدم حظر العمامة للرجل أو الحجاب للمرأة، أواستخدام اللغة العربية، وإعادة الاعتبار للأحكام الشرعية في المعاملات مع المطالبة بإباحة تعدد الزوجات[1].

وتقررت حصص التربية الدينية عام ١٩٥٦ علي المدارس الثانوية، وأعيد فتح معهد الدراسات الإسلامية في اسطنبول عام ١٩٥٩م، ونشطت حركة النشر والمطبوعات الإسلامية، وزاد عدد النساء اللواتي يرتدين الحجاب في تركيا. كما زاد عدد الأشخاص الذين يبادرون إلي بناء المساجد بشكل ملحوظ منذ عام ١٩٥٠ م، وزاد عدد المراكزالإسلامية التي بنيت بالجهود المالية الذاتية، وزاد عدد الحجاج الذين يرغبون في أداء فريضة الحج، كما زاد عدد زوار مشاهد ومقابر أولياء الله الصالحين.

ولوحظ زيادة أعداد الصائمين في شهر رمضان. وزادت أعداد الذين يصلون الجماعات في المساجد ويظهرون التبجيل تجاه الأئمة والوعاظ، وزاد الاقتباس والاستشهاد من القرآن الكريم بين العامة، وانتشرت المكتوبات

(1) Mehmet yashar, op. cit, p. 76 - 77.

حيث أشار إلي أن تلاوة القرآن الكريم من إذاعة "أنقرة" بدأت مع الاحتفال باليوم الأول من شهر رمضان وبدأت بعشر دقائق في الصبح ومثلها في المساء. وصرح "مندريس" أن جعل الأذان باللغة التركية في عهد "أتاتورك" كانت تفرضه ظروف الثورة، لكنه اليوم يمثل جرحاً للضمير الديني ويتناقض مع حرية الضمير والاعتقاد، وقال إمام مسجد في اسطنبول "إن العالم الإسلامي من حولنا يؤذن بالعربية والترجمة للتركية شئ معيب".

ويصف مصطفي محمد، المشاعر الجياشة لمسلمي تركيا عند عودة صوت المؤذن من جميع المنارات بالآذان الله أكبر فيقول "فما تري تركيا موحدا إلا وخر في الطرقات ساجدا شاكرا لله عز وجل، داعياً بالخير لعدنان مندريس وراجع مصطفي محمد، **الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا**، ألمانيا الغربية، ط١، ١٩٨٤ - ١٤٠٤ هـ، ص ٢٠.

الدينية في الأماكن العامة كالمتاجر، ووسائل النقل، وبدأت الطرق الصوفية ذات الطابع الشعبي في العودة من جديد، وانتشرت الرسائل الدينية التي يطبعها الأفراد علي نفقتهم، وازداد الاهتمام بما يجري في الأقطار الإسلامية الأخري، وزاد عدد الطلاب الذين يلتحقون بكلية الإلهيات. وزاد عدد الجمعيات الإسلامية الأهلية[1]، وشهدت مديرية الشئون الدينية توسعا هائلاً في اختصاصاتها.

- شهدت الخمسينيات عنف المواجهة بين "الكمالية" "والإسلام"، فعلي سبيل المثال فإن أحد نواب الحزب الديموقراطي عن "سامسون" كتب في أكتوبر عام ١٩٥٢ م في مجلة Buyuk Cihad "أي الجهاد الأكبر وذكر "أنه **ليس حقيقة أن الأمة ممتنة لقيام " أتاتورك " بالثورة.. الأمة يجب أن تبحث عن حل في القرآن الكريم**".

وأشاد أحد الأئمة بالعمامة في خطبته وتحدث عن خطر الاختراق الغربي للأمة"، بينما كانت عناوين الدوريات الإسلامية تصدر بمانشيتات من قبيل "إلي أي حد تم تدمير الأجيال" أو "لماذا تنوح هذه الأمة؟"، وعبرت الطريقة التيجانية عن احتجاجها علي الكمالية بطريقة عنيفة فذهبت تدمر وتكسر تماثيل أتاتورك "في الفترة ما بين ٥١ - ٥٢ م لأنها منافية للإسلام[2].

(١) عن مؤشرات العودة للدين في المجتمع التركي في فترة الخمسينيات راجع بشكل أساسي:
Mehemt yashar, op. cit, p. 77.
Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Tukish Nationalism And Turkish Repuplic (London: Hurst&Company, 1997) p.171.

(٢) اصطدم أصحاب هذه الطريقة مع رجال الشرطة وهم يحاولون تحطيم تماثيل أتاتورك ولذا قبض علي "علي بيلا و أوغلو" ومجموعة من مريديه وقدموا للمحاكمة عام ١٩٥٢ م، وقضت المحكمة عليهم بعقوبة تراوحت بين ٥ - ١٠ سنوات بينما فرضت الإقامة الجبرية علي شيخ الطريقة، وتلاشت الطريقة التيجانية من تركيا عام ١٩٢٥، لكنها عادت مرة أخري بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عندما أصبح "كمال بيلاو أوغلو" رجل الأعمال التركي الضليع في القانون بتجديد هذه

وتعرض الكاتب الصحفي العلماني "أحمد أمين يالمان" لهجوم بسبب تنظيمه لمسابقة ملكات الجمال اللواتي ظهرن وهن شبه عاريات، وتحرك الحزب الديموقراطي فأدان "نجيب فاضل" الذي كان يصدر مجلة "الشرق الكبير Buyuk Dogu، وأدان "أشرف أديب" الذي كان يصدر مجلة "سبيل الرشاد" وأوقفت المجلتان، وقبض علي الشباب الذين هاجموا ""أحمد أمين يالمان"[1].

- مع تزايد المؤشرات التي تؤكد علي التحول ناحية الإسلام في تركيا، **فإن معارضي الحزب الديموقراطي ركزوا علي ضرورة عدم استخدام الدين في السياسة والذي يمكن أن يقود إلي تدمير المجتمع**، وطالبوا بمعاملة الصحف الإسلامية مثل "أهل السنة" وطريق الإسلام" وطريق الله" كالصحف اليسارية المتشددة التي تم إغلاقها، وكان **الحزب الديموقراطي يؤكد علي مفهومه للعلمانية التي تمنع استخدام الدين في السياسة ولكنها في نفس الوقت تحترم حرية التعبير**

الطريقة وأصبح شيخاً لها، كما شنت السلطات حملة واسعة علي الطريقة النقشبندية عام ١٩٥٤م في ماردين وقبض علي ١٧ منهم، وحاكمت شيخ الطريقة المولوية في يونية عام ١٩٥٠ م، وشيخ القادرية في مارس ١٩٥١ م، وقبضت علي جماعة من البكتاشية وراجع إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ٦٦، واستنت الدولة قانونا لحماية تماثيل أتاتورك من العدوان وكذلك ذكر سيرته بسوء. وعرف باسم قانون "حماية أتاتورك" وراجع المطلب الأول من الفصل الثالث من هذه الدراسة بعنوان الطرق الصوفية وتجلياتها المعاصرةفي تركيا حيث أشرنا إلي الطريقة التيجانية ومعارضتها للكمالية، ص ٢٩١.

(١) أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ٣٧ - ٣٨، وقد جرح أحمد أمين بلسان جرحا بالغا ولم يقتل، وتعاون مع توجهات الشرق الكبير الحزب الديموقراطي الإسلامي، وعن حياة نجيب فاضل راجع:
www. bab. com ولد عام ١٩٠٤ ومات عام ١٩٨٣ م، وكان يلقب بسلطان الشعراء وله تأثير فكري هائل علي حركات الشباب الإسلامي في تركيا. ومثلاً راجع تأثير نجيب فاضل علي "عبد الله جول" وزير خارجية تركيا الحالي وأحد كوادر الحركة الإسلامية الطلابية في تركيا فترة السبعينات
Arabic/famous/2002/11/article www. islamonline. net //
وأيضاً تأثيره علي "طيب أردوغان".

والتفكير والضمير وتحترم الإسلام كدين للأتراك . وظهر داخل الحزب الديموقراطي جناح إسلامي قوي عام ١٩٥٣م ، وهو ما دفع مندريس لمهاجمة الميول الإسلامية لبعض أعضاء البرلمان داخل الحزب .

وقال "الحزب الديموقراطي ليس قسماً داخلياً أوفندقا يقبل أناساً يخالفون أفكاره ومبادئه . . إن الحزب يوافق علي جميع المظاهر الدالة علي احترام الإسلام في تركيا ولكنه يعارض الأحكام الشرعية لأن العمل من جديد بمقتضاها يؤدي إلي إرباك الدين بالسياسة وبلبلة الشئون الدينية "(١) .

وطرد مندريس من الحزب تسعة نواب كان من بينهم اثنان من الوزراء السابقين عام ١٩٥٥ م ، وقطع عشرة نواب علاقتهم بالحزب للعمل كمستقلين ، وحذا حذوهم ستون نائباً ، وتشكل حزب جديد علماني هو حزب "الحرية" بزعامة فوزي لطفي قره عثمان أوغلو نائب "مانسيا" ، وإبراهيم أوقتم "بيروسة" ، وجمع الحزب حوله تسعة وعشرين نائبا ليكون بذلك أهم قوة في المجلس الوطني الكبير ، وهذا في الواقع كان أحد الأسباب التي عززت التوجهات الإسلامية للحزب الديموقراطي ، فالانشقاقات العلمانية داخل الحزب جعلته يتجه بشكل تلقائي ناحية القوي والاتجاهات الإسلامية(٢) .

– هناك مؤشرات لا تخطؤها العين علي استخدام الحزب الديموقراطي للدين في أغراض سياسية ، فالمعلومات تشير إلي وجود علاقة بين "مندريس" و "نجيب فاضل" الكاتب الإسلامي ذو النزعة المتشددة حيث كان يحصل علي الدعم بين الحين والآخر من الحزب الديموقراطي الذي مول جريدة الشرق الكبير التي كان يصدرها ، والانطباع العام هو أن الحزب الديموقراطي

(١) نفس المرجع ، ص ٤٦ .

(2) Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, Opcite, p 172 .

كـان يلجـأ لنجـيب فاضـل حـين يكـون محـتاجاً لدعمه في مواجهة التيارات اليسارية والتيارات الإباحية المعبرة عن الماسونية .

كما أشار " مندريس " في حملته الانتخابية عام ١٩٥٧ إلي أن تركيا في السبع سـنوات المنقـضية بني بها أكثر من ١٥ ألف مسجد ، وأدت نجـاة مندريس " من حادث تفجر طائرته قرب " لندن عام ١٩٥٩ م ، فيما اعتبره الناس معجزة - إلـي الاقـتراب بقـوة مـن الإسـلام ، و الابتعاد عن العلمانية والإصلاحات الكمالـية الـتي تعرضت للهجوم والنقد **وهو ما جعل العديد من الباحثين ينظرون إلي الحزب الديموقراطي نفسه كأحد تجليات " الإحياء الإسلامي " في تركيا**[١] .

ووظـف الحـزب الديموقراطـي الاتجاهـات الإسلامية المتزايدة بين الناس لدعـوتهم إلـي الانـضمام للجـبهة الوطنـية Vatan Cephesi وهـو مـا وصفه " أينونو " بأنه تقسيم للبلاد وتهديد لوحدتها ، واتخذ الهجوم المتبادل بين الحزبين " الديموقراطـي " ، " والجمهـوري " ، طابعـاً دينـيا حـتي قيام الانقلاب الأول عام ١٩٦٠ والـذي كـان اسـتباقا مـن الجيش والقوي العلمانية لقطع الطريق علي المظاهـر الإسـلامية الـتي أعطـت الانطـباع بـأن تركيا في طريقها للتخلص من " الكمالية " والعودة إلي ذاتها وجذورها وتقاليدها المستمدة من الإسلام[٢] .

وبشكل عام فإن الإسلام ظل حاضرا وبقوة في حسابات الأحزاب التركية حتي

---

(1) Ibid, p. 173.

وراجع أيضا: - feroz Ahmad, The Turkish Experment in Democracy:1950 (London:C, Hurst, 1977) p. 372, 1967

(٢) إبـراهيم الدسـوقي شتا ، الحركة الإسلامية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٦٩ حيث يميل إلي أن الحزب الديموقراطـي في النـصف الثانـي مـن عقد الخمسينيات بدأ يتحول فعلاً ناحية إدراك أن الإسلام هو قـدر تـركيا ، وتشير بعض المراجع إلي اعتقاد الجيش بأن دعم الحزب الديموقراطي للنورسيين سوف يقـود إلـي عـودة تـركيا مـرة أخـري لـتكون دولة دينية ، راجع طارق عبد الجليل السيد ، الحركات الإسـلامية فـ تركيا المعاصرة ، م . س . ذ ، ص ٦٠ وهو ينقل عن شريف ماردين في كتاب مكتوب باللغة التركية بعنوان الدين والسياسة في تركيا Turkiyede Din ve Siyaset .

أكثرها علمانية وقت الانتخابات بالذات ، فقد تعاون مثلا عصمت "أينونو" مع حزب الأمة الجمهوري ذات الجذور الإسلامية ، وكانت القاعدة التصويتية لحزب الشعب الجمهوري في وسط الأناضول تأتي من الطريقة البكتاشية . كما كان العلويون الشيعة في تركيا يصوتون له علي اعتبار أن العلمانية الكمالية تحميهم كأقلية من التمييز والاضطهاد[1] .

رابعا : حركة النور والأحزاب السياسية بعد إعلان التعددية :

- نشير إلي علاقة "حركة طلاب النور" بالأحزاب السياسية في فترة مابعد الخمسينيات باعتبارها أحد تجليات الإحياءالإسلامي في هذه الفترة ، وكان السماح لها بالتعبير العلني عن نفسها وتخفيف الضغوط عليها تعبيراً عن الاعتراف بأهمية الدين والإيمان في حياة الناس وهوالتوجه الذي بدأ يظهر بقوة في تركيا حتي داخل "حزب الشعب الجمهوري" نفسه بعد الحرب العالمية الثانية - كما أسلفنا - و انعكس ذلك علي حركة "النور" التي قادها وأسسها الشيخ "سعيد النورسي" .

فمع عام ١٩٤٩م تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل تطور حياة الشيخ كما أرخها المتابعون لمسيرته وسيرته ، وهذه المرحلة تبدأ منذ خروجه من سجن "أفيون" وحتي وفاته عام ١٩٦٠ م .

كان " النورسي " في هذه الفترة يرسل الرسائل إلي السياسيين ورجال الحكم يحثهم فيها علي اتباع الشرع والاسترشاد بالإسلام الذي هوالحل الصحيح لكل مشاكل الأمة . وشهدت هذه الفترة فك الحصار عن رسائل وطلاب النور الذين أصبحت حركتهم قانونية وعلنية وغير مجرمة بناءً علي حكمين من المحاكم التركية التي أقرت بالإجماع انه "لا توجد أية فعاليات او نشاطات سياسية

(1) Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent. op. cit, p. 172.

لبديع الزمان النورسي وهو لا يدعو لتشكيل أية جمعية سياسية أو طريقة صوفية ومؤلفاته بأجمعها إيمانية وعلمية وهي تفسير للقرآن الكريم"، وانتشرت" رسائل النور" بشكل واسع جدا بين جموع الشعب التركي بكافة فئاته وطبقاته وتشير التقديرات إلي أن مايقرب من مليون نسخة من رسائل النور تم تداولها بين الناس بعد عام ١٩٥٠ ، وأن أكثر من هذا العدد قرأها.

- مع مجيء الحزب الديموقراطي إلي الحكم أرسل "النورسي" رسالة تهنئة لرئيس الجمهورية" جلال بايار" وأعلن تأييده للديموقراطيين، ورغم ذلك استدعي" النورسي" للمحكمة عام ١٩٥٢م في اسطنبول بسبب نشر أحد طلاب الجامعات التركية رسالة" مرشد الشباب"، وبرأت المحكمة الشيخ النورسي"، وكانت المحكمة في ذاتها تعبيراً عن المدي الذي تغلغلت فيه "رسائل النور" في نفوس الجماهير التركية الذين ضاقت بهم المحكمة التي حاكمت" النورسي".

وفي انتخابات عام ١٩٥٧م الذي فاز الحزب الديموقراطي فيها في مواجهة حزب الشعب الجمهوري صوت فيها " النورسيون " للحزب الديموقراطي "، بل إن سعيد النورسي "صوت بنفسه لصالح الحزب الديموقراطي تقديرا لاستجابة حكومته لبعض مطالب النورسيين الدينية ومنها إعادة السماح بزيارة الأضرحة وعلي رأسها ضريح " مولانا جلال الدين الرومي "، والذي وافقت الحكومة علي إحياء ذكري وفاته.

- بعد عام ١٩٥٦م أعيد الاعتبار للفكر النورسي الذي تم الاعتراف به رسمياً وتبرئته من قبل علماء متخصصين من رئاسة الشئون الدينية التركية الرسمية ومن أساتذة الجامعات في كليات الحقوق، بل ومن أساتذة ينتمون للتيارات اليسارية ذاتها. وسمح لأول مرة في تركيا بنشر حياة النورسي تحت عنوان" بديع الزمان".

ويشير رأي أحد المحاكم القضائية في رسائل النور إلي التحول الفكري الكبير في نظرة القضاة إلي الإسلام فهم يقولون "إن جرائم المتهمين هي قراءة تفاسير القرآن وشراؤها وحملها، فدين الشعب هو الإسلام، والكتاب الأساسي لهذا الدين هو القرآن، فقراءة تفاسير القرآن لا تخل بالنظم الأساسية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بل تقويها بالكتب المحتوية لمعاني القرآن، والشروح الدينية تحافظ علي النظم وهذه ضرورة لابد من قبولها، وفي هذا المعني قال نائب اسطنبول في المجلس الوطني الكبير "علي فؤاد باشكيل": "إن اتهام العقيدة النورسية هو اتهام للإسلام، فالنورسية ليست ذنباً، وإنما هي رجوع إلي الإسلام والإيمان الحقيقي الصافي".

- وفي سياق التوتر بين التيار العلماني والتيار الإسلامي في تركيا أواخر الخمسينيات قبض علي عدد من طلاب النور علي إثر حملة إعلامية علمانية علي "حركة النورسيين"، ومثلت المحاكمات التي تعرض لها أنصار النورسي" ساحة لكشف الأضواء علي الصراع الفكري في تركيا بين العلمانية والإسلام، كما كانت سبباً في ترسيخ فكرة "الإيمان" في مواجهة المادية واللادينية، وتعد المرافعات التي قدمها المحامون للدفاع عن أفكار "النورسي" ومشروعه الإيماني وثائق مهمة لمعرفة وكشف ماتعرضت له الدولة التركية علي يد الكمالية والعلمانية، وكانت في الوقت نفسه وثيقة إدانة لعصر أتاتورك والجمهورية.

وتوفي "النورسي" عام ١٩٦٠ حيث تم نقل رفاته بعد ذلك إلي مدينة "إسبرطة" علي يد الانقلابيين حيث دفن في مكان لا يزال مجهولاً[1].

(١) اعتمدنا علي المعلومات الواردة في المتن عن النورسية علي الكتاب المهم: أورخان محمد علي، سعيد النورسي، رجل القدر في حياة أمة، القاهرة، دار الفضيلة، وهو المرجع الأساسي الذي يعتمد عليه مثلاً أحمد نوري النعيمي في كتابه الذي اعتمدنا عليه هو الآخر أيضاً، احمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ويشير "شريف ماردين" إلي أن الصعود الكبير

وبشكل عام يمكن القول إن عقد الخمسينيات في تركيا كان هو عصر لتأسيس لظهور الحركة الإسلامية المعاصرة والتي ستعبر عن نفسها بشكل سياسي مستقل فيما بعد، وكان هوعصر عودة الإيمان واحترام الإسلام كدين في مواجهة التيارات الإلحادية التي عبر عنها حزب الشعب الكمالي، وكان تعبيراً عن تراجع العلمانية ومحاولة تكيفها مع حرية العقيدة والضمير لأغلبية المجتمع التركي فيما يمكن وصفه بالحطاط العلمانية التي أرساها "أتاتورك"، وبدت الحداثة هي التي تتأسلم فيما يمكن وصفه ب " أسلمة الحداثة" بدلاً من السياسة الكمالية التي كانت تريد للإسلام أن يتعصرن فيما عرف بسياسة " تحديث الإسلام". وكما سنري لن تستطيع الانقلابات الدورية التي شهدتها تركيا فيما بعد - أن تؤثر سلباً في المنجزات الإسلامية والديموقراطية التي تحققت في الخمسينيات في مواجهة العلمانية الشمولية رغم أنها عبرت وبثبات لا يتزعزع عن الوفاء للميراث الكمالي وللعلمانية.

* * *

للنورسية "كان في عقد الخمسينيات حيث اعتمد علي الدعاية الواسعة لأحد مراكزها المهمة في العاصمة الألمانية "برلين"، كما يشير إلي أن معظم منتسبيها في تركيا يأتون من القرى الصغيرة في الأناضول، راجع الكتاب المهم بالإنجليزية:

Serf Mardin, Religion and Social Change in Turkey: The case of Bediuzzaman said Nursi, (Albany: state University of New york press, 1989).

المبحث الثالث:
الاسلام والاحزاب السياسية في تركيا
(١٩٦٠ - ١٩٧٠م)

- مثلت مرحلة التحول الديموقراطي في تركيا وكسر احتكار حزب الشعب الجمهوري للحياة السياسية بفوز الحزب الديموقراطي باكتساح في انتخابات عام ١٩٥٠ م الحدث الأهم علي الإطلاق في تاريخ تركيا المعاصرة، ومثل مجئ "عدنان مندريس" إلي السلطة تحدياً واضحاً لسلطة البيروقراطية العسكرية ومصالحها و التي اعتبرت نفسها حامية للميراث الكمالي العلماني **فقد أكد علي أن الأمة التركية بكاملها هي الحارسة علي الإصلاحات وعلي الجمهورية.**

ورفض الحزب الديموقراطي أن يقرر مصير البلاد النخبة البيروقراطية - العسكرية عبر تحالفها الوثيق مع الحزب الجمهوري والدولة الكمالية فقال " جرت العادة علي أن يحكم شخص واحد فقط، وعلي الا تشارك في صنع السياسات سوي فئات قليلة، ولكن مع ثورتنا الديموقراطية اكتسب ملايين المواطنين الحق في التصويت وأصبحوا يؤثرون في مجال إدارة بلادنا"، وفي مناسبة أخري قال: "قديماً كان من الممكن أن يتآمر ثلاثة أفراد للاستيلاء علي الكرسي من فرد رابع، بينما ترقب الأمة الأمر عن بعد، كانت هذه هي السياسة في ذلك الحين، وكان مصير البلد بأكمله يتحدد عن طريق هذا الفرد أو ذاك، أما الأن فإن الأمة برمتها وعبر أنحائها كافة هي التي تحدد مصير البلد، ولا يتوق هذا البلد لأن يصبح مسرحاً لمغامرات دموية .. ولهذا السبب فإننا مصممون شأننا شأن الغالبية العظمي من مواطني الأمة التركية

علي التغلب علي هذه المغامرات وهؤلاء المغامرين[1].

- كان "أتاتورك" قد عمل علي إبعاد الجيش عن السياسة بإلزام الضباط الذين انتخبوا للبرلمان بالاستقالة من الجيش، كما أن قانون الجزاء التركي العسكري يجرم المشاركة في المنظمات السياسية أو المظاهرات أو الكتابة أو التحدث في المسائل السياسية للجنود والضباط، بيد أن طابع "الدولة العميقة" يتجلى بإعطاء الجيش دوراً في حماية التعاليم الكمالية التي قامت عليها الجمهورية التركية علي قدم المساواة مع حماية الحدود التركية، ورغم انفصال رئاسة الدولة التركية عن قيادة الجيش بعد موت "أتاتورك" إلا أن الجيش ظل مؤسسة ذات طابع خاص يقوم بالإشراف والمراقبة لمجمل العملية السياسية والتدخل لضبطها مؤقتاً إن شعر أنها تتجه نحو تهديد العلمانية والكمالية.

أولاً: انقلاب ١٩٦٠ وظهور مفهوم الإسلام التركي (TIS):

يبدو أن ضباط الجيش الذين تهددت أوضاعهم الاقتصادية مع مجئ الديموقراطيين إلي السلطة بدأوا التعاطي مع السياسة، وظهرت عصبة صغيرة عام ١٩٥٤م في اسطنبول ثم في أنقرة لمناقشة الوضع السياسي، وبحلول عام ١٩٥٧م طرحت فكرة الانقلاب العسكري في أوساط هؤلاء الضباط وإعادة "إينونو" إلي السلطة، بيد إن قائد القوات المسلحة التركية "جمال كورسيل" نظم مع مجموعة أخري من الضباط وكونوا قيادة عليا ونفذوا انقلاب ليلة ٢٧ مايو ١٩٦٠ م[2].

---

(١) رضا هلال، السيف والهلال، تركيا من أتاتورك إلي أربكان، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩ - ١٤١٩هـ، ط١، ص١٠٠ وهو ينقل عن صحيفة الجمهورية والحوادث التركيتان عام ١٩٦٠.

(٢) عن انقلاب ١٩٦٠ راجع: سيار الجميل، العرب والأتراك، الانبعاث والتحديث والعلمنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ط١، ص ١٩٩، وأيضاً رضا هلال، السيف والهلال في تركيا، م. س. ذ، ص ١١٢ - ١١٣

وفي إعلان الجيش للشعب عن انقلابه ذكر أنه أنهى حكم الحزب الديموقراطي وأن الجيش هو الذي يتولى السلطة التنفيذية والتشريعية ، وأن الانقلاب لا يستهدف شخصاً أو جماعة ، وتأسست "لجنة الوحدة الوطنية" MILLI BIRLIK KOMITESI تحت قيادة الجنرال "جمال كورسيل" والذي ترأس الحكومة المؤقتة التي شكلت لجنة للتحقيق مع المسئولين والوزراء السابقين في الحزب الديموقراطي وانتهت في سبتمبر عام ١٩٦١م ومثل أمامها ٥٩٢ شخصاً **وحكمت بالإعدام علي جلال بايار وعدنان مندريس ووزير الخارجية والمالية** ونفذت الأحكام بحقهم باستثناء "جلال بايار" التي خففت عنه العقوبة بسبب تجاوز سنه قانوناً لحكم الإعدام الذي خفف إلي المؤبد[١] ، وعاشت البلاد حالة من عدم الاستقرار السياسي رغم وجود دستور جديد .

- أجريت الانتخابات الأولي بعد الانقلاب في أكتوبر عام ١٩٦١م ، و شهدت البلاد لأول مرة في تاريخها محاولة تشكيل حكومة ائتلافية بسبب عجز الأحزاب الجديدة عن الحصول علي الأغلبية في المجلس الوطني الكبير ، وبسبب عمق ما بين هذه الأحزاب من اختلافات فإنها فشلت في تكوين ئتلاف للحكم ، ولم يمكن التوصل إلي اختيار رئيس للجمهورية ، وهو ما ناد لتدخل الجيش ثانية لحسم المواقف المتأرجحة واختار " **جمال كورسيل** "

---

١) تشير أغلب المراجع إلي ان "اينونو" هو الذي تدخل لدي الانقلابيين لمنع إعدام "جلال بايار" ، بيد أن الدكتور محمد حرب ذكر أن عدم إعدامه راجع لتجاوزه السن القانونية للإعدام وراجع: محمد حرب ، **آليات الحركة الإسلامية في تركيا** ، السياسة الدولية ، يناير ١٩٩٨ ، ع ١٣١ ، ص ١٢٨ وهو يذهب إلي أن الإسلاميين في تركيا اعتبروا "عدنان مندريس" مات شهيداً ، وعن الجيش والسياسة في تركيا راجع: معتز سلامة ، **الجيش والسياسة في تركيا**، السياسة الدولية ، يناير ١٩٩٨ م ، ص ١٢٣ حيث يعتبر أن الانقلابات العسكرية في تركيا هي أنصاف انقلابات وأنها لا تأخذ طابعاً دموياً ، وهو يذهب إلي أن سيناريو الانقلابات العسكرية متكرر ، ص ١٢٤ ، وحكمت محكمة "ياسي أضا" علي ١١ شخصاً آخرين بالإعدام منهم قائد الجيش الجنرال "أردلمون" ورئيس الجمعية الوطنية "رفيق كورالتان" ولكن الإعدام لم ينفذ بحقهم واستبدلت العقوبة بالسجن مدي الحياة .

رئيساً للجمهورية والذي كلف " أينونو " بتشكيل أول حكومة ائتلافية .

ولم يستطع "إينونو" إنجاز برنامجه، وبدت الحياة السياسية متنافرة مضطربة وهو ما قاد لمحاولة انقلابية جديدة في فبراير ١٩٦٢م بزعامة الكولونيل طلعت أيدمير"، وأحبطت المحاولة وألقي القبض علي القائمين بها من صغار الضباط الحالمين بإصلاحات راديكالية .

وأقر المجلس الوطني الكبير: " قانون حماية النظام للقضاء علي أية محاولة انقلابية جديدة "، بيد أن فشل الأحزاب السياسية في حل مشاكل المواطنين قاد إلى محاولة انقلابية جديدة في مايو ١٩٦٣م والتي أحبطت هي الأخرى وأعدم قائدها وستة من زملائه(١) ، وظلت الأوضاع السياسية مضطربة حتى عام ١٩٦٥م حين حصل حزب العدالة الذي يقوده " سليمان ديمريل " علي الأغلبية المطلقة في البرلمان .

ويعد الدستور الجديد الذي جاء به الانقلاب أحد إنجازاته فقد منع احتكار حزب واحد للحياة السياسية، وأنشأ مجلساً للشيوخ ومحكمة دستورية وأعطي للصحافة وللجامعات استقلالهما، ولكنه من الناحية الأخرى نص علي تأسيس "مجلس الأمن الوطني" ليصبح تعبيراً رسمياً عن هيمنة الجيش علي الحياة السياسية وتدخله فيها، بحيث أصبحنا أمام نظام سياسي تداخل فيه السياسي والعسكري بشكل لا يمكن فصمه(٢) .

– شهد عقد الستينيات تجذراً للإسلام في نفوس الشعب التركي الذي

(١) عن الطبيعة المعقدة لمجموعة العسكريين الذين قاموا بانقلاب ١٩٦٠ م راجع "رضا هلال، السيف والهلال في تركيا، م. س. ذ، ص ١١٣ – ١١٥ وأيضا، سيار الجميل، العرب والأتراك، الانبعاث والتحديث والعثمنة، م. س. ذ، ص ٢٠٠ – ٢٠٣ .

(2) Bernard Lewis, The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed, article of " Dustur" Turkey, Leiden: 1966.

اتجه أبناؤه للالتحاق بمدارس الأئمة والخطباء التي اتسعت وزادت زيادة ملحوظة تراوحت بين ٤٥ ألف طالب في أوائل الستينيات لتصبح ٥٠ ألفاً في أوائل السبعينيات ، وتزايد بناء المساجد بشكل ملحوظ معتمداً علي الجهود الذاتية للنخبة الإسلامية المالية الصاعدة ، ففي الفترة ما بين عامي ١٩٦٠ – ١٩٦٤م بني ما يقرب من ستة آلاف مسجد. وانتشرت حلقات تحفيظ القرآن علي نطاق واسع تحت إشراف إدارة الشئون الدينية الرسمية ، وزادت المطبوعات الإسلامية المبسطة التي تعلم الدين والعبادات والأخلاق خاصة أطفال المدارس والشباب ، وظهرت كتب لتعليم اللغة العربية ، ومجموعات لخطب الجمعة ، ومجموعات لكتب التاريخ الإسلامي التي تركز علي فترة صدر الإسلام والفترة العثمانية ، وترجمات لكتب السنة مثل البخاري ومسلم وبعض اعمال أبو حامد الغزالي ، وظهرت أيضاً ترجمات لكبار المفكرين الإسلاميين في مصر وباكستان خاصة كتب أبو الأعلي المودودي و سيد قطب وأبو الحسن الندوي ، وأعدت دائرة معارف إسلامية جديدة أكثر تعبيراً عن روح الإسلام وبيعت فصلاها بأسعار رخيصة ، وترجمت كتب عن اللغات الأوربية تتحدث عن إسهام المسلمين في الحضارة الغربية ، وقدر عدد الكتب الإسلامية لمطبوعة في متصف الستينيات بثلاثمائة كتاب ولكنها كانت تباع بأعداد مهولة جداً[١].

وفي دراسة مسحية عام ١٩٦٠ أجريت علي الطلبة الذكور في مدرسة الرفاه لاجتماعي في أنقرة وأكاديمية علوم الاقتصاد والتجارة في " إسكيشهر " عن اتجاهاتهم لدينية تبين أن ٤٠.٣% من العينة أجابت بأن الدين يمثل شيئاً مهماً في حياتهم.

---

١) راجع هذه المؤشرات في: إبراهيم الدسوقي شتا ، الحركة الإسلامية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٨٦ – ٨٨.

و٢٧,٦% أعطوا نفس الإجابة بينما ذكر ٣٢,١% بأنه يمثل أهمية أقل[١] .

– أمام كل هذا وخلافا لما كان متوقعاً وأشيع علي نطاق واسع أن انقلاب CNU١٩٦٠ "[٢] سوف يهاجم الإسلام ويعيد الاعتبار للعلمانية الكمالية المتشددة ، وأنه سيعيد الأذان إلي التركية ويغلق المساجد . علي العكس فإن "لجنة الوحدة الوطنية " التي مثلت السلطة التشريعية والتنفيذية للانقلابيين كانت أكثر تعبيراً عن التكيف مع التوجهات الإسلامية ، **فهي أعلنت ضمن أهدافها تمتع المواطنين بحرياتهم الدينية بدون أية قيود بما في ذلك حرية العبادة دون استغلال للدين في الأغراض السياسية** ، كانت هناك رغبة تمثل موضع إجماع لقادة الانقلاب **وهي جعل الإسلام أداة قومية في يد الدولة وحدها لمنع جماعات المصالح المحافظة والأحزاب السياسية من استغلاله .**

هنا الدولة لا تعادي الدين ولكنها تحتكره لنفسها حتى لا يكون أداة في

(1) Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, P. 176.
وهو هنا يؤكد علي أن الإسلام يمثل عاملا مهما في تكوين الشخصية التركية ، بينما وجدت دراسات غربية أخري متحيزة تتحدث عن أهمية القومية التركية علي الإسلام مثل دراسة: "روبرت سبنسر" عن الهوية في تركيا والذي حاول فيها أن يظهر أن القومية كصفة للتركي أقوي من الإسلام بناء علي دراسة مسحية قامت علي سؤال لعمال أحد مصانع النسيج في تركيا وهو كيف ترون أنفسكم؟ وأجاب ٥٠,٣٪ منهم بأنهم أتراك وأن ٣٧,٥٪ أجابوا بأنهم مسلمون ، وذكر "سبنسر" أن دراسة شملت تركيا كلها أفادت نفس النتيجة ومن هنا فإن العلمنة حولت الهوية نحو القومية ولم يعد الدين يمثل حاجة للأتراك ، ويرد عليه أحمد النعيمي بالقول "إن العامل التركي الذي أشار إلي ٣٧,٥٪ بأنهم مسلمون تمثل نسبة عالية ، وعليه لا نتفق مع "روبرت سبنسر" الذي يقول: إن القومية كصفة للتركي أقوي من الإسلام ، والسبب واضح وهو أنه علي الرغم من الإعلام المنظم للدعاية عن النظام العلماني ، إلا أن ذلك لم يستطع أن يغير من موقف الأتراك عن الإسلام ، وراجع ، ص ٩ .

(٢) يشار عادة إلي لجنة الوحدة الوطنية التي أصبحت أعلي سلطة تشريعية في البلاد وعبرت عن الانقلاب الجديد وتكونت اللجنة من ٣٨ ضابطاً هم الذين نفذوا الانقلاب خمسة منهم برتبة جنرال و١٥ برتبة كولونيل و١٢ برتبة مقدم و٦ برتبة نقيب وكان أبرز زعماء الانقلاب الجنرال "جمال كورسيل"، والجنرال جمال مدان أوغلو ، والكولونيل ألب أرسلان توركيش الذي قاد الاتجاه المتطرف داخل اللجنة هو وأربعة عشر ضابطاً والذي كان يريد تأجيل الانتخابات النيابية والبقاء في الحكم لمدة أربع سنوات .

يد غيرها من القوي السياسية والاجتماعية في مواجهتها . ونفت لجنة الانقلاب الشائعات التي تحدثت عن تغيير الأذان إلي التركية أو قراءة القرآن الكريم بها(١) .

وفي جولة بالأناضول قال قائد الانقلاب "جمال جورسيل": الإسلام أمرنا بالعمل والتقدم نحو الكمال ، ومن يتهم ديننا بأنه كان سببا لتخلفنا فهو مخطئ ، لا ، السبب في تخلفنا ليس هو الدين وإنما أولئك الذين قدموه لنا بصورة خاطئة ، الإسلام هو أكثر دين في العالم قوة وقدسية وحيوية ، فهو يطلب من الذين يؤمنون به أن يحققوا التقدم والحكمة السامقة . ولكن لقرون عديدة قدم الإسلام لنا بصورة سلبية وغير صحيحة ، وهذا ما جعلنا متخلفين عن بقية دول العالم"(٢) .

أكد الانقلابيون علي أن الإسلام عامل مهم في تشكيل الثقافة التركية ومكون حيوي للشخصية القومية التركية ، ولذا من الحكمة للدولة أن تسيطر عليه لمنع استغلاله من جانب الجماعات الرجعية والمتطرفة ، ولذا قبلت بما أنجز من تغييرات مؤسسية في عصر الحزب الديموقراطي لصالح الإسلام مثل

---

(١) وتشير بعض المصادر إلي أن "جمال كورسيل" زار أحد المعاهد الإسلامية وألقي كلمة هناك شرح فيها باختصار ضرورة تطويع الإسلام وفق المزايا والسجايا التركية ، وطالب بترجمة القرآن الكريم إلي التركية وتتريك العبادات والأذان ، إلا أن رئيس الشئون الدينية "بيلمه أفندي" لم يتأخر في إبداء معارضته لهذا الموقف ، وأعلن أن ذلك غير ممكن علي اعتبار أنه لا يجوز تغيير ما تم التعود عليه منذ ١٤٠٠ عام ، لذلك لا يجوز تتريك العبادات أو ترجمة القرآن ، وكان هذا هو الموقف الرسمي للمؤسسة الدينية ممثلة في إدارة الشئون الدينية . وراجع: أحمد نوري النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة ، م . س . ذ ، ص ١٠ وأيضا ما أشارت إليه البحوث التي أجراها ريتشارد سكوت الأستاذ في أكاديمية الخدمات الاجتماعية الأمريكية في القري التركية عام ١٩٦٥ م بأن المجتمع التركي وبضغوط من رجال الدين أصبح يري الكتابة العربية كحاجة لا يمكن الاستغناء عنها ، لأنها لغة القرآن ، لذا يجب ترتيل القرآن بالعربية ، ويعتقد رجال الدين "العلماء" في تركيا أن دراسة الأطفال الدينية لا تتم في المدارس بل في الجامعات . وراجع نفس المرجع ، ص ١٠ .

(2) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 89 - 90.

بناء مدارس الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي العالي (yuksek Islam Enstitusu) ولكنها جعلت مناهجها أكثر عصرية بإضافة مقررات في الاقتصاد والفلك والقانون المدني وعلوم الاجتماع وأكثر من ذلك فالخطب والمواعظ الدينية صارت أكثر استنارة وتقدماً[1] .

وعمل الانقلابيون علي إحياء مفهوم " تتريك الإسلام " Turkification Of Islam أو مايطلق عليه" الإسلام التركي " أي الإسلام المتكيف مع مطالب الدولة التركية ورؤاها وأيديولوجيتها العلمانية عن طريق تحديثه وإصلاحه من الداخل بطريقة لا تستدعي الرفض والمقاومة كما كان الحال مع "الأتاتوركية" التي حاولت فرض ذلك بأوامر تسلطية وبيروقراطية من أعلي . وفي هذا المعني قال جمال كورسيل قائد الانقلاب والرئيس التركي الرابع: "إن النهج الذي نتبعه سيوصلنا إلي اليوم الذي سيأتي فيه مطلب ترتيل القرآن والأذان باللغة التركية من أسفل ، من الشعب نفسه "[2] .

- يشير "جاكوب لاندو" إلي أن الأفكار التي سادت الساحة السياسية في تركيا في عقد الستينيات تمثلت في الآتي:

١ - الإسلام مرغوب فيه من الناحية الأخلاقية كطريقة للحياة .

٢ - ضعف إيمان المسلمين هو الذي قاد إلي انهيار الدولة العثمانية والعودة إلي الإيمان هي طريق عودة تركيا قوية وعظيمة .

٣ - لايوجد تعارض أساسي بين العلمانية والإسلام، والعلمانية التركية ليست ضد الإسلام، وبالعكس فإن العلمانية المستنيرة هي دعم للإسلام وحماية له.

٤ - لا يوجد تعارض بين القومية التركية والإسلام، فهما مكملان لبعضهما،

---

(1) Ibid, p. 90.

(٢) رضا هلال ، السيف والهلال، [illegible] ١٣٦ .

وكلاهما أساس مقدس لتركيا .

٥ - الإسلام عنصر مهم في الثقافة التركية.

٦ - الإسلام ليس قوة رجعية ويمكنه التعاطي مع الثقافة الغربية[1] .

ثانيا : الإسلام والأحزاب السياسية في الستينيات :

عن مواقف الأحزاب السياسية التركية بعد الانقلاب من الإسلام نلاحظ أن حزب العدالة AP وريث الحزب الديموقراطي ظهر للوجود السياسي لأول مرة ، وكذلك حزب تركيا الجديد YTP ، وبقي من الأحزاب القديمة حزب الشعب الجمهوري CHP ، وحزب الفلاحين الوطني الجمهوري CKMP .

- ويمكننا القول أن حزب الشعب الجمهوري عدل أفكاره تجاه العلمانية المتصلبة التي حكم بها تركيا منفرداً حتى عام ١٩٤٦ م ، وانتهي إلي نفس أفكار الانقلابيين وهي سيطرة الدولة علي الدين لمنع استغلاله من جانب الاتجاهات المتطرفة المعادية للعلمانية الكمالية ، ودعم صيغة للتوفيق بين الإسلام والعلمانية في صورة "الإسلام التركي"، فرغم أن الحزب لم يبق من مؤسسيه غير أربعة فقط لكنه كان بطل لحظة ما بعد الانقلاب ، وكان هناك تشابه بين توجهات الحزب وبين الانقلابيين ، وظل الحزب هو الذي يحدد معني الشأن العام ، وشارك حوالي ٢٠٠ عضو ممن ينتمون للحزب ضمن اللجنة التي تشكلت لوضع الدستور الجديد والتي كان عدد أعضائها يبلغ ٢٥٦ شخصاً .

و يمكن اعتبار دستور عام ١٩٦١ تعبيراً عن أفكار حزب الشعب الجمهوري ،

(1) Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, p. 174 - 175.

ولذا فإن العلمانية مثلت العقيدة الجوهرية له، بيد أنه ظهرت بعض الأدبيات في فترة الستينيات تتحدث عن تبرير ممارسات "أتاتورك" العلمانية مثل ما كتبه "حافظ ياشار اقر بعنوان "**خمسة عشر سنة مع أتاتورك، ذكريات دينية**"، ودعمت الدولة توزيع مثل هذه الأدبيات علي نطاق واسع بين المواطنين، لتحسين صورة مؤسس الجمهورية الذي نظر إليه علي نطاق واسع أنه عدو للدين[1].

واستخدم الحزب الدين لتوظيفه سياسيا خاصة وقت الحملات الانتخابية للحصول عل أصوات الناخبين. ورغم ذلك فإن الحزب كان يفزعه تصاعد المؤشرات التي تشير إلي تحول الجماهير ناحية الإسلام، ومن ذلك مثلا إظهار خوفه ممن أطلق عليهم الجيل الجديد من حفاظ القرآن باللغة العربية والذين يمكنهم أن يسببوا مشاكل من وجهة نظره، وهو يري أن عملية التحديث التي بدأت منذ القرن التاسع عشر لم تتم بعد في تركيا وأن أكبر معوقاتها هو نظام التعليم الذي يتجه ناحية الدين، وتتسم مجادلات المنتمين للحزب بنزعة وصاية علي الدولة والمجتمع، لذا فهم يرون أن الناس المتدينين الذين يقولون أن الدولة العلمانية لا ينبغي أن تتدخل في شئونهم، وأن أمور الدين يجب أن تستقل بها رئاسة الشئون الدينية Diyanet Isleri Baskanlig، معناه أن الدولة لا تقوم بواجبها الذي يستدعي الحفاظ علي النظام العام والذي يفرض عليها التدخل لمواجهة المتطرفين[2]، ورغم ذلك فإن حزب الشعب الجمهوري قبل بحكومة ائتلافية مع حزب السلامة الوطني Milli Salamt Partici ذات التوجه الإسلامي عام ١٩٧٣ م، وكان برنامج الائتلاف ينص علي إلغاء كل القيود المفروضة علي حرية الاعتقاد والتفكير،

(١) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، ص ٨٨.
(2) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p91 - 100.

ومنح الضمانات التي تقوي وسائل الإعلام، وإلغاء الحظر السياسي المفروض على أعضاء الحزب الديموقراطي منذ انقلاب عام ١٩٦٠ م، وفرض مادة التربية الأخلاقية في المدارس والتي لم تطرح بلغة دينية صارمة وإنما من منطلقات ذات طابع اجتماعي مثل الدعوة للسلوك الحسن والمواطنة الجيدة والنظافة أي الدعوة لقواعد السلوك الاجتماعي من منظور إسلامي.

ولم يعمر هذا التحالف طويلا بل انفض في ١٨ سبتمبر عام ١٩٧٤م بسبب المطالب الإسلامية لحزب السلامة من مثل الدعوة لوقف إنتاج الخمور والكحول وإنتاج "المربي" بدلاً منها، وكانت مواقف حزب السلامة تعكس توجهاته الإسلامية التي تستند بشكل واضح لتحريم القرآن الكريم لها[1].

- أما حزب العدالة وريث الحزب الديموقراطي فقد التف حوله ذوي التوجهات الإسلامية وكانوا يصوتون له في الانتخابات حتى استطاع الحصول على الأغلبية منذ عام ١٩٦٥ وتسنم الحياة السياسية منذ ذلك الوقت حتى عام ١٩٨٠ م، **ومؤسسه هو الجنرال المتقاعد "راغب كوموش" ومعه نخبة ثقيلة من ذوي الحس الإسلامي** من مثل "تحسين دميراي" و"وشناسي أوصما" و"ونجمي أوك تم" و"أدهم منمنجي أوغلو" و"جودت برين" و"إحسان أونال" و"أمين آجار" و"كاموران أوليا أوغلو" ومحمد بورغانجي أوغلو"[2].

ولا يغيب عن الذهن أن "نجم الدين أربكان" نفسه مؤسس الحركة الإسلامية

---

(1) Ibid, p. 107

(٢) محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ١٣٠ وهو يشير إلى أن "سليمان ديميريل" صار أمينا عاما للحزب بعد وفاة أمينه السابق حيث انتخب بأغلبية ساحقة كأمين عام جديد للحزب عام ١٩٦٤ م.

في تركيا المعاصرة كان عضواً في حزب العدالة قبل أن ينفصل عنه في انتخابات عام ١٩٦٩ م، وكان يعبر هو وأنصاره عن تيار إسلامي معتدل داخل الحزب الذي كان مركز الثقل السياسي فيه يتجه بقوة ناحية الإسلام، كما كان الحال من قبل مع الحزب الديموقراطي. ولأن قانون الأحزاب التركي يمنع قيام أي حزب علي أساس ديني، **فإن التيار الإسلامي كان عادة يدخل كجناح ضمن أقرب الأحزاب إلي التوجه الإسلامي** وهي أحزاب المحافظين الديموقراطيين الذين عبر عنهم في ذلك الوقت حزب العدالة JP[1].

وتشير مناقشات وتصريحات بعض قادة الحزب حول المسألة الدينية إلي **أن الدين هو مؤسسة يمكن الاستناد إليها في تحقيق التقدم** لذا لا ننتظر كل شئ من المدارس فقط بل المساجد أيضا يمكنها أن تساعد في تحقيق النهضة.

الإسلام لم يكن أيديولوجية للحزب لكنه كان مأخوذا في اعتباره، ولذا كان أحد أدوات الإصلاح الديني عند حزب العدالة هي **تطوير المدارس الإسلامية لحماية الدين الذي هو واقع وحاجة لا يمكن الاستغناء عنها**، فالدولة العلمانية لا تطلب من مواطنيها أن يكون ملاحدة أو لادينين، لذا فمواجهة **الرجعيين والمتطرفين يكون بتخريج نوعية متميزة من رجال الدين دون أن يعني ذلك تغيير الدين نفسه أو إصلاحه بالطريقة التي تم بها في أوروبا في القرن السادس عشر**.

فحاجة المسلمين هي العودة للأصول والتقاليد، ولا يمكن القبول بمقولة إن الإسلام ضد التقدم، فالمسألة هي أن مناهج الدراسات الدينية ظلت أسيرة للخرافة ومن ثم فلم يحدث التطور، ومن ثم لابد من فصل جوهر الدين عن الخرافات.

وباعتبار الحزب يعبر عن اليمين المعتدل فإنه أعلن حرباً لا هوادة فيه

(١) نفس المرجع، ١٣١.

بلي الاتجاهات والأيديولجيات المتطرفة خاصة الشيوعية التي اجتاحت تركيا مع منتصف الستينيات ، ولذا سعي إلي السماح لخريجي الأئمة والخطباء من المدارس الثانوية للالتحاق بالجامعات من أجل استخدامهم في مقاومة التيارات الشيوعية واليسارية متسلحين بأدوات العصر وعلومه ، وأشار برنامج الحزب إلي ضرورة أخذ الحكومة في اعتبارها الحاجات الدينية والتربوية للعمال المغتربين وعائلاتهم ورفضت حكومة حزب العدالة اتهامها بعدم التسامح الديني ، كما سعت إلي إقامة علاقات صداقة حقيقية مع العالم الإسلامي والعربي منهية حالة الشك والتردد الذي لا معني له تجاه هذا العالم .

وقد شكل حزب العدالة حكومة ائتلافية مع حزب السلامة الوطني ضمن ما أطلق عليه " أحزاب الجبهة القومية " في إبريل عام ١٩٧٥م ، وتضمن برنامجها الوقوف ضد الشيوعية ومنع الفوضى في البلاد ، وضبط عمل الإذاعة والتلفزيون ليتسم بالحياد والإنصاف وعدم العدوان علي الجمهورية أو الأخلاق العامة ، وضمان حق خريجي مدارس الأئمة والخطباء في الالتحاق بالجامعات ، وقصر الحق في تدريس مادة الدين بالمدارس العلمانية علي خريجي المعاهد الإسلامية العليا ومدارس الأئمة والخطباء[1] .

- ويمثل حزب الفلاحين الوطني الجمهوري Cumhuriyetci Koylu Millet Partisi في علاقته بالإسلام علامة مهمة تستحق الإشارة ، فعلاقته تمتد إلي حزب الأمة الذي تأسس عام ١٩٤٨م من منشقين عن الحزب الديموقراطي وفي الخمسينيات اتجه الحزب بقوة ناحية اليمين وصار أكثر عداء للكمالية وهو ماقاد إلي حله من جانب الحكومة عام ١٩٥٣م ، ولكن

(1) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 101 - 108.

الشخصية الكارزمية "لعثمان بلوك باشي "جعلته يعيد تأسيسه من جديد باسم" الحزب الجمهوري الوطني" عام ١٩٥٤م، وبعدئذ اندمج مع حزب صغير آخر اسمه" حزب ا لفلاحين" ليصبح الاسم الجديد لاندماج الحزبين هو" حزب الفلاحين الوطني الجمهوري " RPNP. S .

ويشير برنامج الحزب ذات الطابع الاجتماعي المحافظ إلي احترام الدولة الإسلامية وأصول السياسة الإسلامية في الوقت نفسه الذي يدعي فيه احترام العلمانية، ويمكن تفسير موقف الحزب فيما قد يبدو تعارضاً علي النحو الذي يفهم العلمانية علي أنها تعني عدم تدخل الدولة في الشئون الدينية أو السيطرة عليها أو التلاعب بها أو التأثير فيها كما تقتضي سياسة تركيا الجمهورية .

وهنا سوف نجد أن أحد أهم آليات مواجهة الدولة التركية لمنع سيطرتها علي الدين واحتكارها له وتأويله بما يخدم أهدافها ومصالحها، هي تفسير العلمانية وفق النمط الغربي والتي تعرف في الأدبيات التركية "بالعلمانية المتسامحة" و الذي يعني حياد الدولة تجاه الدين وليس السيطرة عليه ومنح الناس حرية الاعتقاد والتفكير والضمير والسلوك كما يقرر الدستور التركي، وهذا التفسير للعلمانية والذي يمكن وصفه " بالعلمانية المدنية " هو الشفرة أوالكود الذي يستبطن بالضرورة الدفاع عن الإسلام في ظل منع استخدام لغة دينية في الحياة السياسية التركية، وفي ظل العودة الهائلة من جانب الشعب التركي بكل أطيافه وفئاته للعودة إلي الدين الإسلامي .

وفي جدالات الحزب الفكرية مع معارضيه نكتشف وجود رؤية اشتراكية له تنحازللفقراء والفلاحين ولكنها تؤكد أنها ليست يسارية خوفاً من سوء الفهم لليسار في تركيا والذي كان يعني الشيوعية والعمالة للاتحاد السوفيتي . فهم يفهمون ا ليسار علي أنه إصلاح وتحسين للنظام وليس الثورة

عليه ، ومن هنا اعتبروا "الكمالية" تعبيراً عن اليسار ، كما اعتبروا الإسلام حركة يسارية طالما بقيت قادرة علي تحريك الجماهير ، وحين تفقد هذه القدرة فإنها تكون ضد اليسار . فهذا تعبير عن التوفيق بين اليسار والإسلام ، في ظل تنامي الاتجاهات اليسارية بقوة بين الجماهير والإنتلجنسيا علي حد سواء ولذا ليس غريباً أن يكون لحزب يتسم بنزعة محافظة تعبيرات ذات طابع يساري[(١)] .

- هذا الحزب سيسيطر عليه "القوميون الأتراك" بزعامة "ألب أرسلان تركيش" بعد انتخابات عام ١٩٦٥م الذي فاز فيها حزب العدالة بالأغلبية ، ليصبح اسمه "حزب الأمة" ثم ليتحول اسمه بشكل درامي بعد ذلك إلي "حزب الحركة القومية Milli Hareket Partisi ، وهو يعكس التحول الفكري للتيارات السياسية ناحية الإسلام حيث يري التيار القومي أن الإسلام جزء رئيسي من الشخصية والثقافة التركية ، وطالبت المادة ١٠ من برنامجه بأن يحصل علماء الدين علي أجور كافية ، كما دعت إلي توثيق العلاقة مع العالم الإسلامي والعربي ، وكان زعيمه يتحدث عن استمداد قوته من الله لكنه كان ينطقها بالتركية Ulu Tanri وعلي أية حال لم يكن الإسلام هو موضوعه الرئيسي بيد أنه كان يريد استخدامه لجذب الأنصار علي نطاق واسع في الداخل وتوظيفه كأداة في خدمة أغراض السياسة الخارجية[(٢)] .

- أما حزب العمال التركي أكبر وأهم الأحزاب التركية ذات التوجهات الاشتراكية والذي حصل علي أكبر الأصوات التي حازها حزب

---

(١) Ibid, pp 92 - 99 وفاز حزب الفلاحين بـ٥٤ مقعداً في البرلمان و١٦ مقعداً في مجلس الشيوخ التركي . وحصل علي ١١ مقعد في انتخابات ١٩٦٥ م .

(2) Ibd, 95.

اشتراكي في تركيا فقد تأسس عام ١٩٦١ م، ولكنه لم يشارك في الانتخابات الأولي بعد انقلاب عام ١٩٦٠ م، وإنما شارك في انتخابات عام ١٩٦٣م، وانتخابات عام ١٩٦٥م، وظل موجودا في الحياة السياسية حتى عام ١٩٧١ م، وتأثير هذا الحزب في الحياة السياسية التركية أكبر من وزنه وحجمه ذلك لأنه نشر الأفكار الاشتراكية واليسارية والتي تركت تأثيرها علي الأحزاب والحركات الاجتماعية بدرجة أوبأخرى، ورغم كونه علمانيا كحزب الشعب الجمهوري لكن زعماءه السياسيين المرتبطين بالجماهير استغلوا الدين في **حملاتهم الانتخابية والسياسية أكثر من الأحزاب الأخري المضادة لهم، فهم كانوا يزجون الثناء علي الإسلام والدين كمرجع أو ملجأ أخير لهم.**

وكان برنامج الحزب يتضمن حرية الضمير والدين والفكر، ويظهر تقديره للتدين الشخصي للمواطنين بنفس الدرجة التي يقدر بها الفلسفات الأخرى التي يتبعونها، **فهو يدعو إلي حق المواطنين في الصلاة**، وحقهم في إقامة احتفالاتهم الدينية، ويعتبر أن حرية الاعتقاد والكلام هي ركن أساسي من الحياة الديموقراطية، ومن حق الناس أن يستفيدوا من حرياتهم في حياتهم اليومية بالتعبير الفردي والجماعي عن أفكارهم وعقائدهم وبالوسائل التي يرونها مناسبة بالكتابة أوالصورة أو الكلام أوبأي وسيلة أخري. وميز بين معاداة الاتجاهات الرجعية ومعاداة الدين نفسه، **وفي نفس الوقت كان يري الدولة العصرية هي التي لا تقحم الدين في الشئون العامة**، فالدين مجاله الضمير الشخصي للأفراد وهو هنا يتشابه تماماً مع الكمالية التي ترفض توظيف الدين في السياسة أو من أجل المصالح الشخصية، واقترح برنامج الحزب أن تتولي رئاسة الشئون الدينية الرسمية الأمور الدينية لكل المسلمين بدون التمييز بين العلويين والسنة، أما غير المسلمين فينظمون أمورهم الدينية بحرية وفق دستور ١٩٦٠ ووفق المعاهدات الحقوقية الدولية.

ومـــن أجل هذا التفصيل في الشئون المتصلة بالدين من منظور علماني متسامح كــان كثيرون من المحسوبين علي التيار الإسلامي يعطون أصواتهم لهذا الحزب وهـو ماجعله مضطرا لصياغة موقفه من الدين بشكل واضح ومكتمل خاصة وأنه كان يوصـم بأنـه حـزب شيوعي ولاديني[1] . وهنا أيضا نلاحظ كيف أن حزب العمال ذا التوجه الشيوعي واليساري صاغ برنامجه بطريقة تضع الدين في حـسبانه ، ومن هنا ظهرت في تركيا الأفكار التوفيقية بين الإسلام وبين الماركسية والاشتراكية واليسار وظهر تعبير " اليسار الإسلامي ".

– عقـد الستينيات إذن كان تعبيراً عن تجاوز الحركة الإسلامية للأرضية التي اغتـصبتها العلمانـية الكمالية منها ، فقد شهد هذا العقد تنامي للحركة واستوائها علـي سـوقها تعجب الزراع لتغيظ به الكفار[2] وكما ذهب " علي بولاج " في كتابه " الرحلة إلي المدينة المعاصرة " فإن الهجرة من الريف التركي إلي المدينة عزز الحركة الإسلامية بتزويدها بمخزون لا ينضب من الشباب الذين انخرطوا فيها ، وبنقل قيم الأناضول التي لم تغزوها الحداثة إلي المدينة التركية[3] .

وبـشكل عـام فإن عقد الستينيات كان هو فترة الانتقال من الاستئصال إلي المدافعـة والمناضـلة وإثـبات الوجود والبحث عن الهوية وتأكيدها ، فلم يعد الإسـلام يعـبر عـن مفاهـيم الرجعية والـتخلف والظـلام كما أرادت العلمانـية الكمالـية أن تـصوره ، بـل ظهـــرت نخبة جديدة من الطلاب والنساء والمثقفين الذين أضاءوا وجه الإسلام في تركيا ، وتأســست جمعيات طلابية وأهلية مـثل اتحـــاد الطـــلاب الأتراك لمساعدة رجال الدين " وجمعية الهلال الأخضر لمحاربة

---

(١) Ibd, p 96 - 97 وقد أغلق الحزب في ٢٠ يوليو ١٩٧١ م ، بعد اتهامات وجهت لقادته بأنهم طالبوا بانفصال الأكراد ، ووسموا الجيش بالإرهاب وحكم علي عدد من أعضائه بأحكام قاسية .

(٢) الكفار هنا معناها الزراع الذين يضعون الحبوب في الأرض ويدفنونها لحمايتها ، ويسمى كل من ينكر حقيقة ظاهرة لا سبيل لجحودها بالكافر .

(٣) في حوار مطول مع الباحث إبان زيارته لتركيا لجمع مادته العلمية .

المشروبات الكحولية.

وظهرت الصحافة الإسلامية القوية التي نافحت عن الإسلام وجادلت التيارات العلمانية واليسارية ومن أبرزها الصحيفة اليومية "ترجمان"، والصحيفة اليومية "بوكون" أي اليوم، وصحيفة "صباح" و"يني آسيا"، وصحيفة "اتحاد" الأسبوعية والتي كانت تتحدث عن العالم الإسلامي ويقظته والوقوف في وجه المادية والعلمانية واليهود والماسون.

أما المجلة الثانية فكانت "الإسلام" وهي مهتمة بالجانب التعليمي الديني مثل الفقه والحديث والتفسير وكانت تقدم دروساً في اللغة العربية، وكانت هناك مجلات فصلية مثل "إسلام دو شونجه سي: الفكر الإسلامي، وكانت أكثرها حدة "يكي دن ملي مجادلة: النضال الوطني من جديد".

الصحافة الإسلامية والحركة الطلابية كلما اقتربت من نهاية عقد الستينات ازدادت قوة حتى تكلم بعضها عن "الجهاد المقدس" والدعوة علانية إلي "تركيا إسلامية"، وكان أهم شعارات الحركة الطلابية الإسلامية في ذلك الوقت "الإسلام قادم"[1]، وبلغت قوة التيار الإسلامي منتهاها عام ١٩٦٨ م حين انعقد في "بورصة" اجتماع عرف باسم "حماة المقدسات: مقدسا تجيلر" وأعلن في هذا الاجتماع أن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تعود إلي مكانها الطبيعي بدلاً من القانون "المستورد"، وأعلن أن الإسلام دين ودولة ولا يمكن للإسلام أن يقام بدون دولة تحميه، وأن السلطة للإسلام لا للقوميات.

وخرجت مظاهرات الإسلاميين في ميدان تقسيم للاحتجاج علي "الأتاتوركية"، وظهر تنظيم باسم "اتحاد النضال الوطني" كان يمثل وعاءً للعديد من التوجهات الإسلامية ذات الطابع الحركي والتي كانت تمارس تعبيرها

---

(١) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية [illegible]، ص ٩٠ - ٩١.

الإسلامي في الشوارع عبر المظاهرات والمواجهات مع التيارات الماركسية والعلمانية والماسونية[1].

وتشير بعض المصادر إلي محاكمات عقدت لبعض طلاب النور في أواخر الستينيات ولبعض الشباب التركي لمطالبتهم بعودة الخلافة[2]، وبدأت المساجد في نهاية عام ١٩٦٨ تمتلأ عن آخرها ويصبح لأئمة المساجد الدور الأهم في قيادة وتوجيه الجماهير، ومن بين الأفكار المهمة التي فطن إليها المسلمون في تركيا هي **دعوة الناس لصلاة الفجر كل يوم في مسجد** وتجمع في "السليمانية" أكثر من أربعين ألف مصل، واجتمع في مدينة "أضنه" عشرين ألف مصل، وفي مدينة "حصار" بأزمير تجمع أكثر من ثلاثين ألفاً مصل وهو ما أفزع القوي العلمانية والشيوعية ففجروا بعض القنابل في المساجد وهو ما يشير إلي بذور عنف فترة نهاية الستينيات في تركيا[3].

* * *

---

(١) نفس المرجع، ص ٩٦. وأيضا.

Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, p. 175.

(٢) محمد مصطفي، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، حيث أشار إلي اتهام محكمة اسطنبول للشاب التركي "محمد جيجك" بالسعي لعودة الخلافة كما ذكرت مجلة "بوجون"، وأصدر اتحاد المعاهد الإسلامية والاتحاد الوطني للطلبة الأتراك بيانات للمطالبة بالإفراج عنه ويشير نفس المرجع إلي محاكمة لطلاب النور في سبتمبر ١٩٦٨ م بتهمة إعادة الخلافة، ص ٢٩.

(٣) نفس المرجع، ص ٣٠ وكتب شوكت آيفي "رئيس تحرير مجلة "بوجون" ذات التوجه الإسلامي وأحد رموز التيار الإسلامي في الستينيات يقول: أنا عائد من أزمير.. لقد دخل المسلمون عهداً جديداً.. كم هو مسالم هذا المسلم وكم غيره وحشي.. المسلمون يصلون لرب العالمين.. وأعداء الإسلام يرشقونهم بالحجارة.

المبحث الرابع:
احزاب " الملي جورووش " والحياة السياسية في تركيا
(١٩٧٠ - ١٩٨٠م)

- رغم نجاح حزب العدالة في انتخابات عام ١٩٦٩ بنسبة كبيرة ٤٦,٢٪ لكنه شهد المزيد من تحدي الأجنحة اليمينية داخله لسياساته التي عبرت عن كبار رجال الصناعة وكبار رجال المال والأعمال، فقد انسحب من الحزب ٤١ من أعضاء "الجمعية الوطنية" وأسسوا حزبا جديداً اسمه "الحزب الديموقراطي الجديد"[١] "Demokratik Parti" والذي عبر بشكل أساسي عن كبار ملاك الأراضي التقليديين وبعض البرجوازية الصغيرة الذين أخافهم صعود طبقة رجال الصناعة ورأس المال الجديدة[٢].

وشهدت البلاد في عقد الستينيات تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة جعلت من الطلبة والعمال وصغار الفلاحين قوي اجتماعية جديدة اجتذبها اليسار إلي صوته المدوي الذي فرض علي حزب الشعب الجمهوري التحول إلي اليسار للحصول علي أصوات هذه الفئات وهو ما قاد إلي انشقاقات داخله هو

(١) تشير المعلومات إلي أن نسبة مساهمة الزراعة في الناتج القومي التركي انخفضت من ٤٩,٩٪ عام ١٩٥٠ إلي ٢٣,٨٪ عام ١٩٦٩ م، بينما زادت نسبة مساهمة الصناعة من ١٥,٨٪ إلي ٢٦,٤٪ في نفس العام، وهو ما يعني أن البرجوازية الصناعية حصلت علي نسبة أعلي من برجوازية ملاك الأراضي، كما أن المشاريع الصناعية الكبيرة التي يزيد عدد العاملين فيها عن خمسين عاملاً زاد مساهمتها في الإنتاج الصناعي الكلي من٣٧,٧٦ ٪ في عام ١٩٦٣ م إلي ٤٩,٩٪ عام ١٩٦٧ م، وزادت نسبة مشاركة المشاريع الكبري التي يعمل فيها أكثر من ٢٠٠ عاملا، وزادت القيمة المضافة لمصنوعات المشاريع التي يعمل فيها أكثر من ١٠ عمال بنسبة ٢,٢٪ مرة من عام ١٩٦٣ إلي عام ١٩٦٧ بينما لم تزد إلا بنسبة ١,٧٪ لمجمل المشاريع الصناعية، وهكذا فإن أصحاب الحرف الصغيرة تركوا ظهريا وراء أصحاب المشروعات الكبيرة في فترة حزب العدالة.

(2) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 117.

أيضاً جعلت التيار اليميني ينسحب ليؤسس "حزب الثقة الجمهوري"[1].

- إزاء فشل النظام الحزبي وعدم قدرته علي تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي، فإن التيار الإسلامي لم يكن منخرطاً بشكل مباشر في العملية السياسية وهو ما حفظ له سمعته وقوته التي بدأت في التبلور بشكل واضح عبر ظهور ما يطلق عليه "**الوجه التكنوقراطي للإسلام السياسي**"[2] والذي تمثل في شخصية "**نجم الدين أربكان**" الذي كان عضواً بارزاً في حزب العدالة ولمع اسمه كواحد من رجال الصناعة في تركيا، ثم تولي منصب رئيس دائرة الصناعة التابعة لاتحاد غرف التجارة والصناعة والبورصة التركية ثم أصبح أميناً له في عام ١٩٦٧م.

وفي عام ١٩٦٨م أصبح عضواً لمجلس إدارته ثم رئيساً له، وفزعت القوي العلمانية من اليمين واليسار من رئاسته للاتحاد الذي يوجه ويسيطر علي الفعاليات الصناعية والتجارية في كل تركيا وطالبت بإقصائه، وتمكنت فعلاً من ذلك، **وهو ما نبه " أربكان " ومجموعته إلي أنه لا بد لهم من كيان سياسي مستقل**، خاصة وأن محاولات التيار الإسلامي داخل حزب العدالة للضغط علي ديميريل لاتخاذ سياسات أكثر اقتراباً من الإسلام لم تجد نفعاً. **ويبدو أن " ديميريل " أحس بخطر المجموعة الإسلامية داخل الحزب وأراد أن يؤكد الطابع**

(١) رضا هلال، السيف والهلال، م. س. ذ، ص ١٢٠، والذي يشير إلي أن الحزب تأسس عام ١٩٦٦ وتحول حزب الشعب الجمهوري ليصبح تعبيراً عما أسماه "اجاويد" يسارالوسط. وأشار مجلة New Left Review إلي أن سكان الحضر زادوا في تركيا في عقد الستينيات بمقدار خمسة ملايين وكان معظم النازحين من الريف إلي المدينة وأصبحوا يمثلون ٣٩٪ من مجمل السكان وكانوا يعيشون في بيوت علي أطراف المدن تسمي "جوكوندو" كانت تبني في جنح الظلام.

(2) Hugh Poulton، Top Hat، Grey wolf and Crescent، opcite، 176.

حيث يشير إلي أن تركيا بإزاء نخبة جديدة تقف في قلب التطورات الصناعية العالمية لكنها تحمل في نفس الوقت رؤية إسلامية في سياستها الداخلية فهي ترفض الانضمام إلي السوق الأوروبية المشتركة وتطرح بدلاً منها التوجه إلي العالم الإسلامي.

العلماني لحزبه فرفض أن يطرح اسم " أربكان " علي قوائم الحزب في انتخابات عام ١٩٦٩ م وهو ما جعله يرشح نفسه نائباً مستقلاً عن "قونيه" المعروفة بوجود مجموعة من رجال المال والصناعة الإسلاميين، كما أن عموم أهلها لهم توجهات إسلامية قوية حتي اليوم، ونجح "أربكان" كنائب مستقل، وكان معه ستة وعشرون نائباً آخرين نجحوا معه ودخلوا معاً البرلمان كمستقلين، وهؤلاء مثلوا أضخم تجمع للمستقلين عرفته الانتخابات التركية[١].

أولا: حزب النظام الوطني.. التأسيس.. الأيديولوجية:

- هذه الكتلة المستقلة في البرلمان من ذوي التوجهات الإسلامية جعلتهم يفكرون في الإعلان عن حزب مستقل جديد يعبر عن **القوي الاجتماعية الجديدة من البرجوازية المحلية الصغيرة والطلاب من الأجيال الجديدة والفلاحين وصغار الملاك وأيضاً المهاجرين القرويين إلي المدن.**

وبعد سلسلة من المشاورات مع النخبة الإسلامية الجديدة في تركيا **أجمعوا** علي ضرورة تشكيل كيان سياسي مستقل عن الأحزاب العلمانية، **وأعلن الحزب أنه لن يضم بين صفوفه ماسونياً أو شيوعياً بل المسلم الملتزم بأداء الصلوات الخمس والمشهود له بالتقوي والصلاح والاستقامة**[٢].

(١) عن تطورات بناء حالة إسلامية سياسية جديدة يمكن وصفها بميلاد "الوجه السياسي للإسلام" في تركيا راجع: محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ١٣١، محمد مصطفي، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص ١٥٦ - ص١٧٠. وأيضا بالإنجليزية:

Kemal. karpat, The Gecekondu, Rural Migiration and Urbanization, (Cambridge: Cambridge Univeristy press, 1976) p. 218

Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. Cit, pp. 120 – 121.

(٢) اللافت للنظر أن تعبيرات الرفض لطابع التنمية الرأسمالي التركي اتخذت طابعا دينيا وأخلاقيا، وبينما كان تعبير الرفض الديني في الخمسينيات هو "الكافر" أصبح في الستينيات يتخذ مصطلحات

وكان شعار الحزب قبضة يد تشير بالسبابة إلي أعلي كما يفعل المسلم حين يتشهد في الصلاة، وتضمن البيان التأسيسي للحزب خطاباً جديداً مختلفاً عن الخطاب السائد في برامج الأحزاب فهو يتحدث عن أصالة تركيا ووحدتها وهويتها والجذور الذي يمتد إليها الحزب إلي أكثر من ألف عام. وهو هنا يصل ولا يقطع ولا يري تاريخ تركيا مع بداية الكمالية، وإنما الأتراك شعب عريق له إسهاماته أيام العثمانيين وله تاريخه وهو الذي تحدي الغرب وتغلب عليه، وقدم نظاماً حضاريا وإنسانياً مشرقاً "**أمتنا العظيمه هي امتداد لأولئك الفاتحين الذين قهروا الجيوش الصليبية قبل الف سنة والذين فتحوا اسطنبول قبل ٥٠٠ سنة وأولئك الذين قرعوا أبواب فيينا قبل ٤٠٠ سنة، وخاضوا حرب الاستقلال قبل ٥٠ سنة**، هذه الأمة العريقة تحاول اليوم ان تنهض من كبوتها وتجدد عهدها وقوتها مع حزبها الأصيل حزب النظام الوطني NOP.

تم الإعلان عن الحزب في **مؤتمر صحفي يوم ٢٦ يناير ١٩٧٠** وفي الاجتماع التأسيسي له علت الهتافات بالتكبير، وفي مدة سنة استطاع الحزب تأسيس ٦٠ مركزاً و ٣٠٠ شعبة، ودعم الحزب الجديد جماعة النور، والاتحاد الوطني للطلبة الأتراك MTTB، وبعد عام علي تأسيس الحزب في يناير ١٩٧١م عقد أول مؤتمراته العامة والذي كان مظاهرة هائلة أثارت التحفز والقلق لدي القوي السياسية الأخري.

وتكلم "أربكان" فقال "**إن أمتنا هي أمة الإيمان والإسلام** ولقد حاول الماسونيون والشيوعيون بأعمالهم المتواصلة أن يخربوا هذه الأمة ويفسدوها ولقد نجحوا إلي حد بعيد، فالتوجيه اليوم بأيديهم والتجارة بأيديهم والاقتصاد بحوزتهم، يسيطرون علي مقدرات البلاد، أوجدوا لأطفالنا

مثل الماسونية والصهيونيه لأولئك الرأسماليين والاحتكاريين بينما يتخذ مصطلحات "الشيوعية" والمسكوف" لأولئك الراديكاليين من اليسار. فهؤلاء جميعا قوة تعمل ضد الإسلام.

مناهج حتى استحالت جامعاتنا إلي معاهد للإفساد وها أنتم ترون النتائج يوم بأعينكم ، ولهذا فلا ملجأ لكم من هذا الطوفان إلا العمل معنا يداً احدة وقلباً موحداً حتى نستطيع أن نعيد البلد إلي سيرتها الأولي وأن نصل ريخنا المجيد بحاضرنا المشرق ، إننا سنغير الدستور وسنجعل بموجبه ئيس الجمهورية ينتخب مباشرة من الشعب ويتولى أمام الشعب مسئولياته كاملة "[1] . أحدث الحزب الجديد هزة في الحياة السياسية التركية ، فتكونت جبهة اسمها "حزب الثقة والأمة" بزعامة "فيضي أوغلو" ، وبدأ نواب "جماعة لنور" في البرلمان ضمن حزب العدالة ينضمون للحزب الجديد ، وانضم نطاع كبير من الشباب المسلم إلي الحزب .

وعن الأيديولوجية التي تبناها الحزب والتي مثلتها الأفكار الجديدة له فقد تمثلت في:

١ - استعادة المؤسسات الهامة في تركيا إلي أصحابها الأصليين و التي تم اغتصابها وتسليمها إلي أيد غريبة وغير وطنية .

٢ - إرجاع الناس إلي طبيعتهم ومحورهم الأصيل فطرة الله حتى يستقيم أمرهم ويتخلصوا من عقدهم ، التي ورثها لهم حكم أربعين سنة ، القوي الخارجية هي المؤثرة في توجهاتهم وتحاول إبعادهم عن محورهم الحقيقي إلي محور غريب أوقعهم في ضيق وعنت شديد .

٣ - التسميات المعاصرة مثل اليمين واليسار والوسط هي من اختراع الماسونية والصهيونية وكلها مؤسسات تابعة تسعي لغرض واحد أن تنحرف تركيا عن خطها الحضاري الذي عمره ألف سنة ، وإنه لا بد من التخلص

(١) البيان التأسيسي للحزب راجعه في مصطفي محمد ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، م . س . ذ ، ص ١٨٢

من هذه الأسماء الغريبة والعودة إلى الخط الأصيل الذي يصل الماضي التليد بالغد المشرق .

٤ – حزب النظام الوطني لا يشبه الأحزاب الأخرى فجميع الأحزاب تقوم على أسس التسلط وشهوة الحكم ونحن نقوم على أساس جديد يبتغي مرضاة الله والعمل في سبيل الوطن.

٥ – نظام التعليم في تركيا نظام فاسد وضعته شرذمة من الحاقدين من الصليبيين واليهود بشكل لا يناسب الأمة ، فهو أسقط من حسابه كل قيمة معنوية أو أخلاقية أو دينية غايته فصل تركيا عن ماضيها الإسلامي وسلخها عن دينها وقيمها لقتل الأجيال وتدمير البلد ، ومرت خمسون سنة ونحن نسمع أن تركيا جزء من أوروبا وأن النهضة لابد من قيامها على أنقاض الدين كما حدث في الغرب متناسين أن الإسلام يختلف عن الكنيسة ودولة القسس.

٦ – بينما تمنع الدولة توزيع الكتب على المعاهد الإسلامية العالية تحاول إغلاق معاهد الأئمة والخطباء ومدارس تعلم القرآن تنفق الملايين على المسارح والممثلين وثمنا للمشروبات التي توزع في السفارات ، وفي الوقت الذي تعترض الدولة على الطالبات اللواتي يلبسن "الحجاب" على رؤوسهن تدرس كتب اللاهوت في كل مكان في الدولة دونما رقابة أو حجة .

٧ – تركيا في أزمة اقتصادية خانقة ، وليست المشكلة هي المال والاقتصاد مما من أسباب السعادة ولكن المال بدون معنويات لا ينفع شيئاً ، المعنويات ترفع قيمة الأشياء وتركيا بحاجة لإصلاح جذري في تفكير الأمة ومناهج حياتها .

٨ – أجهزة الإعلام هي أجهزة فاسدة تسيطر عليها القوى الفاسدة

ولابد من تغيرها بحيث تخدم الأمة بدلاً من استغلالها وتضليلها .

٩ - قوة إسرائيل ليست ٢.٥ مليون يهودي يعيشون فيها بل في مجموعة القوي الصهيونية العالمية وعلي رأسها أمريكا ، فأهداف "إسرائيل التوسعية لا تقتصر علي البلاد العربية فحسب بل تتعداها إلي الأناضول في تركيا ، فاليهود يسيطرون علي أمريكا ، وفي نيويورك أكبر مدن أمريكا ستة ملايين يهودي من أصل ٩ مليون هم مجموع السكان ، ويضم مجلس الشيوخ الأمريكي ٥٦ يهودياً من أصل ٦٢ ، ويضم مجلس البرزديوم الروسي ٧ يهود من أصل ٩"[1] .

١٠ - في لقاء "أربكان" مع الصحافيين الأتراك وإجابة علي سؤال عن الأحداث الدامية التي تقع في تركيا قال: إن هذه الأحداث بدأت من الجامعات بين الطلبة ثم انتشرت في المصانع ثم وصلت للبيوت ، والنظام الماسونى الحاكم هو الذي يحرك هذه الأحداث لأنه يتبني أفكاراً عكس ماتريده الأمة من حرية ورفاه . .

هذا النظام هو الذي يدرس لأبنائنا في المدارس أنه لا توجد حياة وراء هذه الدنيا ، ولذا فالكسب المادي هو الأساس ولا فرق بعد ذلك بين من يسرق المال أو من يكسبه بالطريق الحلال . . هذا النظام الماسونى الذي أقامه حزب الشعب من قبل ويتزعمه الآن حزب العدالة ما هو إلا نظام فئة من الناس استولت علي جميع المكاسب وأهملت الشعب إهمالاً كبيراً وإن حزب العدالة ليفوق حزب الشعب الجمهوري بأنانيته وعقليته المنحرفة ، لقد استطاع هذا الحزب إفقار الشعب حتي إن أقصي ما يطمح إليه الشباب الآن هو أن يلتحق عاملاً في أوروبا .

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٧٩ - ١٨٠

ووعد الحزب بأن أول عمل سيقوم به إذا فاز بالحكم هو **تغيير مناهج التعليم من مناهج تخدم الماسونية إلي مناهج تدرس المعرفة إلي جانب الخلق القويم والتاريخ الوطني** الذي امتد علي مدار ألف عام كانت فيه الدولة العثمانية أكبر دولة في العالم، في ذلك الزمن كان لنا علماء حقيقيون وكان شعار الطلبة "من علمني حرفاً كنت له عبداً"، وليس المسدس يصوب إلي صدر أستاذه إذا خالفه أو لم يرق له.

ثانيا: برنامج حزب النظام الوطني.. الملي جوروش:

الخطوات التي بشر بها الحزب لتغيير وجه تركيا والتي مثلت برنامجه هي:

١- إلغاء الربا بكل أشكاله المختلفة من جميع المعاملات والحسابات وبذلك سيوفر علي الأقل ٣٠٪ من قيمة كل سلعة في تركيا.

٢- تغيير نظام الضرائب بحيث يتحمله الأغنياء وليس الفقراء.

٣- تغيير نظام القروض بحيث تمنح لكل من يقوم بمشروع مفيد للدولة.

٤- العمل هو جزء من العقيدة وحين يتحول إلي عقيدة فإنه يثمر ولا يتوقف

٥- في تركيا مصاريف سرية وعلنية بلا حدود ولا حساب وهي ضارة في ذاتها وترهق ميزانية الدولة وبالإمكان الاستغناء عنها فوراً[1].

---

(١) راجع محمد مصطفي، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص ١٨٤ - ١٨٥ وعن برنامج الحزب وأفكاره راجع أيضا: طارق عبد الجليل السيد، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص ٩٢ - ٩٣ ورغم إشارته للإجراءات التي يطرحها الحزب ومنها دعم المبادرات الاقتصادية الخاصة واللامركزية الاقتصادية والسياحة الوطنية للتعريف بالشهداء والأولياء لكنه يؤكد أن الحزب تعبير عن الروح الإسلامية المكبوتة منذ العصر الجمهوري ولا بد من التعبير عنها عبر حزب سياسي. وراجع أيضا إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ٩٦ - ٩٧ وذكر أن من بين النواب المستقلين الذين نجحوا في انتخابات ٦٩ م، وأسسوا حزب

– يشير "جاكوب لاندو" إلي أن روح الحديث ونغمته كانت تمثل دعماً ـدين علـي نطـاق واسـع ، فقد كانت هناك قصائد تقرأ تهاجم الماسونية لشيوعية ، والإلحاد والمادية ، وبقدر دفاع الحزب عن الديموقراطية فإنه كان ـستبطن الدفاع عـن الإسلام ، ولأن الدستور يمنع استخدام الكلمات دينية المباشرة فإن برنامج الحزب استخدم اللغة غير المباشرة مثل "الفضيلة الأخلاق" الوثيقة الصلة بالإسلام ليجعل من هدفه أمراً واضحاً .

وفيما بدا أن برنامج الحزب عارض استغلال الدين للأغراض ـسياسية ، فإنه طالب بأن تمنح رئاسة الشئون الدينية حريتها الكاملة في نفعل والممارسة . وبالطبع دافع الحزب عن حرية الضمير وخاصة حرية لتعليم الديني ، كما دعا إلي العدالة الاجتماعية باعتباره أرضية لحماية لفضيلة والأخلاق .

– المؤشرات الواضحة للحزب تجاه الإسلام كانت تقف علي أرضية لعلمانية ، فبينما لا يمكنه قانونياً مهاجمة العلمانية فإنه يؤكد علي أن الحزب هارض أي تفسير للعلمانية يجعل منها معادية للدين ، وتلك كانت فقرة واحدة في برنامج الحزب من بين ١٠٠ فقرة ومادة ، ومن الممكن أن يكون التوجه الإيجابي ناحية الإسلام والرغبة في استثمار المشاعر الدينية هو الذي حرك الحزب الديموقراطي عام ١٩٥٤ م ، كما حرك حزب النظام عام ١٩٧٠ ، بيد أن الحزب الديموقراطي لم يكن واضحاً في برنامجه أي توجه إسلامي ، بينما حزب النظام الوطني كان واضحاً أنه حزب للإسلام بقدر ما سمحت به القوانين

النظام الوطني "حسن آقصاي" الذي أصبح مسئولا عن التنظيم والدعاية والإعلان في الحزب واحمد توفيق بالك صو رئيس الشئون الانتخابية والجماعات الملحقة بالحزب وسليمان عارف إمر السكرتير العام للحزب وإسماعيل مفتي أوغلو السكرتير العام المساعد وعمر فاروق أركين المسئول المالي وأغلبهم كانوا أعضاء في حزب العدالة لكنهم كانوا يمثلون الجناح الإسلامي داخله .

العلمانية لتركيا[1] .

ثالثا : إغلاق حزب النظام الوطني وتأسيس حزب السلامة :

- أغلق الحزب في ٢٠ مايو ١٩٧١ م بأمر المحكمة الدستورية العليا لانتهاكه المادة ٢ و ١٩ و ٥٧ من دستور ١٩٦١ م والمتعلقة بشخصية الدولة العلمانية[2] وعللت المحكمة أسباب حكمها بالآتي[3]:

١- المبادئ التي قام عليها الحزب وتصرفاته فيما بعد تخالف مبادئ الدستور .

٢- العمل علي إلغاء العلمانية في البلاد وإقامة حكومة إسلامية .

٣- قلب جميع الأسس الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية التي تقوم عليها البلاد .

٤- العمل ضد مبادئ أتاتورك .

٥- القيام ببعض التظاهرات الدينية .

- جاء في حكم المحكمة أنه لا يحق لأي من شخصيات الحزب أن تعمل من خلال أي حزب سياسي آخر ، ولا أن يؤسسوا أي حزب جديد ولا أن يرشحوا أنفسهم لأي انتخابات قادمة ولو بشكل مستقل لمدة خمس سنوات ، وحاصرت فصيلة من الجيش المركز العام للحزب في أنقرة وطويت صفحته

---

(1) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit. 120 - 121.

(2) Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit. p. 176.

(٣) محمد مصطفي ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، م . س . ذ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ويشير طارق عبد الجليل إلي أسباب أخري منها الرغبة في إلغاء المادة ٦٣ من الدستور والتي تحظر القيام بأنشطة تنطلق من أسس دينية ومناداته بعودة الخلافة وقوله بأنه لا يمكن الفصل بين الدين والدولة والمناداة بجعل الدروس الدينية إجبارية في المرحلة الإعدادية ورؤيته للتطورات التغريبية والعلمانية منذ الجمهورية بأنها عصر الضلالة وراجع ص ٩٤

كان حزب يعبر عن الوجه السياسي للحركة الإسلامية في تركيا[1].

- الفكر الذي طرحه الحزب والذي يعرف بـــ Mili gorus أي حركة " الملي جوروش " - وهـــي الحركة الفكرية الجديدة التي ستعبر بعد ذلك عن كل الأحزاب السياسية الـــتي سيؤسسها " أربكان " ومجموعته[2] سيظل هذا الفكر يقاوم ويحاول وجوده اليوم عبر " حزب السعادة " الذي يترأسه " رجائي قوطان "[3].

ونشير إلي أن الفكر الجديد الذي طرحه "أربكان" ومجموعته عبر حزب "النظام الوطني "يمثل خروجاً كاملاً علي نمط التيارات الفكرية والسياسية التي عرفتها تركيا الكمالية والتي عبرت عادة عن " يمين الوسط " و " يسار الوسط ". فالمشروع الفكري لأربكان عبر عن حركة مناهضة بشكل صريح للقواعد التي قامت عليها الجمهورية ، فهو يرفض الغرب والتحالف معه بوضوح لا يخالجه لبس ولا غموض ، وهو يعلن مناهضته وكشفه للتجمعات الاقتصادية الرأسمالية المتحكمة في البلاد والمرتبطة بالاقتصاد الغربي والتي تستمد غالب أرباحها

---

(1) مصطفي محمد ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، م. س . ذ ، ص ١٨٦ ، وأغلق الحزب في ١ إبريل عام ١٩٧١ م ولم يستمر أكثر من ستة عشر شهرا هي الفترة مابين تدشينه وإغلاقه .

(2) الملي جوروش هي الحركة التي بدأت مع "أربكان" عام ١٩٦٩ م ، وكما ذكر لنا "شوكت قازان" فإن قاعدتها التصويتية كانت في المدن الكبري وهي تدعو إلي تركيا مستقلة غير تابعة للدول الكبري مكتفية داخلياً بنفسها ملتزمة بالأخلاق المعنوية وبالديموقراطية الكاملة التي تحترم حقوق الإنسان وتحافظ علي استقلال الوطن ، وهم يعتبرون أنفسهم بقايا الدولة العثمانية الكبيرة ، حوار مطول للباحث مع الأستاذ "شوكت قازان" بتركيا . وقال لنا "أربكان" حركة الملي جوروش "هي تحويل المجتمع التركي إلي الإسلام حوار آخر للباحث مع نجم الدين أربكان بتركيا . والملة في المصطلح التركي هي تعبير عن القومية أوالوطنية لذلك يستخدم الإسلاميون ومنهم "أربكان" مصطلح الملة بمعني التعبير الظاهر عن الأمة الإسلامية وعادة مايستخدمون "ملة إبراهيم" لوسمها بالإسلامية التي لا تنتصر لعرق أو لغة ولكنها تعبر عن الأمة الإسلامية .

(3) حزب السعادة هو الحزب الذي يعبر اليوم في تركيا عن "الملي جوروش" وهو ليس لديه ممثلين في البرلمان كما أن نصيبه من المجالس المحلية كان ضئيلاً جدا إذ لم يزد علي ٥ ، ٣٪ ، ويبدو أن حزب العدالة والتنمية "الآق بارتي" قد سحب كل القاعدة التصويتية لحركة الملي جوروش "باتباعه خطابا يسميه أتباع أربكان" بالإسلام الخفيف" أو الناعم Light Islam .

من الربا، وهو يشن حملات قوية لاهوادة فيها علي الصهيونية والماسونية وحلفائهما من الأحزاب العلمانية اليمينية في تركيا، وفوق ذلك فإنه يتبني مفاهيم أخلاقية ومعنوية وتاريخية جديدة تستخف بالعلمانية والأتاتوركية ولا تراها سبيلاً لحل مشاكل تركيا بل هي التي وضعت البلاد في علي كافة الأصعدة، وهو يعيد الاعتبار للإسلام والتاريخ الإسلامي والخبرة العثمانية وللمجتمع التركي الذي صودرت إرادته من أجل النخبة العلمانية المتعالية وللفطرة الإنسانية التي يراها أحد المصادر المهمة التي ينطلق منها خطابه والتي تتماهى بالضرورة مع الإسلام.

ولـذا كان " التفكير الملي " تعبيراً عن صوت جديد يمتلك مقومات استعادة الهوية التركية المستقله كتعبير عن أمة لها تراثها وتاريخها في بيئة قامت علي فكرة التوفيق بل والتلفيق والتقريب والحلول الوسط بعيداً عن المواجهة والحسم الفكري والاجتماعي والسياسي. وكان القائمون علي الفكرة يشعرون بخطر ماهم قادمون عليه ولذا يشير "شوكت قازان" إلي المثل التركي الذي يقول "من صدق طرد من تسعة قري"، ويذكر "سليمان عارف إمره" أن يهود أمريكا أرسلوا إلي تركيا رجلا اسمه "موسي صفوت" جلس مع أربكان ومعه وهددهم أنهم إذا لم يرفعوا من برنامج حزب "النظام الوطني" النزعة المعادية للصهيونية والماسونية فإن حزبهم سيغلق، رفض أربكان وقال نحن نتكلم كما نؤمن، وبعد ١٥ يوماً رفعت دعوي في المحكمة الدستورية العليا لإغلاق الحزب[١].

(١) قال لنا أكمل الدين أوغلو "الخبرة التركية حتي منذ الدولة العثمانية تعرف خط التوفيق والتقريب وعدم المصادمة الذي يقود إلي الفشل والخسارة، بينما نبهنا "سزائي كاراكوج" إلي أن النظام السياسي التركي منذ عام ١٩٦٠ وهو يقبل بتيارين هما الديموقراطية المحافظة والعلمانية الدولتية الأولي مثلها الحزب الديموقراطي ثم حزب العدالة ثم حزب الوطن الأم وأخيرا حزب العدالة والتنمية" أو الآق بارتي أما العلمانية الدولتية فعبر عنها دائما حزب الشعب الجمهوري الذي لم يكن

وكما هو الحال دائما في الديموقراطية التركية فإن الجيش قفل إلي ثكناته يراقب من بعيد وسمح للأحزاب أن تعود مرة أخري لحلبة السياسة وفق لقواعد التي يرسمها الجيش ، وكما سيحدث دائما فإن حركة "الملي جوروش" ستعود من جديد هي الأخري لتؤسس حزبا جديدا يعبر عن لتيار الفكري الجديد لها .

كان ذلك الحزب هو "حزب السلامة الوطني "MSP الذي تم تأسيسه في ١١ أكتوبر ١٩٧٢م حيث تقدم لتسجيل الحزب كل من "عبد الكريم دوغرو" الاقتصادي "تورهان أكيول" وترأس الحزب "سليمان عارف أمره" بينما كان ربكان خارج البلاد في ألمانيا ، كانت عاصفة انقلاب ١٢مارس ١٩٧١ م قد ىدأت وأصبح الجو مهيأ لقبول حزب يعبر عن التيار الإسلامي في تركيا خاصة مع إحاطة المشكلة القبرصية بالجو السياسي العام في تركيا ومع لتوتر السياسي الذي تعيشه البلاد بسبب الاستقطاب العسكري - المدني ، هو ما جعل إدارة الانقلاب تقبل بحزب "السلامة الوطني" لإضعاف حزب عدالة(١) .

يساريا وهو ما أطلقنا عليه "يمين الوسط" ويسار الوسط" أما الأحزاب التي تشتط يمينا أو يسارا فإن النظام السياسي التركي يعمل علي طردها ومحاصرتها وهذا ماحدث للتيار الذي مثله "اربكان" والملي جوروش .

(١) عن حزب السلامة وبداية نشأته راجع:

Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 121 - 123.

حيث يشير إلي أن "سليمان عارف إمره" كان قائدا للحزب أول تسجيله لكنه كان واجهة لأربكان ، كما أشار إلي الجدال السياسي المذهل الذي طرحه أربكان في كتابه باللغة التركية Milli Gorus ve Anaysa Degisikligi أي الفكر الملي والتغير في الدستور والذي كان "اربكان" يحاول تطويع مواد الدستور لأفكار الملي جورش فيما يتصل بالنهضة المعنوية والحفاظ علي الأخلاق وفيما يتعلق بالعلمانية وضرورة احترامها لحرية الضمير والعقيدة وعدم تدخلها في السلوك الديني للناس . وأيضا راجع: طارق عبد الجليل السيد ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، م . س ، د ، ص ٩٨ . وأيضا تفصيلات مهمة في أحمد نوري النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في

وإبان انعقاد المؤتمر الأول لحزب السلامة في ٢١ يناير ١٩٧٣ م كان قد انتظم في ٤٢ محافظة ونحو ٣٠٠ مدينة ، وصدرت جريدة الحزب الرسمية لأول مرة باسم " مللي جازيت " ودخل الحزب الانتخابات النيابية في ١٤ أكتوبر عام ١٩٧٣ م وحصل حزب السلامة فيها علي ٤٨ مقعداً أي أنه أصبح القوة السياسية الثالثة بعد حزب الشعب وحزب العدالة[1] . وأصبح لا يمكن تشكيل أي حزب للحكومة بمفرده بدون الاستعانة بحزب السلامة الوطني .

رابعا : حزب السلامة يشكل الحكومة مع حزبي الشعب والعدالة :

دخل حزب السلامة ذات التوجه الإسلامي لأول مرة في ائتلاف مع حزب الشعب الجمهوري الذي يترأسه " بولنت أجاويد " ووصف "سليمان عارف إمره" ذلك الائتلاف بقوله "وصفت العلمانية منذ زمن طويل في بلادنا بأنها عدوة للدين ومارست ضغوطاً قاسية علي المتدينين ، وقبل أي شئ يجب هدم هذه الصورة ، وتفريق تلك السحب الغائمة في أفق حرية الفكر والاعتقاد" .

ويشير أيضاً إلي أن جانب الأخلاق والمعنويات كان أحد الأسس التي قامت عليها حركة "المللي جوروش" وفي الائتلاف مع حزب الشعب عام ١٩٧٤ طالب "سليمان عارف إمره" "أجاويد" بالالتزام بالدستور الذي يحض علي الأخلاق والمعنويات ، فلما قال له "أن هذا ضد العلمانية" أخرج له "سليمان عارف" من جيبه الدستور في البند الثالث منه مادة تقول "الدولة تعلم الأخلاق والمعنويات لأطفالها ولا يسمح لأحد بأن يأتي بالأخلاق

تركيا ، حاضرها ومستقبلها ، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا ، م . س . د ، ص ١٢٩ - ١٣٠

(١) مصطفي محمد ، الحركة الإسلامية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، وتشير بعض المراجع إلي أنه فاز ب ٤٩ مقعداً وراجع مثلا ، إبراهيم الدسوقي شتا ، الحركة الإسلامية في تركيا ، م . س . د ، ص ١٠٨ .

السيئة" فهذا موجود في الدستور ولكنه غير موجود في برنامج الحكومة[1]. وهنا قراءة جديدة للعلمانية وللدستور التركي تضعه في موضع لا يتعارض مع أهداف "حزب السلامة الوطني" في تحقيق مشروعه الذي أطلق عليه "النهضة الأخلاقية والمعنوية"

- حصل حزب السلامة علي وزارات الدولة والداخلية والعدل والتجارة والجمارك والزراعة والتموين والصناعة بالإضافة لمنصب نائب رئيس الوزراء الذي شغله "نجم الدين أربكان"، وتضمن بروتوكول الائتلاف مبادئ هامة مثل تربية الأطفال علي الأخلاق وإطلاق الحريات والعفو عن السجناء السياسيين علي اختلاف مشاربهم وإطلاق حرية الصحافة وإقامة أوثق الروابط مع دول العالم العربي والإسلامي وآسيا.

وحقق الحزب مكاسب اجتماعية ودينية وسياسية تمثلت في فتح عدد كبير من مدارس الأئمة والخطباء والبدء لأول مرة بتدريس مادة الأخلاق "الإسلام" كمادة إجبارية في المدارس والدعوة إلي تصنيع منطقة الأناضول النائية وتبني إنشاء الصناعات الثقيلة والسماح بالسفر برا للأتراك للحج وكان ذلك ممنوعاً، والمطالبة بالعفو الشامل عن جميع المسجونين السياسيين بكافة اتجاهاتهم.

ويذكر أعضاء حزب السلامة بنوع من الفخر أنهم هم الذين قادوا عملية إنزال الجيش التركي في قبرص لحماية القبارصة الأتراك، وطالب الحزب لأول مرة في البرلمان وبشكل علني إعادة النظر في الماسونية وخطورتها والضرب علي أيدي الماسونيين وسمح الحزب لكثير من الشباب المسلم الدخول لسلك الشرطة والبوليس وكان ممنوعاً منه، وأصبحت الشرطة عنواناً للعدالة بدلاً

(١) حوار للباحث مع "سليمان عارف إمره" في منزله بأنقره وسيدرج ضمن ملاحق الرسالة.

من توظيفها ضد التيار الإسلامي[1] .

– يبدو أن التحالف بين "حزب السلامة" وحزب الشعب" اللذين يمثلان الضحية والجلاد في الحياة السياسية التركية كان مفاجأة لم يتحملها جزء من القاعدة الإسلامية والتصويتية التي اعتمد عليها حزب السلامة وهم النورسيون" والسليمانيون" وبعض التيارات الإسلامية المتشددة[2] . ولذا حصل الحزب في الانتخابات التي جرت عام ١٩٧٧م علي أصوات أقل ، كما شهد انشقاقات وصراعات من داخله .

غير أن الحزب أرسي تقليداً مهما في الحياة السياسية التركية وهو أن الممارسة السياسية تقاس بمنظور "السياسة الشرعية " وفقه المقاصد الذي يعتبر معيار مدافعة المفاسد وجلب المصالح هو المعيار الحاكم للخبرة السياسية ، وفي التحليل النهائي كان اشتراك "حزب السلامة" في حكومة ائتلافية للمرة الأولي في تاريخ تركيا السياسي هو المفتاح الذي فتح الطريق للإسلاميين في تركيا ليكونوا جزءا من بنية النظام السياسي نفسه وليسوا فقط مكونا من مكونات الحياة السياسية

(١) مصطفي محمد ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ولدينا خريطة توضح خطة الحزب للتصنيع في تركيا بمنطقة الأناضول والمناطق المهملة من منظور تركي وطني وكانت خطته تقوم علي بناء ٣٠٠ مصنع في تركيا تكون رافعة للتصنيع والاعتماد علي النفس .

(٢) عن الانقسامات داخل الحزب بسبب الائتلاف مع حزب الشعب وحزب العدالة راجع: إبراهيم الدسوقي شتا ، الحركة الإسلامية في تركيا ، حيث أشار إلي التفاف السليمانيون وجماعة النور حول حزب العدالة وأصدرت أحد فصائل النور جريدة يومية اسمها "يني آسيا" أي آسيا الجديدة هاجمت أربكان بدعم من حزب العدالة وحاولت تلويث سمعة الحزب وقائده وهو ما أدي إلي انفصال ١١ نائباً من حزب السلامة وانضمامهم إلي حزب العدالة ، ص ١١١ وبتفصيلات أكثر عن عناوين "يني آسيا" راجع مصطفي محمد ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، ص ٢١٩ كانت بعض العناوين تتضمن حزب السلامة يقول: نحن علمانيون ، حزب السلامة يقول: نعم للخمر والقمار ، الحزب يؤيد اليسار والشيوعيين ، حزب السلامة ماسوني ، حزب السلامة والشعب علي اتفاق من الناحية الفكرية أثر كل ذلك علي موقف الحزب في انتخابات عام ١٩٧٧ م فحصل علي نصف المقاعد التي حصل عليها عام ١٩٧٣ م .

والحزبية في تركيا . **كما أنه أكد في الممارسة أن الإسلام ليس فقط تعبيراً عن مجرد الهوية الفردية أو مكونا من مكونات الحياة الخاصة كما تراه الأحزاب اليمينية والقومية ولكنه كذلك جزء من الدولة التركية والنظام السياسي ويمكنه أن يجادل ويناضل في المجالات العامة والسياسية**[1].

وفي ١٣مارس عام ١٩٧٥ م دخل حزب السلامة ائتلافاً جديداً مع حزب العدالة والحركة القومي والثقة الجمهوري فيما عرف باسم "حكومة الجبهة الوطنية"، والتي تكونت من ثلاثين وزيراً ، منهم ثلاث نواب لرئيس الوزراء وكان أربكان" واحداً منهم بالإضافة إلي ٨ وزراء لحزب السلامة الوطني ، وكان بروتوكول الحكومة يقوم علي مقاومة الشيوعية ومنع الفوضي ومراقبة برامج التلفزيون والإذاعة التركية من الإساءة إلي الجمهورية أو الأخلاق العامة وتخفيض السن التصويت إلي ١٨ عاما ومقاومة التضخم وضمان حق خريجي مدارس الأئمة والخطباء في الالتحاق بالجامعات وأيضاً قصر الحق في تدريس مادة الدين الإسلامي في المدارس العلمانية علي خريجي معهد الدراسات العليا الإسلامية ومدارس الأئمة والخطباء ، والحفاظ علي سلام القبارصة الأتراك عبر الفيدرالية معهم[2] .

استطاع حزب السلامة أن ينتزع من البرلمان قانوناً يجيز لبني عثمان العودة إلي ديارهم ، وكتبت "الملي جازيت" الناطقة بلسان الحزب فقالت "آن الأوان أن نضع معاهدة لوزان علي المشرحة . . فلا يكفي أن ننظر إلي

---

(١) كان رمز حزب السلامة هو المفتاح وذلك في إشارة من "اربكان" إلي ان حزبه هو المفتاح لكل أزمات تركيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، كما أنه المفتاح الذي لا يمكن عقد اي تحالفات أو ائتلافات في تركيا بدونه ، فهو قبة ميزان السياسة التركية .

(٢) عن برنامج ائتلاف حزب السلامة مع "الجبهة القومية "Milliyetci Ceph راجع: Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p 108 .
وكانت احزاب الجبهة تتضمن حزب العدالة والثقة الجمهوري والحركة القومي والسلامة .

اعتداءات اليونان علي حقوقنا في بحر إيجه واعتداءاتها علي المسلمين في قبرص وتراقيا الغربية . . بل لابد من وضع حد للبنود المذلة التي تضمنتها المعاهدة والتي قيدت بها تركيا وألحقتها تابعاً للغرب . . وحاولت فصلنا نهائياً عن تاريخنا وأمجادنا . . **لقد مات صانع معاهدة لوزان.. ولا بد لهذه المعاهدة أن تلحقه** .

وبشكل عام فإن حزب السلامة كان لديه برنامجه الذي يسعي لتطبيقه وإن تباينت تحالفاته وهذا البرنامج يتضمن الحملة المعنوية والتصنيع الثقيل والتقدم المادي للجميع والاهتمام بزيادة الصادرات وسياسة اقتصادية ودولية متوازنة وسليمة والتعاون مع الأقطار الإسلامية الشقيقة[(١)] .

- في انتخابات ١٩٧٧ م مني حزب السلامة بهزيمة لم تكن متوقعة فقد حصل علي ٨,٦٪ من الأصوات وأصبح له ٢٤ نائباً في "المجلس الوطني الكبير" بعد أن كان له ٤٨ مقعداً ، لكنه دخل من جديد في ائتلاف مع حزب العدالة بعد عجز حزب الشعب الجمهوري عن تشكيل الحكومة ، وانتهي هذا الائتلاف عام ١٩٧٨ م[(٢)] . وعاد أجاويد ليشكل الحكومة من جديد في ظل تنامي موجة العنف اليساري واليميني بشكل لم تعرفه تركيا من قبل حيث كانت مصادمات الشوارع تخلف بشكل منتظم ثلاثة أو أربعة قتلي كل يوم[(٣)] . وكانت أخطر حوادث العنف تلك التي وقعت بين السنة والشيعة في

---

(١) مصطفي محمد ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٢١٠ - ٢١١ حيث ينقل عن الملي جازيت يناير ١٩٧٥ وإبريل ١٩٧٥

(٢) عن تطورات الأحزاب السياسية في تركيا راجع ، صبار الجميل ، العرب والأتراك ، الانبعاث والتحديث من العثمنة إلي العلمنة ، م . س . ذ ، ص ٢٠٩ ، وأيضا راجع طارق عبد الجليل ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، م . س . ذ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) رضا هلال ، السيف والهلال ، تركيا من أتاتورك إلي أربكان ، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي ، م . س . ذ ، حيث يشير إلي مساندة الحكومات اليمينية لمنظمة الذئاب الرمادية التي أسسها حزب الحركة الوطني ذو الميول القومية المتطرفة ، كما ساندت الحكومات اليسارية

مدينة "مرعش" المعروفة بكونها مركزاً لتجمع العلويين في جنوب شرق تركيا وراح ضحيتها ما يقرب من مائة شخص أغلبهم من الشيعة[١] .

خامسا : إغلاق حزب السلامة وأزمة النظام السياسي :

بدت الديموقراطية التركية عاجزة عن مواجهة الأزمات التي تطبق بخناقها علي المجتمع خاصة الأزمة الاقتصادية الطاحنة ، وأزمة عجز الديموقراطية وضعفها ، **ففي الفترة من ١٩٧٣ م إلي ١٩٨٠ م شهدت البلاد ١٢ حكومة أقلية وإئتلافية أي بمعدل حكومة كل ٩ أشهور**[٢] كان لحزب العدالة فيها نصيب الأسد بالطبع ، وكان الصراع علي أشده بين حزب الشعب وحزب العدالة الحزبان الكبيران في تركيا ، بينما حاول حزب السلامة الوطني أن يقدم نفسه للجمهور التركي باعتباره التعبير عن التوجه الوطني "الملي" الحقيقي الذي يسعى لإنقاذ تركيا من ورطتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

وكان هدفه الواضح هو كيف يمكن أن تصبح تركيا دولة قائد وكبيرة في اللحظة الراهنة بقدر ما عبرت عن ذلك في الماضي الذي لا يمكن فصله عن الحاضر والمستقبل . ومثل الخطاب الذي قدمه الحزب للجمهور التركي عاملاً لجذب جمهور الشباب بالإضافة إلي تعبيره عن أبناء الطبقات الوسطي

المنظمات اليسارية وتصاعد عدد ضحايا العنف السياسي في تركيا من ٢٣٠ شخصاً عام ١٩٧٧ م إلي ١٢٠٠ عام ١٩٧٨ م ثم إلي ١٥٠٠ عام ١٩٧٩ واغتيلت الشخصيات العامة بعد هذا العام في مايو ١٩٨٠ اغتيل نائب رئيس حزب الحركة القومي واغتيل نهات أريم رئيس الوزراء السابق وكمال توكلر رئيس اتحاد نقابات العمال اليسارية ، ص ١٣١ - ١٤٠ .

(1) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cite, p 110 .

حيث يشير إلي أن من قام بهذه المذبحة خلال يومين هو حزب الحركة القومي المتطرف ، وكانت مديرة لإحداث وقيعة بين الشيعة والسنة لفصم العلاقة بين تأثيرات الثورة الإيرانية علي الحالة التركية .

(٢) رضا هلال ، السيف والهلال ، م . س . ذ ، ص ١٤٠ ، ويبدو مظهر الشلل في النظام السياسي التركي جليا في المجلس الوطني الكبير الذي فشل في اختيار رئيس الجمهورية خلفاً للرئيس "كورتورك" بعد انتهاء مدة رئاسته عام ١٩٨٠ ، ص ١٣١ .

والبرجوازية الصغيرة من صغار العمال والفلاحين والموظفين والقوي التقليدية في الأناضول في مواجهة هيمنة قوي الرأسمالية التي مثلها حزب العدالة ويمكن القول إن الحزب أصبح أكثر تعبيراً عن فئات من اليسار بتبنيه خطابا في المسألة الاقتصادية وصف بأنه تعبير عن الاشتراكية الإسلامية[1].

- المشروع الإسلامي للحزب مثل الرافعة الأساسية له، فقد بدا أن الإسلام هو الحل في خضم الفوضى التي تعانيها البلاد، وربما يشير حادث استنكار المصلين في مسجد الفاتح باسطنبول لطلب الإمام الدعاء والفاتحة لروح "أتاتورك" في برنامج تلفزيوني كان يبث مباشرة علي الهواء إلي المدى الذي أصبحت الجماهير رافضة للعلمانية والأتاتوركية[2] وكان الحزب يتبني مع رسوخ قدمه في الحياة التركية لغة أكثر إسلامية وجذرية في مواجهة العلمانية[3].

وبمناسبة ذكري فتح اسطنبول نظم الجناح الطلابي للحزب مسيرات في مدينة "بوزغات" حضرها أكثر من مئة ألف شاب وعلي رأسهم مسئولو

(1) Ahmed, The Turkish experiment in Democracy: 1950 - 1975, op. cit. p. 317 - 318.

وعندما قامت الإذاعة السرية للحزب الشيوعي التركي من برلين الشرقية فإنها طالبت أتباع حزب السلامة الوطني لقيادة المقاومة. وراجع النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص ١٥١. وفي عام ١٩٨٠ انتقد "أربكان" واجاويد "لعزل وزير الخارجية التركي من حزب العدالة لتورطه في توثيق علاقة تركيا بإسرائيل. ص ١٤٩

٢) مصطفي محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص ٢٥٣ والحادث وقع يوم ٨ مايو ١٩٨٠. وكما ذكرت "الملي جازيت" تمكن من قاموا بالحادث من مغادرة المسجد دون اعتراض وهو مايعني أنهم كانوا أعداداً كبيرة ويحظون بتأييد المصلين.

٣) عن تفصيلات وافية تعبر عن موقف قادة الحزب من العلمانية راجع النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ص ١٣١ ومابعدها حيث أشار إلي أن قادة الحزب اعتبروا الإطار السياسي لتركيا الجديدة يناقض المبادئ السياسية للإسلام، والإسلام دين ودولة لا يقبل بالفصل بينهما، وفي باكستان قال أربكان "قبل كل شئ يجب أن تكون الدولة إسلامية، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن الدين الإسلامي في خطر. ص ١٣٢.

حزب السلامة ورئيس الحزب "نجم الدين أربكان" وكان هتافهم ا لوحيد "الله أكبر" وحمل المتظاهرون اللافتات التي تقول "الله أكبر" و "المسلمون أخوة" وكل شيء من أجل الإسلام" أنا مسلم وديني الإسلام" حزب السلامة يجاهد في سبيل الحق" المستقبل للإسلام" لا يسار ولا ماسونية" تسقط الصهيونية الطاغية" سنعيد آيا صوفيا للعبادة" وفي هذه المناسبة قال "أربكان" لشباب الحزب: **أيها المجاهدون.. إن هدفكم الآن هو تبليغ الحق إلي أبناء الأمة البالغة خمسين مليوناً وتأمين تجميع هذه الأمة تحت راية الحق، وأنتم أيها الشباب أغلي شباب هذا البلد بسبب قوتكم المعنوية أولا والمادية ثانيا** ولن يستطيع أحد أن يقف أمام المجاهدين أمثالكم، والذي يحاول ذلك سيندم وسيكون الخسران حليفه، وأنتم بهذا الإيمان الذي في قلوبكم رجال حق ومبلغو حق وسيغلب الباطل أمامكم مرة أخري.

إن جيشكم هذا سيرفع الحق عالياً كما رفعه في فتح اسطنبول، إن القوي الخارجية الآن تصرف أقصي جهدها لوضع باطل مكان الباطل الحالي الذي أفلس ونحن يجب علينا أن لا ندع فرصة لعودة هذه الأمة من مرض لآخر[(١)].

ومن منصة البرلمان التركي قبل انقلاب سبتمبر عام ١٩٨٠ بعدة أشهر قال: "بعد الحرب الثانية اقتسمت الدول الاستعمارية العالم إلي مناطق نفوذ لهذه الدولة أو تلك وفي السنوات الأخيرة بدأ البعث الإسلامي يطل برأسه في مناطق كثيرة في أنحاء العالم.. في مصر وباكستان وأفغانستان وغيرها وبدأ المسلمون يطالبون بحقوقهم ويستشعرون قوتهم فهم قوة بشرية هائلة يحتلون أهم البلدان ويمتلكون أعظم الثروات ومع ذلك فإننا نجد إصراراً من النظام

(١) مصطفي محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦.

التركي علي عدم فهم هذه الظاهرة علي الرغم من قوتها ووضوحها . . إن لتركيا محبة خاصة في نفوس المسلمين ؛ لأن الأتراك المجاهدين المسلمين حملوا الإسلام قروناً طويلة ضحوا وجاهدوا وتعبوا . . ومع ذلك فلا يريد النظام أن يستفيد من هذا المعني .

إنني أسأل النظام . . لماذا يستنكر احتلال روسيا لأفغانستان ثم لماذا يرسل جيشاً للقتال في كوريا ولا يستشعر هذا المعني تجاه شعب مسلم في أفغانستان اعتدي عليه واحتلت أرضه . . لماذا يعترف النظام في تركيا بإسرائيل ويكون آخر دولة تعترف بحكومة الجزائر . . لماذا يتشنج النظام تجاه الثورة الإسلامية في إيران . لماذا يتعامل النظام مع المخابرات الإسرائيلية للتآمر علي الإسلام والمسلمين في تركيا وغيرها .

- ينبغي علي تركيا أن تعود إلي سربها وأن تسعي مع غيرها من الدول الإسلامية إلي تشكيل:

١ - أمم متحدة للأقطار الإسلامية .

٢ - سوق إسلامية مشتركة .

٣ - إنشاء عملة إسلامية موحدة (الدينار الإسلامي) .

٤ - إنشاء قوة عسكرية تدافع عن العالم الإسلامي .

٥ - إنشاء مؤسسات ثقافية تبني الوحدة الثقافية والفكرية القائمة أساً علي الإسلام[1] .

- بلغت الأمور ذروتها بتنظيم حزب السلامة لمسيرة في مدينة "قونية" بحضور "أربكان" وقيادات حزب السلامة "سميت" يوم القدس" اشترك فيها

١) نفس المرجع ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

مائـة ألـف مـن الشباب وأطلقوا الهتافات والشعارات الإسلامية التي عبرت عـن العـداء للعلمانـية وعن الدعوة لوحدة الأمة الإسلامية وتميز خطها عن الشرق والغرب[1].

وبعـد أسـبوع واحـد مـن هـذه المـسيرة شـهدت البلاد انقلاباً عسكرياً جديـداً في ١٢ سـبتمبر عـام ١٩٨٠ م هو الثالث في تاريخ الجمهورية لحماية الجمهـورية الكمالـية ذات الطابع العلماني من المد الإسلامي في وقت كانت المصالح الأمريكية فيه مهددة في منطقة الخليج والعالم العربي والإسلامي بعد الثورة الإيرانية التي أطاحت بنظام الشاه.

ومـــن هـــنا اعتـــبرت بعض الدوائر أن الانقلاب الثالث كان جزءا من مخطط امريكي غربي للسيطرة علي المد الإسلامي في تركيا في وقت استطاع فيه هذا البعث أن يهزم أحد أهم عملاء أمريكا وإسرائيل في المنطقة وهو شاه إيران.

- أغلـق حـزب السلامة واعتقل قادته وحدد موعداً لمحاكمتهم عسكرياً في ٢٤ إبـريل ١٩٨١ م، وفي المحاكمـة الـتي قـدم لهـا "أربكان" و٣٣ من قادة الحزب ووجهت لهم التهم الآتية:

١ - العمـــل علـــي اســـتبدال مـــبادئ الدولـــة القانونـــية والاجتماعـــية والاقتصادية. والسياسية بمبادئ تقوم علي أساس الإسلام.

---

(١) يذكر النعيمي أن عـدد المشاركين في المظاهرة بلـغ ٤٠٠ ألـف، طالـبوا بتأسـيس دولـة إسـلامية واستهزأوا بكـل ماجاء به أتاتورك والمؤسسة العسكرية واحتج المتظاهرون علي ضم القدس ونادوا بقطـع العلاقـات مـع (إسـرائيل) وكتبت الـشعارات باللغةالعـربية وأحرقت أعلام أمريكا والاتحاد الـسوفيتي والعلـم الـصهيوني ونادي المتظاهرون بالموت لليهود، ونادي المتظاهرون بالشريعة وتدمير الدولـة الملحـدة والمطالبة بدولة إسلامية ونادي المتظاهرون بأنهم يريدون الأذان وليس النشيد ورفع المـشاركون في المـسيرة لافـتات كـتب علـيها "اليوم إيـران وغـداً تركيا"، وظهرت تنظيمات الحزب العـسكرية والـتي تعـرف باسـم "اقينجلـر" أي الطلائع والثانية "إسلام قورتش اوردوسي" أي جيش التحريـر الإسـلامي "ورفعت الأعلام الخضراء وهذا الحشد الهائل الذي رفض ترديد النشيد الوطني اعتبر "اربكان" منقذ تركيا في المستقبل

٢ - قيام عدد من المنظمات الشبابية والطلابية والعمالية والمهنية المرخصة والمرتبطة سراً بالحزب والتي تعمل علي تطبيق الشريعة الإسلامية وإهانة "أتاتورك".

٣ - اجتماعات الحزب وهتافاته التي تكشف أهدافه ومنها "محمد قائدنا" "وسنحطم الأصنام ونقيم دولة الإسلام" ومن لافتاته "ومن لا يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" وقل جاء الحق وزهق الباطل"، "وخميني في إيران وأربكان في تركيا".

٤ - ترديدهم لذكر الله في اجتماعاتهم والتذكير بأن الأمة حاربت خلال تاريخها من أجل الإسلام وليس من أجل أشخاص وأبطال. وتساؤل أربكان فيما إذا كانت الدولة تحكم بالشريعة أم لا وإصرار "أربكان" علي افتتاح مدارس تعليم القرآن في القري وافتتاح مسجد "آيا صوفيا" للصلاة ومطالبته أن يكون الزواج شرعيا وأن يكون يوم الجمعة عطلة رسمية، ومهاجمته لمعاهدة لوزان وتغيير الحروف العربية واستبدال القوانين والقول بأن تركيا جمهورية ملحدة.

٥ - مهاجمة الحزب للماسونية واتهامها بأنها هي من أسقطت السلطان عبد الحميد وأن "أتاتورك" كان عضواً في المحفل الماسوني في "سالونيك" الذي تآمر علي الدولة العثمانية. ومهاجمة حزب الاتحاد والترقي ووصفه بالماسونية.

٦ - اتهام "أربكان" بأنه كان مرشحاً للخلافة فقد وجدت أوراق بمكتبه تتحدث عن مبايعة أعضاء بارزين من الحزب له بمدينة "اسطنبول".

٧ - اتهم "أربكان" بتصريحاته التي أطلقها في مكة عندما قال: "تخلينا عن القرآن ما يقارب الخمسين سنة الماضية، إن الدين والدولة فصلا، ويتعين

علينا أن نعمل من أجل كلمة القرآن كي تكون فاعلة مرة أخري ، وهذا الهدف نحن بحاجة إلي الجهاد"[1] .

- رد "أربكان" علي التهم الموجهة إليه وإلي حزبه وأكد أنه علي الرغم من تفتيش ما يقرب من ألف مركز و٣٠٠٠ مبني تابع للحزب وتدقيق ٦٠ ألف رسالة لم يعثر علي أي دليل ضد الحزب وأكد أن الحزب أقيم علي أساس الدستور التركي وله برامجه وأهدافه المعلنة وأنه يشارك في إدارة البلاد منذ ٨ سنوات واشترك في ٣ حكومات سابقة .

وأوضح أن القمصان البيضاء التي وجد مكتوباً عليها "أيها المؤمنون لتكن هذه الملابس البيضاء أكفاناً لنا إذا استشهدنا"، إنما هي كلمات لألب أرسلان السلطان السلجوقي في معركة "ملاذ كرد" التاريخية لرفع روح الجيش التركي المعنوية وأنه ينبغي شكره علي اهتمامه به بدلاً من إهمالها من قبل المسئولين ، وكان يجب أن توضع هذه الملابس التاريخية ذات المعني العظيم في المتحف .

وفي معرض رده علي تهمة استغلال الشعور الديني من أجل تحقيق أهداف سياسية قال: إن رئيس الدولة "كنعان إفرين" كان يستخدم مثل هذه الكلمات في خطبه مع الشعب وفي واحدة من خطبه قال "إن الثروة المكتسبة بطريق غير مشروعة حرام من الناحية الدينية "، وعن استخدامه لكلمة "الحق والباطل" والتي كان يشير بهما إلي نظام حزب السلامة المستمد من "الملي جوروش" - أي الفكر الملي المستمد من الإسلام - في مواجهة نظم الأحزاب الأخرى العلمانية سواء أكانت يسارية أم يمينية -- فقال: الحق هو

(١) محمد مصطفى ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٢٤٤ . والنعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا ، ص١٥٣ وما بعدها وهو يحيل في بعض مايورده علي كتاب محمد باشار عن الأحزاب السياسية في تركيا وتجديد الإسلام .

الصواب والباطل هو الخطأ والحقوق جمع حق ، وكل محكمة وظيفتها فصل الحق عن الباطل وحماية حقوق المواطنين ، وكلمة الحق استعملت ٩٥ مرة في الدستور التركي والديموقراطية تعتمد علي الحق .

ويردد "بولنت أجاويد" زعيم حزب الشعب أنه سيقيم نظام الحق ، وأوضح "أربكان" أن جميع الأعمال التي قام بها حزبه هي موافقة للدستور وصادق عليها رئيس الجمهورية بما في ذلك الإنزال التركي في قبرص ، وأن ممثلي حزبه كانوا يحضرون اجتماعات مجلس الأمن القومي الذي كانت تناقش فيه أدق المسائل السرية[(١)] .

وظل "أربكان" والمجموعة القيادية من حزبه يحاكمون أربعة أشهر كاملة وفي النهاية وصف المدعي العام التركي "حزب السلامة الوطني" بأنه عار من نضال تركيا من أجل مجتمع حديث، ولم تصل المحكمة لقرار نهائي حتي عام ١٩٨٣ م بشأن "أربكان" وأعضاء حزبه وفي النهاية حكمت عليه بالحبس لمدة أربعة أعوام وعلي ٢٢ من أعضاء الحزب بمدد تصل لثلاثة أعوام ونصف[(٢)] .

– تم حظر الأحزاب السياسية ثم حلها بعد ذلك ، وأسدل الستار علي نشاط حزب السلامة بعد انقلاب عسكري كانت أحد أهدافه حماية العلمانية الكمالية من الصعود الإسلامي الذي مثله "أربكان" ومجموعته .

بيد أن الانقلابات التركية الدورية التي يقوم بها العسكر مهما كانت قسوتها كانت تعرف حدودها فهي فقط تعيد اللعبة السياسية إلي قواعدها التي لا تهدد الاستقرار السياسي في البلاد ولا تمثل خطراً علي المبادئ الكمالية ومن ثم يتم

(١) محمد مصطفي ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٢٤٦ – ٢٤٨ .

(٢) النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا ، م . س . ذ وقد ذكر أن "أربكان" اتهم ست مرات بخرق المادة ١٦٣ من قانون العقوبات التي تحظر التجاوزات ضد العلمانية وتحريض الجماهير ولكنه كان ينكر هذه التهم . ، ص ١٥٥ .

لانسحاب من المشهد السياسي بعد إعادة ترتيبه وفق رؤية الجيش الذي راقب ويوجه ويتحكم عبر أدواته التي ضمنها له الدستور التركي.

وفي البيان الذي أذاعه العسكر لإعلان قيام الانقلاب في ١٢ سبتمبر عام ١٩٨٠ م قال: "**إن الدولة وأجهزها الرئيسية صارت عاجزة عن العمل وإن لهيكل الدستوري كان مليئاً بالمتناقضات، كما أن الأحزاب السياسية كانت متعنتة ي مواقفها وتفتقر إلي الإجماع الضروري لمعالجة مشكلات البلاد**.

ونتيجة لكل هذه العوامل فقد زادت القوي الانفصالية من أنشطتها ولم تعد حياة وممتلكات المواطنين آمنة، كما أن الهجمات علي كل جوانب لمجتمع كالمدارس والجامعات والهيئات القضائية والمنظمات العمالية وغيرها تقود البلاد نحو الانفصال والحرب الأهلية وباختصار باتت الدولة بلا حول ولا قوة وأصبحت عاجزة[1].

- يعد الانقلاب العسكري الثالث في تاريخ الجمهورية التركية أكثرها جذرية فهو لم يكتف بحل البرلمان وإغلاق الأحزاب السياسية ولكنه أقال العمد وأعضاء المجالس المحلية، وركز السلطة في قبضة مجلس الأمن القومي الذي ترأسه الجنرال "كنعان إيفرين" الذي أصبح رئيساً للجمهورية منذ يوم ١٤ سبتمبر وفرضت الأحكام العرفية في كل تركيا وصار الحكام العسكريون هم أصحاب الكلمة العليا في تقرير مصير البلاد وصار لهم الإشراف الكامل علي كل مؤسسات المجتمع المدني مثل النقابات العمالية واتحادات التجارة والصناعة والتعليم والصحافة.

وتوسع العسكريون في الاعتقالات حتى زادت علي ١٢٠ ألفا مع نهاية عام ١٩٨٢ م، وتعرض الناشطون السياسيون من كل الاتجاهات لعمليات تعذيب واسعة

(١) رضا هلال، السيف والهلال، م. س. ذ، ص ١٤٠ - ١٤١.

في السجون، وصدرت أحكام عسكرية بالإعدام في حق ٣٦٠٠ شخص وهو رقم ضخم إذا ما قورن بالانقلابين السابقين[١].

- صدر دستور جديد للبلاد في ١٧ يوليو عام ١٩٨٢ م الذي بدا أكثر تحيزاً للسلطة التنفيذية وسلطة مجلس الأمن القومي في مواجهة المؤسسات التي تعبر عن المجتمع[٢] مثل الصحافة والأحزاب والاتحادات العمالية والمواطنين بدعوى حماية الأمن القومي والنظام العام والمصلحة القومية والنظام الجمهوري.

- الحقيقة الأساسية هنا هي أن النظام العلماني التركي لم يعد قادراً علي استمرار العملية الديموقراطية بدون الاستناد إلي الإسلام سواء في صيغته الدولتية التي تعبر عن سيطرة الدولة علي الإسلام لمواجهة التيارات الشيوعية أو في صيغته الحركية المضادة للدولة ممثلا في وجود حزب إسلامي يعبر عن نقطة التوازن التي لا يمكن للنظام العلماني أن يتجاهلها حفاظاً علي الاستقرار السياسي واستجابة لاستمرار الصعود الإسلامي الذي لم يتوقف منذ عام ١٩٤٦م.

وكما قال "علي بولاج": "الحركة الإسلامية في تركيا عاشت تحت ضغوط عنيفة وشديدة جدا ولذلك نحن نطور الحلول في ظل ظروف صعبة جدا وليس سهلا أن ينتصر علينا النظام العلماني"، وإذا كان حزب السلامة

---

(١) نفس المرجع، ص ١٤٢.

(٢) ودستور ١٩٨٢ م هو الذي لايزال يحكم تركيا حتي اليوم ويمكن مراجعة ملامحه في كتاب "تركيا" الذي أعدته وكالة الأنباء التركية "تورك خبر لر" ومطالعة نص الدستور نفسه علي موقع: www.mafa.gov.tr/mfa كما يمكن مراجعة تفاصيل مهمة عن طبيعة النظام السياسي التركي في: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس، ١٩٩٨، ص ١٧ - ٢٢ حيث يعرض لهيكل صناعة القرار في تركيا بدءا من المجلس الوطني الكبير كسلطة تشريع ورئيس الجمهورية كسلطة تنفيذ ثم مجلس الوزراء كحكومة مسئولة أمام البرلمان ومجلس الأمن القومي ثم السلطة القضائية.

قد عبر عن كونه رقماً صعباً لا يمكن للديموقراطية التركية أن تتجاهله بدخوله في ائتلافات متعددة مع اليسار تارة واليمين أخري فإنه مع عقد التسعينيات سوف يصل إلي السلطة ليكون "أربكان" هو رئيس وزراء تركيا لأول مرة في دولة علمانية .

فتركيا هي بلد المتناقضات فهي علمانية لكنها تقبل بأول رئيس وزراء يعبر عن التوجه الإسلامي ، كما أن الأحزاب الإسلامية في تركيا هي الأخرى تمثل ظاهرة فريدة فهي تقبل بالعلمانية كنظام سياسي وتحاول العمل من خلال قوانينها ونظمها السياسية والاجتماعية لتخترق أعلي وأقدس معابدها وهي رئاسة الحكومة ، إننا أمام تعبير سياسي متميز يعبر عن خصوصيه تعرف باسم " النموذج التركي " لجدل العلمانية والإسلام.

* * *

الفصل الثالث

الخبرة السياسية لحزب الرفاه

(١٩٨٣ - ١٩٩٧م)

يناقش هذا الفصل خبرة الرفاه السياسية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حزب الرفاه من التأسيس إلى السلطة (١٩٨٣ - ١٩٩٦)

المبحث الثاني: أيديولجية حزب الرفاه وبرنامجه

المبحث الثالث: التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه

الفصل الثالث:
الخبرة السياسية لحزب الرفاه (١٩٨٣ - ١٩٩٧م)

الخبرة السياسية لحزب الرفاه (١٩٨٣ - ١٩٩٧م):

يناقش هذا الفصل أداء حزب الرفاه كفاعل سياسي في الحياة الحزبية التركية وكيف استطاع أن يحقق صعوداً مذهلا في الحياة السياسية التركية مكنته من الفوز الكاسح في الانتخابات البلدية عام ١٩٩٤ م ثم الانتخابات النيابية عام ١٩٩٥ ثم صعوده إلى السلطة والحكم في تركيا عام ١٩٩٧وسط أنواء السياسة التركية العلمانية التي عصفت بوجوده السياسي فأصدرت المحكمة الدستورية حكماً بإغلاقه واعتباره حزباً غير مشروع عام ١٩٩٨.

الخبرة الأساسية للرفاه تقول: إن الإسلاميين الأتراك في السلطة كانوا أكثر وفاءً لقواعد الديموقراطية من بقية الأحزاب التركية الأخري في اليمين واليسار، وأنهم مارسوا العمل السياسي المدني علي أرضية الالتزام بالقانون والوعي بالفرص والقيود التي يتيحها النظام السياسي التركي.

وسيظل "الرفاه" تجربة مهمة يمكن القول: إنها التجربة الأساس والتي يمكن المقارنة بها في علاقة التيارات الإسلامية بنظمها العلمانية، كما أن التطورات الفكرية والسياسية التي عرفتها هذه التيارات أخذت في الحسبان تجربة الرفاه السياسية.

ويطرح الرفاه أيضاً السؤال الأساسي في السياسة العربية والإسلامية والكونية اليوم وهو كيف يمكن التأسيس لنظم ديموقراطية حقيقية لا تستثني الإسلاميين منها.

يمثل حزب الرفاه في تركيا استمراراً لما عرف باسم "الوجه السياسي للحركة الإسلامية في تركيا، وكما يقول "هاينتس كرامر": "**كان حزب الرفاه أكثر بكثير من مجرد الوجه التنظيمي للإسلام السياسي؛ إذ لم يعد الخيار الحقيقي بالنسبة للأتراك في عملية تصميم دولة حديثة قادرة على مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين، خياراً بين كمالية علمانية من ناحية، وإسلام سياسي أصولي من ناحية ثانية ولكن الخيار الحقيقي هو الخيار بين أسلوب قائم على الدولة الأكثر تسلطاً في تنظيم مجتمع سريع التغير يشكل الإسلام فيه عاملاً اجتماعياً يتعذر استئصاله من جهة، وأسلوب قائم على مجتمع مدني أكثر ديموقراطية في التعامل مع عملية التغيير من جهة ثانية**"[(١)].

أي أن "الرفاه" وانتصاره السياسي الكاسح في الانتخابات البلدية التي جرت في ٢٧ مارس ١٩٩٤ م والتي فاز فيها بنسبة ١٩,٧٪، ثم انتصاره المفاجئ والكبير في الانتخابات النيابية التي جرت في ٢٤ ديسمبر ١٩٩٥ م وحصوله علي المركز الأول بنسبة ٢١,٣٢٪ أي ما يعادل ستة ملايين صوت متقدماً بذلك علي الأحزاب السياسية الأخري **كان تعبيراً عن التحولات الجديدة في المجتمع والدولة التركية والتي أطلق عليها " الجمهورية الثانية "**[(٢)]، وهي تلك التي أرساها في الواقع "تورجوت أوزال" بجسارة تعبر عن ثاقب فهمه لضرورة الاستجابة للتحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية العميقة التي

(١) هاينتس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، م. س. ذ، ص ١٠٦.

(٢) عن الجمهورية الثانية راجع: محمد نور الدين، **تركيا في الزمن المتحول**، بيروت: دار ضياء الريس، ١٩٩٧، ط١، ص ١٨ حيث أشار إلي أن "محمد التان" الأستاذ الجامعي والكاتب في صحيفة "صباح" هو الذي أطلق فكرة "الجمهورية الثانية" كتعبير عن الوجه الداخلي "للعثمانية الجديدة" التي أطلقها "أوزال" وتعبر عن ضرورة استغلال تركيا للعب دور خارجي فعال بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

تشرع بسهولة لدخول أول رئيس وزراء إسلامي في تاريخ الجمهورية العلمانية ليتولي الحكم فيها، وهنا بدت العلمانية بوجهها الأيديولوجي الكمالي الذي لا يعترف بالديموقراطية إلا في الحدود التي تحافظ علي الأيديولجية العلمانية، ورغم ماقيل عن تطور مجتمعي وسياسي وحوار حول العلمانية والدولة والمجتمع وحدودها فيما عرف في الأدبيات التركية "بالجمهورية الثانية" إلا أن الأيديولوجية الكمالية العسكرية تظهر أنيابها حينما تشعر بالتهديد من الديموقراطية التي يمكن أن تأتي بإسلاميين إلي السلطة، إنها يمكن **أن تسمح لحزب إسلامي بالوجود في العملية السياسية ولكنها لا تقبل بوصوله إلي الحكم والسلطة ليكون بيده مقاليد الأمور التي تغير وجه تركيا من " الكمالية الأصولية " إلي " العثمانية الإسلامية "**.

خبرة "أربكان" في الحكم أثبتت أن العلمانية التركية هي أقوي من الديموقراطية المقيدة المحكومة بقوة العسكر وبدستور لا يعبر عن المجتمع، وإذا كان هناك توازن حساس في الخبرة التركية بين ماهو مدني وعسكري حيث المجتمع له عافيته وقوته التي تحول دون انفراد العسكر بتسيير شئونه، ولكنه أضعف من أن يلغي دور العسكر في التدخل بالحياة السياسية، **فالدولة قوية في مواجهة مجتمع يحاول أن يسترد إرادته المرهنة لدي مؤسسات لم يكن له يد في بنائها أو تأسيسها**.

ويعد تصريح رئيس محكمة الاستئناف العليا القاضي "سامي سلجوق" في افتتاح السنة القضائية عام ١٩٩٩ م ضربة موجعة للنظام الكمالي من داخله ومن صلبه قال: "**إن تركيا لا يمكن ويجب ألا تدخل القرن الواحد والعشرين بدستور قاربت درجة شرعيته إلي الصفر**، والمشروعية هي التصور الأهم لعلم الاجتماع ولعلم السياسة وهي درجتان مشروعية شكلية

عنه لذا كانت صلاته وعلاقاته قوية بخصوص أتاتورك وعلي رأسهم الاتجاه الإسلامي ، فقد دعا قبل فترة قصيرة من وفاته إلي طرح مبدأ " علمنة الدولة " علي بساط البحث والمناقشة ما دامت قطاعات من الشعب تعارضها، وهو طرح حقوق الأقلية الكردية في تركيا في سياق مختلف يري ضروة الاستماع لمطالبهم ، وهو أول رئيس جمهورية تركي ثابر علناً وبصورة منتظمة علي أداء الفروض الدينية وزيارة أضرحة الأولياء داخل تركيا وخارجها ، وأدي فريضة الحج في أول توليه السلطة كرئيس للحكومة عام ١٩٨٣ م ، وانتعشت في عهده بطريقة غير مسبوقة الحالة الإسلامية بكل أطيافها فيما يمكن أن نصفه " بالإحياء الإسلامي الثاني " في تركيا ، ولذا كان حزب "الوطن الأم" يحصد أصوات الإسلاميين جميعاً ، وأوزال "هو من أرسي قواعد ما عرف باسم "العثمانية الجديدة" فقد لاحت له فرصة انهيار الاتحاد السوفيتي كسبيل لا يجوز تركه لتلعب تركيا دوراً في محيطها الإقليمي التركي الواسع وأشار إلي الأعمال الكثيرة التي تنتظر تركيا انجازها من البحر الإدرياتيك إلي سور الصين مشدداً علي أن هذه فرصة تلوح لأول مرة منذ ألف سنة ، فالعثمانية الجديدة في الخارج والجمهورية الثانية في الداخل والذي أرساهما بقوة لا تباري " تورجوت أوزال " كانا هما الجسر الذي عبر علي ظهره " حزب الرفاه " وزعيمه " نجم الدين أربكان " إلي السلطة في تركيا يوم السبت الموافق ٢٩ يونية ١٩٩٦ م ، للتعبير عن صيغة جديدة للعلاقة بين الدولة والمجتمع في تركيا تعبر عنها أجيال جديدة وقوي اجتماعية لم يقدر للناس أن تختبر أفكارها وخبراتها وممارساتها[١] .

سوف نلاحظ أن مجيء الرفاه إلي السلطة أعقب تصدع حزب "الوطن الأم" عام ١٩٩١ م وخروج التيار الإسلامي منه عام ١٩٩٢ م وفشل قوي

(١) عن أفكار "أوزال" وتأثيره علي التحولات الاجتماعية والسياسية في تركيا راجع: محمد نور الدين ، تركيا في الزمن المتحول ، م . س . ذ ، ص ٤٦ ومابعدها وأيضا جلال معوض ، الإسلام والتعددية في تركيا ، م . س . ذ ، ١٥ - ١٨ حيث تابع الانعكاسات السياسية للأصول الدينية علي سلوك القادة .

اليمين واليسار معا خاصة بعد سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفيتي أن تطرح نفسها كقوة لها مصداقية أمام المواطن التركي ، ومن هنا كان "الرفاه" هو الحصان الأسود المرشح لملء الفراغ في الحياة السياسية التركية .

إذن الـرفاه " لم يكن مجرد ملمح من ملامح انتصار الحركة الإسلامية في تركيا علي الصعيد السياسي وإنما كان تعبيراً عن خيار تركيا نحو دولة ديموقراطية وتعددية ومؤسسية ودعنا نقول " دولة طبيعية " لا تؤله " أتاتورك " ولا تصنم أيديولوجيته وتعترف بالمشاكل الحقيقية للمجتمع التركي وحتي تتضح هذه الفكرة فإننا نورد ما قاله مسئول الرفاه في اسطنبول: "يمكن بمفهوم ما خارج الأيديولوجيا الرسمية إيجاد حل للأزمات الحالية في المجتمع التركي ، إننا لا نجرؤ حتي علي مجرد الحديث ومناقشة قضايانا الراهنة في ظل ضغط الأيديولوجيا الرسمية وتهديدها ، إننا عندما نتحادث ونتناقش نكون وجها لوجه أمام خطر المعاقبة ، إن لم تحل هذه المسألة فمن المتعذر حل المشاكل الأخري ، انظروا اليوم لا نستطيع أن نناقش بالصراحة الكافية المسألة الكردية ، **لقد تشكل في تركيا مجتمع مغلق مستند علي القمع والخوف باسم الأيديولجيا الرسمية التي تواصل حتي الآن خصوصية كونها طوطما**[1]، وعلي الجانب الآخر نورد ما قاله "بولنت أجاويد" بصدد تفسيره لانهيار اليسار بقوله: "إن الأصوات التي حصدها الإسلاميون هي أصوات "خيبة أمل" بالأحزاب الأخري في السلطة والمعارضة ، وفي هذه الحال يتجه الناخبون إلي الأحزاب الأصولية كما حصل في الجزائر وبنسبة ما الأردن وكما يحصل الآن في تركيا[2] ، ويتفق مع هذا التحليل نائب بارز من حزب الطريق المستقيم بقوله "**عندما انهارت أيديولجية اليسار في تركيا بدأ الرفاه يولي اهتمامه بصورة كبيرة إلي الجماهير وقام**

(١) محمد نور الدين ، تركيا في الزمن المتحول ، م . س . ذ ، ص ٥٨ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٥٨ .

بالدفاع عن الاشتراكية الإسلامية وسوف ترون في المستقبل القريب أن قسماً كبيراً جداً ممن كانوا يساريين متطرفين في تركيا سيقترعون للرفاه"[1]

نشير هنا إلي ما يمكن أن نصفه بسياق عالمي (كوني) تمثل "بتيار أصولي" ديني في الغرب كان يتنامي هناك منذ أواخر الستينيات وظهرت بوادره خاصة في العلاقات مع العالم الإسلامي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينيات واعتبر الإسلام عدواً بديلاً وجديداً[2]، وظهر ذلك في أزمة البوسنة والهرسك والتي شهدت حملات إبادة عرقية علي الهوية الدينية ومنع قيام دولة للمسلمين في البوسنة، وفي ألبانيا ظهرت الأيدي اليونانية واضحة في تحريكها للأقلية الأرثوذكسية، و في إقليم "كوسوفا" نفذت مذابح عرقية ضد الأغلبية المسلمة، وهي أزمات كان لها دوي كبير في تركيا وتأثير علي الوجدان والمزاج التركي **ومن ثم بدأ الوعي باكتشاف أهمية الدين في العلاقات الدولية وفي تكوين الهوية التركية خاصة حتي من قبل التيارات العلمانية"**.

"فمسعود يلماز" يقول: "**إن الدين محدد أساسي في الشخصية القومية التركية**" وتقدم باقتراح إعادة فتح جامع "أيا صوفيا" للعبادة مع نواب من حزب "الطريق القويم" وتشيلر قالت: "**نكون مالكين لميراثنا الإسلامي**" وجنكيز

---

(١) نفس المرجع، ص ٥٨.

(٢) عن اعتبار الإسلام عدوا بديلا راجع مثلا صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، جريدة الشرق الأوسط ٢١/ ١/ ١٩٩٥، وراجع أيضا الكتاب المهم، فواز جرجس، أمريكا والإسلام السياسي، صراع الحضارات أو تضارب المصالح، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (٨٤٠) والكتاب يقدم رؤية الساسة وصناع القرار الأمريكيين للإسلام وللحركات الإسلامية وهناك عنوان مهم في الكتاب "تفسير دعاة المواجهة للإسلام "العدو الجديد" وهو ينقل آراء لبرنارد لويس وصمويل هنتنجتون، ودانيال بايبس وغيرها من الأسماء التي تري الإسلام عدوا بديلا، ص٢٤ ومابعدها وفي النقطة نفسها راجع، كمال حبيب، تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية، القاهرة: مصر المحروسة، ٢٠٠٦، ط١، ص ١٩٩ ومابعدها ويورد المقال الخطير "لفوكوياما" الذي نشرته النيوزويك العربية بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠١ بعنوان "**هدفهم العالم المعاصر**" وبالطبع هناك عشرات المراجع في الموضوع ولكنها لا تدخل في موضوع بحثنا بشكل مباشر.

نشانداز" يقول: "**إن الإسلام في تركيا ليس ديناً فقط بل هو هوية وشخصية وثقافة**"، بل إن "يحي أوسلو" نائب "حزب الطريق المستقيم" طالب ببناء مسجد في حديقة القصر الجمهوري بأنقره واقترح مجموعة من نواب الحزب نفسه وحزب "الوطن الأم" وحزب الرفاه" بناء مئذنة بالمسجد الملحق بمبنى البرلمان التركي.

وعشية انتخاب "طانسو تشيلر" رئيساً لحزب "الطريق المستقيم" ورئيسة لوزراء تركيا عام ١٩٩٣ م عبرت عن سعادتها لرؤية العلم التركي (ذو الهلال والنجمة) وسماع الأذان والقرآن وكانت تفتتح خطبها بكلمات دينية وحين زارت القدس في نوفمبر ١٩٩٤ غطت رأسها وأدت الصلاة في المسجد العمري المواجه للمسجد الأقصي، وفي مهرجان انتخابي لها عام ١٩٩٥ أعلنت أنها تستمد قوتها أولا من الله ثم من الشعب وقبلت أمام الآلاف من أنصارها نسخة من القرآن الكريم أهديت لها.

وحتي "حكمت تشيتين" زعيم حزب الشعب الجمهوري والمدافع العتيد عن العلمانية قال لأنصاره في مايو ١٩٩٤ م: "إنه يسلم أمر مرشح الحزب لرئاسة بلدية "اينيبولو" إلي الله أولاً ثم إلي الناخب"[1].

التحول في الرأي العام التركي ناحية الإسلام والتيارات المعبرة عنه هو الملمح الرئيسي للتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية في تركيا منذ أوائل التسعينيات والذي عبر عن نفسه في تسابق كافة الأحزاب السياسية بكافة أطيافها إلي أخذ ذلك في اعتبارها والتقرب إلي الرأي العام عبر إظهار التعاطف مع الإسلام[2].

(١) محمد نور الدين، تركيا: الكمالية في خط الدفاع امام هجوم الإسلاميين، مجلة الوسط، ع ١٧٧، ١٩/٦/١٩٩٥ م.

(٢) محمد نور الدين، الانتخابات التركية، اوروبا والإسلام وجها لوجه، مجلة الوسط، ع ٢٠٣، ٢٨/١٢/١٩٩٥، فهو ينقل عن تشيلر "قولها في إحدي خطبها" نحن مسلمون قبل أربكان بالف سنة" ولا تنسي ان تبدأ بالقرآن والأدعية الدينية في مهرجانات الانتخابات.

كما أن اكتساح الرفاه للانتخابات البلدية في ٢٧ مارس ١٩٩٤ م، والانتخابات التشريعية العامة في ٢٤ ديسمبر ١٩٩٥ ثم الانتخابات البلدية الجزئية في ٢ يونية ١٩٩٦ م[1]، جعل الأحزاب العلمانية تدرك أهمية الدين الإسلامي في وجدان المواطنين الأتراك كمعبر عن هويتهم ومن ثم تخففوا من العلمانية الإقصائية التي تنفي الدين وتهمشه وتختزله كما في الجمهورية الأولي التي أسسها "أتاتورك".

فالجمهورية الثانية تأخذ في اعتبارها الدين كمكون رئيسي للهوية التركية، واتضح ذلك حين تقدم "غفار ياكين" النائب المستقل عن محافظة "أفيون" التركية باقتراح مشروع قانون يهدف لتعطيل العمل في الدوائر الحكومية لتمكين الموظفين من أداء صلاة الجمعة، وأشار إلي أن المادة ٢٤ من الدستور التركي تنص علي حرية الفكر والاعتقاد الديني وأثار هذا المشروع عاصفة حول علمانية الدين وعلاقتها بالدين الإسلامي، وأيد المشروع رئيس "حزب الوطن الأم" مسعود يلماز وعبر عن دعمه الكامل للاقتراح واعتبر رئيس حركة "الديموقراطية الجديدة" علماني "جيم بوينر" الاقتراح من متطلبات الدولة العلمانية.

ووافق علي المشروع "بولنت أجاويد" رئيس حزب اليسار الديموقراطي واليساري المخضرم بل وقال: "إنه يوافق علي تعطيل العمل أثناء صلاة الجمعة وأثناء صلاة الظهر كل يوم وفي كل أنحاء تركيا" ورأي أنه ليس من الضروري إصدار قانون بالتعطيل أثناء صلاة الجمعة إذ تستطيع رئاسة الشئون الدينية أن تحدد ذلك بقرار فالمسألة فنية وليست سياسية، وفي مايو ١٩٩٥ م وافق نواب حزب "الطريق المستقيم" "والوطن الأم" والرفاه" علي

---

(١) حدثت الانتخابات المحلية الفرعية في ٢ يونية ١٩٩٦ م، وأكد "الرفاه" فيها فوزه بنسبة ٣٣،٥٪ بينما لم تتجاوز النسبة التي حازها "الوطن الأم" و"الطريق المستقيم" مجتمعين معا ٣٢،٥٪ وصار واضحاً أن إجراء أي انتخابات نيابية مبكرة سوف تاتي لصالح الرفاه، ومن هنا كان قبول الجيش لمجيء الرفاه إلي السلطة متحالفاً مع الطريق القويم في ٢٦ يونية ١٩٩٦ م.

إضافة ملحق لقانون يخفض الضرائب علي الاستثمارات والمساعدات المخصصة لبناء الجوامع والمساجد، وكان البرلمان قد أقر أن ساعات العمل فيه تنتهي مع مواقيت الإفطار في شهر رمضان[١].

وتبقي الإشارة إلي أن انقلاب الجيش التركي في عام ١٩٨٠ ثم دستور ١٩٨٢ م جاء في صالح الوعي بأهمية بناء صيغة لإسلام تركي TIS يحافظ علي الانتماء الوطني ويقاوم التيارات الشيوعية والعدمية والتخريبية وبصرف النظر عن شرعية الفكرة ذاتها لكنها صبت في تيار الصعود الإسلامي الجارف في تركيا طوال الثمانينيات والذي تكامل واستوي علي سوقه مع مجيئ "الرفاه" إلي السلطة وتولي زعيمه "نجم الدين أربكان" رئاسة الوزراء كأول زعيم إسلامي في دولة علمانية وهو ما نظر إليه باعتباره حدثاً فارقا في التاريخ الإسلامي بما يحمله من دلالات ورموز ومعان[٢]. إذن السياق العام للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعلي كافة المناشط في تركيا كان يتجه بقوة إلي ماأطلقنا عليه "**الإحياء الإسلامي الثاني**" في تركيا والذي عبر عنه "الرفاه" بصعوده المستمر في كل الانتخابات التي خاضها منذ عام ١٩٨٤ م وهو الحزب الوحيد في تركيا الذي كان يحقق ذلك.

يناقش هذا الفصل خبرة الرفاه السياسية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حزب الرفاه من التأسيس إلي السلطة (١٩٨٣ - ١٩٩٦).

المبحث الثاني: أيديولجية حزب الرفاه وبرنامجه.

المبحث الثالث: التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه.

* * *

(١) محمد نور الدين، الكمالية في خط الدفاع أمام الإسلاميين م. س. ذ وتفس الموضوع في كتاب تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص ٨٦ - ٨٩.

(٢) محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص ٧٦ تحت عنوان "أربكان رئيس للحكومة: إنقاذ النظام أم **إنقاذ تركيا**.

المبحث الأول:
حزب الرفاه... من التاسيس الي السلطة
(١٩٨٣ - ١٩٩٦م)

الرفاه سيكون هو الحزب الثالث لحركة "الملي جوروش" بعد إغلاق الجيش التركي لحزب النظام ثم حزب السلامة، ويبدو السيناريو واحداً في كل مرة يغلق الحزب ويقدم قادته للمحاكمة ويمنعون من ممارسة العمل السياسي ولكنه مع الدورة الجديدة للحياة السياسية وعودة الجيش لثكناته يتقدم ممثلون جدد للحركة بطلب حزب جديد ويتم السماح لهم، ولكن في ظل سياق علماني حذر ومتيقظ لوجودهم، وقصة حزب الرفاه تبدو متشابهة هنا مع الأحزاب السابقة له ولكنه هذه المرة يستطيع ليس فقط الائتلاف مع أحزاب أخري للمشاركة في الحكومة كشريك أصغر أو مكمل للصورة السياسية وإنما انتزاعه السلطة ووصوله لقلب العمق العلماني العميق بتشكيله للحكومة كقطب مركزي للحياة السياسية في تركيا ويكمله شريك في الائتلاف هو حزب الطريق المستقيم، وهنا تبدو معضلة الحياة السياسية التركية التي قد تقبل بالإسلام السياسي كحزب أو شريك مكمل للصورة في ائتلاف أما أن يكون هو قلب العملية السياسية فهذا مالم يمكن قبوله أو تحمله، وهو مايعني أن الديموقراطية التركية رغم قبولها لحزب إسلامي كجزء من بنية السلطة السياسية والحياة الحزبية ولكنها ترفض أن يستأثر بالسلطة السياسية حزب يعلن أن مرجعيته إسلامية، وهو ما يجعل سؤال العلاقة بين العلمانية والإسلام مطروحاً بقوة فإلي أي حدود يقبل أحدهما الآخر؟ وإلي أي مدي تقبل الديموقراطية التركية بحزب إسلامي.

أولا: تأسيس حزب الرفاه:

- عقب انقلاب ١٢ يوليو ١٩٨٠ م، حظر الانقلابيون جميع الأحزاب السياسية واعتقلوا قادتها وقدموهم للمحاكمة، وقبض علي "أربكان" و٣٣ من قيادات حزب السلامة MSP المحظور وحوكموا أمام محكمة خاصة اتهمتهم بالعمل علي استبدال الإسلام بمبادئ الدولة القانونية والاجتماعية والاقتصادية واستخدام لافتات وهتافات إسلامية من مثل "سنحطم الأصنام ونقيم الإسلام" وقوله تعالي: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] و"الدولة العلمانية يجب أن تحطم" وتصريحات لأربكان "عن الحكم بالإسلام" يجب أن نبحث فيما إذا كنا نطبق القرآن أم لا؟ وهل يحكم حكامنا بالقرآن أم لا؟، وقوله: "تخلينا عن القرآن ما يقارب الخمسين سنة الماضية، الدين والدولة فصلا، والقرآن أدين ويتعين علينا أن نعمل من أجل كلمة القرآن كي تكون فاعلة مرة أخري ولهذا الهدف نحن بحاجة إلي الجهاد".

- نفي "أربكان" التهم التي وجهت إليه وقال: "الشعب حوكم في المحاكم الجنائية لأنه تلفظ بكلمة الله وإن حزب السلامة إذا ما أصابه الضعف فإن المساجد ستتحول إلي اصطبلات مرة أخري، وعارض إلغاء الخلافة ودعا إلي تبني الأبجدية اللاتينية وقال: "تركيا تحولت إلي واحدة من الدول اللادينية"، أنكر "أربكان" كل الاتهامات الموجهة إليه ورد علي أغلبها وأظهر أنها عارية من الصحة ولم تصل المحكمة إلي قرار نهائي بشأن "أربكان" وقيادات حزب السلامة حتي يوليو ١٩٨٣[1]، وعلق الانقلاب نشاط

---

(١) عن تفصيلات ماحدث في تركيا مع قادة حزب السلامة الوطني بعد انقلاب عام ١٩٨٠ في تركيا راجع: احمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، م. س. ذ، ص ١٥٣ - ١٥٧ و مصطفي محمد، الحركة

الأحزاب السياسية التي كانت قائمة قبل الانقلاب وتم حلها بعد ذلك .

- صدر قانون الأحزاب السياسية في ٢٤ أبريل عام ١٩٨٣ م وقانون الانتخابات في ١٣ يونيو ١٩٨٣ م وحدد قانون الأحزاب السياسية مجموعة من القيود علي الانخراط في العمل السياسي أهمها أن يكون لكل حزب قائمة بثلاثين عضواً علي الأقل كأعضاء للهيئة التأسيسية تتم الموافقة عليهم من وزير الداخلية ، وأعطي القانون لمجلس الأمن القومي صلاحية التحري والإعلان عن عدم صلاحية أعضاء الحزب ومرشحيه للمناصب في أي حال يقعون فيه تحت طائلة المنع بموجب مواد الدستور التي تمنع قيادات الأحزاب القديمة من النشاط السياسي .

- اشترط القانون أن يكون للأحزاب تنظيمات في ٣٤ محافظة علي الأقل من مجموع الـ٦٧ محافظة ، ومنح القانون للمواطنين حق التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم من خلال العمل الحزبي شريطة الانسجام مع المبادئ العلمانية ومنع التناحر الحزبي والنقاش حول الأيديولوجيات والتطرق بأي شكل كان للقيادات العسكرية ، ومنح مجلس الأمن القومي سلطة الموافقة النهائية علي تأسيس الأحزاب[1] .

- لا يمثل في المجلس الوطني الكبير إلا الأحزاب التي تحصل علي ١٠٪

الإسلامية الحديثة في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٢٣٣ حيث يذهب إلي ان أسباب الانقلابات الثلاث في تركيا هي لحصار المد الإسلامي وص ٢٣٩ حيث أشار قائد الانقلاب إلي أن روح التعصب الإسلامي المعادي للكمالية ظهر واضحاص في "قونية" حيث اجتمع مئة الف شاب امام "اربكان" في يوم القدس وهم يقولون بصوت واحد نريد الإسلام وص ٢٤٣ يشير إلي أن ٢٤/ ٤/ ١٩٨١ حدد كموعد لمحاكمة "اربكان" وقادة حزب السلامة واعتبرت قرارات المحكمة نهائية وغير قابلة للنقض و ص ٢٤٤ عدد الاتهامات الموجهة لقادة حزب السلامة (١٤ اتهاماً) ، وص ٢٤٦ ردود "اربكان" عليها .

(١) عن قانون الأحزاب السياسية راجع احمد نوري النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا . م . س ، ذ ، ص ١٧٢ - ١٧٧

من الأصوات الشرعية في الانتخابات العامة والمحلية، ومع السماح للأحزاب السياسية بعودة نشاطها من جديد وفي سنة ١٩٨٣ م تأسس حزب الرفاه في ١٩ يوليو ١٩٨٣ م برئاسة "علي تركمن" ثم انتقلت الرئاسة إلي "أحمد تكدال" إذ كان "أربكان" وقيادات "الملي جوروش" لايزالون ممنوعين من ممارسة العمل السياسي.

- تقدم الحزب وفق قانون الأحزاب ب٣٣ عضواً تأسيسياً حسب القانون ودخل في سباق مع الزمن لتأسيس فروع له في ٣٤ محافظة وفي ثلث أقضية المحافظات علي الأقل وذلك في موعد أقصاه ٢٤ أغسطس عام ١٩٨٣ م ليلحق بالانتخابات العامة التي ستجري في ٦ نوفمبر ١٩٨٣ م، ونجح الحزب في تحقيق الشروط بيد إن مجلس الأمن القومي اعترض علي ٢٩ من الهيئة التأسيسية فقدم الحزب ٢٩ عضواً جديداً إلي وزارة الداخلية، وكان علي مجلس الأمن القومي أن يبدي رأيه حول هؤلاء الأعضاء خلال عشرين يوماً ولكنه تأخر فلم يبد رأيه حتي ٢٩ أغسطس أي بعد مرور المدة القانونية واعترض علي ٢٥ عضواً جديداً.

- وهذا يعني أن العسكريين نظروا إلي حزب الرفاه من أول يوم أسس فيه بنوع من الشك والريبة والرفض، فقد كان مفروضا للحزب أن يشترك في الانتخابات ولكنه منع منها، ولم ييأس فتقدم للجنة العليا للانتخابات مبرهنا علي قيامه بتوفير كافة الشروط القانونية مطالباً بإدراجه ضمن الأحزاب التي يحق لها دخول الانتخابات ولكنها - أي اللجنة العليا للانتخابات - رفضت مذعنة لقرار مجلس الأمن القومي واعتبرت اعتراضه نافذا علي دخول "الرفاه" الانتخابات.

- في ٦ سبتمبر ١٩٨٣م تقدم الحزب بقائمة جديدة بـ٢٥ عضواً جديداً

لم يتم الاعتراض عليهم[1] . ودخل الحزب الانتخابات المحلية لانتخاب رؤساء البلديات لأول مرة في ٢٥ مارس ١٩٨٤ م وفي هذه الانتخابات حصل علي ٤,٤٪ من الأصوات وحصل علي رئاسة بلديتين فقط هما "أورفه" و "وان" من مجموع ٦٩ محافظة محتلا المرتبة السادسة والأخيرة من بين الأحزاب المتنافسة في هذه الانتخابات ، وفي ٦ سبتمبر ١٩٨٧م أجري رئيس الوزراء "تورجوت أوزال" استفتاءً شعبياً علي الحظر السياسي الذي فرضه الحكم العسكري علي رؤساء الأحزاب السياسية ، وجاءت النتيجة لصالح رفع الحظر بفارق بسيط .

– عاد "أربكان" إلي الحياة السياسية بعد حظر دام سبع سنوات تقريباً وفي ٩ من سبتمبر زار "أحمد تكدال" رئيس حزب الرفاه وقادة الحزب "أربكان" في منزله وعرضوا عليه رئاسة الحزب وعقد في ١١ أكتوبر ١٩٨٧ م مؤتمر حزب الرفاه الثاني والذي تم فيه انتخاب " أربكان " رئيساً للحزب بالإجماع[2] ، وفي نوفمبر عام ١٩٨٧ جرت انتخابات نيابية عامة في تركيا اشترك فيها حزب "الرفاه" وحصل علي ٧,٢% من الأصوات المشاركة في التصويت محتلا المرتبة الخامسة بين الأحزاب التي خاضت الانتخابات[3] ، ولم يمكنه دخول البرلمان .

وبعد عامين جرت الانتخابات المحلية في مارس ١٩٨٩ م وحصل الحزب فيها

---

(١) عن تطورات نشأة حزب الرفاه راجع: يوسف إبراهيم الجهماني ، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان ، الإسلام السياسي الجديد ، بدون بيانات نشر ، ص ١٥ ومابعدها وأيضا أورخان محمد علي ، قصة حزب الرفاه ، كتاب غير منشور استطعنا الحصول عليه من المؤلف الذي كان نشره في عدة صحف ، ص ٣

(٢) نفس المرجع ، ص ٤ .

(٣) عن نتائج حزب الرفاه المتصاعدة دائماً راجع محمد نور الدين ، أي مستقبل للإسلاميين في تركيا . امتحان الديموقراطية وامتحان الحركات الإسلامية معا ، الحياة ، ١٢/٦/١٩٩٤ م

علي ٩,٨% من الأصوات **محققا** المركز الرابع من حيث نسبة التصويت من **بين** ٧ أحزاب شاركت في الانتخابات ، **وزادت رئاسة البلديات التي حصل عليها إلي ٤٠ بلدية وحقق الحزب فوزاً في خمس محافظات** منها قونية التي كانت صوتت للوطن الأم في انتخابات عام ١٩٨٤ م المحلية ، وهذا المؤشرات في الواقع ستكون مقدمة للفوز المدوي له في انتخابات البلديات في ٢٧ مارس ١٩٩٤م .

عقد الحزب مؤتمره العام الثالث في ٧ أكتوبر ١٩٩٠ وفيه أعيد انتخاب "أربكان" بالإجماع رئيساً للحزب من جديد ، ولكي يتهيأ الحزب لدخول الانتخابات النيابية التي ستجري في ١٩٩١م تحالف مع حزبين يمينيين آخرين ليتخطي حاجز ال١٠٪ ويدخل المجلس الوطني الكبير واستطاعت هذه القائمة أن تحصل علي نسبة ١٦,٢٪ من الأصوات المشاركة أي صار تمثيلها في البرلمان ٦٢ مقعداً نصيب الرفاه منها ٣٨ مقعداً وبدا الحزب واثق الخطو يمشي في حقل ألغام السياسة التركية ويكتسب كل يوم خبرة ووعياً جديداً بكيفية التعامل مع "الدولة العميقة".

ثانيا : الصعود السياسي لحزب الرفاه:

في ١٠ أكتوبر ١٩٩٣م عقد الحزب مؤتمره الرابع في قاعة "أتاتورك" للرياضة وهي أكبر قاعة في العاصمة "أنقرة" حضرها أكثر من ١٠٠ ألف من أنصار الحزب وأشار "أربكان" إلي الانتخابات المحلية التي ستجري في ٢٧ مارس ١٩٩٤ م قائلا : "يجب أن يخرج حزب الرفاه من هذه الانتخابات كأكبر حزب لأنه الأمل الوحيد للشعب" وفي المؤتمر الرابع لحزب "الرفاه" تقرر التركيز علي: النظرة الملية (الملي جوروش) والنظام العادل والنهضة المعنوية ، وتركيا الكبري من جديد ، والوحدة الإسلامية ، والسير نحو دنيا جديدة ، وأجاب "أربكان" في هذا المؤتمر عن بعض الاتهامات الموجهة

للحزب فقال: "ليس حزب الرفاه حزباً يدعو إلي التضييق علي الحريات أو بجانب إصدار قوانين الزجر والمنع بل هو يستهدف تحقيق النظام الحقيقي للحريات.

إن نظام المقلدين (يقصد الأحزاب الأخري) ليس نظاماً لتقديم الخدمات بل نظاماً للضغط علي الحريات ومع انهم يدعون أن الحقوق والحريات الأساسية موجودة ومحمية بالقوانين فإننا إن دققنا النظر وجدنا هناك قديدات جدية للفكر وللعقيدة في الحياة اليومية وفي الفعاليات الاقتصادية.

في المؤتمر الرابع انتبه الحزب لدور المرأة لأنها مصدر لنصف الأصوات في الانتخابات ولذا رسم خطة لعمل المرأة والنشاطات العديدة التي يمكنها المساهمة فيها، وقامت المرأة بخدمات جليلة للحزب تجلت في الفوز الكبير له في الانتخابات المحلية التي جرت في ٢٧ مارس ١٩٩٤ م والتي دخلها " الرفاه " بمفرده واستطاع أن يحصل علي ٥ مليون صوت محتلاً المرتبة الثالثة بين الأحزاب التي خاضت الانتخابات.

ولكنه حصل علي أكبر عدد من رئاسة البلديات[١]، وللمرة الأولي يستطيع الرفاه أن يصبح رقماً صعباً لا يمكن تجاهله في الحياة السياسية التركية بل إنه أصبح أقوي حزب سياسي في البلاد، إذ حصل علي نسبة ١٩,١٪ من جملة الأصوات التي شاركت في الانتخابات. وبتتبع تطورات النتائج التصويتية للحزب نجد أنه هو الحزب التركي الوحيد الذي يتصاعد له التصويت بين كل انتخابات والتي تليها بأكثر من ١٠٠٪ و الجدول التالي يعرض لتطور نتائج التصويت لصالح الرفاه[٢].

(١) عن التطور السياسي لحزب الرفاه راجع أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. د، ص ٥.
(٢) نفس المرجع، ص ٥

تصاعد نتائج التصويت لصالح الرفاه

السنة	عدد الأصوات	النسبة المئوية
١٩٨٤ م	٧٧٤٦٢٢	٤,٤٪
١٩٨٩م	٢١٧٠٣٦٥	٩,٨٪
١٩٩٤ م	٥٣٨٥٣٥٧	١٩,١٪

المصدر: قصة حزب الرفاه لأورخان محمد علي

نسب التصويت للرفاه في المدن التركية الكبري في أول انتخابات عام ١٩٨٤

المدينة	النسبة المئوية	المدينة	النسبة المئوية
اسطنبول	٤,٣٪	أرضروم	٤,٩٪
أنقرة	٣,٨٪	قونية	٦,٨٪
أدنه	٤,٣٪	مرعش	٨,٩٪
بورصة	٤,٥٪	صقاريا	٧,٤٪
ديار بكر	٣,٣٪	طرابزون	٦,٦٪

نسب التصويت للرفاه في المدن التركية الكبري في انتخابات ٢٧ مارس ١٩٩٤م

اسم المدينة	النسبة المئوية
اسطنبول	٢٥,٣٪
أنقرة	٢١,٥٪
قيصري	٢٧,٣٪
موش	٣٨,٦٪
قونية	٥٨٪

المصدر: قصة حزب الرفاه لأورخان محمد علي

سيطر الحزب الإسلامي الصاعد علي أهم المدن الكبري في تركيا ومنها

"اسطنبول" و "أنقرة" و "ديار بكر" و "أرضروم" وقيصري" و "كوتاهية" و "قونية" ومالاطيه" وموش" وآغري" وبينكول" وبيلتس" وجورم" ومرعش" ونوشهر" وصقاريا" وسيواس" وتوقاط" ووان" وأورفه" وباطمان" وغيرها من المدن المهمة ، وأثبتت نتائج الانتخابات فوز الحزب في أكثر من أربعمائة مدينة وقضاء وناحية[1] .

نظرت الأوساط الإعلامية والسياسية في تركيا وخارجها إلي تقدم حزب "الرفاه" كأمر مفاجئ يحمل في طياته بذور تغيير سياسي قد يكون جذرياً قبل الانتخابات البرلمانية القادمة في عام ١٩٩٦ م من حيث نمو وصعود التيار الإسلامي في تركيا علي نحو قد تتكرر معه "خبرة الجزائر"، بينما ذهب آخرون إلي القول بأن الدلالة الأهم لتقدم حزب "الرفاه" ليست حصوله علي خمس إجمالي أصوات الناخبين وإنما قدرته علي اجتذاب أكثر من ٤٠٪ من أصوات الناخبين في المدن الكبري ممن كانوا صوتوا في انتخابات ١٩٨٩م المحلية لصالح الحزبين المشاركين في الائتلاف الحاكم "الطريق الصحيح DYP والحزب الديموقراطي الاجتماعي الشعبي" وذلك كتعبير عن عدم شعور هؤلاء الناخبين بالرضا عن سياسة الحكومة في التعامل مع مشكلة التضخم وغيرها من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية .

ويعبر "سليمان ديميريل" الرئيس التركي عن ذلك بقوله: "ليست هناك علاقة بين ما يحدث الآن في تركيا وبين ماحدث ولا يزال في الجزائر ، إن تركيا لن تكون جزائر أخري ، والنسبة التي حصل عليها حزب الرفاه ليست

(١) نفس المرجع ، ص ٥ ولمزيد من المعلومات حول تطورات السلوك التصويتي لصالح الرفاه يمكن مراجعة محمد نور الدين ، تركيا في الزمن المتحول ، م . س . ذ ، ص ٧١ - ٧٥ ورصد فيها التحولات التصويتية لكل الأحزاب السياسية وللرفاه نفسه . وعن صعود وهبوط القوي التصويتية للأحزاب راجع أيضا: عثمان أوزسوي ، **صعود وهبوط القوي السياسية** ، قضايا دولية . ع ٣١٤ ، السنة ٧ ، ٨ / ١ / ١٩٩٦ .

كبيرة ، بالإضافة إلي أن هذا الحزب ليس حزباً متطرفاً وأعضاؤه ليسوا متطرفين علي النحو الجزائري ، وإذا كانت تركيا تشهد أوضاعاً اقتصادية غير مستقرة فإننا نعتبر أن الأزمة الاقتصادية مؤقتة وليست دائمة وسوف نتغلب عليها وقد اتخذنا تدابير وإجراءات لمعالجتها[١] .

مثل الأداء النزيه والنظيف لممثلي الحزب في رئاسة البلديات والمدن الكبري الأساس الذي جعل من الحزب الأول بين الأحزاب التركية ، لقد أحس الشعب التركي بالخدمات التي قدمها رؤساء بلديات الرفاه حتي صاروا نماذج للنزاهة والتفاني علي مستوي العالم كله فالدكتور " **خليل أورن " رئيس بلدية مدينة " قونية " المعقل المهم للرفاه أخذ مكانه ضمن أفضل عشر رؤساء للبلديات في العالم** في الاحتفال الذي جري في اليابان .

- ورث رؤساء بلديات الرفاه المنتخبين تركة من الفساد والرشي والمحسوبية التي بلغت الذروة من قبل حزب الشعب ذات التوجه الاشتراكي S.H.P الذي يزعم الدفاع عن حقوق الطبقات الفقيرة ، **فعندما تولي " أردوغان " رئاسة بلدية اسطنبول وجدها غارقة في ديون زادت علي الملياري دولار أمريكي** وفتح ملفات الفساد في المحليات والتي هزت الرأي العام التركي لمدة عامين وتم تنظيف البلديات من الفساد والرشاوي والاستغلال السئ للوظيفة وبدأ الإصلاح وكانت أهم مشكلة تعاني منها " اسطنبول " مثلا هي مشكلة المياه حيث لم تكن البحيرة التي تمد المدينة الضخمة بالمياه قادرة علي الوفاء بحاجات الناس المتزايدة ولكن " أردوغان " واجه المشكلة واستطاع حلها فلم تعد المياه تقطع عن المنازل ومشكلة تلوث جو مدينة اسطنبول في الشتاء بسبب المحروقات التي تحتوي علي نسبة عالية من الكبريت فمد " رئيس

(١) جلال معوض ، الإسلام والتعددية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٤٠ .

البلدية" مئات الكيلومترات من الغاز الطبيعي في المنازل ومنع استخدام المحروقات الملوثة، ومشكلة المواصلات حلها "أردوغان" بتدشين "مترو الأنفاق" الجديد في اسطنبول والذي قضي علي المشكلة.

- هذه المشروعات العملاقة استطاع "أردوغان" توفير الاستثمارات الضخمة لها من دخل "بلدية اسطنبول" في دولة كانت غارقة في التضخم وتعاني من مشكلة اقتصادية في هذا الوقت. وفي " أنقرة " **استطاع " مليح كوجك " أن يحقق انجازات ضخمة كان علي رأسها استكمال مشروع مترو أنفاق أنقرة "** التي ظلت تحلم باستكماله وتدشينه لأكثر من سبعين عاما، واستطاع بناء البنية التحتية لمشروع الغاز الطبيعي في المدينة الكبيرة ومده لآلاف البيوت ومنع استخدام المحروقات الملوثة، وبني الجسور الضرورية للتغلب علي مشكلة المواصلات في المدينة، **وأسست بلديات الرفاه ما أطلقت عليه " المنضدة البيضاء " وهي وحدة عمل مهمتها تلقي الشكاوي علي مدار اليوم وإزالة الشكاوي بأسرع وقت ممكن**[1].

- مثل الفوز الكبير للرفاه في المدن الكبري والأقضية والبلديات المختلفة في انتخابات المحليات اختباراً حقيقيا له من جانب الشعب التركي فقد زادت الثقة بممثليه بينما تهاوت في بقية الأحزاب الأخري لدرجة أن **حزب الرفاه أصبح هو الحزب المركزي لليمين في تركيا. فهو** يؤمن بضرورة الجمع بين الموروث العثماني لمواجهة معضلات الواقع المعاصر بدون انسياق أو تبعية للغرب، ويطرح رؤية تعبر عن الطابع القومي للشخصية التركية

(١) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س، د. ص ٦، وفي معرض الاعتراف "لطيب اردوغان" بجهوده قال "دبميريل" رئيس الدولة وقتها وهو منافس للرفاه "لقد حققت في عام ونصف مالم يحققه سلفك في خمسة اعوام" وراجع جمال خاشقجي، حزب أربكان يستعد للسلطة، مجلة الوسط، ع ١٩٥، ٢٣/ ١٠/ ١٩٩٥ م

ولكـن مـن مـنظور "ملة إبراهيم" **أي منظور دائرة أوسع تحس لكنها لا تري وهي الرابطة الإسلامية التي تحافظ علي حقوق الأقليات الكردية في تركيا .**

وهـو يعـبر عـن رؤي اقتـصادية في صـالح الطـبقات الفقـيرة والهامـشية والوسـطي في الـداخل داعـياً للتحـرر الاقتـصادي وحماية المشروعات الفردية ويـرفض المـنظور الاقتـصادي الكونـي القـائم علـي الاسـتغلال والربا وإفقار الـشعوب المستـضعفة والفقـيرة ، **فهو إذن يأخذ بنصيب من الفكر القومي والفكر الاشـــتراكي والفكـــر الليـــبرالي منطلقاً من أرضية حضارية تعبر عن أوسع قطاع من الشعب التركي**[١] .

- كـان أداء ممثلـي الـرفاه الـذين بـدو أكثر عصرنة وتفتحاً من الأحزاب العلمانـية مطمئناً للدوائر الدولية التي كانت تخاف من ممثلي الإسلام السياسي فكمـا تحدثت التقارير الغربية أن رجال الصحافة حينما كانوا يقفون أمام ذلك الـشاب الوسـيم "طـيب أردوغـان" رئـيس بلديـة اسطنبول أو "مليح كوجك" رئـيس بلديـة "أنقـرة" وهمـا يرتديان أفخم بيوت الأزياء الرجالية وأحدثها في تـركيا وأوربـا وهمـا حليقـي الذقـون مـصففي الـشعر والابتـسامات تضاهي ابتسامات "جـاك شيراك" عندما كان عمدة مدينة "باريس" كانت الدهشة تأخذ بمجامع نفوسهم من رجال ينتمون لحزب إسلامي هو حزب "الرفاه" .

- كانت استطلاعات الرأي تشير إلي أن شعبية الرجلين ازدادت بشكل ملحوظ ، وهو ماجعل الغرب يقتنع بأن أصوات أقدام الوافدين الجدد هؤلاء لـيس هـدفها غـزو فيـينا أو المضي قدما لحرق مكتبات باريس ولندن أو فتح برلين أو استكهولم من الداخل . وفي رصد لمراسل "إيتارتاس" لأوضاع مدينة

---

(١) هـذا التوليفة جعلت "روشين تشاكر" يقول برنامج الرفاه فيه قليل من الإسلام وقليل من الرأسمالية وقليل من الاشتراكية . وراجع محمد نور الدين ، تركيا في الزمن المتحول ، م . س . ذ ، ص ٦٥ .

"قونية" عقب فوز "الرفاه" في الانتخابات البلدية بمدينة "قونية" أحد أهم معاقل الرفاه قال علي لسان "خليل يوردن" رئيس البلدية "عندنا كل الأمور يقررها الشعب ونحن بدورنا لا نلجأ للضغط عليه، فإذا رغب سنقدم علي إغلاق دور الدعارة أو محلات الاتجار بالمشروبات الكحولية فنحن لا نقوم إلا بما يريده المواطنون"، وأضاف "لم يطرق باب مكتبي أي مواطن طالباً الترخيص لفتح مخزن لبيع المشروبات الكحولية"، إن غالبية سكان "قونية" لا يتعاطون المشروبات الكحولية[1]، **ومثلت خبرة " الرفاه " في البلديات نموذجاً لأول حركة إسلامية تتولي السلطة فعلاً وتمارسها في سياق سياسي يضمر تجاهها المخاوف وربما الكراهية ولكنه احترم وصولها للسلطة وانتظر ليري تجربتها ولم ينقلب عليها كما حدث في الجزائر**، وهذا جعل الخبرة تنضج وتتكيف مع الواقع السياسي ويتعدل ما نطلق عليه "الإدراك المتبادل بين الحركات الإسلامية ونظمها السياسية" نحو ضرورة قبول كل منهما للآخر حرصاً علي السلام الاجتماعي والاستقرار السياسي في بلد تتنازعه المتناقضات المرعبة مثل تركيا[2].

- حاول "الرفاه" تطبيق برنامجه في المحليات وفق صيغة "تغيير اجتماعي أخلاقي هادئة ومتبادلة" بمعني أن النموذج الأخلاقي للممارسات الرفاهية في السياسة المحلية جعلتهم أيضاً يقدمون علي تعديلات في الجانب الاجتماعي متصلة بالقضاء علي الدعارة ومحلات الخمور ولكن في سياق قانوني

(١) يوسف إبراهيم، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، م. س. ذ، ص ٤٩ - ٥٣.

(٢) في تحليلات مشابهة راجع مثلاً عمرو الشوبكي، خبرة تركيا ربما تفيد تجارب الدول العربية في مجال الديموقراطية، البيئة الاجتماعية وإعادة إنتاج الخطاب السياسي، الحياة، ١٠/ ٥/ ١٩٩٦ وأيضا فهمي هويدي، رسالة الانتخابات التركية، لمن يهمه الأمر في العالم العربي، الشرق الأوسط ١٥/ ١/ ١٩٩٦ وأيضا كمال حبيب، تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية، م. س. ذ، ص ٧٧ تحت عنوان "الرؤي المتبادلة بين الحركة الإسلامية ونظمها السياسية.

ديموقراطي يحترم اختيارات الناس، فكما يقول أحد رجال الأعمال وثيقي الصلة بالرفاه "إن المسألة الأولي التي نعمل عليها هي الجوانب التي لا تسير بانتظام في النظام، وبعد ذلك نبدأ بتغيير الجوانب التي تعكس خللا لا ينسجم مع تقاليدنا الأخلاقية".

فبرنامج الرفاه الإصلاحي لا يحمل أي توجهات لتغيير جذري ترفضه الأغلبية والسياق السياسي والمدني التركي، ومن خلال أدائه في المحليات اتضح أننا أمام حزب تركي إسلامي يأخذ في حسبانه السياق المجتمعي والقانوني والسياسي الذي يتحرك فيه، ورغم انطلاقه من مفهوم الأخوة الإسلامية العامة واستناده لرؤية شاملة وعالمية، لكن الواقع التركي هو مجال اهتمامه وعمله بشكل أساسي فهو يغلب الظروف التركية علي الرؤي ذات الطابع الكوني الذي تتبناه الحركات الإسلامية الأخري في العالم.

- يمكننا القول أن "حزب الرفاه" هو أول حزب إسلامي مارس السياسة كتعبير مدني بمرجعية إسلامية، فهو حزب سياسي له منطلقات إسلامية لا يمكنه الإفصاح عنها بشكل علني لأن القانون يجرمها ويمنعها ومن ثم فهو استخدم "الرمز السياسي" للتعبير عن أطروحاته الإسلامية.

ونحن نذهب إلي القول بأن حزب الرفاه بالأساس هو حزب سياسي ولكن بمنطلقات إسلامية، ومن ثم فهو ينظر لنفسه كحزب سياسي وليس كحزب ديني أو حتي إسلامي، فهو حزب سياسي تختلط في مشروعه التوجهات القومية والليبرالية واليسارية بخلطة سرية خاصة لا يمكننا معها أن نقول عنه أي - الحزب - أنه أي منها فهي تتفاعل معاً في مشروعه ضمن منظور أوسع يمكن أن نطلق عليه "النهوض من منظور تركي".

- ماقاله "أربكان" في هذا السياق واضح الدلالة - "في حالة إلغاء المادة

١٦٣ من قانون العقوبات والتي تحظر إنشاء أحزاب دينية وتجرم نشر الدعاية الدينية والقيام بنشاطات أصولية مناوئة للعلمانية ، لن تكون هناك إمكانية أو حاجة لتأسيس حزب إسلامي يعلن أن الإسلام منظوره والقرآن دستوره ، فمثل هذا الحزب لا يمكن أن يظهر أو ينجح لأن الأحزاب تؤسس لحل مشكلات المجتمع ولا يمكن أن تستند إلي الدين ، ومثل هذا الحزب لن يقدم حلولاً جوهرية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية في تركيا ، كما أن المجتمع التركي لا يحتاج سوي ثلاثة أحزاب: حزب الرفاه كحزب يعبر عن المنظور القومي ، وحزب " الطريق الصحيح كحزب رأسمالي يدافع عن المصالح الراسمالية ، والحزب الديموقراطي الاجتماعي الشعبي " كحزب يساري، أما حزب الوطن الأم " فلا يوضع لاستمراره بعد إخفاقه في محاولة الجمع بين تصورات ومبادئ هذه الأحزاب الثلاثة تحت سقف واحد ، ولن يعيد حزب الرفاه تنظيم نفسه في حالة إلغاء هذه المادة لأنه أنشئ في ظل القانون القائم ولا يمكن لهذه المادة أن تؤثر بأي شكل من الأشكال في سياسة الحزب[1] . وفي حوار له قال "نحن لسنا حزباً إسلاميا، نحن حركة سياسية[2]" ويقول "رجب طيب أردوغان" في هذا الصدد "يسألنا الناس عن مسائل دينية فيما نحن لسنا مفتيين بل حزب سياسي "[3] .

ثالثاً: حزب الرفاه والوصول إلي السلطة في تركيا :

- وضع الرفاه نصب عينيه الانتخابات النيابية التي ستجري في ٢٥

---

(١) جلال معوض ، الإسلام والتعددية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٤١ .

(٢) جمال خاشقجي ، زعيم حزب الرفاه الإسلامي يخلط الأوراق التركية، اربكان للوسط: سالغي الحدود مع سوريه، الوسط، ع ٢٠٥ ، ١/١ / ١٩٩٦ .

(٣) عن استبعاد تحول الرفاه كحزب سياسي له مرجعية إسلامية إلي حزب ديني راجع "جلال معوض ، الإسلام والتعددية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ٤٠ - ٤٣ وعن قول "طيب اردوغان" راجع محمد نور الدين ، قبعة وعمامة . م . س . ذ ، ص ٦٠ .

ديسمبر ١٩٩٥ لكي يثبت تجذره أكثر في الوجود السياسي التركي ، لا بل لكي يقول إن تركيا لا يمكنها أن تنهض بدون " الرفاه " ، و استمرار صعوده السياسي مرهون بحصوله علي عدد أكبر من الأصوات يمكنه من اقتحام عش دبابير العلمانية المحرم علي من لا يدينون بها من الإسلاميين ، فأصدر الحزب بيانه الانتخابي عارضاً أفكاره وأيديولوجيته التي تميزه عن غيره من الأحزاب الأخري والتي تمس بقوة أوتاراً تعزف بصمت في نفس التركي دون أن تجد لنفسها مجالاً في الفضاء العام .

وأعلن خطته لحل مشاكل تركيا والتي تضمنت الآتي:

١- إرساء الأخوة الإسلامية وهي الحل الوحيد لإنهاء الحركة الانفصالية في الولايات الجنوبية الشرقية .

٢- تأمين الارتباط والالتحام بين الدولة والشعب .

٣- مكافحة البطالة .

٤- إخراج قوة المطرقة من تركيا .

٥- إلغاء الأحكام العرفية المطبقة في الولايات الجنوبية الشرقية وهي الولايات التي توجد بها حركات التمرد الكردية .

٦- العمل علي رفع الحصار عن العراق .

٧- الاهتمام بالقيم المعنوية في التربية واعتماد الطابع الملي .

٨- إزالة الحواجز الموجودة أمام الإنتاج للانتقال إلي نظام اقتصادي عادل .

- حث الحزب أنصاره للوصول إلي أبعد وأصغر قرية في البلاد رافعاً شعار " المكان الذي لا تصل إليه لن يكون لك " ، و " ليس هناك عذر يمكن أن

يحل محل النجاح"، واستطاع "الرفاه" في هذه الانتخابات كما كان مخططا أن يحصل علي أكثر من ستة ملايين صوت أي علي نسبة تعادل ٢١,٤٪ من مجموع الأصوات التي شاركت في الانتخابات وحصل علي ١٥٨ مقعداً من مجمل مقاعد البرلمان التركي والتي تبلغ ٥٥٠[1].

- أثبتت النتائج تقدم "الرفاه" علي حزب "الوطن الأم" بفارق أصوات وصل إلي نصف مليون صوت، أما "حزب الطريق القويم" فقد جاء متأخراً عن "الرفاه" بما يقارب ٧٠٠ ألف صوت، **وتراجعت أصوات اليمين ممثلة في الحزبين السابقين من ٥١ % عام ١٩٩١ م إلي ٣٩% في الانتخابات الأخيرة أي بتراجع قدره ١٢ نقطة أو مايعادل خمس قوته السابقة.**

حزب "الطريق المستقيم" لوحده تراجع ٧ نقاط ففي عام ١٩٩١ م نال ٢٧٪ بينما نال في هذه الانتخابات ١٩,٢٪ أي مايعادل ربع قوته السابقة، وتراجع "حزب الوطن الأم" أربع نقاط من ٢٤٪ عام ١٩٩١ م إلي ١٩,٦٥٪ في الانتخابات الأخيرة أو مايعادل سدس قوته السابقة وعلي جبهة اليسار تراجع حزبا "اليسار الديموقراطي" والحزب الشعبي الاجتماعي الديموقراطي (حزب الشعب الجمهوري الآن) بما يقارب ربع قوتهما من ٣١٪ إلي ٢٤٪ بتراجع قدره ٧ نقاط، وإذا كان اليسار الديموقراطي حقق تقدما من ١٠,٨٪ إلي ١٤,٦٥ ٪ عام ١٩٩٥ م، فإن "حزب الشعب الجمهوري" تراجعت قوته إلي النصف من ٢٠,٨٪ عام ١٩٩١م إلي ١٠,٧٪ عام ١٩٩٥ م[2]،

(١) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص٧. عدد أعضاء المجلس كانوا ٤٠٠ ثم زاد العدد ليصبح ٤٥٠ بموجب تعديل دستوري عام ١٩٨٧ م ثم زاد العدد ليصبح ٥٥٠ نائبا إثر الانتخابات البرلمانية التي جرت عام ١٩٩٥ وراجع جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص ١٦.

(٢) عن تفصيلات التطور التصويتي للقوي السياسية التركية راجع: محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص ٦٨ - ٦٩.

وحده الرفاه هو الذي كان يتقدم ليثبت أنه فاعل رئيسي في الحياة السياسية التركية . والجدول التالي يظهر النتائج الكاملة للانتخابات البرلمانية التركية التي جرت في ٢٥ ديسمبر ١٩٩٥ :

نتائج الانتخابات البرلمانية التركية في ٢٥ ديسمبر ١٩٩٥

الأحزاب	أصوات كل حزب	النسبة المئوية	عدد المقاعد
حزب الرفاه	٦٠١٢٤٥٠	٪٢١,٤	١٥٨
حزب الطريق القويم	٥٣٩٦٠٠٩	٪١٩,٢	١٣٥
حزب الوطن الأم والوحدة الكبري	٥٥٢٧٢٨٨	٪١٩,٦	١٣٢
حزب اليسار الديموقراطي	٤١١٨٠٢٥	٪١٤,٦	٧٦
حزب الشعب الجمهوري	٣٠١١٠٧٦	٪١٠,٧	٤٩
حزب الحركة القومية	٢٣٠١٣٤٣	٪٨,٢	لا يوجد
حزب الديموقراطية الشعبية	١١٧١٦٢٣	٪٤,٢	لا يوجد
حركة الديموقراطية الجديدة	١٣٣٨٨٩	٪٠,٤٨	لا يوجد
حزب الأمة	١٢٧٦٣٠	٪ ٠,٤٥	لا يوجد
حزب الشروق الجديد	٩٥٤٨٤	٪ ٠,٣٤	لا يوجد
حزب العمال	٦١٤٢٨	٪ ٠,٢٢	لا يوجد
الحزب الجديد	٣٦٨٥٣	٪٠,١٣	لا يوجد
المستقلون	١٣٣٨٩٥	٪٠,٥	لا يوجد

المصدر: صحيفة ميلليت بتاريخ ٤ يناير ١٩٩٦

- أصبح من حق "الرفاه" بعد حصوله علي أعلي نسبة من الأصوات أن يشكل الحكومة ، استطاع الحزب أن يضاعف وجوده في الحياة السياسية

خلال ٩ سنوات إلي ٤٣ ضعفاً وهو مالم يستطع أي حزب آخر أن يحققه في تاريخ الحياة الحزبية في تركيا[١]، و مثل فوز "الرفاه" صدمة كبيرة في أوساط أحزاب اليمين واليسار التي تراجعت بشكل ملحوظ - كما أوضحنا - وعبر "الرفاه" - كما أشارت نتائج الانتخابات - عن تواجده في أماكن لم يكن له وجود فيها من قبل مثل مناطق "بحر إيجه"، "والبحر المتوسط" وفي مناطق الأكراد" التي احتل فيها المركز الثالث، بالإضافة لسيطرته المطلقة في محافظات "وسط الأناضول وشماله" وتزعمه لمدينتي "أنقرة" واسطنبول" وهو ماجعل "الرفاه" بخلاف كل الأحزاب الأخري له حضور قوي[٢] في معظم المناطق التركية علي اختلاف أعراقها ومذاهبها ومستوياتها الاقتصادية، وعبر "نجم الدين أربكان" عن ذلك بقوله: "إن حزبه الوحيد القادر علي تقديم سياسة تجمع كل البلاد وتقدم العلاج لمختلف مشكلاتها.

- وفق الأعراف الدستورية فمن المفروض أن يكلف رئيس الجمهورية الحزب الذي حصل علي أعلي الأصوات بتشكيل الحكومة، بيد إن الرعب الذي ساد الأوساط العلمانية جعل الشكوك والهجمات تنطلق ضد الرفاه من جانب المؤسسات المنفذة في البلاد، و بينما طالب "أربكان" رئيس الجمهورية "ديميريل" بضرورة تكليفه بتشكيل الحكومة فقد عجز عن تشكيلها مرتين، بيد أن الإصرار علي إبعاد "الرفاه" عن السلطة أربك الساحة السياسية التركية والتي واجهت أزمة حقيقية عبرت عن نفسها في العجز عن

(١) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص ٧، ويمكن مراجعة نتائج التصويت للبرلمان التركي في مواضع عديدة منها مثلا:

Political Structure Of Turkey, Directorate General Of Press & Information (Ankara:March, 1996) p. 11.

(٢) عن قوة حزب الرفاه كفاعل سياسي في الانتخابات راجع، جمال خاشقجي، أربكان للوسط: مالقي الحدود مع سوريا، مجلة الوسط، ع ٢٠٥، ١٩٩٦/١/١ .

تشكيل حكومة مستقرة وقادرة علي إدارة الشئون التركية وسط عواصف قوية داخلية وخارجية معا .

- وتحت ضغوط الجيش التي لا يمكن مدافعتها كلف "ديميريل" يلماز" بتشكيل الحكومة مع حزب "الطريق القويم" بدعم حزب اليسار الديموقراطي الذي يقوده "بولنت أجاويد" فيما عرف "بائتلاف الإكراه" في ١٢ مارس ١٩٩٦ م[١] .

ولكنها سرعان ما انهارت في ٦ يونية ١٩٩٦ م ، وحينها تم تكليف "أربكان" بتشكيل الحكومة (الرابعة والخمسين) متحالفاً مع حزب "الطريق المستقيم في ٢٩ يونية ١٩٩٦ م ونال الائتلاف بين الحزبين ثقة البرلمان في ٨ يوليو ١٩٩٦ م وأصبح "نجم الدين أربكان" السياسي الإسلامي المخضرم المعادي "للأتاتوركية" أول رئيس وزراء لتركيا العلمانية المحروسة بقوة العسكر وحلف الأطلسي والدعم الغربي الأوروبي والأمريكي الذي راقب المفاوضات المضنية بين الساسة والتي انتهت إلي الانحناء لقواعد الديموقراطية خوفاً من إجراء انتخابات برلمانية جديدة سوف تأتي "بالرفاه" مرة ثانية أقوي مما كان[٢] .

---

(١) عن الائتلاف الإكراهي راجع مثلا: محمد الحسن أحمد ، تركيا بين الوحدة الوطنية والائتلاف القهري ، الشرق الأوسط ، ١٣/ ٢/ ١٩٩٦ .

(٢) لم يكن فوز "الرفاه" بعيداً عن اهتمام دوائر الغرب السياسية التي كانت تراقب وتتدخل عن كثب وعلي سبيل المثال راجع العديد من التقارير الصحفية التي تتحدث عن ذلك مثلا: السفير الإسرائيلي في تركيا قال "ليديعوت أحرونوت" بعد فوز الرفاه "يجب ألا نقارن ماحصل في تركيا بالمتطرفين الإسلاميين في الجزائر أو مصر . . الإسلاميون الأتراك ليسوا متطرفين كما في البلدان الأخري كما أن الأجهزة الأمنية التركية تعمل بطريقة فعالة ، الحياة، ٢٨ /١٢/ ١٩٩٥ ، ولو فيجارو "الفرنسية قالت" فاز الرفاه فدقت نواقيس الخطر في أوروبا" الاتحاد الاماراتية، ١٩٩٦/١/١٤ وقالت الفاينشال تايمز "إنه لا ينبغي لأحد أن يقلل من المخاوف المتعلقة بالصعود الإسلامي في تركيا وكتبت "لوس انجلوس تايمز" إن اقتراب موعد الانتخابات العامة في تركيا واحتمال فوز "أربكان" يبعث علي القشعريرة في كواليس السفارات الغربية في أنقرة ١٨/ ٤/ ١٩٩٥ وقالت الإيكونومست

- لم يكن أمام الجيش خيار آخر سوي القبول بمجيء "الرفاه" إلي السلطة لكن هذا فتح الباب لصراع مفتوح بين الطرفين استخدمت فيه النخب العلمانية الوسائل القضائية في ظل عجزها عن التعامل مع قوة سياسية تراها معادية "للكمالية" في ظل نظام ديموقراطي تعددي.

وكما يصف "هاينتس كرامر" لم يكن الجميع بدءاً من قيادة الجيش وانتهاءً بالصحف الرئيسية والجمعيات الخاصة مروراً بكبار موظفي الدولة مستعدين لقبول هذا التغيير، فبعد فاصل قصير تم فيه استيعاب الصدمة أطلق هؤلاء حملة سياسية لقلب النتائج رأساً علي عقب وهو ما أدي إلي أن تعيش تركيا معركة صراع علي الهيمنة السياسية منذ خريف ١٩٩٦ م.

اتخذت المعركة في المقام الأول شكل حرب ثقافية (Kulturkampf) بين النخبة الإسلامية والكماليين حول استمرار نظرة الجمهورية العلمانية كما حددتها النخب القديمة، مالبثت هذه المعركة أن وصلت إلي نهاية مؤقتة مع حظر حزب الرفاه في يناير ١٩٩٨ م بموجب حكم من المحكمة الدستورية [(١)].

- لم يكن سهلاً تسليم وارثي تقاليد الجمهورية الأولي بالتحولات الجديدة التي قادت إلي ما عرف في تركيا باسم "الجمهورية الثانية" أو ما بعد

البريطانية" إن النظرة الأولي لأربكان توحي إنه ليس خطيراً لكن الحديث معه لعدة دقائق يخلق نقيض ذلك الانطباع" وراجع مصطفي محمد الطحان، هل جاء وقت الرفاه.. الانتخابات تعيد التوازن المفقود في تركيا، الحياة ١٩٩٦/١/١٤ وأكدت امريكا انها ستتعاون مع الحكومة الجديدة في تركيا شرط حماية المصالح القومية الأميركية وقال الناطق باسم وزارة الخارجية "هذه علاقة دفاع أقمناها هنا وهناك مسئوليات في هذه العلاقة وليست هناك حقوق فقط وشددت علي أهمية تركيا لحلف الأطلسي وعاملاً أساسيا موجوداً عند مفترق الطرق بين أوروبا والشرق الأوسط وربط تركيا بالمؤسسات الغربية مثل حلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي وعلي تركيا الالتزام بالديموقراطية وحقوق الإنسان، الحياة ١٩٩٦/٧/١٠ م.

(١) هاينتس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، م. س. ذ، ص ١٢٨.

الكمالية[١] ، والتي كان أبرز دلالاتها مجيء الرفاه إلي السلطة ، ومن هنا كان التداعي بالتهديد الأصولي للكمالية والعلمانية واعتبر الجيش أن الخطر الأول الذي يهدد الأمن القومي في تركيا هو "الخطر الأصولي" وليست النزعات الانفصالية أو الفوضوية[٢] .

- في ٢٨ فبراير ١٩٩٧ تقدم مجلس الأمن القومي بمذكرة إلي رئيس الوزراء طالبه فيها بالاستجابة لمطالب الجيش التي بلغت ١٨ مطلباً حماية لتراث "العلمانية الكمالية" فيما أطلق عليه "الانقلاب الرابع" في تاريخ تركيا الحديثة والذي عرف "بانقلاب ما بعد الحداثة" فهو انقلاب أبيض لم تتحرك فيه الدبابات ولكن استخدمت مؤسسات الدولة الكمالية التي لا يمكن قهرها أو التغلب عليها ، "فالدولة الإله" في تركيا تحركت مؤسساتها التي لا يمكن مدافعتها ، ولم يستطع "الرفاه" الصمود أمام ضراوتها خاصة بعد أن رفع رئيس الادعاء العام دعوي أمام المحكمة الدستورية طالب فيها بحظر نشاطات حزب "الرفاه" في ٢١ مايو ١٩٩٧م **فتقدم " أربكان " باستقالته في ١٨ يونية**

---

(١) جمال خاشقجي ، عقليتان تتجاذبان تركيا الحديثة، الحياة ١٩٩٦/١/٢٧ م فهو يتحدث عن عقلية العسكر والإسلاميين وأيضا محمد جمال باروت ، الرفاه وأسئلة مابعد الكمالية مجدداً ، الحياة ٢٥/ ١/ ١٩٩٨ الذي قال "إن حل الرفاه هو أكثر بكثير من مسألة حل حزب سياسي يجري الادعاء بخروجه علي الدستور ، إنه في عمق دفاع الأيديولوجيا الرسمية الحاكمة القديمة المتقادمة عن نفسها ، ومحاولة لإنقاذ نفسها في شروط جديدة تجتمع برمتها لتطرح احتمالاً تاريخياً جديداً يمكننا تسميته بما بعد الكمالية ، والرفاه هنا ليس حزب الماضي أو المكبوت بل هو تعبير عن مرحلة مابعد الكمالية .

(٢) كان مجلس الأمن القومي التركي يعتبر "الأصولية" أي الإسلاميين هم الخطر الثاني بعد "الانفصالية" أي الاتجاهات الكردية الداعية للانفصال عن الدولة ولكنه بعد وصول "الرفاه" إلي السلطة ارتفع الخطر الإسلامي "الأصولي" بتعبير العسكر إلي أكبر خطر يهدد الدولة وراجع تصريحات كبار قادة الجيش التركي في يوسف إبراهيم ، حزب الرفاه ، نجم الدين أربكان ، الإسلام السياسي الجديد . م . س . ذ ، ص ١١٤ - ١١٥ فقد نقل عن القائد الأعلي للقوات البحرية الأميرال "غوفين أركايا" إن النشاطات الأصولية الدينية أصبحت المشكلة الرئيسية في تركيا وأنها تهديد أشد خطرا من حزب العمال الكردي .

١٩٩٧م إلي رئيس الجمهورية "سليمان ديميريل" بعد محاولات للمقاومة بدت يائسة فقبلها وكلف "مسعود يلماز" بتشكيل الحكومة التي أجهزت علي الآمال التي كانت معقودة علي إمكانية تحول الدولة الكمالية إلي دولة تحترم القانون والدستور وتقبل بقواعد الديموقراطية[1] التي جاءت بإسلاميين إلي السلطة لاستيعابهم داخل النظام السياسي وليصبحوا جزءاً من العملية السياسية ولكن المشهد التركي الانقلابي علي الرفاه كان علي العكس إذ بدا الإسلاميون أكثر حرصا علي قواعد التعددية والديموقراطية والإدارة المدنية للدولة بينما بدا العلمانيون بكافة أطيافهم حلفاء للعسكر في الإجهاز علي "الرفاه" وانتهاك قواعد الديموقراطية . وهو ما أعطي شرعية أكثر في الشارع للإسلاميين علي حساب العلمانيين الذين أكدوا الوجه الانتهازي وغير الأخلاقي للعلمانية حين تنتصب لمواجهة الإسلاميين .

* * *

---

(١) حول هذه التفصيلات يمكن مراجعة: جلال معوض ، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ ، ط١ ، ص ٧٢ - ٧٣ وأيضا رضا هلال ، السيف والهلال ، تركيا من أتاتورك إلي أربكان ، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي ، م . س . ذ ، ص ١٩٣ ومابعدها .

المبحث الثاني:
ايديولوجية حزب الرفاه وبرنامجه السياسي

في حوار صحفي له قال "نجم الدين أربكان: "نحن لسنا حزباً سياسيا ولكننا حركة"[(١)] ومفهوم الحركة يعني أيديولوجية ومنطلقات فكرية أشمل من مجرد العمل السياسي وأبقي منه والحركة الاجتماعية التي يقصدها هنا "أربكان" هي حركة "الملي جوروش "Milli Gorus" أي الفكر الإسلامي كما تطرحه الخبرة التركية، وكما هو معلوم فإن الدستور التركي يجرم استخدام المصطلحات أو التعبيرات الدينية ومن هنا فإن التيار الإسلامي السياسي استخدم رموزاً تمثل مفاتيح لمصطلحات ومعان أعمق من مجرد القراءة الأولي للرمز المستخدم.

"فالملي جوروش " هو تعبير عن الفكرة التي يحملها الإسلاميون في تركيا والتي تحمل مشروعاً للنهوض التركي مستنداً إلي الأيديولجية الإسلامية والخبرة التركية وخاصة العثمانية، وكما قال "أربكان": حركة الملي جوروش هي "تحويل المجتمع التركي إلي الإسلام، مكان واحد يرتبط بشئ واحد.. فتركيا خدمت الإسلام ألف سنة بكل جهدها حتي دقت أبواب " فيينا " و " والاشيا " والنبي "صلي الله عليه وسلم" يقول: "لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها " ماهي الخصوصية التركية هنا؟ الجيش للحق والإسلام وهذا عز وشرف لتركيا، عزتنا في الإسلام".

"الملي جوروش" مرتب علي تاريخ هذا الشعب الذي تاريخه ألف سنة، مرتب علي احترام الدستور والقانون داخل البلد، نتيجة لذلك "الملي

(١) جمال خاشقي، زعيم حزب الرفاه الإسلامي يخلط الأوراق التركية، مجلة الوسط، ع٢٠٥، ١/١/١٩٩٦.

جورروش" تطالب بالدستور والقانون وفي الجهة الأخري السيناريو الصهيوني في التطبيق ونحن نقول لهم: "اتركوا ما تطبقون واحترموا الدستور، **فحركة "الملي جورروش" هي الحزب السياسي الوحيد الذي يريد تطبيق الدستور والقانون كاملاً**، وغاية "الملي جورروش" ليس تغيير الدستور وإنما تطبيقه، نحن كالشرطة نمسك الأذن الصهيونية ونقاوم السيناريو الصهيوني.. الملي جورروش "تريد حفظ تركيا وحمايتها" وهي وفق عقيدة وتاريخ الشعب ووفق القانون والدستور وعملها واحد هو رفع ماهو ضد القانون، الملي جورروش" كالشرطة تحافظ علي الشعب"[1].

ويذهب "شوكت قازان" إلي أن "الملي جورروش "يهدف إلي **أن تكون تركيا دولة مستقلة غير تابعة للدول الكبري وأن يكتفي داخليا بنفسه وأن تحفظ لها أخلاقها المعنوية والديموقراطية الكاملة وحرية الاستقلال وحقوق الإنسان وأن تكون تركيا نامية في كل المجالات الثقافية والاجتماعية** ونحن بقايا الدولة العثمانية ولابد أن تكون تركيا قوية، والمسلمون متساوون أمام القانون لئلا يكون فساد من جهة الأكراد فهم إخواننا ونحن نعيش معا ولكن لا تمزق وحدتنا ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] ونحن المسلمين أمة واحدة لا فرق بيننا عند الله عرب وكرد كلهم متساوون وأمريكا وإسرائيل تريد أن تمزق وحدتنا.

نحن نقول تركيا أولا ثم العالم العربي والإسلامي ثم العالم كله، ونقول: "خير الناس من ينفع الناس"، نحن مرتبطين بدستور تركيا ونتحرك علي

(١) حوار للباحث مع "نجم الدين أربكان" في تركيا إبان جمعه للمادة العلمية لرسالته عام ٢٠٠٣ م بمقر حزب السعادة الذي كان حزب الرفاه" من قبل في أنقرة، وهو الحزب الوحيد في تركيا الذي بني مسجدا في محيط مقر الحزب أيام الرفاه. والحديث في مسند الإمام أحمد والجامع الصغير للسيوطي وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير والإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر العسقلاني والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر وراجع سالم الرشيدي، محمد الفاتح، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٩، ط٢.

قواعد السياسة التركية وفقا للقوانين السياسية ومنطلقاتنا هي: أن تكون مفيداً للناس، وطريقنا هو الإقناع والحوار، ونحن موجودون لليسر وليس للعسر، ونريد الاستفادة من كل مجالات العلم والفن والتكنولوجيا في عصرنا الراهن وهدفنا التنمية في جميع المجالات .

اهتمامنا بالإسلام أعلي من كل شئ والأديان الأخري في نفس المستوي ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ونحن نحب الخلق للحق ، نحن نحب الخلق بسبب خلق الله لهم ، وأربكان يقول: "حق غنمة واحدة إلي جانب حق ٩٩ غنمة من أصل مائة "[١] وهو يري أن الانتخابات صيغة متطورة لسيطرة القوي الغني الذي تخافه الناس فتنتخبه ، فالديموقراطية واسطة وليست غاية ، والغاية هي إقامة نظام السعادة "إننا لسنا حزب الممنوعات ولكننا نريد سعادة ٦٦ مليون و٦ مليار إنسان "[٢] . . وهو يري أن "الكمالية "كأيديولوجية لم تكن في عهد "أتاتورك "وإنما بعده[٣] .

يقول "ياسين خطيب أوغلو ": برنامجنا يختلف تماماً عن الحركات

(١) حوار الباحث مع "شوكت قازان "وزير العدل التركي في حكومة الرفاه ، وأحد الذين حكمت عليهم المحكمة الدستورية العليا التي حظرت "الرفاه "بعدم ممارسة العمل السياسي لمدة خمس سنوات بسبب أنه كان يريد تعليم المسجونين القرآن وجعل ذلك سببا لتخفيف العقوبة عنهم وبسبب زيارته
(٢) نفس الحوار مع "شوكت قازان "ولكنه ينقل رأي "أربكان "وهو معروف إذ أنه يري الديموقراطية واسطة وليست غاية ، كما يراها في السياق التركي تعبيراً عن سيطرة الأقوياء .
(٣) في حوارنا المشار إليه مع "شوكت قازان "قال إن أتاتورك كان يريد الاستقلال ويرفض التبعية لأمريكا فلم يزر أي دولة في الخارج في عصره وكان يريد نهضة زراعية ، وكان يعطي كل جهده لتقدم تركيا وأسس البنك الزراعي لدعم الفلاحين وأسس Ati Bank لتصنيع المواد الخام وأسس بنك "السومر "لتصنيع الملابس ، فهو بدأ هذ العمل ولكنه الآن انتهي ونحن نريد هذا مرة أخري ، وقادة الجيش يدرسون الكمالية لطلبة الكلية العسكرية ويدرسون الأيديولجية الكمالية وكأنها معادية للإسلام ، فمسجد "أنقره الكبير "يحضر إليه قادة الجيش للتعزية في جنازات القادة ، والجنرالات ولكنهم لا يصلون الجنازة أمام الشعب لو أن الشعب رأي واحدًا منهم يصلي فإنه يرفعه فوق رأسه ، هذا هو الفرق بين قادة الجيش والشعب ، والديموقراطية ليست الطريق الصحيح في تركيا لأنها تمنع تأسيس أي حزب علي أساس الإسلام علي خلاف الديموقراطية الغربية .

الإسلامية كلها ، النظام يختلف ولنا قانون خاص كحزب سياسي "أربكان" وشوري الحزب نعمل علي كيف نأتي أولا للشعب بتحقيق "الرفاه" الاقتصادي وبعد ذلك الشعور الإسلامي"[1] .

أولا : أيديولجية ومعني حزب الرفاه :

أولا : خصائص فكر الأمة :

في إصدار مهم لحزب "الرفاه" بعنوان "ماذا يعني فكر الأمة؟ Milli Gorus يقول: إن فكر الأمة هو الفكر الذي ينبع من شعبنا ، ولم تكن أمتنا في تاريخها الطويل أمة قائمة علي القوة والجبروت إنما هي أمة صاحبة فكر ، وقد أنتجت دولاً عظيمة مثل الدولة السلجوقية والدولة العثمانية ، وقد عكست عبر التاريخ أفضل مثال فيما يتعلق بحقوق الإنسان والسلام والعدالة ، وهي أمة ذات خصائص ناصعة ومشرقة ، وأمة لديها هذه المزايا لا ينبغي لها أن تكون خاضعة للغرب الذي يقوم علي التسلط ، ولا يليق بها أن تقلده وتسير وفق خطواته ويورد الإصدار **ثمانية خصائص لفكر الأمة وهي:**

١ - تقوم علي قوة الحق والعدالة لا علي قوة الجبروت والتسلط ، فالحضارة الغربية اليوم تقوم علي أساس حضارة روما واليونان القديمة وهي حضارات تقوم علي أسس فرعونية تعتمد علي القوة وليس علي الحق ، ولذا ينبغي تأسيس عالم جديد يقوم علي السلام والعدل ويعتمد علي قوة الحق لا علي حق القوة وهذه وظيفة كبيرة تقع علي عاتق تركيا .

(١) حوار الباحث مع "ياسين خطيب أوغلو" في "أنقره" حيث اشار إلي وعي "الرفاه" والملي جوروش" بأبعاد المسألة الاقتصادية وحلها في الإدراك الملي وفي خطط الرفاه وأن النجاح في حل المشاكل الاقتصادية هو الجسر نحو الإيمان بالحل الإسلامي وهذا في الواقع مختلف عما كانت عليه الحركات الإسلامية في العالم العربي العربي في فترة الثمانينيات والتسعينيات ولكن اليوم رؤي الحركات الإسلامية تتطور نحو ما كان "الرفاه" سبقه إليها من أهمية الاهتمام بمشاكل الجماهير الحياتية والاقتصادية .

٢ - أساس فكر الأمة هو الرحمة والمحبة ووفقاً لذلك فهدف هذا الفكر هو أولا تحقيق السعادة لسبعين مليوناً من أبناء تركيا ثم نشرها لتعم سكان الأرض البالغ عددهم ستة مليارات نسمة .

٣ - فكر الأمة هو الفكر الأكثر تقدماً ، وهو يهدف إلي جعل تركيا في قمة الحضارة المعاصرة ، وهكذا فلم يكن السلطان محمد الفاتح يسارياً ولا ليبرالياً ولا في وسط اليمين ولا في يمين الوسط ، لقد كان حاملاً لفكر الأمة .

٤ - فكر الأمة هو الذي جلب الحق والعدل إلي الأناضول وهو الفكر الذي جلب نصر "ملاذ كرت" وهو فكر السلطان "الب أرسلان" . وهو الذي جلب الحق والعدل إلي كوسوفا ، إنه فكر السلطان مراد" فكر الأمة هو الذي جاء ليضع حداً للظلم والجور وهو الفكر الذي أوصل السلطان" بيازيد" . . . فكر الأمة هو الذي دفع "مصطفي كمال" لحرب الاستقلال

٥ - من أجل توفير السعادة لإخواننا في تركيا ولجميع سكان العالم يسعي فكر الأمة لتحقيق المثل التالية: "تركيا يطيب فيها العيش"، "تركيا عظيمة من جديد" عالم جديد" .

٦ - فكر الأمة يقوم علي ثلاثة أسس هي:

٦/ ١: قوة الحق لا حق القوة .

٦/ ٢: الاعتبار للأخلاق لا للمادة .

٦/ ٣: تربية النفس وتهذيبها لا الوقوع في أسرها والانقياد لها .

٧ - فكر الأمة يعني أن يكون الفرد متحليا بخصائص الهداية والفراسة والدراية ومعناها:

٧/ ١: الهداية: القدرة علي رؤية الحق والصواب .

٧/ ٢: الفراسة: القدرة علي تمييز الخير من الشر .

٧/ ٣: الدراية: القدرة علي العمل بعزيمة وحماس وبعقيدة ثابتة من أجل نشر الخير والجمال والعدل .

٨ - وفقا لهذه الأسس فإن فكر الأمة يعني:

٨/ ١ - الأخلاق والتزكية .

٨/ ٢ - عملاً جذرياً لا سطحياً .

٨/ ٣ - العمل لا مجرد الكلام ، الإيمان والعمل لا الاكتفاء بالقول .

٨/ ٤ - السلم الداخلي ، الأخوة والطمأنينة ، الانصهار بين الدولة والشعب .

٨/ ٥ - العدل وحقوق الإنسان .

٨/ ٦ - نهضة وطنية شاملة وسريعة .

٨/ ٧ - نهضة تركيا بكاملها .

٨/ ٨ - العمل للجميع ، الرفاه للجميع ، عدم إرهاق أهل القري والعمال والموظفين والمهنيين وأصحاب الدخل الضعيف بالضرائب والفوائد .

٨/ ٩ - أن تكون تركيا رائدة لا تابعة .

٨/ ١٠ - الحفاظ علي وحدة تركيا دولة وشعباً[(١)] .

---

(١) حصلنا علي وثيقة ماذا يعني فكر الأمة " الملي جورروش " من مصادرنا بحزب السعادة والذين كانوا أعضاء بحزب " الرفاه " وندين بالشكر لكل من الأستاذ " حسن بتماز " مسئول التنظيم بحزب السعادة والأستاذ " عاطف أوزباي " مسئول العلاقات الخارجية بالحزب واللذين كانا لهم الفضل الكبير في الحصول علي المعلومات ونرتيب اللقاءات مع قادة " الملي جورروش " جميعا والذين كانوا كراماً مع

ثانيا: ماذا يعني حزب الرفاه:

حزب "الرفاه" هو الذي يمثل فكر الأمة ولذا فهو أساس الشعب وتاريخه وعقيدته وذاته، أما الأحزاب الأخري فهي جميعاً واقعة تحت تأثير الأفكار الغربية بدرجات متفاوتة، ولهذا السبب فإن حزب "الرفاه" في كفة وبقية الأحزاب الأخري في كفة ثانية، الحق واحد وهو مع "الرفاه" الذي يمثل الاتجاه الصحيح،، وحزب الرفاه هو الطريق الوحيد لتحقيق السعادة لأنه يمثل فكر الأمة ولا يمكن إدراك السعادة عن طريق الأحزاب الأخري، وحزب الرفاه دائماً هو الحزب الأكبر، وهو الممثل الحقيقي للشعب "كل شيء يعود لأصله" وهو الممثل الوحيد للسعادة "الكل ينشد السعادة"، وفكر الأمة هو الذي جلب "الرفاه" لهذه الأمة، وأنار لها الدروب، وبقي وفيا لأسسها، إن الذي يخالفوننا الرأي سوف يكتشفون أنهم في حاجة لحزب "الرفاه"، وسوف يكتشفون أنهم في حاجة لحزبنا ولا بد من الانضمام تحت لوائه، حزب الرفاه هو الحل لتركيا ديموقراطية، ومؤسسات الرفاه هي الأكثر نشاطاً وحيوية لأن "الرفاه" هو الذي يعكس أصل الشعب، وهو الطريق الوحيد للسعادة، وهو الحزب الأكبر، وأعضاؤه لهم حظ ونصيب وافر من حب الشعب والوطن، **أما الأحزاب الأخري فهي أسيرة لمنطق القوة لا الحق وهي تخضع لتأثير الهوي والمادة بسبب تبعيتها الكاملة أو الجزئية للغرب**، والرفاه "يعتمد علي منطق الحق لا القوة؛ لأنه يمثل فكر الأمة، وتاريخ

الباحث فلم يبخلوا علينا بالوقت والترجمة. وقدر لنا أن نحصل علي عدة وثائق مهمة عن فكر "الملي جوروش" في سياق بحثنا الذي لم يتوقف حتي آخر لحظة عن الحصول علي مزيد من المصادر إبان إعداد هذه الرسالة ومن بين هذه الوثائق نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير لحزب ٢٠٠٣، كلمة ألقاها في المؤتمر الكبير لحزب السعادة، أنقرة: بلغت وبالإنجليزية:

Necmettin Erbakan, Big Congress2003. Missing Meeting For A New World, Saadet Party, Ankara: Balgat.

الإنسانية يشير إلي أن الفترات التي تم فيها تبني القوة ساد الظلم أما الفترات التي تبني فيها الحق فقد عم "الرفاه" والسعادة ويعتمد الحزب الأسس الخمسة التالية:

١/٢ - الأمن والسلام:

فالأساس الذي يقوم عليه الحزب هو الرحمة والمحبة والتسامح ، أما العقليات التي وقعت تحت تأثير الفكر الغربي بعلم أو غير علم فهي تزرع فيما حولها الحقد والبغضاء والعداوة ولهذا لا يمكن بلوغ السعادة إلا من خلال "الرفاه".

٢/٢ - حقوق الإنسان وحرياته:

لكل إنسان الحق في التمتع بحرياته كاملة ، وينبغي أن ينال إنسان حقوقه كاملة غير منقوصة ، وهذا هو الطريق الموصل للسعادة . والذهنيات المتأثرة بالفكر الغربي فهي تاريخيا مرتبط بالظلم والسيطرة وقائمة عليهما ، أما فكر "الرفاه" - فكر الأمة فهو ينظر باحترام شديد إلي حقوق الإنسان ، وإدراك "الرفاه" وتحقيق السعادة يكون عبر الالتزام بفكر الأمة .

٣/٢ - العدالة:

الحرية بدون قيود تقود إلي الصراع والصدام في المجتمع ولابد من وضع ضوابط لهذه الحرية ، وحدود هذه الضوابط ترسم عن طريق العدالة ، والفهم الصحيح لمعني الحقوق يجب أن يقوم علي الحق لا القوة الغاشمة ، والحق عند العقليات المتغربة يفهم بطريقة مغلوطة .

تتمثل في أربعة أسباب وهي:

٢/ ٣/ ١ - القوة . ٢/ ٣/ ٢ - الأغلبية .

٢/ ٣/ ٣ - المحاباة أو المحسوبية .

٢/ ٣/ ٤ - المصلحة .

وليس من بين هذه المفاهيم ما يبرر الحصول علي الحق ، فالحق ينبع فقط من الأسباب الأربعة التالية:

٢/ ٣/ ٥ - حقوق الإنسان تحفظ بالمساواة بين أفراد المجتمع باعتبارهم بشراً ، حفظ حياة الإنسان ، حقه في المعتقد ، حقه في الملكية ، حماية نسله ، حماية عقله .

٢/ ٣/ ٦ - العمل مصدر الحق .

٢/ ٣/ ٧ - العدالة مصدر الحق .

٢/ ٣/ ٨ - الحق الذي يتولد عن الاتفاق الذي يعقد بين طرفين أو أكثر بالتراضي .

ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال الرفاه:

٢/٤ - الرفاه:

الأمن والسلام والحرية والعدالة لا يمكن تحقيقها إلا من خلال "الرفاه" الذي لا يجعل امرءاً يبيت شبعان وجاره جائع ، ويحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويقوم علي أساس التعاون العادل لا عقلية الاحتلال والاستغلال ، والعقليات المتغربة لا تستطيع تحقيق "الرفاه" لأنها تبني علي المصلحة والاستغلال .

٢/٥ - العزة والشرف والكرامة:

فكر الأمة يولي الإنسان احتراماً خاصاً لأنه يهتم قبل كل شيء بالأخلاق والقيم ، ويهتم اهتماماً خاصاً بالمقدسات ، ويهتم بتربية النفس

ويقف مع الحق لا القوة ، والذهنيات المتغربة لا يمكنها أن تحفظ عزة ولا كرامة لأنها تقوم علي أسس مادية وواقعة في أسر النفس والهوي وتقف مع القوة الظالمة .

والرفاه هو صاحب "هداية" فهو يدرك مايحقق للأمة الرفاه .

والرفاه صاحب "فراسة" فهو يدرك مصادر الخير والشر .

والرفاه صاحب "دراية" فهو يعرف المعني الصحيح للخير والجمال والعدل ، ويدرك ما يقابل هذه المعاني من الشر والقبح والضرر ، ويعمل بكل ما أوتي من وسع لدفع الظلم بحماس وعقيدة وعزم .

٦/٨ - مشروع الرفاه:

يستند مشروع الرفاه علي التأكيد علي استقلال تركيا والتأكيد علي وحدة الشعب والبلاد والنهوض بالمصادر الوطنية واستثمارها بدل البقاء في أسر الديون الخارجية وإغراق البلاد في الفوائد والتأكيد علي إنفاق الموارد الوطنية علي الشعب وتلبية حاجياته وتوفير الراحة له بدل ذهاب الموارد إلي الخارج لتستفيد منه القوي الخارجية ونهضة البلاد ورفاه العباد وتوفير حقوق الإنسان بالمعني الكامل هو وحده الذي يضمن "تركيا يطيب فيها العيش" و"تركيا رائدة لا تابعة" و"تركيا عظيمة من جديد"، والأسس التي يقوم عليها مشروع الدول الإسلامية الثمانية يهدف إلي إقامة عالم جديد من ينعم بالسلم والعدل وينال فيه الإنسان حقوقه وحرياته بدل العقلية الاستعمارية الاستعبادية[1] .

---

(١) كل هذه التفصيلات تجدها في وثيقة ماذا يعني فكر الأمة او "الملي جوروش" وهي تنشر لأول مرة باللغة العربية . كما تجدها في:

Recai Kutan, Milli GORUS In Turkish Life, August, 2005, pp6 - 13.

ثانيا: برنامج حزب الرفاه.. النظام العادل.. التشخيص.. العلاج:

إذا كانت "الأيديولوجية" هي الإطار المرجعي أو Master Frame فإن البرنامج هو الخطط العملية لتحويل هذه الأيديولجية إلي واقع في حياة الناس، ويمكننا القول بينما الأيديولجية هي تعبير عن الثوابت أو الأسس العليا المستمدة من العقيدة والوحي فإن البرنامج هو تعبير عن حل مشاكل الواقع ومن ثم فهو تعبير عن " الاجتهاد السياسي "[1] المتغير بطبيعته والمنطلق من الواقع، وعبر عن برنامج "الرفاه" ماعرف باسم "النظام العادل" وواضع هذا النظام ومهندسه هو الدكتور " سليمان قرا أغولو" وهو استفاد من أطروحات وضعها اثنان من الرفاه هما الدكتور "عارف أرصوي" و "سليمان أقديمر"، ونالت مسودة "النظام العادل" موافقة "أربكان" عام ١٩٨٥ م، لكن "النظام العادل" لم يعرف علي نطاق واسع سوي في العام ١٩٩١ م أثناء حملة الانتخابات التي جرت في خريف ذلك العام[2].

أولا: النظام العادل.. التشخيص:

١/١ - ينقسم برنامج "النظام العادل" الذي هو بالأساس تشخيص للأوضاع الاقتصادية وطرح حلول لها وفق رؤية "الرفاه" لجزئين الأول بعنوان "التشخيص.. الأسباب الحقيقية للأوضاع الحالية في تركيا " وفي هذا الجزء يتعرض للأوضاع الاقتصادية بقوله "الأسعار ترتفع باستمرار، ومع ارتفاعها يزداد الضيق" ، "الملايين في كل مكان يقاسون الحرمان، فهم دون مستوي الفقر، طعامهم لا يزيد عن الخبز"، "الناس معظمهم في ضيق.. وحتي في

---

(١) عن مفهوم الاجتهاد السياسي وتميزه عن الاجتهاد الفقهي راجع كمال السعيد حبيب، الحركة الإسلامية من المواجهة إلي المراجعة، القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ص ١٠٥ - ١٠٩، وقد نشرته الحياة اللندنية بعنوان "الحركات الإسلامية وضرورة بناء تقاليد للاجتهاد السياسي".

(٢) محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص ٦٠.

المدن الكبري في أطرافها طبقات معدمة تفتش عن غذائها في أكياس القمامة " البطالة في كل مكان " . . ".

ألمانيا الغربية منذ ما يقرب من أربعين سنة بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت خراباً ، الطرق ، خطوط المواصلات ، خطوط المياه ، البيوت كلها تهدمت . . ولكن الألمان بنوا ذلك في أربعين سنة ، اليوم ألمانيا تأتي في رأس الدول الراقية . . فماذا فعلنا نحن في هذه الأربعين سنة؟ مجرد أحزاب متكررة تحمل شعارات اليساريين والرأسماليين تناوب علي مقاعد الحكم ، تحكم البلد بكل وسائل التضليل والخداع . . لا نري إلا الفساد والإسراف علي الجانب الآخر حيث طبقة النصف في المائة من حزب السلطة وأزلامهم الذين زينوا لهم الإسراف ، إنهم الطبقة التي تقبض في كل الظروف وتعيش علي المال الحرام . . إنهم الذين يدفعون السلطة . . والسلطة بالمقابل تقدم لهم المنافع . . هذه الملايين لا تستحق هذه المعاناة فبلادنا من خير بلدان العالم[1] .

١/ ٢ – أسباب هذا الضيق والاضطراب تتمثل فيما أطلق عليه " تشخيص المرض " ويتمثل في:

١/ ٢/ ١ – الأعراض:

١/ ٢/ ١/ ١ – سوء المعيشة: الغلاء وقلة المال .

(١) حزب الرفاه ، الأسباب الحقيقية للأوضاع الحالية في تركيا ، التشخيص ، أنقرة: تركيا ، بدون تاريخ ، ص ١ – ٣ ، ومن بين الأشياء الطريفة هنا فإنني كنت حصلت علي مطبوعة " التشخيص " من بعض أعضاء الرفاه الذين قدموا إلي القاهرة للحصول علي إجازة من الأزهر وبقيت محتفظاً به ضمن مكتبتي طوال هذه السنين منذ منتصف التسعينيات ، وحين ذهبت لتركيا وسألت عن برنامج الرفاه لم أجده لدي أعضاء حزب السعادة لأن منقولات ومحتويات " الرفاه " كلها تمت مصادرتها بما في ذلك وثائقه بعد حكم المحكمة الدستورية بإغلاقه فكان يمثل مصدرا نادرا الذي لا يمكن تعويضه .

١/ ٢/ ١/ ٢ - الفقر .

١/ ٢/ ١/ ٣ - الجوع .

١/ ٢/ ١/ ٤ - السقوط .

١/ ٢/ ١/ ٥ - البطالة .

١/ ٢/ ١/ ٦ - الرشوة .

١/ ٢/ ١/ ٧ - عدم تكافؤ الفرص .

١/ ٢/ ١/ ٨ - التخلف .

١/ ٢/ ١/ ٩ - عدم التوازن في توزيع الثروة .

١/ ٢/ ١/ ١٠ - الاستغلال .

١/ ٢/ ١/ ١١ - الطبقات المسحوقة .

١/ ٢/ ١/ ١٢ - عدم الالتزام بالحق .

١/ ٢/ ١/ ١٣ - التضخم .

١/ ٢/ ١/ ١٤ - التردي نحو الأسوأ .

١/ ٢/ ١/ ١٥ - الانحلال الخلقي(١) .

٢/٢/ - التشخيص:

١/٢/٢/ - الربا:

فالنظام القائم في تركيا حالياً هو نظام ربوي رأسمالي . . وهو وع من الاستعمار الحديث ، فمعظم الناس عندما يقومون بأي

---

١) نفس المرجع ، ص ٤ .

مشروع يقترضون من البنك بالفائدة وهي عالية جدا وتضاف للمصاريف وعند بيع السلعة يتحملها الرجل الفقير .

٢/٢/٢/١ - الضرائب المجحفة :

وفي تركيا نظام الضرائب غير عادل ، الضريبة يدفعها الرجل الفقير ، لأن الضريبة لا تحسب على الثروة وإنما على الدخل الذي يأتي من بيع السلعة التي يشتريها الرجل الفقير وهو يدفع ضمن ثمنها جزءاً من الضريبة .

٣/٢/٢/١ - صك النقود بلا رصيد :

لا يكتفي هذا النظام بالربا الفاحش والضرائب التي يفرضها على المواطنين الفقراء بل إنه يعمد إلى طباعة البنكنوت بدون رصيد ، وهذا يجعل النقود بلا قيمة ، وأسعار السلع ترتفع بنفس النسبة التي تطبع بها أوراق البنكنوت بدون رصيد ، ومن ثم فالنقود تسقط قيمتها بنفس النسبة والقدرة الشرائية للعملة تسقط أيضاً بنفس النسبة ، وهكذا ففي سبيل الديون والربا الخارجي ، تخسر الأمة مدخراتها وتفقد قيمة أموالها .

٤/٢/٢/١ - كامبيو (المقايضة) (سعر التبادل) :

عندما يقوم البنك المركزي بتحديد سعر الدولار مقابل الليرة التركية هذه العملية تخفض من قيمة المال الذي يملكه أي شخص ، والحكومات التي لا تمثل فكر الأمة تخضع لصندوق النقد الدولي وتجعل العملة الوطنية دائماً في انخفاض ، فأحد مكروبات هذا النظام الحاكم الذي يسحق الناس هو "سعر التبادل" الذي تستجيب فيه الحكومات التابعة لأوامر صندوق النقد الدولي .

١/٢/٢/٥ - القروض:

فالشعب مضطر لإيداع مدخراته في البنوك . . والأقراض: البنوك تتحكم فيها بشكل كيفي لا تمنحها إلا لمجموعة صغيرة هي عادة من كبار التجار أو اليهود أو الذين يدعمون النظام، وهذه الملايين التي يأخذونها من البنوك بدون حساب هي التي تراق علي طريق الإسراف والفساد والعلو في الأرض في الفنادق الضخمة والسهرات الماجنة، سيما ومعظم هذه القروض لا تعاد إلي البنوك تحت أسباب متنوعة تتلخص كلها في سبب واحد إنهم بطانة النظام، وتسجل هذه القروض بأنها "قروض ميتة" يدفعها في آخر المطاف الفقراء[١] .

١/٢/٣ - كيف يعمل النظام؟:

الأهداف الرئيسية للنظام تتمثل في الآتي:

١/ ٢/ ٣/ ١ - تشغيل الناس كالعبيد .

١/ ٢/ ٣/ ٢ - سلبهم كل ما يملكون .

١/ ٢/ ٣/ ٣ - إعطاء كل هذه الإمكانيات لإسرائيل وأصحاب الشركات الكبري (الهولدنج) ومن يخدمون النظام وهم رجال النظام والفنادق الضخمة التي تعمل من أجل تخريب أخلاق الأمة مثل "نوادي العراة" والكازينوات" .

١/ ٢/ ٣/ ٤ - تخريب تركيا من الناحيتين المعنوية والمادية بمحاولة الانضمام إلي السوق الأوروبية المشتركة . . وبذلك تصبح بلادنا بأخلاقياتها وتراثها وتاريخها دولة واحدة مع إسرائيل، فهذا النظام المتسلط يشبه المضخة

(١) نفس المرجع، ص ٤ - ٧ .

التي تسلب الفقراء كل شئ وتضخه إلي إسرائيل وأصحاب الشركات وعمليات الإسراف و التخريب .

ويري الجزء المتصل بتشخيص المرض في الحالة التركية أن هناك أربعة مسارب لإنفاق الأموال التي تحصل عليها البنوك وهي:

إسرائيل التي تشارك البنوك الخارجية التي تمنح البنوك المحلية التركية القروض في الفوائد العالية والتي تذهب سلاحا يورد إليها ويساعدها علي احتلال فلسطين والمسجد الأقصي وقتل أطفال المسلمين في فلسطين وكما احتلت "لبنان" فهي تريد احتلال "قونية" وأرضروم" من أجل قيام "إسرائيل الكبري"، وهدف الدخول إلي السوق الأوربية المشتركة هو منح الأموال مباشرة لإسرائيل وليس عبر وسيط .

وأصحاب " الهولدنج " شركاء النظام في الفساد والإسراف .

والفوائد البنكية ففي عام ١٩٨٩م كان الدخل من الفوائد ٦٧٪ من مجموع الدخل العام بينما الملايين من أفراد الشعب لم تتجاوز دخولهم ٣٣٪ من الدخل العام ثم الضرائب(١) .

وبعد عدة توضيحات لفكرة عمل ما أطلق عليه "النظم التقليدية" ينتهي إلي القول كيف يمكن تخليص البلد من هذا الظلم؟ الدستور ينص علي تطبيق النظام الاقتصادي العادل . . المساواة . . المعاملة المتكافئة في الفرص للجميع ، منع الاستغلال وهذا موجود علي الورق فقط أما الواقع فإن المواطن يعيش نظام استعباد وأزمات والسبب هي سيطرة الأحزاب التقليدية التي تؤمن جميعها بالربا

(١) نفس المرجع ، ص ٧ - ١٠ .

والضرائب التي تسحق المواطنين ولا يمكن الشفاء من أمراض هذه الأمة حتى نستأصل الأسباب والمخلص من هذه الأمراض هم أصحاب "النظرة الوطنية" والفلاح هو "حزب الرفاه"، هو الذي سيخلص الأمة من أمراضها واضطرابها، والتداوي سيكون بإقامة تركيا الكبري وتحقيق النظام العادل الذي يتساوي أمامه المواطنون وتتكافؤ فرصهم، ففي النظام الذي سيقيمه "حزب الرفاه" لن يكون هناك ربا ولا ضرائب مجحفة، ستبقي قيمة النقد ثابتة ولن تطبع نقود بلا رصيد.. حزب الرفاه سيسعي لإقامة السوق الإسلامية المشتركة التي تقوم فيه تركيا بدور الرائد[1].

ثانيا - النظام الاقتصادي العادل.. العلاج:

٢/١ - في الكتاب الثاني من برنامج "حزب الرفاه" المعنون "النظام الاقتصادي العادل.. العلاج" يتحدث مرة أخري عما أطلق عليه "نظام العبودية" في تركيا والذي يقف خلفه "الرأسمالية والصهيونية" باعتبارهما شكلا معاصراً للاستعمار.. اليهود هم الذين يوجهون الرأسمالية العالمية، والرأسمالية المستغلة هي التي تحكم وتتحكم بالعالم.. وفي تركيا الرأسمالية والصهيونية تؤيدان الأحزاب التقليدية وتؤمنان لهذه الأحزاب احتياجاتها ونتيجة لهذا التعاون والتعاضد.. فإن تركيا ومنذ ٤٠ سنة تحكمها أحزاب تختلف بالاسم ولا تختلف ذرة في المحتوي، هذه الأحزاب كلها تسير حسب خطة صندوق النقد الدولي... وليست تركيا وحدها التي تعاني من الاستغلال بل ومعظم أقطار العالم الإسلامي، فالرأسمالية

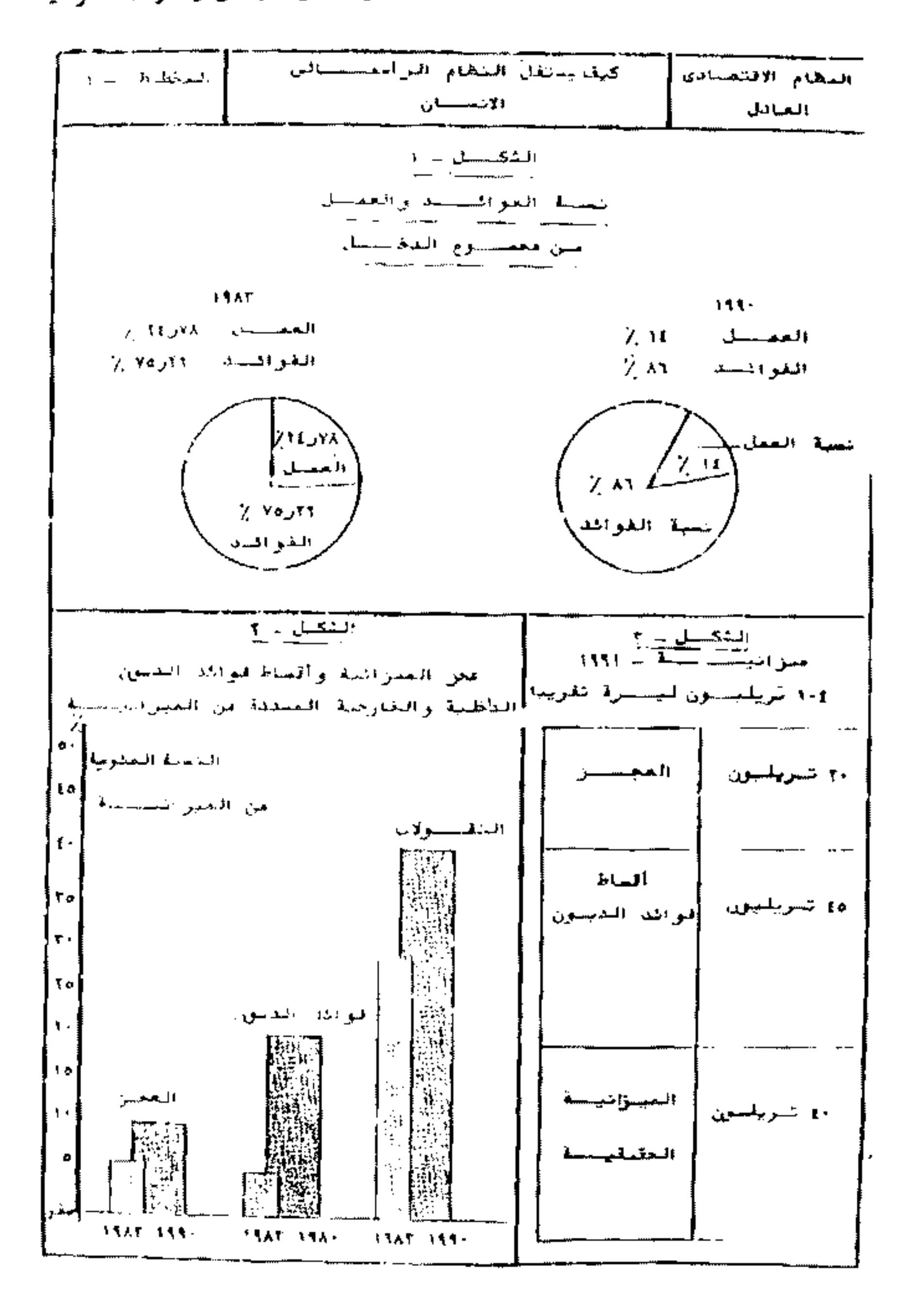
(١) نفس المرجع، ٢٩ آخر صفحة في الكتاب، فترتيب صفحات الكتاب مضطربة وملحق بها رسوم توضيحية لبيان كيفية عمل النظام الاقتصادي التقليدي في تركيا.

والصهيونية تستغل جميع الدول الإسلامية ليس فقط في مجال الديون الخارجية بل وفي جميع الميادين في أجهزة الاتصالات وصناعة الأسلحة والصناعات الاستراتيجية والبنوك التجارية والقروض والتحويلات والوكالات ووكالات الأنباء ودور النشر وباختصار مختلف مجالات الحياة[٢].

(٢) نجم الدين أربكان، النظام الاقتصادي العادل، العلاج، أنقرة، حزب الرفاه، ١٩٩١ - ١٩٩٢، ص ٥ - ٦. وباللغة الانجليزية راجع:

Necmettin Erbakan, The Just System, Ankara, 1991, p. 5 - 6.

شكل يبين العلاقة بين نسبة الربا والفوائد إلي دخل المواطن والميزانية التركية



شكل يبين العلاقة بين ما يحصل عليه المواطن من جهده وما يحصل عليه الآخرون

النظام الاقتصادي العادل	حسب النظام الرأسمالي الربوي لا يستفيد المواطن سوى ٨٪ من جهده	المخطط – ١

الأجزاء المقسمة	القسم المصروف	التعليم [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] حزب الرفاه
النظام الوطني الربوي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
	٨٠٪	٦٠٪	٣٣٪	٢٠٪	١١٪	٠٫٦٦	

حصة ما تعطيه هذه الأنشطة			
	الأنشطة التي تكفل معيشته	[illegible]	[illegible]
	التجارة	[illegible]	[illegible]
	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	[illegible]	[illegible]	[illegible]

المصدر : وثيقة النظام الاقتصادي العادل ص ١٠

٢/٢ - النظام العبودي القائم والمطبق علي المواطن المسكين يأخذ ٥/٦ من جهده بينما لا يحصل هو علي ١/٦ ويتساءل هل هذه الأمراض موجود فقط في النظام الذي يقيمه "حزب الوطن الأم" ؟.

ويجيب إن جميع الأحزاب التي تتبني نفس الأفكار وتطبق نفس السياسة و تنتهي لنفس النتيجة، ما الفرق بين حزب الوطن الأم وحزب العدالة وحزب الشعب؟ لا يوجد فرق علي الإطلاق.. هذه الأحزاب باستثناء "حزب الرفاه" كلها أحزاب ربوية... حزب الرفاه سيعمل علي إقامة "تركيا الكبري من جديد".. تركيا التي يتمتع فيها المواطن بحقه كاملا.. سيعمل "حزب الرفاه" علي تغيير المواد الدستورية التي تقر الظلم ويحل محلها المواد التي تحمي المواطن وتعطيه حقه كاملاً وتعطي الفرصة المتساوية للناس أجمعين"[1].

٢/٣ - الخواص الأساسية للنظام الاقتصادي العادل:

تقوم علي الحق بينما الباطل الذي تمثله الحضارة الغربية التي تقوم علي حضارة روما والحضارة الإغريقية المستمدة من الحضارة المصرية الفرعونية كان هناك خلل في مفهوم الحق والباطل متولد من أربعة أسباب:

٢/ ٣/ ١ - القوة.

٢/ ٣/ ٢ - الكثرة.

٢/ ٣/ ٣ - الامتياز.

٢/ ٣/ ٤ - المنفعة.

٢/ ٤ - أسباب الحق.

ومن الطبيعي أن هذه العوامل الأربعة ليست من أسباب الحق ولكنها من أسباب الباطل، **أما الحق فيتولد من أربعة أسباب:**

٢/ ٤/ ١ - الحقوق الأساسية التي منحها الله سبحانه وتعالي بالتساوي لجميع بني البشر وهي خمسة حقوق.. حق الحياة وحفظ النسل وحق التملك

(١) نفس المرجع، ص ١٢ - ١٣

• حفظ العقل وحماية العقيدة .

٢/ ٤/ ٢ - العمل .

٢/ ٤/ ٣ - التبادل عن تراض .

٢/ ٤/ ٤ - الحق الذي يؤمن العدالة .

٢/ ٥ - الحق والباطل في صراع علي مدار التاريخ ، والحضارة القائمة علي الباطل تتبني مبدأ القوة فوق كل شئ . أما الحضارة القائمة علي الحق فإنها تتبني مبدأ الحق فوق كل شئ . والحضارة الغربية القائمة علي أساس القوة الغاشمة منذ حوالي ٣٠٠ سنة هي المسيطرة علي الأوضاع العالمية لا يمكنها أن تؤمن سعادة الإنسان وكل ماتفرزه هو الظلم ، وهي أفرزت نظامين توأمين هما الرأسمالية والشيوعية وفي ظلهما شقي الإنسان المبدآن يقومان علي نفس الأسس . . في كليهما القوة هي المبدأ .

وهذه الأنظمة هي بين طرفين . . القوة الغاشمة والإنسان المسحوق والفرق بينهما أن القوة في النظام الشيوعي هي قوة سياسية بينما القوة في النظام الرأسمالي هي قوة اقتصادية . . سقطت الشيوعية بعد أن ظلمت الإنسان لمدة سبعين عاماً . . والرأسمالية هي الأخري تظلم الإنسان وستسقط في وقت قريب . . سبب عدم سقوطها مع الشيوعية هي الحلف المثلث الذي أقامته مع الصهيونية والامبريالية مما جعلها أقوي وأثبت من الشيوعية نسبياً هذا بالرغم من أن كلا النظامين أساسهما باطل ولا يؤمن السعادة لبني البشر ، والإنسانية اليوم تبحث عن نظام يؤمن لها السعادة . . نظام يرفع الحق فوق القوة . . نظام عادل يرفع الحق فوق القوة ولا يسمح في أي وقت وتحت أي ظرف باستعباد الإنسان وهو نظام متكامل الأمور الإيجابية التي وفرتها الشيوعية أو الرأسمالية موجودة فيه أما السلبيات التي

جاءت بها الشيوعية أو الرأسمالية فإن النظام العادل برئ منها . فهو يجمع بين السوق الحرة والربح ولكنه يرفض الربا والاحتكار[1] .

٦/٢ - أسس النظام الاقتصادي العادل:

يقوم النظام الاقتصادي العادل علي مجموعة من الأسس هي ٣١أساساً منها ٣ أسس عامة و٧ متعلقة بالمال و٧ متعلقة بالقروض و٧ متعلقة بالضرائب و٧ أخري لها علاقة بالتأمين الاجتماعي والشكل ص٢٠ يوضح أسس النظام العادل .

٢/ ٦/ ١ - الأسس العامة لوظيفة الدولة هي إعداد الخطط للمناطق المختلفة وخطة عامة للدولة ككل والفعاليات الاقتصادية يسيرها الأفراد بحيث تكون الدولة مجرد مساعد لهم في فعالياتهم ، وبحيث يستطيع المواطن في قطاع الزراعة والصناعة والخدمات أن يختار المشروع ذو الربح الجيد ويعمل به إما عن طريق الأفراد مباشرة أو الشركات أو الوقف والخدمات العامة التي تقدمها الدولة هي التأمين والتوجيه والتحكيم وتأمين الطاقة والماء والطرق والخدمات والصحة والتعليم وخدمات التوصيل وغيرها من الخدمات العامة ، والدولة مثل القاضي المحلف والمحاسب المحلف وظيفتها تأمين الخدمات ، فالدولة وظيفتها تأمين وتنظيم الخدمات التي تسهل للمواطن الأعمال الاقتصادية ، والمواطنون يسيرون الفعاليات الاقتصادية في النظام العادل إما بأنفسهم أو شركاء في شركة أو مجموعة من خلال الوقف .

٢/ ٦/ ٢ - النظام العادل يضبط استهلاك وإنتاج الإنسان لكي لا يظلم أحد ، فيمكنه أن يستهلك ولكن بشرط عدم الإسراف وبقدر ما يستهلك يجب أن ينتج ولا يأكل ماينتجه غيره .

(١) نفس المرجع ، ص ١٧ - ١٨ .

٢/٦/٣ - في النظام العادل النقد يساوي السلعة والربا ممنوع لأنه يعطي للمودع في البنك حقوقا بدون إنتاج مقابل، والنقود تساوي (العقار والمصنع والسلع الأخري "المال المقوم" والذهب والنقد الأجنبي)، ويشرح أسس ثلاثة تتعلق بالنقود وهي: قاعدة التغيير في الوقت المطلوب وقاعدة المساواة في التعامل مع الجميع وتثبيت السعر علي أساس قاعدة العرض والطلب، ولكل فرد الحق في تحويل سلعته إلي نقود أو نقوده إلي سلعة والسعر في كل الأمكنة ولجميع الناس واحد وثابت علي أساس قاعدة العرض والطلب.

٢/٦/٤ - في النظام العادل توجد سبعة أنواع من القروض كلها بدون فوائد وكلها لا تتسبب في التضخم وهي الشراكة، والقروض مقابل حق مكتسب والقروض مقابل العمل والقروض مقابل الرهن والقروض مقابل الضرائب المدفوعة والقرض مقابل المشاريع والقروض مقابل ..ات (السلم) أو الطلب التجاري، وسندات السلم تحل محل السندات التي يصدرها النظام الرأسمالي الربوي، ويري النظام العادل "أنه وفق هذه المنظومة يمكن القضاء علي الربا.

٢/٦/٥ - لا يحق للدولة بحجة أنها يجب أن تكون قوية أن تجمع الضرائب كيفما اتفق من المواطنين، فهي لا يجب أن تأخذ غير حقها، ولا تأخذ إلا الضرائب التي تقابل الخدمات التي تؤديها من أجل زيادة الإنتاج، مسألة حصول الدولة علي شتي أنواع الضرائب من المواطن بدون وجه حق لا مكان له في "النظام العادل"، الدولة تربح بقدر ماتساعد والضرائب التي تحصل عليها الدولة هي: الضريبة مقابل الخدمات التي تقدمها الدولة، ومبدأ الضريبة الواحدة، والضريبة تؤخذ من الإنتاج ومبدأ عدم أخذ لضرائب علي الدخل وبقدر ما يدفع الشخص أو المؤسسة من الضرائب فإنه يستحق بنفس النسبة مزيداً من خدمات الدولة ومبدأ الدفع حسب بيان ضريبي

ومبدأ الحصة التي تؤخذ من الإنتاج إنما يحددها الدستور .

٢/ ٦/ ٦ - النظام العادل يحقق السلام الاجتماعي عن طريق تأمين كل إنسان ، لا يدفع المواطن مالا مقابل التقاعد والتأمين وفي حالة التأمين والبطالة يحصل كل إنسان علي نسب محددة من الراتب ، الرواتب التي تدفع للعاطلين والمتقاعدين تدفع من الميزانية والتقاعد والتوقف عن العمل يتم حسب الطلب وفي كل وقت والمتقاعد يفقد حقه في القروض والراتب التقاعدي مرتبط بدرجة المتقاعد في العمل وعمره وتحصيله .

٢/ ٦/ ٧ - يشير برنامج " النظام العادل " إلي المقارنه بينه وبين النظام الرأسمالي من ناحية السلام الاجتماعي فيقول من أولي واجبات الدولة أن يعيش الإنسان بشكل منسجم ومطمئن وهذا يتحقق من خلال التربية الروحية والمعنوية للإنسان[1] مما يجعل الغني والفقير يلتقيان معاً علي رغبتهما في عمل الخير ويتحول اللقاء بينهما من صراع طبقي إلي رغبة في التعاون والتعاضد أما في النظام الرأسمالي فإن الإنسان مخلوق لا يشبع ولا يكتفي وتعامله مادي بحت والقوة شعاره ولا مجال فيه للحديث عن العدالة الاجتماعية المجتمع قلق والإنسان مضطرب والوضع برمته قابل للانفجار ، وفي النظام الرأسمالي يحدد النسل ويقل عدد الشباب ويزيد عدد كبار السن والمتقاعدين وهو ما سينتهي بالنظام إلي الإفلاس .

٢/٧ - النظام العادل.. المنطلقات والأهداف:

٢/ ٧/ ١ يعرض برنامج " النظام العادل " لما يمكن أن نطلق عليه " تدافع الحضارات " فمثل تعاقب الليل والنهار فإن نظام الحق الذي يؤمن السعادة

(١) نفس المرجع ، ص ٢٢ - ٤٤ حيث قمنا بتلخيص واف لأسس النظام الاقتصادي العادل كما أوضحها " أربكان " في كتاب النظام الاقتصادي العادل ، العلاج .

لبني البشر يتلوه نظام الباطل الذي يسحق الإنسان ويزيد من صراع الطبقات ومنذ ثلاثة عصور يحكم البشرية نظام القوة وهو ماجعل الإنسانية والإنسان معا يتشوفون لبزوغ فجر النظام العادل الذي يتميز بالإنتاج وتستفيد منه كل الطبقات[1]

(١) نفس المرجع، ص ٤٤ – ٤٨ وهناك كتاب مهم في نفس السياق تجب الإشارة إليه وراجع: نجم الدين أربكان، مستقبل حوار الحضارات بين الإسلام والغرب، ترجمة مصطفي محمد الطحان، الكويت: ٢٠٠٢، ط ١، ص ٣٤ – ٤٠ وبالإنجليزية يمكن مراجعة أحد الوثائق المهمة لحركة الملي جورروش:
Omer Vehbi Hatipoglu, Islam Project Of Global Imperialism And Reflections, August, 2005, pp30 - 34.
ووثيقة أخري بالإنجليزية بعنوان:
Necmettin Erbakan, The Proposed Islam - West Dialogue And Its Future, August, 2005.

الفرق بين النظام العادل والنظم الاقتصادية الأخرى علي مدار التاريخ

النظام الاقتصادي العادل		النظم الاقتصادية على مدار التاريخ الإنساني				المخطط - ٤	
اقتصاد السوق				النظام الاقتصادي المطلق			
تبادل العمل		تبادل السلع		الملكية في وسائل الإنتاج		الملكية في سوق الاستهلاك	
المشاركة	العمل	التبادل بالواسطة	التبادل	الزراعة	الرعي	الصيد	الجمع الفاكهة

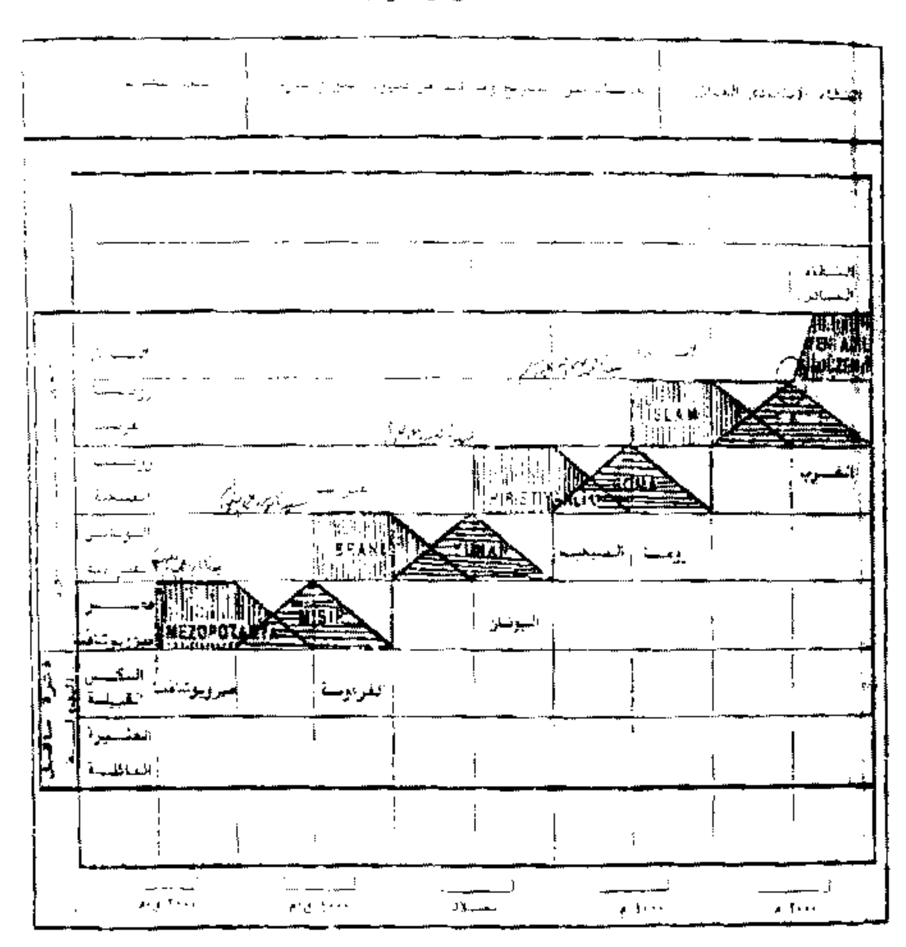
الزمان

اقسام الناتج في اقتصاد المشاركة

	شركاء المشروع	التوجيه	نسبة الفائض بالمشروع %	
	شركاء الملكية	المشروع	الايجار %	
	شركاء العمل	العمل	العمل %	
	شركاء رأس المال	المواد الأولية	رأس المال %	
	شركاء الخدمات	الخدمات العامة	الخدمات %	

المصدر: النظام الاقتصادي العادل، صـ ٤٥.

التدافع بين النظام الاقتصادي العادل والمدنيات المختلفة عبر التاريخ (سباق الصراع بين الحق والقوة).

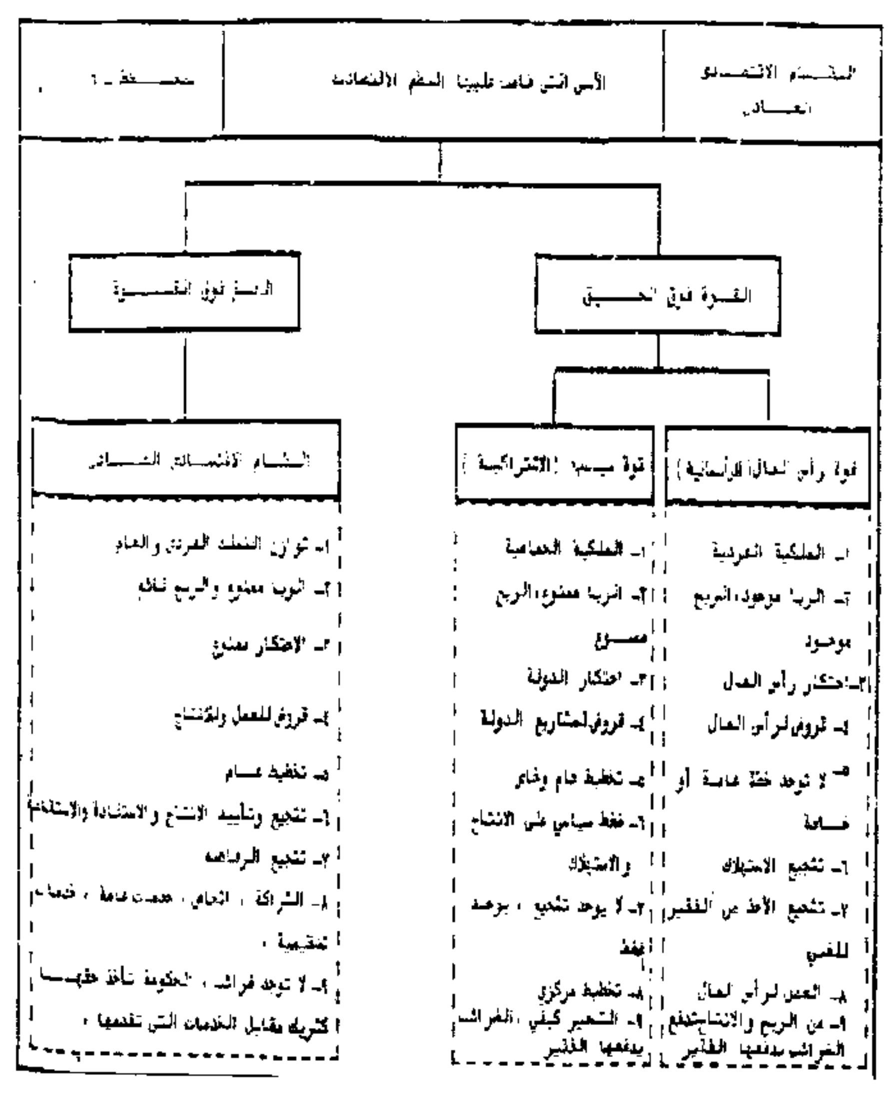


المصدر: النظام الاقتصادي العادل، صـ ٤٧.

٢/ ٧/ ٢ - المناداة بإقامة النظام العادل ليس من قبيل فشل الرأسمالية والشيوعية وبالتالي البحث عن نظام اقتصادي آخر نطلق عليه "النظام العادل".. كلا إنه النظام القائم علي الحق ضد الباطل؛ المتمرد علي الظلم

الذي يهدد حقوق الإنسان وسعادته .

الفرق بين النظام العادل والنظامين الرأسمالي والاشتراكي.



المصدر: النظام الاقتصادي العادل، صـ٥١.

وهـو يـبين كـيـف أن "النظام العادل" نظام مغاير ومختلف عن الرأسمالية والاشـتراكية اللـتين وإن بـدتا مختلفتين فهما متماثلين ، فالنظام العادل "يقوم

علي الحق ولا يفرق بين الناس والناس في ظله متعاونون لا متصارعون وهو في نفس الوقت نظام مبسط مفتوح، سهل التطبيق، يشجع الناس علي الإنتاج.

٢/ ٧/ ٣ - في حالة تطبيق " النظام العادل " فإن الأسعار سترخص ولن يكون هناك تضخم، لأن التضخم هو مرض النظام الاقتصادي الرأسمالي وسيزيد الإنتاج وتزول البطالة وتزداد الصادرات لأن الأسعار في الدولة التي تطبق النظام العادل" ستكون أرخص من قرينتها في أي مكان آخر. ويمنع الخلل في توزيع الثروة القومية فهو يقيم السلام في نفس الإنسان وبين الإنسان وأخيه في المجتمع ككل. وهو يمنع الرشوة والفساد والتخلف عن طريق ترسيخ القيم المعنوية والتربوية.

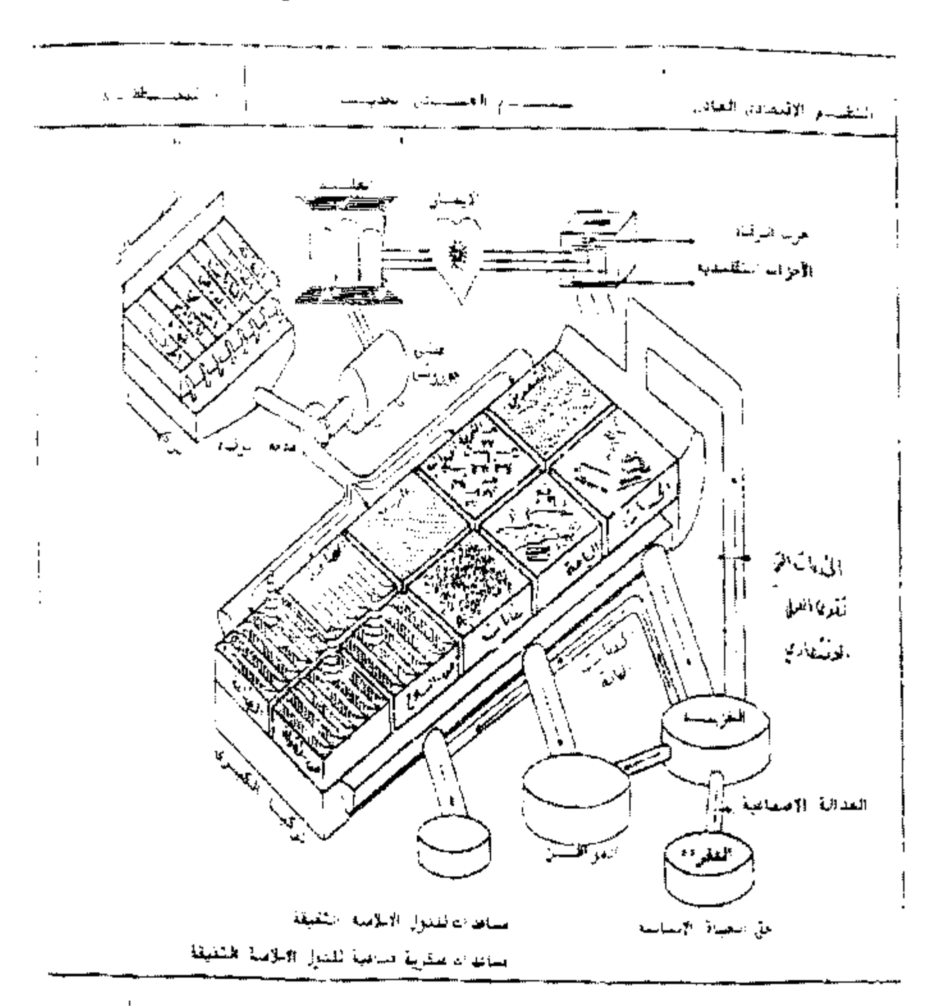
٢/ ٧/ ٤ - يعالج " النظام العادل " الأمراض التي تتولد من النظام الرأسمالي وذلك عن طريق نظام عادل للدولة بدلاً من نظام العبودية الذي يقيمه النظام الرأسمالي وتحقيق نهضة سريعة علي مستوي الأمة وإيجاد الفريق المؤمن والإنسان الصالح في ظل النظام العلمي والديني والأخلاقي سينتج أفراداً للأمة علي العرفان ويتم الاهتمام بالإنتاج كما الاهتمام بالتربية المعنوية وعندها ستجد الأمة أبناءها المخلصين الحريصين كل الحرص علي نهضتها يأكلوا ولا يسرفوا.. يعملوا ويتعاونوا.. عملهم يقربهم من ربهم علي قاعدة يعبدون الله كأنهم يرونه.. بهذا فقط يسدل الستار علي أنظمة الظلم وترتفع راية نظام الحق والعدل.

٢/ ٧/ ٥ - السوق الإسلامية المشتركة القائمة علي أساس " النظام العادل " والذي ستستفيد منه تركيا والدول الإسلامية الأخري، فالعالم الإسلامي الممتد علي مساحات هامة وسكانه أكثر من ١,٥ مليار نسمة ويمتلك ثروات هائلة لو أقام سوقاً اقتصادية مشتركة لبت في البداية احتياجاته وستكون

وسيلة لنهضة كبيرة وشاملة تفوق كل تقدير، والسوق الأوروبية المشتركة التي تهدف إلي أوروبا موحدة لديها خطآن هما: أن الأساس الثقافي لهذا التجمع هو الحضارة الرومانية التي قامت علي الهيمنة والقوة ولن تنتج غير الظلم واعتماد التجمع الرأسمالي علي التحكم وهو مايعبر عن ساعات مؤقتة ستنفجر في الوقت المناسب، ومع أن النظام التقليدي في تركيا يعمل جاهداً للانضمام لهذه السوق تقرباً من قدس أقداسه في أوروبا فإن الشعب يريد العودة إلي أصالته ومبادئه الإيمانية بإقامة نظامه العادل وإقامة سوق إسلامية مشتركة[١].

(١) نفس المرجع، ص ٤٦ - ٥٧ وراجع أيضا باللغة الانجليزية:
Nacmettin Erbakan, Introduction To D - 8, August 2005, pp 20 - 25.

النظام العادل كسبيل لنهضة الأمة التركية



المصدر: النظام الاقتصادي العال، ص٥٨.

٨/٢ - يبين النظام العادل كيف أن مقدرات الأمة لن تفعل إلا علي يد مجموعة "مللي جوروش" المؤمنة.. وهذا الأمر سيحسمه صندوق الاقتراع، وعند إقامة النظام العادل فإن الكوادر المؤمنة ستفعل من خلال محاضن العلم والإيمان - وليس كوادر صندوق النقد الدولي - وهي ذاتها ستقيم النظام

الاقتصادي العادل عن طريق وضع خطة عامة ثم خطط صغيرة محلية واستراتيجية تنمية متكاملة ويبدأ بعد ذلك التنفيذ وفق ميزات تركيا والتي هي طاقة الإنسان المؤمن والمعادن والغابات والأرض والمراعي والأقاليم المتنوعة والمياه والجمال الطبيعي والإمكانات والمصانع . . وهذه الميزات سيحركها الكادر المؤمن إلي مشاريع وعطاء مثل التعدين والخدمات والاستثمار الحيواني والسياحة النظيفة والزراعة والغابات والصناعات الصغيرة والصناعات الحربية والصناعات الثقيلة .

هذه الطاقة وهذه المشاريع ستحول البلد إلي بلد مكتف ومقتدر وسيصبح الفرد سعيداً ومرفها ، وعندما تزيد الدولة من إمكانياتها فستزيد من عطائها في الخدمات العامة وخدمات التنظيم وتحقق العدالة الاجتماعية وعند قيام النظام العادل ستتخلص تركيا من استعباد الإمبريالية والصهيونية وبدلا من القطط السمان التي تمتص دماء الوطن والمواطن فإن العائدات ستتحول إلي المواطن فيغني وإلي الدولة فتغني ، الديون الخارجية والفوائد المركبة ستنتهي إلي غير رجعة وستحل محلها مساعدات تقدمها تركيا إلي الدول الشقيقة ، عمالنا الذين يزيد عددهم عن ثلاثة ملايين عامل سنعيد استقدامهم ليعملوا في تعمير وإغناء بلدهم بدلاً من خدمة الآخرين في وظائف يأنفون من القيام بها ، عندها لن تصدر تركيا عمالاً فقراء فقد أغني النظام العادل بفضله المواطنين والوطن[١] .

* * *

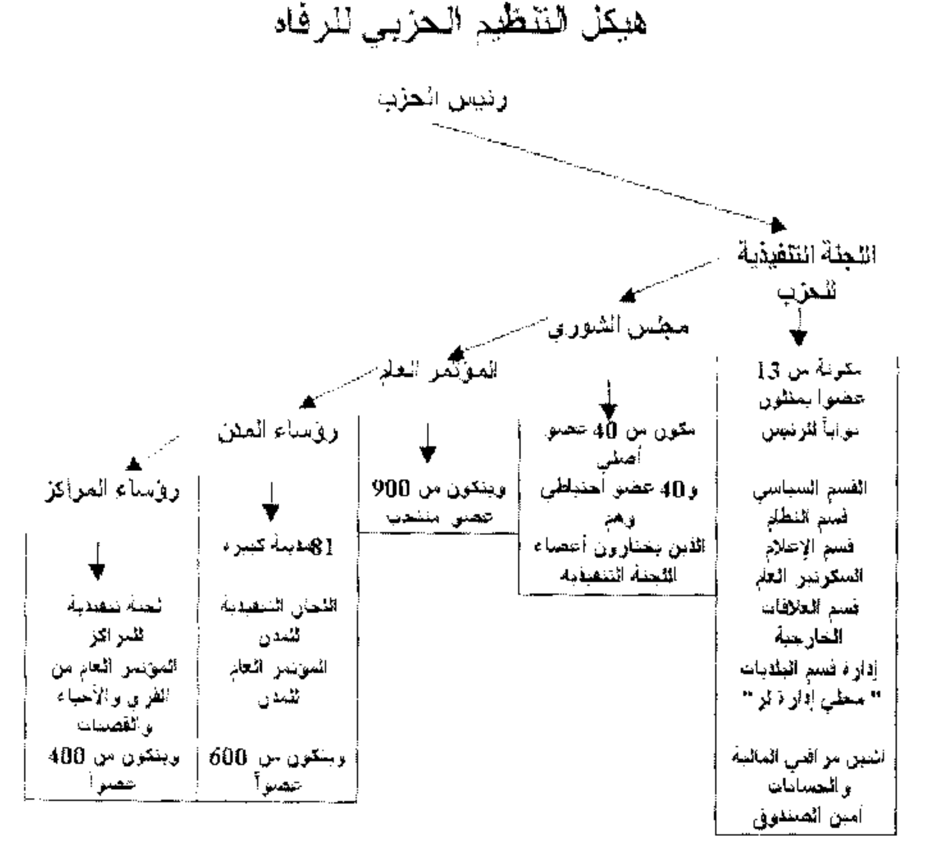
(١) نفس المرجع ، ص ٧٥ - ٥٨

المبحث الثالث :
التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه

نحن أمام حزب كبير وجماهيري يعتمد خطاباً مدنيا وسياسيا ولكنه يحمل رؤية تغيير شاملة يمكننا وصفها بالجذرية أو الراديكالية عبر أدوات سياسية ليست راديكالية أو جذرية ، حزب الرفاه يعمل في سياق النظام السياسي التركي ووفق قواعد اللعبة السياسية ولكنه يحمل رؤية لا تهدف فقط إلي تغيير بعض جوانب الحياة وإنما لديه رؤية تغيير شاملة لإعادة المجتمع وفق صيغة جديدة هي صيغة "الملي جوروش" عبر برنامج "النظام العادل" الذي هو أطروحة اقتصادية بالأساس تنطلق من أسس إسلامية مرجعيتها الفقه الإسلامي مثل مبدأ رفض الربا ، ورفض أن تكون النقود أداة غير محايدة في إدارة الاقتصاد وأن يكون قرض "السلم" - بفتح اللام بديلاً للقروض الربوية ، كما أن الجوانب التربوية المعنوية والأخلاقية والإنسان الصالح والفريق المؤمن هي الضمانات لتنفيذ برنامج "النظام العادل" ومن ثم فنحن أمام حزب برنامجه إسلامي ورؤاه التغييرية شاملة .

أولا : الهيكل التنظيمي لحزب الرفاه :

المعلومات تشير إلي أن عدد أعضاء الرفاه المنتسبين إليه والمشاركين فيه يبلغون ٤ مليون نسمة ، وأشارت نتائج التصويت في الانتخابات البرلمانية الأخيرة له عام ١٩٩٥ م إلي أن أكثر من ٦ مليون صوت منحت له وكما هو معلوم فإن التواجد الحزبي للرفاه كان بين جميع الشرائح والمناطق للشعب التركي والتساؤل هنا يثور حول "التنظيم" الذي كان يدير هذا الحزب الكبير .



شكل يوضح الهيكل التنظيمي للرفاه تم تصميمه من قبل الباحث

وكما قال لنا أحد الناشطين في الحزب [١] فإن تواجد "حزب الرفاه" القوي في كل تركيا جعلهم قادرين علي حماية الصناديق والعملية الانتخابية حيث وضع منظمو الحزب هدفاً أمامهم وهو أن تكون عضوية الحزب ١٠/١ من أصوات كل صندوق، وأثناء الانتخابات كان يتابع الصندوق

(١) هذا الناشط هو حسن شماز وهو يتولى اليوم مسئولية نائب رئيس المنظمة في حزب السعادة وقام لنا بفضل توضيحه لنا الهيكل التنظيمي لحزب الرفاه وهو ذكر لنا أن المؤتمر العام للحزب يكون ضعف عدد نواب البرلمان، وعدد نواب البرلمان في فترة الرفاه كان ٤٥٠ ثم صار ٥٥٠ وحزب السعادة اليوم له نفس الهيكل ولكن مؤتمره العام ١١٠٠ عضو.

الواحد خمسة أعضاء من الحزب قائدهم يسمي "باش مشاهد" ومعاونوه يطلق عليهم "مشاهدين".

- للحزب جريدة يومية اسمها " الملي غازته " وهي التي تعبر عن " الفكر الملي " وكما سنري - فيما بعد فإنها تمثل أحد أهم مصادر تكوين الثقافة والوعي لدي المنتمين "لحزب الرفاه" إلي حد أن أحد مسئولي التنظيم في الحزب ذكر لنا أنها إجبارية علي كل منتمي للحزب أن يقرأها ويتابع ما فيها من أفكار وتحليلات عن تركيا، وأصدر الحزب أيضاً جريدة "يني دور" أي "العهد الجديد" بمعني التوجه الجديد للحركة الإسلامية في تركيا نحو التواجد السياسي عبر الطريق الديموقراطي وتربي في هذه الجريدة الكادر الأدبي الذي قاد الحركة الأدبية ذات التوجه الإسلامي في تركيا مثل "علي نار ومصطفي مياس أوغلو وحسن آق آي" وأصدر "مصطفي مياس أوغلو" مجلة أدبية بعنوان "سدير" ثم حولية أدبية بعنوان "صفة"[1] أراد بها بناء جيل أدبي علي مبادئ الملي جورروش" فالأدب والأدباء كانوا أحد أهم الأدوات التي عبرت عن مقاومة التيار الإسلامي للتيارات العلمانية

- "وقف الشباب الملي " Milli Genclik Vakifi وهذا الوقف يضم بين جنباته الشباب الذي يتبني فكر "الملي جورروش" وهو ينظم رحلات وجولات ويقوم أتباعه بالمظاهرات، وكما قال لنا أحد المنتسبين للوقف فإن تركيا بها ٨١ جامعة منها ٦ في قبرص و١٥ جامعة خاصة ويوجد في جميع الجامعات ممثلين لوقف الشباب الملي باستثناء جامعتين أو ثلاثة والاتحادات الطلابية في الجامعات والثانويات تمثل فكر "الملي جورروش"[2] داخل ثلاثين

(١) محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، السياسة الدولية، يناير ١٩٩٨، ع ١٣١، ص ١٣٣.

(٢) قمنا بزيارة مبني وقف الشباب الملي في قونية والتقينا الشباب من مستويات دراسية متعددة من الإعدادية والمتوسطة وحتي الجامعة حيث يتعلمون القرآن والفكر الملي ويعبرون عن وعي سياسي

منها وفي الثانويات يوجد وكذلك بين الفتيات والبنات ، وتنتشر مراكز الوقف في مدن عدة في تركيا أبرزها "قونية" التي يوجد بها مبني ضخم لوقف" الشباب الملي "المنتشر بين جميع طلبة المدارس من الإعدادية وحتي الجامعة وله موقع علي الشبكة بعنوان www.spgenclik.org.tr وهو اليوم يعبر عن حزب السعادة .

- الموسياد MUSIAD وهو اتحاد الغرف التجارية ورجال الأعمال المسلمين المستقلين والرفاه هو الذي شكلها كتعبير عن الوجه الاقتصادي للحركة السياسية التي يمثلها "حزب الرفاه"، خاصة وأن الجانب الاقتصادي مثل القلب والمركز من برنامج الحزب والذي أطلق عليه "النظام العادل"، **فالرفاه كان يري أن التغيير الاقتصادي هو المقدمة لكل مشروعه التغييري الشامل** والذي يعبر عنه "الملي جوروش"، والموسياد هو تعبير عن صعود "رأس المال الإسلامي" في الحياة التركية مع أوائل الثمانينيات وهو تعبير عن التحول في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لتركيا نحو اقتحام الإسلاميين لمراكز التأثير في الحياة التركية خاصة إذا علمنا أن جمعية رجال الأعمال والصناعة التركية (وكلاء الشركات العالمية) المعروفة باسم TUSIAD هي أحد أهم أجنحة التأثير علي صناعة القرار السياسي في تركيا[١] بما تملكه من صحافة ووسائل

وإسلامي ثاقب . وهناك كتاب صغير مهم حصلنا عليه يمثل وثيقة لتربية الشباب الملي باللغة العربية راجع: مصطفي محمد الطحان ، دور الطالب المسلم في إعادة بناء الأمة ، مؤتمر الشباب المسلمين للتعاون الثقافي ، تركيا: بورصة ، أغسطس ٢٠٠٥ .

(١) تأسست جمعية رجال الصناعة والأعمال في تركيا TUSIAD في عام ١٩٧١ م من جانب بعض رجال الصناعة البارزين ويتبعها مركز أبحاث نشط ولها علاقة وثيقة مع الحكومة ومراكز صناعة القرار ومع دوائر الأعمال الدولية ، وحتي عام ١٩٨٧ م اعتبرت أحد مصادر العون غير الرسمي للحكومة التركية في تحديد أهدافها الاقتصادية عن طريق الدراسات والتقارير بشأن الاقتصاد التركي ، ومنذ عام ١٩٨٧ م نظرت حكومة "أوزال" إلي تقاريرها بعين الشك وحدث خلاف بينها بسبب انتقاداتها الحادة للحكومة وراجع ، جلال معوض ، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية التركية ، م . س . ذ ، ص ١١٦ .

إعلام وعلاقات قوية مع العسكر والعلمانيين .

ومن ثم يمكن تصور أن "الموسياد" **هو تعبير عن محاولة تحجيم التأثير العلماني في مكـــونات صناعة القرار السياسي التركي ومحاولة إيجاد مساحة للقوي الاقتصادية الإســلامية** ويضم "الموسياد" عشرة آلاف شركة إسلامية متنوعة النشاطات وعدد أعضائه ثلاثة آلاف عضو[1] ، وعقد عام ١٩٩٧م مؤتمراً دوليا ومعرضاً تجاريا شارك فيه اقتصاديون ورجال أعمال وشركات من أكثر من خمسين دولة ، وله موقع علي الشبكة وعنوانه www.musiad.org.tr وهناك **أيضاً** "جمعية رجال الأعمال في الأناضول "أو" أسود الأناضول لاتحاد العمال ASKON" ولها موقع علي الشبكة بعنوان www.askon.org.tr وهي تجمع يعبر عن أكثر من ألف عضو يمثلون نقابات وشركات وتجمعات اقتصادية كبيرة في منطقة الأناضول ، **وتـشير المعلـومات إلي أن نقابة عمال اسطنبول ITO أصبحت بيد الإسلاميين في سياق التحولات الاجتماعية والاقتصادية ناحية الإسلام.**

– **مركـز للدراسـات والأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية ويطلق** عليه ESAM ويقوم المركز بعمل دراسات وأبحاث وعمل ندوات وتقارير عن الأوضاع التي يهتم بها الحزب في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأحوال العالم وفي العلاقات الدولية .

– **وسـائل إعلام مرئية ومسموعة أهمها " القناة السابعة " قنال يدي "** وهي تقدم خدمة إعلامية مرئية للشعب التركي في كل أنحاء تركيا وفق رؤي" حزب الرفاه" وهي تغطي أخبار الحزب واجتماعاته ولقاءاته مع الجماهير ،

---

(١) عن هذه الأعداد نفس المرجع ، ص ٢٩٠ . وأيضا محمد حرب ، آليات الحركة الإسلامية في تركيا ، م . س . ذ ، ص ١٣٥ وهو يشير إلي ارتباطه بالاتحاد الدولي لرجال الأعمال المسلمين I.B.F الذي تأسس عام ١٩٩٥ في باكستان ثم انتقل إلي اسطنبول وارتبط بالموساد .

وتتابع بشكل عام أداءه، واهتمت هذه القناة بتوصيل صوت "حزب الرفاه" إلى العالم العربي عن طريق بثها لنشرة في منتصف الليل تذيع أخبار تركيا للعالم العربي باللغة العربية، وللحزب إذاعة أيضا اسمها "مرمرة" - إف - إم. وله قنوات تلفزيونية محلية مثل (KON TV) وقناة (SELAM TV) [١].

- **حركة "الملي جورروش" للأتراك الموجودين خارج تركيا (دياسبورا الملي جورروش)**، وقد تأسست في ألمانيا منذ عام ١٩٧٤ م وقد فكر في تأسيسها "أربكان" وقد بدأت بالتجمع حول الصلاة والاجتماع في مكان واحد ثم تأسست جمعية باسم "جمعية الأتراك لبناء وتعمير المساجد" ووفق المعلومات التي استقيناها من أحد أعضاء "الملي جورروش" في ألمانيا فهو يقدر أن عدد الأعضاء الذين يؤيدون "الملي جورروش" يبلغون نصف مليون (٥٠٠ ألف) منهم ٢٠ ألف يدفعون كل شهر ١٠ يورو "للملي جورروش"، ومركز التجمع الملي في مدينة "كولون" ومن بين هذا التجمع ١٥ ألف يحق لهم التصويت في تركيا، ومجمل من يصوت للرفاه ٣٠ ألف وهم يعملون لمدة شهر أو شهرين لصالح الحزب، وحسب هذا المصدر فإن "الملي جورروش" تنتشر في ١٥ منطقة بألمانيا وفي منطقتين بهولندا، وفي منطقة واحدة بسويسرا، وبمنطقتين بالنمسا وبأربع مناطق بفرنسا، ويحج من هؤلاء كل عام خمسة آلاف حاج [٢].

- **مجموعة اتحادات للمهنيين مثل اتحاد الحقوقيين** واسمه "حودر HUDER" وقد أسسه "شوكت قازان" وزير العدل في حكومة "الرفاه" عام ١٩٩٦ م،

(١) محمد حرب، نفس المرجع، ص ١٣٤.

(٢) هذه المعلومات استقيناها من أحد أعضاء "الملي جورروش" بألمانيا وسألته عن علاقتهم بالرفاه فأفادنا بهذه المعلومات بمقر حزب السعادة بأنقره وهو وريث الرفاه. وهي معلومات أقرها قيادات الرفاه الموجودون.

واتحاد المهندسين واسمه TEKDER ، واتحاد الأطباء والصحة واسمه SAGLIK DER وهناك "نقابة للعمال" - الاتحاد النقابي لحق العمل - اسمها HAK IS وأسسها "ياسين خطيب أوغلو" وهي تأسست منذ حزب السلامة الوطني في بداية السبعينيات بلجنة عمالية واحدة ثم تطورت لتصبح نقابة عمالية كبيرة أصبحت ثاني أكبر نقابة عمالية في تركيا كلها إبان "حزب الرفاه" فالمصادر تشير إلى أن عدد المشتركين فيها يبلغ ١٦٠ ألف عضو معظمهم كانوا من أعضاء اتحاد النقابات التقدمية DISK ، وهناك أيضاً نقابة للموظفين تؤيد الرفاه واسمها MEMUR - SEN [(١)] .

نحن أمام حزب كبير وله تواجده الممتد والمتجذر في الحياة الاجتماعية والسياسية التركية ، وهو تعبير عن تواصل مستمر للوجود السياسي لحركة اجتماعية قائمة ومستمرة ولا تزال حتى هذه اللحظة يعبر عنها أحزاب سياسية متعددة في فترات مختلفة ، يحدث بينها انقطاع بسبب التدخلات العسكرية لكنها لا تذوي أو تختفي ، كما لا يمكن حتى لخصومها أن يتجاهلوها أو يستغنوا عنها بل إنها تعود كل مرة أكثر قوة وحيوية ، كما تشير نتائج الانتخابات وأداء الأحزاب المختلفة التي تعبر عن "الملي جوروش".

وربما يعطي وصف بعض المراقبين للانتخابات التركية النيابية التي جرت في ٢٤ / ١٢ / ١٩٩٥ والتي وضعت "الرفاه" في قلب النظام السياسي بفوزه بأكبر عدد من الأصوات والمقاعد في البرلمان - تصوراً عن حجم "حزب الرفاه" في الحياة السياسية التركية "كان "أربكان" ينتقل بطائرة هليوكبتر خاصة ليتحدث في مدينتين أوثلاثة يومياً ، ومن الواضح أن الحزب لا يعاني من

---

(١) هذه المعلومات من مصادرنا في حزب السعادة ولكن بعضها منشور وراجع مثلا: جلال معوض ، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية ، م . س . ذ ، ص ١١٣ .

مشاكل مالية ذلك أنه قاد واحدة من أقوي الحملات الانتخابية وأقام أكثر من ألف مركز انتخابي في كل منها جهاز كمبيوتر واحد علي الأقل يتضمن أسماء الناخبين وعناوينهم وأي معلومات يحتاجها المتطوعون والمتطوعات من أعضاء الحزب الذين بلغ تعدادهم ٩٠ ألف لا يتقاضون أجوراً لأن دوافعهم دينية وليست سياسية[1].

ثانيا: بناء الكادر السياسي لحزب الرفاه:

لم تنشر أي معلومات بالعربية وربما بغيرها عن كيفية بناء الكادر السياسي في "حزب الرفاه"، وهي مسألة كانت حاضرة في وعي الباحث بقوة لذا تحريناها واستطعنا أن نتغلغل في الطريقة التي تتم بها التربية السياسية والدينية داخل أكبر حزب إسلامي ظهر إلي الوجود حتي اليوم.

ذكر لنا أحد أهم مسئولي التدريب الثقافي في حزب الرفاه أن وسائل التثقيف للكادر السياسي تكون عبر الآتي:

١ – **الملي جازيت وهذه (إجبار) يتعين** علي العضو المنتسب للحزب والذي في دور التكوين أن يطالعها وفيها صفحات دينية وأخلاقية وثقافية وإذا قرأها لمدة ثلاثة أشهر فهم ما يجري حوله، أوضاع تركيا ليست كأوضاع مصر، ومن ثم فهو لا يقرأ "معالم في الطريق" ولا يستطيع أن يفهمه، وإنما لابد من قراءة "الملي جازيت".

٢ – **علم الحال ويعني " معرفة النفس ما لها وما عليها "**، فيتعلم الكادر منذ البداية العقائد الصحيحة "عشر كتيبات" وهي الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، وأحكامها وفرائضها بالتفصيل، الأخلاق، سيرة الرسول

(١) جمال خاشقجي، زعيم حزب الرفاه الإسلامي يخلط الأوراق التركية، الوسط، ع ٢٠٥ بتاريخ ١٩٩٦/١/١.

صلي الله عليه وسلم" بالتفصيل ، وفي كل بيت في تركي متدين أو غير متدين كتاب لعلم الحال ، وعلم الحال يعبر عن روح الثقافة التركية التي يغلب عليها الطابع العملي الحركي[1] ، فهي تعبير عن روح الثقافة يشربها الناس بشكل عرفاني صوفي ولكن لا يمكن تفسيرها .

إنها روح التدين والعقيدة والشخصية التركية. وهم يأخذون قوانين ومعرفة هذه القواعد من كتب الفقه الحنفي المعروفة مثل "بدائع الصنائع" وفتح القدير" ، فهذا ملخص لها ، ماهو حال المسلم وما يجب عليه إذا لم يقرأ هذا أولا فإنه لايمكنه فهم سيد قطب ولا غيره .

فنحن ندرس مسائل الاستقراض والربا ماهو؟ ومامعناه؟ إنه اقتصاد ولكن من منظور الإسلام . وأشار لكتاب مهم يعتمدونه كمرجع معرفي مهم اسمه "رسائل العقائد" AKAID RISALELERI " وهي تعبر عن عقائد أهل السنة والجماعة من عهد الإمام الأعظم حتي عصرنا الحاضر" ويشمل هذا الكتاب الذي حصلنا علي نسخة منه والمكتوب باللغتين التركية والعربية علي عدد من المتون هي:

٢/ ١ - الفقه الأكبر للإمام الأعظم " أبي حنيفة النعمان" و" العقيدة الطحاوية " لأبي جعفر الطحاوي الحنفي ، وكتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي وكتاب السواد الأعظم أي أهل السنة والجماعة ، ورسالة في الإيمان جزء من العمل أم لا ومركب أم لا ، وعقائد النسفي "وقصيدة الأمالي" وهي منظومة في العقيدة بطريقة المتون الشعرية ، والعقائد العضدية ، والقصيدة النونية ، وعقيدة الإيمان لحضرة إبراهيم حقي الأرضرومي الحسني

(١) عن الثقافة التركية راجع كمال السعيد حبيب ، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتي نهاية الدولة العثمانية (٦٢١ - ١٩٠٨) ، القاهرة: مدبولي ، ٢٠٠٢ ، ط١ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٧

(١٧٠٤ - ١٧٨٠) - وهو أحد علماء الدولة العثمانية والكتاب مكتوب بالعربية، وروضات الجنات في أصول الاعتقاد للإمام "محمد بن بير علي البركوي" وهو عالم عثماني، وجوهرة التوحيد المسمي "إتحاف المريد بجوهرة التوحيد" للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، وهو متن منظوم شعراً، وكتاب المناهج لأبي منصور الأصفهاني، ثم كتاب "مناهج الإسلام في الحياة من الكتاب والسنة - الجزء المتصل بكتاب الإيمان وهو لعالم أزهري مصري، وهم يفضلون كتاب "إحياء علوم الدين" و"كيمياء السعادة بالإضافة للكتب المترجمة من العالم الإسلامي[1].

نحن أمام **منهج تقليدي** محكوم بصبغة العلماء القدامي لأهل السنة والجماعة وهذا المنهج يركز علي **الاتباع وعدم الاندفاع**، كما يركز علي **الطاعة، والالتزام بالجماعة والبعد عن الشقاق والخصام**، فالمرء لا يري نفسه أوذاته مستقلة عن الجماعة التي ينتمي إليها، وقد يصيب البعض الدهشة إذا ذهبنا إلي أن الفكر السياسي للرفاه بصيغته التي وصفها أحد أهم المختصين في الشأن التركي بأنها تعبير عن "**توليفة ممتازة من القيم الإسلامية والقيم القومية في إطار منظور قومي تغلب عليه الصبغة الإسلامية**"[2] هو انعكاس للعقائد التي عبرت عن السواد الأعظم وعن السنة والجماعة وعن التماهي مع المجموع والحفاظ علي الوحدة والأمن القومي بمفهومنا المعاصر، فهذه العقائد تعبر عن الطابع الإسلامي والقومي لحزب الرفاه الذي يري وحدة تركيا، تركيا الكبيرة، وتركيا التي يطيب عيشها وغيرها.

٣ - **المحاضرات، وهذه ليست الزبدة ولكنها تثير أفكاراً**، أنت لك وجهة نظر وغيرك له وجهة نظر وهذه مثل عصف الذهن "للتدريب علي

(1) Ali Nar, Akaid Risaleleri, Ankara, Mart, 1994.

(٢) جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، م. س. ذ، ص ١٠٤.

الفكر الجماعي ، وأنت تسمع وتأخذ ما يناسبك من بين الموضوعات مثلا "تخريب الأخلاق في تركيا . . المسببات والعلاج" ، ويحاضر في هذه المحاضرات أسماء كبيرة في تخصصاتها مثل المتخصصين في الإلهيات من كليات الإلهيات والقوانين من القانونيين وأعضاء حزب الرفاه وهكذا . .

٤ - **دورات في التربية والتعليم** وهي تستمر يومين يشترك فيها ١٠٠ شاب وفي الدورة تناقش أمور مثل:

٤ / ١ - ماهو الاشتغال في الجامعة؟ وماهو " الملي جانشيلك "؟ و " **أسس الأساس**" وهو يعطي لك جواب حول أسئلة لماذا نشتغل؟ وبأي شئ نجتهد ونشتغل؟ ولأي شئ نشتغل؟ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] وأسئلة مثل لماذا خلق الله العالم؟ ولماذا خلق الله الإنسان؟ ولماذا يمتحن الله الناس؟ وما الفرق بين الإنسان والمخلوقات الأخري؟ وعلي أي شئ يمتحن الله الناس؟ وما الحق وما الباطل . . إلخ .

٥ - استطعنا الحصول علي نسخة من الكتاب المقرر لتكوين الرؤية الفكرية والسياسية للكادر السياسي **في حزب الرفاه وعنوانه " حكومة العالم الخفية "** وفي الكتاب تصور عن وجود حكومة خفية هي التي تدير العالم وتهيمن عليه ، هذه الحكومة الخفية هي تعبير عن تحالف الاستعمارالغربي ومؤسساته الاقتصادية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرها مع الصهيونية العالمية وإسرائيل وأن هذا التحالف وثيق الصلة بالقوي الداخلية المتحالفة والمترابطة معه وهي القوي التي يسميها الرفاه "القوي التقليدية" وهي الأحزاب السياسية غير الرفاه بكافة أطيافها اليمين واليسار معا فلا فرق بينهما ، وجماعات الضغط المتحالفة مع النظام العلماني في الداخل مثل جمعيات رجال الأعمال (أصحاب التوكيلات الكبري) والمؤسسة العسكرية

ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات العلمانية التي تعبر عن المصالح الغربية في تركيا .

٦ - في مقدمة هذا الكتاب يقول المؤلف "السبب الحقيقي لما يحدث . . . هو وجود قوة خفية تحاول استغلال العالم واستعباده وتحويل الناس إلي خدم لها وهذه القوة الخفية بدأت وتوسعت منذ قرون عديدة ولها غاياتها ووسائلها وطرقها الخاصة في التنفيذ ، **وهدفها الأساسي هو السيطرة علي العالم والتحكم فيه** .

أي أن هذه القوة الخفية تعمل منذ قرون لتحريك الأحداث العالمية لما فيه مصلحتها وخدمة أهدافها السرية ، وهذه القوة الخفية تصنع مخططاتها لتحريك الأحداث وصولا لتلك الأهداف السرية ، لمعرفة المعالم الخاصة لهذه المخططات السرية ينبغي إلقاء نظرة تشريحية للعالم الحالي . . فبدون التشريح لمكونات عالمنا لا يمكن تشخيص الأمراض وأسبابها وكيفية علاجها . . لو قام أحدنا بشراء تذكرة طيران للسفر فإن ٩٪ من ثمن التذكرة يذهب إلي مايسمي "بهيئة الطيران والنقل الجوي العالمية" وإلا فإن النقل الجوي يصبح متعذراً لأن الطائرة لن يسمح لها بالهبوط علي أرض أي مطار في العالم ، وهذه الهيئة العالمية مهما قيل عن اسمها أنها عالمية وتخدم النقل الجوي العالمي إلا أنها **تابعة في الحقيقة إلي المنظومة السرية التي تريد التحكم في العالم** كباقي المؤسسات والهيئات العالمية ، أي أنها تخدم أغراض حكومة العالم الخفية ، فمردودها المالي يذهب في نهاية المطاف إلي خزائن تلك الحكومات الخفية . . . والبنوك تأخذ ١ - ٥٪ من المال المحول وتذهب العمولة في نهاية المطاف إلي خزينة حكومة العالم الخفية ، وشركة "لويد" للتأمين البحري هي أحد أدوات حكومة العالم الخفية ، وهكذا صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيره . .

٧ - يجيب الكتاب قبل الخوض في حكومة العالم الخفية عن الأسئلة الأساسية أو أسئلة الأساس مثل ماذا تعني كلمة الحق والباطل؟ ولماذا خلقت هذه الكائنات؟ ولماذا خلق الإنسان؟ ولماذا يمتحن الله الإنسان في الدنيا؟ وكيف يتم اختبار الإنسان في هذه الدنيا؟ وكيف يتحقق الخير والسعادة؟ وماهو الإسلام؟ وماهو القرآن؟ وماذا يعني أن يكون المرء مسلما؟[1].

٨ - **ولأهمية السؤال فإننا نورد ماأجاب به كتاب " حكومة العالم الخفية " عنه.** يقول "إن المسلم لغة تطلق علي من يعلن انقياده وخضوعه لأوامر الله عز وجل، وينبغي علي كل من يدخل الإسلام أن ينطق بالشهادتين خالصة من قلبه، والشهادتان تعنيان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الرب الخالق الأوحد وأن محمداً "صلي الله عليه وسلم" عبده وخاتم أنبيائه ومرسليه ولكن معاني هاتين الشهادتين لا تفهم بوضوح إلا بعد معرفة كلمة "الإله" لغوياً وهي تعني "المستحق للعبودية وحده، المستعان وحده، الذي يبتغي رضاه وحده، واضع القوانين ومنظم الحق والعدل.

وعلي هذا يكون الإنسان حين ينطق الشهادتين كأنه يقول يارب آمنت بك رباً مستحق العبودية وحده وآمنت بك ربا يستعان بك وحده، وآمنت بك ربا يبتغي رضاه وحده، **وآمنت بك ربا واضعاً للقوانين ومنظما لقوانين الحق والعدل، وأعاهدك علي أن أبذل مافي وسعي لجعل قوانينك وأحكامك هي السائدة علي وجه الأرض**، ولكن ماهي هذه القوانين والأحكام؟ والجواب هي الأحكام والقوانين التي دعا إليها وبلغها النبي محمد "صلي الله عليه وسلم" وهو الرسول المبعوث من الحق سبحانه وتعالي لهداية البشر، وهي القوانين والأحكام التي جاء بها أمين الوحي جبرائيل "عليه السلام وجعلت في كتاب

---

(١) حزب الرفاه، حكومة العالم الخفية، نسخة اليكترونية غير منشورة تحت عنوان "ماذا يعني أن يكون المرء مسلما"؟.

واحد يدعي "القرآن الكريم".

هـذا الكتاب يحتوي علي جميع الأسس والقوانين التي تنظم حياة الناس اعتماداً علـي العـدل والحق والخير، ويسلم من ينطق بالشهادتين أيضاً ببذل كل مافي وسعه لما فيه خير الحياة الدنيوية والأخروية، وسمي الله سبحانه الأمة التي تنطق بالشهادتين بالمسلمين وميزهم عن باقي الأمم الأخري التي وقعت أسري أهوائها.

فالصراع بين الحق والباطل هو في الحقيقة صراع بين المسلمين الذين يعملون من أجل إحقاق الحق وبين أولئك الذين يتبعون أهواءهم ورغباتهم ويعملون من أجل ترسيخ الباطل ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ (٤٧) ﴾ [المائدة: ٤٤ – ٤٧].

فالمقاييس الإلهية المنظمة لحياة البشر هي الطريق الوحيد المؤدي إلي سعادتهم الأبدية، أما إذا حادت البشرية عن هذا الطريق فإن ذلك يكون مجلبة للظلم والظلام، وهذه هي معالم الصراع بين الحق والباطل منذ وجد آدم عليه السلام

وحتي قيام الساعة علي هذه الأرض التي هي دار امتحان للإنسان[1] .

٩ - آداب المعاشرة والأخلاق وهي التعاليم التربوية في الإسلام وتوجيهاته الأخلاقية وهي التي يطلق عليها آداب السلوك والتزكية .

١٠ - مفاهيم الغرب وفلسفته وتطوره الحضاري وعلاقته مع العالم الإسلامي وعلاقته بإسرائيل والصهيونية والرأسمالية والغزو الفكري .

١١ - خدمات " الملي جوروش " وإنجازاته وتغييره المجتمع نحو المفاهيم الصحيحة وتفصل لأربعة مناحي وهي: الحكومة والبرلمان والبلديات وفي منظمات المجتمع الأهلي .

١٢ - الموضوعات العامة وتناقش السياسة اليومية وكيف ننظر إلي المستقبل ، وسيفر الجديدة ، ودخول تركيا للاتحاد الأوروبي وتأثيره علي تركيا ، وهذا يحدث في مراكز كثيرة ويتكرر كل أسبوع ، وهناك مايعرف باسم "ضيافة القرآن" حيث يأتي المشايخ والأساتذة من المقرئين في العالم الإسلامي خاصة في رمضان ، وشارك فيها الملايين وفي مرة واحدة حضر ٣٠ ألف وهذا للتنشيط والتشجيع[2] .

١٣ - أشار مسئول التثقيف في "حزب السعادة" والذي كان مسئولا عن التثقيف في "حزب الرفاه" إلي أن **العقل التركي يرفض الضغط فهو يفكر بعمق وليس فوريا كما عند إخواننا العرب، فالتركي مثل الجمل لين وليس خشن يأتي من الدولة العثمانية تفكيره كبير والغرب يريد أن يغير نمط التفكير التركي العميق ليجعل منه تفكيراً فورياً عن طريق الإعلام والتربية ومن ثم يحرقه ويأكله .**

---

(١) نفس المرجع ، بدون ترقيم .

(٢) علمنا أن ضيافة القرآن لم تكن تحدث أيام الرفاه ولكنها حدثت مؤخرا كجزء من نشاط حزب السعادة الديني وهو تعبير في كل حال عن الفكر الملي وحركة الملي جوروش .

التركي يضع معنى الدين والحلال في وعيه وتفكيره ويقول هذا أفعله للخير، سبيل، طريق، مسجد، وإذا تغير هذا فهو مهدد للشخصية التركية واستدل لي بمثل تركي يقول "Haydan Gelen Hu Ya Gider ومعناه "أي مال يأتي من غير كسب يذهب لغير مستحقه".

وهو يعتبر أن تركيا دولة مهمة في الوعي الغربي ومسألة طرح فكر إسلامي يقول "**إن الإسلام يحل المشكلات** " هي مسألة كبيرة جدا ولا يمكن تفويتها بسهولة، وهو يقول "إن أهم صفات التركي هي الإدارة والتنظيم، والغرب يريد تخريب هذه الصفة لدينا كأتراك ونحن نقاومها، التركي كان الرأس بالنسبة للعالم الإسلامي والغرب أخذه تحت الكتف (وخلاص).

١٤ - في لقاء لنا مع مسئول الشباب في حزب السعادة عبر عن أن "حركة الملي جوروش "هي حركة تجديدية ولكنها تجدد في الجوانب المتغيرة والتي لا تتعارض مع الثوابت المحددة بالنص والإجماع والمعلوم من الدين بالضرورة، وأي شخص أو منظمة، وأي حزب لا يستطيع أن يتجاوز الأحكام الشرعية الثابتة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك: ١٤].

وفي حضارتنا النص المجمع عليه قرر أشياء لا يجوز العدوان عليها بالتغيير، وهذه هي الضرورات الخمس وفيما عدا الثوابت نعمل علي التجديد مستندين إلي التجربة التاريخية لفعل الصحابة والخلفاء والأئمة مالك والشافعي والسلف الصالح، والتجربة التاريخية ليومنا هذا ماهي المشاكل والحلول لعصرنا مثلا صندوق النقد الدولي، الرأسمالية، الشيوعية وغيرها، والتجديد لا يكون ضد الثوابت.

إذن حزب الرفاه هو حزب سياسي مدني مستند إلي مرجعية إسلامية واضحة

يمكننا القول أنها تستند لفكر تقليدي محافظ في الجانب الديني ، ومن ثم فهو يزاوج بين الحداثة والتقليدية في سياق الفكر التركي العميق والذي يجعله كالجمل يصبر ويتحمل ولكنه يخطط ويدبر لمشروعه التغييري الذي ينطلق بلا جدال من المرجعية الإسلامية .

ثالثا : حزب الرفاه وممارساته السياسية في الحكم :

تولي "حزب الرفاه" السلطة في تركيا في ٢٩ / ٦ / ١٩٩٦ م مؤتلفا مع حزب الطريق الصحيح برئاسة "طانسو تشيلر" بعد ضغوط من العسكر لمنع "الرفاه" من الوصول إلي السلطة السياسية وهو ماخلق حالة فراغ سياسي في الدولة حتي تشكلت "حكومة يلماز" الائتلافية من حزبه الوطن الأم ANAP وحزب الطريق الصحيح DYP خلافاً للتقاليد والأعراف السياسية ونالت هذه الحكومة الهشة التي جاءت علي أسنة رماح العسكر ثقة البرلمان التركي في ١٢ / ٣ / ١٩٩٦ م ولكنها سرعان ما انهارت باستقالة رئيسها في ٦ / ٦ / ١٩٩٦ م وذلك لأن "حزب الرفاه" تقدم بمذكرة إلي رئيس الجمهورية في ١٠ / ٤ / ١٩٩٦ م يذكر فيها أن الحكومة لم تحصل علي الأصوات الكافية لتنال ثقة البرلمان حسب الدستور ، وراجع "حزب الرفاه" المحكمة الدستورية بهذا الخصوص في ١٣ / ٤ / ١٩٩٦ م وفعلا أصدرت المحكمة الدستورية قرارها بإلغاء التصويت علي الثقة في الائتلاف الحكومي في ١٤ / ٥ / ١٩٩٦ ونشر القرار في الجريدة الرسمية في ٦ / ٦ / ١٩٩٦ م أيدت فيها ما ذهب إليه حزب الرفاه" من أن الحكومة لم تحصل علي الأصوات الكافية المقررة في الدستور لنيل ثقة البرلمان ، ووجد "يلماز" الفرصة سانحة فأعلن استقالته[1] .

---

(١) لتشكيل الحكومة يجب علي الائتلاف المخول بذلك أن يحصل علي ثقة ٢٧٦ نائبا من مجمل العدد الكلي لنواب البرلمان (٥٥٠ نائبا) ، ولكن ائتلاف حكومة يلماز لم يكن حصل علي هذا العدد من النواب ولهذا قبلت المحكمة الدستورية الطعن الذي تقدم به "اربكان" في عدم دستورية تشكيلها

لم يكن هناك مفر من تكليف "نجم الدين أربكان" بتشكيل الحكومة حتي لاتتم الدعوة إلي انتخابات برلمانية جديدة سوف يحصل فيها "الرفاه" علي الأغلبية كما تشير مؤشرات الصعود التصويتي له فقد جرت انتخابات محلية فرعية في ٢/٦/١٩٩٦ حصل فيها الرفاه علي ٣٤٪ من الأصوات بينما تراجعت حظوظ كل من حزبي اليمين "الطريق القويم" والوطن الأم بنسبة ٤٪، وبعد مفاوضات استغرقت عشرين يوماً مع رؤساء الأحزاب السياسية تم التوصل إلي اتفاق بين "أربكان" و"طانسو تشيلر" زعيمة حزب "الطريق المستقيم" لتشكيل الحكومة الرابعة والخمسين في عصر الجمهورية التركية.

أي أن الظروف السياسية التي وصل فيها "الرفاه" إلي السلطة كانت في غاية التعقيد، فهناك رفض من المؤسسات العلمانية لوصول حزب له توجهات إسلامية حقيقية وقوية ليقتحم القلعة من الداخل - والمقصود هنا القلعة العلمانية التي بناها "أتاتورك" وأحاطها - هو وخلفه - بمؤسسات متتالية كالأسوار حول المعصم تحول دون تعرض هذه القلعة للاقتحام من جانب الإسلاميين أعداء الجمهورية

للحكومة، وكان "أربكان" نفسه قد قال عن حكومة يلماز الائتلافية والتي لم تستمر سوي أربعة أشهر أنها ولدت ميتة، ومن قبل تشكيل حكومة يلماز الائتلافية مع تشيلر عدوته اللدود، وكان "أربكان" قد حاول مرتين تشكيل حكومة باعتباره أكبر الأحزاب في البرلمان (١٥٨صوتاً) ولكن ضغوط العسكر منعت الأحزاب اليمينية من التعاون معه، وكانت حكومة يلماز الائتلافية قبل تشكيل الرفاه لحكومته الرابعة والخمسين تشكلت بين خصمين لدودين بضغوط من العسكر لمنع الرفاه من المجئ إلي السلطة. وراجع في كل هذه التفصيلات: كمال خوجه، جريدة **المسلمون**، لندن، ١٩/٧/١٩٩٦ وأيضا محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص ٨٧، وجلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص ٥٦، حيث يشير إلي أن "تشيلر" صرحت أنها قدمت تنازلات لتشكيل الحكومة مع الوطن الأم من أجل قطع الطريق علي الرفاه الإسلامي للوصول إلي السلطة. ويوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، بدون بيانات نشر، ص ٧٣ حيث يشير إلي أن ائتلاف حكومة يلماز الثالثة والخمسين حصل علي ٢٥٧ صوتا فقط، ص ٧٣.

والعلمانية كما يري ممثلو "الأيديولوجية الكمالية"، وهناك حملة إعلامية قوية علي "حزب الرفاه" من الصحافة العلمانية وهناك حديث عن "انقلاب عسكري" وشيك، وهناك حديث عن الخطر الأصولي باعتباره الخطر الأول الذي يهدد الأمن القومي التركي من جانب المؤسسة العسكرية ورموزها.

رغم ذلك بدا "حزب الرفاه" أكثر تمسكا بالدفاع عن المؤسسية والدستور والديموقراطية ومقاومة الفساد[1].

ففي تصريح "لأحمد تكدال" نائب رئيس الحزب قال "إذا كانت تركيا تتمتع بالديموقراطية فلا يمكن تجاهل الرفاه بصفته أكبر حزب سياسي ممثل في البرلمان"[2]، وفي صحيفة "ميللت" ذكر رئيس تحريرها "كونكور فيكي" أن مبادرة "الرفاه" إلي طرح قضية الانتهاكات المالية والقانونية ستزيد من شعبيته وتجعل منه في نظر الشعب المدافع الأقوي عن الديموقراطية والحريات العامة بعكس الأحزاب التقليدية التي تتستر علي هذه الانتهاكات حماية لنفسها

(١) عن الظروف المحيطة بتشكيل حكومة الرفاه الإئتلافية راجع: يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، م. س. ذ، ص ٧٦ - ٨٤ وحزمة متنوعة من المقالات والأخبار مثلا المسلمون، برغم تطمينات أربكان فإنه لايزال يثير قلق الغرب، ١٩٩٦/٧/١٩، والعالم اليوم، مع صعود الأصولية في تركيا، واشنطن تفضل النوم في العسل والحياة، تشيلر تجدد دعوتها إلي ائتلاف علماني ولا تقفل الأبواب أمام اتفاق مع الرفاه، ١٢/ ٦/ ١٩٩٦، الشرق الأوسط، حمزة الحسن، تباشير الانقلاب والحرب، ٢٢/ ٦/ ١٩٩٦ م، والشرق الأوسط، انقلاب أبيض نفذه العسكر ضد التفاهم بين الرفاه وتشيلر، ٢٧/ ٦/ ١٩٩٦ والشرق الأوسط، الصراع يشتد بين دعاة الإجهاز علي الرفاه والمنادين باحتوائه في الحكم التركي، والشرق الأوسط، دوائر يهودية وإسرائيلية تري في الرفاه التركي ضمانا للعلمانية، والحياة تركيا حزب يميني متطرف يضع شروطاً لمنح الائتلاف الحكومي ثقته ٤/ ٧/ ١٩٩٦ والحياة تركيا: التنافس علي أصوات النواب علي أشده عشية جلسة الثقة وبعضهم تلقي عروضا سخية فيما عرف بسوق حقيقية للنواب حيث حصصت مبالغ تراوحت بين مليون إلي ٣٥ مليون دولار لتمويل الانشقاقات.

(٢) الشرق الأوسط، ١/ ٦/ ١٩٩٦.

وأعوانها .

وفازت حكومة "أربكان" بثقة البرلمان بصعوبة بعد أن صوت حزب الوحدة الكبري "ذو التوجهات الإسلامية" بزعامة "محسن يازجي أوغلو" مكرها حتي لا يقال أنه وقف عائقا أمام وصول الإسلاميين إلي الحكم - لصالح الحكومة الائتلافية الجديدة[1]، كما أن **الحكومة الائتلافية جعلت من حزب " تشيلر "رقيباً علمانيا قويا علي حكومة " أربكان " بحيث لن يمكنه أن يطلق يده كما يريد** في تنفيذ برنامجه، إذ كان عليه أن يحصل علي موافقة تشيلر أولا قبل أن ينفذ أي قرار كرئيس للحكومة، والذي يدقق في توزيع الحقائب الوزاريه يلاحظ أن وزارات السيادة في يد حزب تشيلر[2] فهي نائب رئيس الوزراء ووزيرة الخارجية، ولحزبها وزارة الدفاع والداخلية ووزارة التعليم (التي حرص الرفاه عليها في ائتلافاته السابقة في السبعينيات) ووزارة الصناعة والتجارة بل وحتي وزارة الشئون الدينية، أما الطاقة والمالية والعدل والإسكان والمرافق فهي للرفاه والباقي وزراء دولة (١٠ للرفاه)، و(٩ لحزب

---

(١) فازت الحكومة الائتلافية بثقة ٢٧٨ صوتا وهي أزيد بصوتين فقط من النسبة التي تتيح لها تشكيل الحكومة مقابل ٢٦٥ صوتاً معارضا ومن هنا كانت أهمية الأصوات التي منحها حزب الوحدة الكبري للائتلاف وعددها ثمانية مقاعد مع وعد له بمقعدين في الحكومة . وامتنع خمسة أعضاء عن التصويت ولم يحضر أصلاً للتصويت الجنرال "دوجان جوريش" النائب الوحيد ذو الخلفية العسكرية في البرلمان التركي وهو ما أشار إلي ترقب المؤسسة العسكرية للتطورات الجارية غير المرغوب فيها من جانبها وراجع أحمد السيد تركي، الأحزاب العلمانية في تركيا، السياسية الدولية، يناير ١٩٩٨، ع ١٣١ م . س . ذ، ص ١٤٩ .

(٢) جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م . س . ذ، ص ٦٤ واتفق علي أن يتولي "أربكان" رئاسة الوزراء لمدة عامين تعقبه بعدها تشيلر لمدة العامين التاليين ويجري التحقق من مسيرة الائتلاف بعد عام بحيث لو حدثت صعوبات فإنه يمكن لتشيلر تولي رئاسة الوزراء بعد عام . كان "أربكان" مصرًا علي المشاركة في الحكومة والسلطة من أجل كسر الممنوعات في السياسية التركية العلمانية والتي تحظر علي الإسلاميين الاشتراك فيها بينما كان الجيل الأقل سنا يفضل التريث في الاشتراك في السلطة حتي لا يكتوي الرفاه بنارها وتقوم قيامة العلمانية التركية ويتم التركيز علي التأسيس الاجتماعي بين الجماهير والناس لفترة أطول .

الطريق المستقيم) .

توزيع الحقائب الوزارية بين الرفاه RF والطريق القويم DYP[1]

أهم الحقائب الوزارية	أعضاء الحكومة	الحزب
رئيس الوزراء	نجم الدين أربكان	الرفاه RF
نائب رئيس الوزراء ووزيرة الخارجية	تانسو تشيلر	الطريق الصحيح DYP
وزير الدفاع	تورهان تايان	الطريق الصحيح
وزير الداخلية	محمد أغار	الطريق الصحيح
وزير التعليم	محمد سجلام	الطريق الصحيح
وزير الصناعة والتجارة	ياليم أريز	الطريق الصحيح
وزير الصحة	يلديرم أقتونا	الطريق الصحيح
وزير السياحة	بوهاتين بوسيل	الطريق الصحيح
وزير الأحراج	هاليت دغلي	الطريق الصحيح
وزير الطاقة والمصادر الطبيعية	رجائي قوطان	الرفاه
وزير المالية	عبد اللطيف شينر	الرفاه
وزير العدل	شوكت قازان	الرفاه
وزير الإسكان والأشغال العامة	جودت إيهان	الرفاه
وزير الثقافة	إسماعيل كهرمان	الرفاه
وزير الزراعة	موسي دمرسي	الرفاه

(١) هذا الجدول قمنا بتوليفه من عدة مصادر هي جلال معوض ، صناعة القرار في تركيا و يوسف إبراهيم الجهماني ، حزب الرفاه ، نجم الدين أربكان ، الإسلام السياسي الجديد ولكنهما معا لم يتضمنا معلومات محددة عن كل الوزارات كما هي هنا وقد استعنا بالسيد حسن بتماز أحد قيادات حزب السعادة ، كان في زيارة للقاهرة لحضور مؤتمر لا للعدوان الأمريكي علي العراق وفلسطين في أواخر شهر مارس ٢٠٠٦ م .

وزير البيئة	زياد الدين توكار	الرفاه
وزير العمل	نساتي سليك	الرفاه
وزراء دولة	فهيم أداك	الرفاه

إننا أمام قلعة العلمانية التي تشعر بخطر الاختراق الإسلامي القادم، وكان هناك اتفاق أن يتولي "أربكان" رئاسة الحكومة لمدة عامين يخلفه بعدها بالتبادل "تشيلر"، ورغم هذه المخاطر فقد استطاعت حكومة "الرفاه" أن تثبت للأنواء والعواصف المحيطة بها علي النحو التالي:

١ - دشن " الرفاه " برنامجاً اقتصاديا مهما لإنقاذ البلاد من براثن الديون فميزانية الدولة كانت ٤٨ مليار دولار تم رفعها خلال ستة أشهر إلي ٥٣ مليار دولار ثم إلي ٧٨ مليار دولار قبل أن يغادر "الرفاه" السلطة، واستطاع الرفاه "خصخصة عدد من البنوك والشركات للقطاع الخاص وأولها الهاتف التركي، وهو ماوفر سيولة مالية كبيرة للدولة التي تخلصت من الخسائر التي كانت تستنزف من موارد الدولة وباعت الحكومة مايقارب من خمسين ألف دار حكومية يسكنها موظفون بأجور رمزية، كما باعت مخصصات كبار الموظفين الذي اعتبرته ترفا لا يمكن لدولة مثل تركيا أن تتحمله وتم تقليص النفقات والمصاريف والهدر الحكومي.

فقد تبين أن هناك مئات الآلاف من الموظفين الذين توجد في غرفهم تلفزيون وشرائط وفيديو فأمر "أربكان" ببيعها وتحويلها لخزانة الدولة، ومنع مصروفات التهاني والإعلانات في المناسبات العامة والتي بلغت أرقاماً خيالية، ومنع الزائد من السيارات وغيرها من النفقات التي لا معني لها.

ومنع الاستدانة من الخارج وهو ماقلل الفوائد التي كانت نسبتها تصل إلي ١٥٠٪ وبينما كان مقررا أن تدفع تركيا ٢٤ مليار دولار فوائد فإنها

حافظت علي ١٠ مليار دولار من هذه القيمة ، وتم توجيه قدرات الدولة الاقتصادية لصالح الطبقات الفقيرة من الحرفيين والموظفين والعمال والمتقاعدين وأصحاب الدخول الضعيفة ورغم أن الدولة لم ترفع الضرائب فإنها زادت ما قيمته ٥ مليار دولار في ستة أشهر .

وتم توفير ميزانية متوازنة للبلاد في عام ١٩٩٦ لأول مرة منذ خمسين عاماً حيث تراجع العجز في الميزانية إلي الصفر ، وتم تسيير ميزانية معقولة للبلاد في شهري يناير وفبراير قبل ملاحقة الحزب من العسكر والمؤسسات القانونية وتم رفع رواتب الموظفين بما يتروح بين ٥٠٪ و ١٣٥٪ اعتباراً من الشهر التالي لتولي "الرفاه" السلطة ، وإعفاء الحد الأدني للأجور من الضرائب وإعفاء المزارعين من فوائد الديون وتأجيل المطالبة بديونهم والوعد بزيادة إضافية لرجال الأمن والقوات المسلحة والقضاة وأساتذة الجامعات لخطورة مهامهم وأهميتها .

ورفعت الدولة أسعار تذاكر الطيران الداخلي ، وفرضت الضريبة علي المتعاملين بالأوراق المالية وسندات الخزينة وقال "عبد الله جول" إن البنوك ربحت في العام الماضي ٤٥ مليار دولار، وأنه للدولة أن تأخذ الثلث من هذه الأرباح ، وهبطت الفوائد في البنوك وهو مايشجع علي مقاومة التضخم ، وطالبت الحكومة الاتحاد الأوربي بالوفاء بالتزاماته تجاه تركيا كدولة عضو في الاتحاد الجمركي الأوروبي وهو مايعني حصولها علي ٦٠٠ مليون دولار . وتشير المعلومات إلي أن مستوي الخصخصة في الشهور التي تولي فيها "الرفاه" السلطة لم يحدث مثلها في العشر سنوات السابقة[1] .

---

(١) صباح الدين أونشار ، اربكان والتيار الإسلامي ، ترجمة الصفصافي احمد ، القاهرة ، إيتراك للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ ، ط١ ، حيث ذكر أكثر من ٣٥ إنجازا خدميا واقتصاديا إيجابيا للمواطنين ، ص ٢٨٥ - ٢٩١ وأيضا: أورخان محمد علي ، قصة حزب الرفاه ، م . س . ذ ، ص ١١ وأيضا

٢ - أصدر وزير العدل " شوكت قازان " قراراً بإلغاء قرار وزير العدل السابق " محمد أغار " عن حزب الطريق القويم " والذي يقضي بمنع الزيارة الخاصة عن السجناء السياسيين ومعاملتهم بقسوة وهو ماأدي إلي إضراب السجناء في ٥٤ سجناً في أنحاء تركيا عن الطعام حتي الموت أو الاستجابة لمطالبهم بتوفير الحياة الإنسانية الكريمة لهم مع السماح لعوائلهم بزيارتهم .

وقال " شوكت قازان " إن السجناء هم إخواننا وأننا سوف نقوم بمعاملتهم المعاملة الإنسانية اللائقة بهم مع توفير المأكل والمأوي المريح والمطالعة في قاعاتهم التي يجب أن لا تضم أكثر من ١٠ أشخاص ، ورجاهم الوزير إنهاء إضرابهم عن الطعام والعودة للحياة الطبيعية ، وأنهي نصف المضربين في السجون إضرابهم ، ثم أنهي الباقون جميعهم الإضراب بعد يومين ، ولاقت هذه الخطوة استحسان الجمعيات الحقوقية التركية واعتبرت أحد مصادر التفاؤل لدي الشعب بانحياز الحكومة للفقراء والمستضعفين وأنها جادة في الوفاء ببرنامجها[1] .

٣ - إعادة المهجرين من المناطق الشرقية بسبب المواجهات العسكرية بين الجيش وحزب العمال الكردي PKK - إلي منازلهم بعد اتفاق بين " أربكان " وبين رئيس أركان الجيش وأعلن " أربكان " أن قائد الجيش تعهد بالحفاظ علي أمن المواطنين الذين يرغبون بالعودة إلي بيوتهم وتعهد " أربكان " بتحمل الدولة لنفقات ترميم المساكن التي تضررت بسبب المواجهات العسكرية في المنطقة .

وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟ وهي صادرة عن حزب السعادة اليوم وتحدثت عن إنجازات حكومة الرفاه الرابعة والخمسين ، بدون ترقيم للصفحات . وفي النسخة الورقية التي حصلنا عليها راجع ص ١٣ - ١٨ .

(١) قرارات الحكومة التركية الجديدة ترفع من شعبية حزب الرفاه، الشرق الأوسط ، ١١/ ٧/ ١٩٩٦ وعن السجن التركي الفظيع راجع محمد خليفة ، عن السجن التركي الملعون ، الحياة ، ٢٠/٨/١٩٩٦ .

ودعا "أربكان" إلي تدشين حملة التصنيع والاستثمار في المنطقة الشرقية من كبار رجال المال والصناعة، وهو مايعني أن "الرفاه" كان يأمل في الاستمرار في السلطة لاستكمال مشاريعه الاجتماعية والصناعية التي تحقق الأمن والأمان للمواطنين وتنزع فتيل التوتر المناطقي والعرقي في تركيا مع الأكراد علي وجه الخصوص.

وضمت الحكومة عددا من المنتمين للمناطق الشرقية في تركيا وغالبهم من وزراء الخدمات وكان هدف الحكومة من ذلك هو نزع الأسباب التي تقود الشباب الكردي إلي الانخراط في صفوف حزب العمال الذي يقوده "عبد الله أوجلان".

وأعلن "أربكان" عن توفير ٩٠ ألف فرصة عمل شاغرة في تلك المناطق وقال أربكان" في هذا الصدد "آن الأوان لإعادة فتح القري المهجورة لتحسن الأوضاع الأمنية" وقال "نريد أن يعيش الناس ويعملوا في مناطقهم" وذكر أحد المعلقين الأتراك معلقا علي خطط الرفاه لإعادة سكان المنطقة الشرقية إلي بلدناهم "الرفاه جاء إلي السلطة مفعما بالطاقة، وهم حريصون علي عمل أشياء تزيد من شعبيتهم في الجنوب الشرقي، وهذا في حد ذاته يحسن الوضع مقارنة مع جمود الحكومة السابقة، وأيدت رابطة حقوق الإنسان المستقلة "الرفاه" في عزمه تحسين أوضاع هذه المناطق المهمشة والفقيرة[1].

٤ – سعي " أربكان " إلي وضع أسس لحل المشكلة الكردية وذلك بطرح خيار الحل السلمي لها عن طريق التفاوض وتأسيساً علي مبدأ الأخوة الإسلامية "إنما المؤمنون أخوة" الذي وضعه برنامج الحزب "النظام العادل" فسعي إلي

(١) تركيا: أربكان يزور قونيا معقل الإسلاميين ويتعهد بإعادة المشردين الأكراد إلي قراهم، الحياة، ١٣/ ٧/ ١٩٩٦ م. وأربكان يزور مناطق الأكراد لتشجيعهم علي عودة المهجرين إلي قراهم، ١٤/ ٧/ ١٩٩٦ ورئيس الوزراء التركي يتحرك لاحتواء حزب العمال الكردي، الشرق الأوسط ١٥/ ٧/ ١٩٩٦.

إقامة اتصالات غير مباشرة مع الزعيم الكردي "عبد الله أوجلان" لإقناعه بإلقاء السلاح ووقف العمليات ضد الجيش التركي والتي تستنزف نصف ميزانية الدولة سنويا، وحل المشكلة الكردية في سياق ديموقراطي بعيداً عن المواجهة العسكرية أو الانفصال.

وساند "أربكان" في توجهاته ١٢٦ من رجال الأعمال الأتراك الكبار الذين أبدوا استعدادهم لتأسيس شركات باستثمارات كبيرة لتنمية منطقة جنوب شرقي البلاد، واتصل "أربكان" في سبيل تحقيق السلام بمناطق الأكراد بالكاتب الكردي الإسلامي "إسماعيل ناجار" المتحدث باسم "لجنة السلام والأخوة والتضامن" التي تضم كافة النواب الممثلين للمنطقة الكردية، كما اتصل بمثقفين وأساتذة جامعات ومتخصصين في الشأن الكردي مثل البروفسور "دوغو أركيل".

وعبر الاتصالات غير المباشرة والتي دشنها الرفاه" مع "أوجلان" أبدي استعداداً للحل السلمي وقال "إنني مع الحل السلمي حتي من خلال الضوء الضعيف الأخضر الذي يبدو من خرم الإبرة"، وزار المعنيون بالحل السياسي لمشكلة الأكراد بموافقة وزير العدل الرفاهي "شوكت قازان" في السجن "مراد بوزلاق" رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار ومعه ٢٨ بتهمة التواطؤ مع "حزب العمال الكردي" وذلك لطرح صيغة ديموقراطية وسلمية وإنسانية للمشكلة الكردية المزمنة في تركيا[١].

(١) أربكان يبدأ اتصالات غير مباشرة مع أوغلان، الشرق الأوسط ٥/٨/١٩٩٦، وكما هو معلوم فإن المشكلة الكردية تأخذ بعدا عسكريا متفاقما منذ إعلان حزب العمال الكردي عام ١٩٨٤م بدء الكفاح المسلح ضد الدولة الكمالية والمطالبة باستقلال كردستان تركيا و تشير تقديرات الضحايا إلي نحو ٣٠ ألف قتيل و١٠ مليار دولار سنويا. وبعد حرب الخليج الثانية تزايدت المشكلة تفاقما مع الحديث عن نواة لدويلة كردية في العراق يمكن أن تهدد أمن تركيا خاصة إذا علمنا أن عدد الأكراد

٥ - دشنت حكومة " الرفاه " عدداً من المشاريع الكبيرة والعملاقة في قطاعات حيوية مثل الطاقة والمواصلات، والمناطق الحرة، وكانت تخطط لإنفاق ١٢٠ مليار دولار لتحقيق هدف "تركيا عظيمة" وكانت الغرفة التجارية في "أنقرة" - وهي جهة محايدة نشرت دراسة اقتصادية أفادت أن حكومة "الرفاه" الرابعة والخمسين هي الأكثر نجاحاً من الناحية الاقتصادية منذ عام ١٩٨٣ م وحتي عام ٢٠٠٢ م[١].

الإنجاز الاقتصادي لحكومة الرفاه مقارناً بالحكومات التركية منذ عام ١٩٨٣ م

ترتيب النجاح	الحكومـــــة	عدد النقاط
١ -	حكومة "نجم الدين أربكان" الرابعة والخمسين	٣٧
٢ -	حكومة يلدرم آق بلوط السابعة والأربعين	٣٩
٣ -	حكومة تورغوت أوزال" الخامسة والأربعين	٤٠
٤ -	حكومة تورغوت أوزال السادسة والأربعين	٥١
٥ -	حكومة سليمان ديميريل التاسعة والأربعين	٥٢
٦ -	حكومة مسعود يلماز الخامسة والخمسين	٥٣
٧ -	حكومة بولنت أجاويد السابعة والخمسين الأولي	٦١
٨ -	حكومة تانسو شيلر الخمسين	٧٥
٩ -	حكومة بولنت أجاويد السابعة والخمسين "كمال درويش"	٨١

في تركيا يبلغ حوالي ١٢ مليون نسمة وفق التقديرات الرسمية بينما تصل بها التقديرات غير الرسمية إلي ١٨ مليون .

(١) أربكان، وثيقة **ماذا يعني فكر الأمة؟** نقلنا عنها الإنجازات الاقتصادية للرفاه والجدول المرفق . وقد تمكنا من الحصول علي نسخة ورقية ، نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير ٢٠٠٣ ، أنقرة: بلغت ص ١٣ - ١٨ .

المصدر: نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير ٢٠٠٣، حزب السعادة، ص١٧

٦ - سعت حكومة " أربكان " إلي تحسين علاقتها بالعالم العربي والإسلامي ومن هنا كان أول عمل قام به هو زيارة " إيران وباكستان وأندونسيا وماليزيا ومصر وليبيا ونيجيريا وذلك لتحقيق حلمه الكبير بإقامة " منظمة اتحاد الدول الإسلامية " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الاقتصادي " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الدفاعي " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الثقافي " .

وفي الأيام الأخيرة من عمر حكومته الائتلافية أعلن رسميا عن ميلاد رابطة الدول الإسلامية الثمانية (D8) في قصر " شيريغان " في اسطنبول بتاريخ ١٥ يونية عام ١٩٩٧ م[١] ، وكان العلم الذي يمثل مجموعة الدول الثمانية الإسلامية يحتوي علي ستة نجوم تشير إلي ستة مبادئ وهي: لا للحرب نعم للسلام ، لا للصراع نعم للحوار ، لا للمعايير المزدوجة نعم للعدالة ، لا للاستعمار نعم للتعاون ، لا للاستكبار نعم للمساواة ، نعم لحقوق الإنسان[٢] .

وبشكل عام فإن السياسة الخارجية التي يمثلها فكر " الملي جورروش " تعبر عن ضرورة زيادة ثقل تركيا في الدائرة الإسلامية ، الدول العربية والقوقاز والبلقان وبقية الدول الإسلامية وتطوير التعاون معها

(١) هذه الدول هي تركيا ومصر وباكستان وإيران وبنغلاديش ونيجيريا وماليزيا وأندونسيا ، وفي كل حواراتنا مع قادة الرفاه كان الحديث عن تأسيس سياسة خارجية تستند إلي التوحد مع العالم الإسلامي انطلاقا من مفهوم الأمة الإسلامية عن طريق الأمم المتحدة الإسلامية والسوق الإسلامية المشتركة والجيش الإسلامي المشترك ومشروع العملة الإسلامية المشتركة " الدينار الإسلامي " ومنظمة الدول الإسلامية للتعاون الثقافي مثلا حوارنا مع شوكت قازان وزير العدل التركي في حكومة الرفاه حيث أشار إلي أهمية ذلك .

(٢) نجم الدين أربكان ، **وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟** م . س . ذ ، ص ٣٨ وهي الكلمة التي ألقاها نجم الدين أربكان في المؤتمر الأول الكبير لحزب السعادة عام ٢٠٠٣ وكانت بعنوان ماذا يعني فكر الأمة واستطعنا الحصول عليها مكتوبة بالإضافة إلي النسخة الإليكترونية .

وخاصة دول الجوار (سوريا وإيران)، وذلك في مواجهة الرؤية الأتاتوركية العلمانية التي تعتمد علي تعزيز العلاقات مع الغرب وإسرائيل الذي يرفضها "أربكان" رفضاً مطلقاً منذ تأسيسه لأول حزب له وهو حزب النظام[1].

ومع مجيء " أربكان " إلي السلطة فإن التوجه التركي ناحية العالم العربي والإسلامي قد وجد لنفسه موطأ قدم قوي في السياسة الخارجية التركية التي ظلت احتكاراً للتوجهات الغربية المراهنة علي العالم الغربي[2] ووفق استطلاع للرأي أجرته وكالة المعلومات الأمريكية سنة ١٩٩٦ م أفاد ٤٧٪ من العينة أنهم يعتبرون تركيا جزءاً من المجموعة الإسلامية و٢٧ ٪ اعتبروها جزءاً من أوروبا و١٥٪ يقولون بالهويتين معاً[3].

٧ - وقعت حكومة " أربكان " الائتلافية علي معاهدة عسكرية مع إسرائيل بشأن تجديد وتصليح طائرات F14 وإجراء مناورات عسكرية مشتركة وكان ذلك بضغوط أمريكية حيث رفضت "أمريكا" تزويد تركيا بقطع غيار الطائرات إلا عن طريق التفاوض مع إسرائيل، وكانت الوزارتان اللتان قامتا بتدشين هذا الاتفاق هما وزارة الدفاع والخارجية من تصيب الحزب العلماني المشارك في الائتلاف.

ولم يكن بوسع "أربكان" أن يفعل شيئاً حسب البروتوكول الموقع بين

---

(١) وعن السياسة الخارجية للرفاه ورفضه المطلق لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي وموقفه الحاد من إسرائيل و أمريكا والغرب راجع محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص ٧٦ - ٨٣.

(٢) خورشيد دلي، تركيا و قضايا السياسة الخارجية التركية، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩ م، نسخة إليكترونية حيث يشير إلي أن فئات واسعه من النخبة الفكرية والسياسية والعسكرية في المجتمع التركي تري أن الاتجاه نحو المنطقة العربية لا يجب أن يقتصر علي ما تحدده الاستراتيجية الغربية لأن ذلك يضعف الدور التركي ولا يقويه ويجعله تابعا وعميلا، ص ٤٠.

(٣) نفس المرجع، ص ١٥.

الحزبين ، كما أن المؤسسة العسكرية القوية كانت تدعم مثل هذا الاتفاق ومن ثم لم يكن بإمكان "الرفاه" أن يعترض أو يوقف الاتفاق[(١)] .

ولإحراج "الرفاه" عمد العسكر إلي تدشين سلسلة من الاتفاقات مع إسرائيل عسكرية واقتصادية بل إن وزير الدفاع التركي "تورهان تايان" ذكر أن اتفاق التدريب العسكري بين تركيا وإسرائيل يحظي بدعم "أربكان" وأعضاء حزب "الرفاه" في البرلمان ، وحين زار وزير الخارجية الإسرائيلي "ديفيد ليفي" أنقرة في إبريل عام ١٩٩٧م أرغم "أربكان" علي مقابلته ولكنه لم يناقشه في موضوع زيارته ، وإنما تطرق لتذكيره بأهمية القدس للعالم الإسلامي ، و وضعت خطة من وراء ظهره اسمها "تقدير المخاطر" لتقدير المخاطر المحتملة من سوريا وإيران ضد تركيا وإسرائيل[(٢)] .

ومثل تدافع قيادات الجيش التركي تجاه اتفاقيات التعاون العسكري مع إسرائيل والتوقيع عليها دون علم "أربكان" أو بعلمه وصمته نوعاً من الضغط عليه وإحراجه أمام قواعد حزبه ، و كان ذلك أحد الأسباب المهمة للتساؤل في الشارع التركي خاصة من الاتجاهات الإسلامية المتعددة التي يزخر بها الواقع الإسلامي ، كما كانت أحد نقاط الضعف المهمة التي أثارها الإسلاميون المختلفون مع توجهات حزب الرفاه .

---

(١) أورخان محمد علي ، قصة حزب الرفاه ، م . س . ذ ، ص ١٢ وهو أشار إلي أن حكومة تشيلر الثانية والخمسين هي التي وقعت معاهدة التعاون العسكري بين إسرائيل وتركيا ، ونصبت أمريكا فخ التوقيع علي تجديد وإصلاح هذه الطائرات في عهد حكومة الرفاه الائتلافية لتلويث صورة الرفاه ، ولكن قياديا في حزب السعادة كان في الرفاه اكد لي ان "أربكان" نفسه لم يوقع علي أي معاهدات مع الكيان الصهيوني ، ويشير إبراهيم الجهماني إلي أن "أربكان" عبر عن امتعاضه الشديد من العلاقات بين تركيا والدولة العبرية واعتبر أن لإسرائيل أطماعا توسعية في تركيا ، ص ٩١ .

(٢) رضا هلال ، السيف والهلال ، تركيا من أتاتورك إلي أربكان ، م . س . ذ ، ص ١٧٩ - ١٨٣ وهو أورد ردودا لعبد الله جول حول العلاقة مع إسرائيل يؤكد ما ذكر من أن الاتفاقية وقعت قبل مجئ الرفاه ، وتخلي أمريكا عن التعاون مع تركيا إلا عن طريق إسرائيل

لكن "أربكان" حاول قدر جهده أن يضع الفرامل في طريق العلاقات التركية - الإسرائيلية بتأجيل توقيع الاتفاق مع تل أبيب بشأن التعاون بين الصناعات الأمنية بين البلدين ، ورفض طلباً لرئيس الوزراء الصهيوني "نتنياهو" للقاء به ، ولم يرد علي رسالة التهنئة التي بعث بها إليه بمناسبة تنصيبه رئيساً للوزراء . وبدأ "أربكان" يبث خطاباً سياسيا جديداً في الأوساط السياسية والعسكرية التركية حول إسرائيل ودورها السلبي في استقرار الشرق الأوسط وأنها أساس عدم الاستقرار في المنطقة[1].

وبشكل عام فإن " الرفاه " في سياسته الخارجية مثل إرادة تركية جديدة لوصل ماقطعه العلمانيون مع العالم العربي خاصة والإسلامي عامة بحيث تكون تركيا كدولة مسلمة إضافة لمجمل قوة العالم العربي والإسلامي وليست خصماً منه .

٨ - لم تستطع الدوائر العلمانية في تركيا استمرار تحمل " أربكان " كرئيس وزراء لحزب ذي توجه إسلامي ومن هنا لجأت قيادات العسكر إلي مؤسسات النظام العلماني الذي يجعل من العسكر هم أصحاب اليد الطولي في النظام رغم أنهم وفق الدستور التركي ممنوعون من ممارسة السياسة .

وبحجة أن "الرفاه" والأصوليين وفق تعبير العسكريين تغلغلوا في مؤسسات الدولة بما يهدد التوجه العلماني لها **فإنهم قرروا عمل انقلاب مؤسسي أو عصري** أو ما يمكن أن نطلق عليه "الانقلاب اللطيف" أو كما يعرف في الأدبيات التركية "بانقلاب مابعد الحداثة"، حيث اجتمع مجلس الأمن القومي التركي الذي يتكون من رئيس الأركان وقادة الأفرع المختلفة للقوات المسلحة التركية وقرر رفع مذكرة إلي رئاسة الوزراء بتوصيات ١٨ لا بد للحكومة من تنفيذها وهذه التوصيات تصبح ملزمة للحكومة إذا

(١) ياسر الزعاترة ، قراءة في إجابات اربكان علي امتحانه الأول ، الحياة ١٩٩٦/٨/٣٠

وافقت الأغلبية عليها حضر هذا الاجتماع "سليمان ديميريل" رئيس الدولة، و"نجم الدين أربكان" رئيس الوزراء ومساعدته "طانسو تشيلر" وهي وزيرة الخارجية، ووزيرا الدفاع والداخلية ورئيس الأركان والقادة الأربعة في الجيش ورئيس المخابرات العامة، وتمت الموافقة علي التوصيات من الجميع ما عدا "أربكان" ومن ثم تم اتخاذ القرار وعلي الحكومة أن تقوم بتنفيذه[١]. ظل "أربكان" لا يوقع علي القرار لمدة خمسة أيام زار فيها رؤساء الأحزاب طالباً منهم العون والوقوف معه حماية للديموقراطية التركية من تدخل الجيش والضغط علي الحكومة ولكن لم يستجب لدعوته أحد منهم، فكل الأحزاب اعتبرت أن "الرفاه" في المصيدة الآن ولا بد من الإجهاز عليه[٢].

واضطر " أربكان " إلي التوقيع موضحاً أمام قواعد حزبه والقوي الاجتماعية المساندة له أنها مسألة بروتوكولية وأن أمر سن القوانين والتشريع هو بيد "البرلمان" وأن الحكومة مسئولة فقط أمام البرلمان[٣]، ولكن قوة الدولة التركية بمؤسساتها العلمانية لا يمكن مقاومتها، وهنا لا بد من الإشارة إلي

---

(١) عن التفصيلات راجع. جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص ٧٢ ومابعدها ورضا هلال، السيف والهلال، م. س. د، ص ١٩٣ ومابعدها وطارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، ص ١٣٠ ١٣١.

(٢) وهذه أحد مكامن الضعف في الديموقراطية التركية المرتهنة لضغوط العسكر والمؤسسات العلمانية التي تمسك بخناق الدولة التركية، وأحد المشكلات المهمة للنظام الحزبي في تركيا تتمثل في أنه صنيعة العسكر فهم صانعوه ومن ثم يتحكمون فيه، والمحاولات المتعددة للأحزاب العلمانية للتخلص من ضغوط العسكر لم تفلح كما حدث مع وزارة "يلماز" الخامسة والخمسين والتي رضخت لمطالب العسكر في خططهم لمحاربة الإسلاميين.

(٣) كان "أربكان" هنا يحاول استعادة الأرض التي اغتصبها العسكر من المؤسسات السياسية التركية، فالحكومة كما هو في أي ديموقراطية مسئولة أمام البرلمان وليست أمام أي جهة أخري تملي التوصيات وتصبح أوامر لا يمكن عصيانها، ومن هنا ففكرة الصراع بين الإسلاميين والعسكر هو في الواقع صراع حول الدولة ومشروعيتها وطريقة إدارتها بحيث يعود العسكر إلي وضعهم الطبيعي الذي يقرره لهم الدستور بعدم التدخل في السياسة وكما أراده "أتاتورك" نفسه وليست فقط مجرد صراع إسلامي - علماني.

لاجراءات التي طلبها "مجلس الأمن القومي" من الحكومة فهي تبين طبيعة لصراع علي القضايا والأفكار في المجتمع التركي وتمثل عمق أزمة الهوية تجاذبها بين التيار العلماني الذي يمثله العسكر والمشاركين في الائتلاف مع أربكان" وبين توجهات أربكان" الإسلامية **هذه الاجراءات هي:**

٨/ ١ - إن مبدأ العلمانية المنصوص عليه في المادة الرابعة من الدستور الذي يعتبر من المبادئ التي استقرت في دستور الجمهورية ، يجب أن يحمي كل دقة وعناية وخصوصية ، ويجب أن يطبق دون أي تعديل أو تمييز في لقوانين الموضوعة لحمايته وإذا ما تبين أن القوانين الموجودة غير كافية عند لتطبيق فيجب أن تجري تنظيمات جديدة بهذا الصدد .

٨/ ٢ - إن بيوت الإسكان المرتبطة بالطرق الصوفية والأوقاف والمدارس يجب أن يتم انتقالها إلي إشراف وزارة التعليم القومي وفقاً لقانون توحيد التدريس" وأن توضع تحت رقابة التنظيمات المختصة في الدولة .

٨/ ٣ - ومن أجل شحن أدمغة الأجيال الشابة مسبقاً بحب الوطن والأمة وأتاتورك والجمهورية ومن أجل تعليمهم الحقائق المجردة بهدف لتعرف علي وسائل النظم الحضارية المعاصرة للأمة التركية ومن أجل حماية هذه الأجيال من تأثير شتي التيارات المتصارعة يجب اتخاذ التدابير التالية:

أ- يجب أن يتم تطبيق نظام التعليم الموحد في ثمان سنوات في كل ربوع الوطن وأن يكون هذا ملزما وإلزاميا .

ب- يجب أن تتخذ كافة التدابير التنظيمية والقانونية والإدارية اللازمة لإظهار وإبداء السيطرة والمسئولية والفاعلية لوزارة التعليم القومي علي دورات ومجموعات تحفيظ القرآن والتي سيستمر فيها الصبيان الذين أتموا التعليم الأساسي وأن يكون ذلك رهنا برغبة أسرة الصبي ذاتها .

٨/ ٤ - إن مؤسساتنا التعليمية القومية المنوط بها تنشئة رجال الدين التنويريين والملتزمين بالنظام الجمهوري والمبادئ والانقلابات الكمالية يجب أن تظل مرتبطة بنظام وروح الاحتياجات المنبثقة عن أصل قانون "توحيد التدريس.

٨/ ٥ - إن المنشآت الدينية التي تشيد في ربوع الوطن المختلفة يجب ألا تقام كموضوع استثمار سياسي وهي موضوعة علي الأجندة بهدف توصيل رسائل معينة لأوساط محدودة، وإذا ماكانت هناك حاجة ملحة لمثل هذه المنشآت فعلي رئاسة الشئون الدينية أن تدرس ذلك وتدققه وأن يتم التعاون مع الإدارات المحلية في تحقيقها وتنفيذها.

٨/ ٦ - إن الطرق الصوفية التي منع وجودها أصلاً بنص القانون رقم ٦٧٧ والتي تم توضيح وشرح كافة عناصرها المتعلقة بهذا الموضوع يجب أن تمنع كافة أنشطتها... وأن يتم الحيلولة دون زعزعة النظام القانوني والاجتماعي والسياسي للمجتمع الديموقراطي.

٨/ ٧ - إن بعض الأوساط ذات الفعاليات الرجعية حاولت أن تظهر أن القوات المسلحة قد انشغلت بالأمور الدينية مستغلة موضوع خروج بعض الأشخاص من القوات المسلحة التركية لأسباب متعددة ووفقاً لقرارات مجلس الشورى العسكري الأعلي، وانقطاع صلتهم بالقوات المسلحة التركية ولذلك يجب أن توضع تحت الرقابة كافة المنشورات المضادة للقوات المسلحة والمنسوبين إليها.

٨/ ٨ - يجب ألا تتاح الفرصة لإمكانية التحريض علي استخدام الأفراد الذين انقطعت صلتهم بالقوات المسلحة التركية في الهيئات العامة أوفي التنظيمات والمنظمات ذات الأنشطة الرجعية والتي تعمل خارج النظام أو

خارج القانون وألا تعطي الإمكانية لذلك .

٨/ ٩ - إن التدابير المتخذة في نطاق الموضوعات الموجودة من أجل الحيلولة دون تسرب أو توغل أحد من القطاع الديني المتشدد في القوات المسلحة التركية ، يجب أن تطبق في المؤسسات التعليمية المختلفة ، وفي كل درجات التدرج الوظيفي الإداري ، وفي الهيئات القضائية والتشريعية .

٨/ ١٠ - ولما كانت هذه المادة بكل تفرعاتها تتعلق بالعلاقات الدولية بين تركيا والدول الأخري فلذلك فإننا لن ننشرها .

٨/ ١١ - إن القطاع الديني المتشدد يعمل علي إشعال جذوة الاختلاف المذهبي في تركيا ، مما تسبب في استقطاب المجتمع وتمحور البعض حول مذهب بعينه ، مما سيفتح الطريق أمام تحول الأمة إلي معسكرات معادية لبعضها البعض ولذلك لابد من الحيلولة دون ذلك بكافة الطرق والوسائل الإدارية والقانونية .

٨/ ١٢ - إن التحقيقات الإدارية والقانونية الواجبة في حق المسئولين عن الأحداث التي جرت بشكل مخالف لدستور الجمهورية التركية وقانون الأحزاب السياسية وقانون الجنايات التركي وبخاصة قانون البلديات يجب أن تنتهي في أقصر وقت ممكن ، ويجب أن تتخذ كافة التدابير الحاسمة التي تحول دون تكرار ذلك علي كافة المستويات .

٨/ ١٣ - إن ما يجري مخالفاً لقانون الملبوسات والذي يظهر تركيا علي أنها تعيش خارج العصر الحديث ، يجب أن يمنع تطبيقه فوراً ، وأن يطبق بكل دقة في المؤسسات والهيئات العامة وبخاصة تلك التي تقوم بدور ريادي ودون أي تهاون في تطبيق قرارات المحكمة الدستورية والقانون المختص بهذا

الصدد .

٨/ ١٤ - يجب أن يعاد النظر من جديد ، وأن تتخذ كافة التدابير من قبل الشرطة و "الجندرمة" حول التراخيص الممنوحة للأسلحة ذات المدى البعيد والقصير والتي منحت لأسباب متعددة وأن تتخذ التدابير اللازمة لتحديد الطلب في هذا الخصوص ، وبخاصة يجب أن تدرس وتقيم بعناية فائقة الطلبات المقدمة ، والرغبة الفائقة للبنادق التي تطلق القنابل .

٨/ ١٥ - يجب أن يمنع منعاً باتاً جمع جلود الأضاحي من طرف المنشآت والمنظمات المعادية للنظام من بعيد ، والتي أثبتت التجارب أنها تهدف إلي تأمين مصادر مالية لأعمالها ، وألا يسمح بجمع هذه الجلود خارج نطاق السلطة التي منحها القانون .

٨/ ١٦ - يجب أن تنتهي بأسرع ما يمكن التحقيقات القانونية التي تجري بشأن الحراسة التي ترتدي زيا خاصاً بها والمسئولية المنوطة بها وأن يؤخذ بعين الاعتبار الأبعاد الوخيمة التي يمكن أن توصل إليها تلك التطبيقات المخالفة ، والخارجة علي القانون ، ويجب أن تلغي علي الفور كافة الحراسات الخاصة ، التي لم تتوافق أوضاعها مع القانون .

٨/ ١٧ - إن البعض يستخدم "مفهوم الأمة" بدلاً من "المفهوم القومي" في طرح مشكلات البلاد ، والبعض يهدف من وراء هذا الطرح في النهاية إلي التفتيت ، وتنظيم الإرهاب وعليه يجب الحيلولة دون شتي الطرق والسبل الإدارية والقانونية والمداخل التي تشجعهم علي ذلك ، وحتي الاقتراب منه .

٨/ ١٨ - يجب ألا تتاح الفرصة لاستثمار القانون ٥٨ الصادر بشأن

الجرائم التي ترتكب ضد "أتاتورك" والأعمال المنافية للاحترام الواجب تجاه "أتاتورك" المنقذ العظيم[1].

كان هذا صعباً علي "أربكان" أن يكتب بيده ما يتناقض مع أفكاره وبرنامجه بل وجهده السياسي والاجتماعي منذ أسس حزب "النظام الوطني" عام ١٩٧٠ م، وكانت تقديرات العسكر أنه إذا لم يوقف "حزب الرفاه" عند حده لاستطاع أن يحصل علي ٦٥ ٪ من أصوات الناخبين في انتخابات عام ٢٠٠٥ م، وأنه يمكنه تشكيل الحكومة وحده في انتخابات عام ٢٠٠٠ م، وكانت تقارير غربية تحدثت عن خطر "الرفاه" في الحكم لاحتمال اختراقه بني الدولة العلمانية التي تعتبر مع إسرائيل أحد الركائز المهمة للاستراتيجية الغربية في منطقة مهمة ومضطربة هي منطقة الشرق الأوسط[2]، رغم قبول هذه القوي مكرهة بوجوده في السلطة كضمانة لتحقيق الاستقرار السياسي وقطع حد لحالة الفراغ السياسي التي بلغت حد الفوضي لمدة ستة أشهر، وهو ما يعني أن هذه الرؤي الغربية أثرت علي الرؤي العلمانية التركية والتي كانت الأساس للانقلاب العسكري علي "حزب الرفاه".

رابعا: الانقلاب علي الرفاه وأزمة النظام السياسي التركي:

لم يكن ممكنا لما أطلقنا عليه "القلعة العلمانية" أن تدع أبوابها

(١) هناك العديد من المراجع العربية التي أشارت للاجراءات الثمانية عشرة التي طلبها مجلس الأمن القومي من "أربكان" ولكننا آثرنا الاعتماد علي أحد المراجع المترجمة عن التركية وراجع: صباح الدين أوتشار، أربكان والتيار الإسلامي، م. س. ذ، ص ٣٤٠ - ٣٤٤.

(٢) خورشيد دلي، حزب الرفاه التركي: عن استراتيجية التحرير والسلطة، الحياة ٢٤/ ١/ ١٩٩٦ م وأيضا مصطفي الطحان، هل جاء وقت الرفاه؟ الحياة ١٤/ ١/ ١٩٩٦ وأيضا شكوك غربية حول مستقبل انقرة في ظل الحكومة الائتلافية الجديدة، ١١/ ٧/ ١٩٩٦.

تشرع بسهولة لدخول أول رئيس وزراء إسلامي في تاريخ الجمهورية العلمانية ليتولي الحكم فيها ، وهنا بدت العلمانية بوجهها الأيديولوجي الكمالي الذي لا يعترف بالديموقراطية إلا في الحدود التي تحافظ علي الأيديولجية العلمانية ، ورغم ماقيل عن تطور مجتمعي وسياسي وحوار حول العلمانية والدولة والمجتمع وحدودها فيما عرف في الأدبيات التركية "بالجمهورية الثانية" إلا أن الأيديولوجية الكمالية العسكرية تظهر أنيابها حينما تشعر بالتهديد من الديموقراطية التي يمكن أن تأتي بإسلاميين إلي السلطة ، **إنها يمكن أن تسمح لحزب إسلامي بالوجود في العملية السياسية ولكنها لا تقبل بوصوله إلي الحكم والسلطة ليكون بيده مقاليد الأمور التي تغير وجه تركيا من " الكمالية الأصولية " إلي " العثمانية الإسلامية "**.

خبرة "أربكان" في الحكم أثبتت أن العلمانية التركية هي أقوي من الديموقراطية المقيدة المحكومة بقوة العسكر وبدستور لا يعبر عن المجتمع ، وإذا كان هناك توازن حساس في الخبرة التركية بين ماهو مدني وعسكري حيث المجتمع له عافيته وقوته التي تحول دون انفراد العسكر بتسيير شئونه ، ولكنه أضعف من أن يلغي دور العسكر في التدخل بالحياة السياسية ، **فالدولة قوية في مواجهة مجتمع يحاول أن يسترد إرادته المرتهنة لدي مؤسسات لم يكن له يد في بنائها أو تأسيسها** .

ويعد تصريح رئيس محكمة الاستئناف العليا القاضي "سامي سلجوق" في افتتاح السنة القضائية عام ١٩٩٩ م ضربة موجعة للنظام الكمالي من داخله ومن صلبه قال: "**إن تركيا لا يمكن ويجب ألا تدخل القرن الواحد والعشرين بدستور قاربت درجة شرعيته إلي الصفر** ، والمشروعية هي التصور الأهم لعلم الاجتماع ولعلم السياسة وهي درجتان مشروعية شكلية

ومشروعية مادية ، الدستور من ناحية شكلية ليس شرعيا ، كما لم تبق له أي مشروعية مادية[1] .

ويشير إلي أن دستور ١٩٨٢م وبعد انقلاب ١٩٨٠ م لم يعد من جانب برلمان أو سلطة تأسيسية منتخبة بالإرادة الحرة للشعب ، بل من جانب بعض الأشخاص الذين عينوا حين كان البرلمان مغلقاً ومحظورا عليه العمل السياسي ، والدستور نوقش فقط خلف أبواب مغلقة وبتجاهل الشعب الذي أمطر بقوانين منع النقاش ، كما أن التصويت حصل بصوت واحد علي الدستور وعلي رئيس الدولة ولم تعد ممكنة بالتالي معرفة نسبة مانال كل منهما علي حدة ، فضلاً عن أنه لا يمكن انتخاب رئيس الدولة لأنه لم يكن يوجد سوي مرشح واحد .

وقال: "إن خروج الاستفتاءات بنسبة ٩٣٪ و ٩٧٪ أمر معيب في تركيا وبالتالي فإن دستور ١٩٨٢ م الذي أرغم الشعب علي قبوله بالاقتراع بدلاً من الرصاص هو نوع من الفرمانات وكان سبباً لأزمات سياسية واجتماعية عميقة" وأضاف "إن تركيا اليوم دولة ذات دستور ولكنها ليست دولة دستورية ، والجمهورية تدير الديموقراطية وليس العكس ، وهذا الوضع يجب أن يتغير .

في الجمهورية الدولة تنتج الحقوق ، وفي الديموقراطية الشعب ينتج الحقوق والحقوق تدير الدولة ، الجمهورية تخلق أولا المواطن ثم الفرد ، والديموقراطية تخلق أولا الفرد ثم المواطن ، وانتقد رئيس محكمة الاستئناف التركية دور الدولة قائلاً: إنه في الديموقراطيات تقف الدولة حيادية حيال مختلف الأفكار ، والقانون يستخدم للتنافس بين الأفكار في إطار سلمي وليس لمنعها ، إن

---

(١) محمد نور الدين ، حجاب وحراب، الكمالية وأزمات الهوية في تركيا ، رياض الريس للبحوث والنشر ، ٢٠٠١ ، ط١ ، ص٣٠٠ .

تـركيا لا يمكـن أن تـدخل القـرن الـواحد والعشرين كبلد يعمل علي سحق الأفـراد وكـم الأفـواه ، الشيء الذي يجب أن يعمل هو إلغاء الأحكام المتعلقة بالتهم الفكرية[١] .

- بقدر مابدا " أربكان " الباشبكان - أي رئيس الوزراء مختلفاً عن " أربكان- الخـوجا - المجاهـد " في ممارسته للسلطة ولكن هذا لم يشفع له الاستمرار في السلطة وفق البروتوكول الائتلافي بينه وبين "حزب الطريق المستقيم" فهو أكد في بـيانه الـوزراي علـي مـبادئ الجمهورية التي أسسها أتاتورك وفي مقدمتها العلمانـية ، وحاول أن يظهر تقارباً مع العسكر وقال "الرفاه والجيش يداً بيد" وأن "الجـيش هـو جيشنا" ، وقـبل باسـتمرار "عمـل قوة المطرقة الغربية" لمدة أطول ، وقبل بالتوقيع علي تسريح بعض الضباط والصف (عددهم ٦٩) من الجـيش بـسبب أنشطتهم الإسلامية "الرجعية" وفق تعبيرات العسكر والتي لا تتبني نمط الحياة الحديثة[٢] .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

(٢) عـن تكـيف "أربكـان" وحـزب الـرفاه مـع الواقـع التركـي وإعلانـه أنه لن يغير الدستور أو النظام الـسياسي وأنـه سـوف يحـترم الدسـتور والقانون والعلمانية والكمالية راجع: المسلمون ، الرفاه يخلط الأوراق الـسياسية في تـركيا، ١٩٩٦/٧/١١ حيث أشارت إلي أن "أربكان تعهد منذ تكليفه بتشكيل الحكومة في ٢٨ يونية ١٩٩٦ باحترام المبادئ الأساسية للجمهورية العلمانية والاقتصاد الحر والتوجه نحـو الغرب وأيضا ، عبد الإله بلقيز ، تراجع الرفاه عن برنامجه، الحياة ، ١٢/ ٧/ ١٩٩٦ حيث أشار إلي أن "أربكـان" قـال إنـه يلتزم باحترام المبادئ الديمقراطية والعلمانية لأتاتورك واحترام الاقتصاد الحر والخصخـصة والالتـزام بالاتفاقيات الـتي وقعـتها تركيا مع الدول الأوربية وإشارته لزيارة "أربكان" لـضريح "أتاتـورك" مـسجلا في التـشريفات "إنـني مملـوء محـبة وإيمانـا وعـزيمة علي تعزيز الجمهورية التركـية الـتي أسـستها" ، ومحمـد نور الدين ، فرصة تاريخية لعقلنة سياسة العلمانيين والإسلاميين ، الحياة ، ١٩٩٦/٧/٨٢ حـيث أشـار إلـي تـشديد "أربكـان" في بـرنامج حكومته علي حماية المبادئ الكمالية والديمقـراطية والعلمـنة والاندماج مع أوروبا وراجع ياسر الزعاترة ، قراءة في إجابات أربكان علي امتحانه الأول ، الحـياة ، م . س ، ذ ، حيث يشير إلي موافقة "أربكان" علي استمرار عملية "بروفايد كومفـورت" - المطـرقة الغـربية - انطلاقـا مـن الأراضـي التركـية ولكنها استغلها في مطالبته بإعادة العلاقـات الطبيعـية مـع العـراق واسـتثنائها من الحصار التجاري والدبلوماسي واستغل الموافقة في

- وفي افتتاح المؤتمر السنوي الخامس "لحزب الرفاه" في ١٣ أكتوبر غير "أربكان" من لهجته وغير شعاراته لكسب ود الغرب، وافتتح رئيس الوزراء المؤتمر وهو في قمة السلطة لأول مرة كرئيس وزراء إسلامي لتركيا منذ قيام الجمهورية وتحت صورة كبيرة لأتاتورك - وهو أمر لم يحدث من قبل في مؤتمرات "الرفاه" - أكد أنه يرغب في لقاء قادة أمريكا والغرب وعزمه التعاون معهم وتوضيح أبعاد زيارته الأخيرة لليبيا التي أثارت موجة استياء داخل تركيا وخارجها وقال "رحلاتنا الخارجية لم تكن موجهة ضد حلفائنا الغربيين ولا ضد الولايات المتحدة وأضاف "نحن نعمل باتجاه تحسين الروابط الوثيقة مع الاتحاد الأوروبي".

- ومن ناحية أخري بدأ يستجيب لما يحفظ له مكانته بين القواعد العريضة التي تدعم "حزب الرفاه" فطالب بتشريع حرية ارتداء الحجاب في دوائر الدولة والسماح للحجاج الأتراك بالانتقال برا إلي مكة المكرمة وذلك توفيراً للنفقات، وبناء جامع في منطقة تقسيم وفي قصر "تشانكايا" الجمهوري وتنظيم دوائر العمل في الدولة في شهر رمضان بحيث تتناسب مع أداء فريضة الصيام ثم أقدم بصفته الرسمية كرئيس للوزراء علي استضافة بعض رؤساء الطرق الصوفية

زيارته لإيران رغم قانون داماتو "الأمريكي الذي يمنع التعامل معها وقال عبد الله جول "إن تركيا لا تطلب من الولايات المتحدة الإذن فيما يتعلق بكل علاقاتها مع الخارج. ولم تكن هذه هي المرة الأولي التي يوقع فيها "أربكان" علي قرار بتسريح ضباط من الجيش لهم ميول إسلامية فقد اضطره العسكر للتوقيع مرة أخري علي فصل ١٦١ منهم ١٤١ ضابطا إسلاميا و٢٠ ضابطا يساريا وحينها قال ضابط كبير في الجيش التركي "إننا نشكل جيش جمهورية "أتاتورك" العلمانية وصفات جنوده واردة في النظام الداخلي الذي ينص علي أن يكون لعائلات العسكريين نمط الحياة الحديثة" وراجع إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، م. س. ذ، ص ١٠٨ وص ١٣٥

في حفل للإفطار في رمضان رغم أن هذه الاستضافات ممنوعة مـ
عام ١٩٢٥ م .

- ثم أقدم رئيس بلدية "سنجان" التابعة لأنقره بتنفيذ احتفال ديني بيو
القدس في ٣ فبراير عام ١٩٩٧م حضره السفير الإيراني ودعا الإسلاميين ؛
تركيا إلي المضي قدما نحو مسيرة تطبيق الشريعة الإسلامية . وهو ماجعـ
الجيش ينزل بدباباته في شوارع "سنجان" التي شهدت الاحتفال بيوم القدس
في اليوم التالي ٤ فبراير ١٩٩٧ م لإظهار عزم العسكر علي الحزم تجـ
مواقفهم الرافضة للتعبيرات الإسلامية التي يقوم بها "حزب الرفاه" حتى
لوكانت ذات طابع احتفالي .

وتتالت الإجراءات التي لم تتوقف من جانب العسكر منذ ذلك التاريخ
لإخراج "أربكان" من السلطة بل وعقابه بحل حزبه ومنعه من ممارسة العمل
السياسي ، وصرح القائد الأعلي للقوات البحرية الأميرال "غوفين أركايا" أن
**النشاطات الأصولية الدينية أصبحت المشكلة الرئيسية في تركيا وأضاف "التهديد
الذي يشكله حزب العمال الكردستاني أصبح الآن في المرتبة الثانية وتقدمت علي
حركة التطرف الديني".**

- كان "الباشبكان" يحاول المزاوجة بين الإغضاء لمطالب المؤسسة
العسكرية وبين مطالب القواعد الجماهيرية لحزبه للاستمرار في السلطة ، بيد
إن التطورات السياسية في البلاد منذ ٢٨ فبراير كانت تشير إلي مقدمات لا
رجعة فيها من جانب المؤسسة العسكرية للانقلاب علي حزب الرفاه فإلي
جانب الـ ١٨ مطلبا التي تقدم بها مجلس الأمن القومي إلي "أربكان
لإقرارها ، لم يتوان "مجلس الأمن القومي" أبداً عن عقد الاجتماعات المتكررة
لمتابعة تنفيذه لها ، وبدأ "مجلس الأمن القومي" يضع تدابير صارمة ضد
المؤسسات المالية الإسلامية ودعا إلي مقاطعتها وعدم منحها أي دعم أو

إشراكها في أي مناقصات أو عمليات اقتصادية من الدولة[١].

- وظهر للوجود ماعرف باسم "مجموعة العمل الغربية" BCG - والتي بدأت جمع المعلومات ضد الرفاه والوجود الإسلامي كله في تركيا بطريقة سرية[٢].

وبدأت الصحافة العلمانية تشن هجماتها التي لا تتوقف علي "حزب الرفاه، وربما الإشارة إلي عناوين الصحافة التركية بعد اجتماع مجلس الأمن القومي في ٢٨ فبراير تعطينا فكرة عن طابع الاستقطاب العنيف بين " الرفاه " من ناحية والمؤسسة العسكرية ومعها أحزاب اليمين واليسار في البرلمان وقوي رأس المال

(١) عن اجراءات الجيش المتوالية ضد الرفاه راجع: جلال معوض، الأزمة السياسية التركية واحتمالات تطورها، السياسة الدولية، يناير ١٩٩٨، ع ١٣١، ص ١١٥ حيث أشار إلي تهديدات قادة المؤسسة العسكرية بشأن الأصولية الإسلامية كتهديد رئيسي، وأشار إلي فرض قيود علي الدعم المالي الخارجي "للرفاه" عبر الدياسبورا التركية في أوروبا، وإغلاق المدارس الدينية غير الرسمية وحظر توظيف المفصولين من الخدمة العسكرية لنشاطاتهم الإسلامية والالتزام الكامل بالمادة ١٧٤ من الدستور المتضمنة للمبادئ الأساسية للجمهورية العلمانية، ص ١١٥.

(٢) مجموعة العمل الغربية B.C.G سمع عنها الرأي العام التركي لأول مرة في سياق الصراع بين العسكر والإسلاميين ولم تتضح هويتها فهي مؤسسة غامضة ولا يعرف أهي تابعة من قيادة القوات البحرية أم هي تابعة من رئاسة الأركان العامة ووفقاً للتصريحات التي أدلي بها المسئولون فإن مجموعة العمل الغربية هيئة مرتبطة برئاسة الأركان العامة استخرجت لها مهمة بعد انقلاب ٢٨ فبراير ١٩٩٧ م فوفقا للمادة ٣٥ من قانون الخدمة داخل القوات المسلحة التركية والتي تنص علي أن مهام القوات المسلحة التركية هي حماية الوطن والجمهورية التركية وتأمينها" فأسست هذه المجموعة التي حاولت أن تثبت أنها قانونية بينما الحكومة رأتها غير قانونية. وتهدف هذه المجموعة علي جعل الاستراتيجية القومية و العسكرية غربية وعلمانية وهي معنية بتنفيذ ذلك، وفي سبيل سعيها لذلك صدرت وثيقة سرية متعلقة باحتياجات مجموعة العمل الغربية إلي معلومات والتي صدرت في ٥ مايو سنة ١٩٩٧ م وهي تعيد تقييم وتضع تقارير وتطلب معلومات وبيانات عن جميع الجمعيات والأوقاف والتشكيلات المهنية والمؤسسات التعليمية العليا والإمكان الطلابي "يوردات" والإداريون من ذوي الرتب والدرجات العليا وأعضاء مجالس البلديات والمجالس الإقليمية والتشكيلات المحلية والإقليمية للأحزاب السياسية وهيئاتها الإدارية والمؤسسات الإعلامية كالراديو والتلفزيون وكل هذه المعلومات سرية وراجع: صباح الدين أونشار، اربكان والتيار الإسلامي، ترجمة الصفصافي أحمد القطوري، م. س. ذ، ص ٣٤٥ - ٣٤٨.

الصناعي والتجاري والمصرفي والإعلام وغيرها فعناوين الصحف تقول[1] " الجنرالات يرفعون البطاقة الصفراء في وجه أربكان"، و"الجيش التركي يستعرض عضلاته في أنقرة" و"رئاسة الأركان تؤكد أنها لن تنسجم مع العلمانية"، والشرطة تغلق ١٨ مركزا للتعليم الإسلامي" و"الجنرال"كنعان دينتير"يقول"تحطيم الأصولية الإسلامية في تركيا مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا"، و"الجنرالات غير راضين عن الحكومة الإسلامية" و"مجلس الأمن القومي يتحدي"أربكان"بإصدار تقرير ٧٠ صفحة عن خطر الرجعية في تركيا العلمانية" و"تركيا تواجه إمكان انقلاب عسكري لطرد الإسلاميين من الحكم" و"الجيش يصدر لائحة سوداء بأسماء ٦٠٠ مؤسسة صناعية وتجارية ويدعو الحكومة والشعب لمقاطعتها" و"الجيش يتهم حزب الرفاه علنا بدعم الأصولية والتحريض علي العلمانية" و"محكمة عسكرية تأمر بتوقيف ثلاثة من مرافقي "أربكان"، و"الجيش يهدد باللجوء إلي السلاح لإزالة الخطر الأصولي علي العلمانية" و"الإنذار الأخير من مجلس الأمن القومي لأربكان" و"تنامي قوة الرفاه تهديد للعلمانية"

- وبينما كان"أربكان"في السلطة ورئيساً للوزراء كان المدعي العام التركي"ورال صواش"يتقدم بمذكرة اتهام إلي المحكمة الدستورية تتكون من ١٨ صفحة في ٢١ مايو تقول: إن حزب الرفاه بلغ ذروة عدائه للعلمانية، وأنه يجر البلاد إلي حرب أهلية واتهم ضمنا سياسيين ينتمون إلي الحزب بالخيانة وشملت قائمة الانتهاكات ارتداء أزياء إسلامية في الجامعات والدفاع العتيد عن المدارس الدينية ورفض إغلاقها، وقال"عبد الله غول"ردا علي الاتهامات"سنجعل رئيس الادعاء يمثل أمام القضاء، لقد قدم وثائق غير

---

(١) راجع هذه العناوين في: www.daawa-info.net/bio.php?id=74 ، من اعلام الحركة الإسلامية ، أربكان.

قانونية ، وهذه هي المرة علي الإطلاق التي يقيم فيها مدعي عام دعوى من أجل إغلاق الحزب الذي يتولي السلطة وأكبر حزب في الجمهورية التركية.

وأمام محاولات الأحزاب العلمانية إحراج حكومة "أربكان" وسحب الثقة منها (١٠ مرات) وتحريض الجيش عليها بدا أمر استقالة "أربكان" مسألة وقت وأنه لا يمكنه استمرار تحدي الجيش وبقية مؤسسات النظام ، وكان استطلاع للرأي في ثلاث مدن تركية هي "أنقره واسطنبول وازمير" نشرته صحيفة "Turkish DailyNews" أفاد بأن ٢٧٪ من المشاركين يؤيدون إنهاء الائتلاف الحاكم وأكد ٦٦٪ أن انتخابات مبكرة هي طريق الخروج من الأزمة ، واعتبرت النسبة ذاتها أن المدنيين يمكنهم إدارة البلاد بصورة أفضل ، ولم تحظ حكومة وحدة وطنية بدعم أكثر من ٤٣٪ بينما رفضها نحو ٤٩٪ وقال ٦٠٪ إنهم يعتبرون النزعات المادية للعلمانية أخطر من النزعات الانفصالية لحزب العمال الكردي[١].

وفي خضم هذا الاستقطاب الحاد والعنيف عقد طرفا الائتلاف في ١٢/ ٦/ ١٩٩٧ جلسة لمجلس الوزراء للتباحث حول شروط الطلاق الاختياري ، وطلبت "طانسو تشيللر" من "أربكان" في هذا الاجتماع أن يتخلي لها عن رئاسة الوزراء لإنهاء النزاع المتفاقم بين الحكومة والمؤسسة العسكرية واحتواء التمرد داخل حزبها وحتي اجراء انتخابات عامة مبكرة في أكتوبر أو ديسمبر عام ١٩٩٧ م .

ولكن "سليمان ديميريل" وبعد تلقيه استقالة "أربكان" في ١٨/ ٦/ ١٩٩٧ م لم يدع "طانسو تشيلر" - الذي عبر "أربكان" عن ثقته باستمرارها في الحكومة وتمسك طرفي الائتلاف بالبروتوكول بينهما لتمتعهما آنذاك بالأغلبية البرلمانية

(١) يوسف إبراهيم الجهماني ، حزب الرفاه ، نجم الدين اربكان ، م س ، د ، ص ١٣١

- لتسلم الحكومة كما كان متفقاً ولكنه قام بتكليف "مسعود يلماز" بتشكيل لحكومة الجديدة في ٢٠/٦/١٩٩٧ م لتتم الإطاحة بحكومة "أربكان" بوسائل غير ديموقراطية تواطأت فيها جميع الأحزاب[١] والمؤسسات ضد استمرار حكم الإسلاميين في تركيا والذي لم يعمر سنة واحدة بسبب الضغوط التي مورست عليه والمراوغات التي واجهها وهو ماكشف عن ثلاثة أمور أساسية هي: الوضع السياسي النافذ للمؤسسة العسكرية في النظام السياسي التركي وهشاشة الديموقراطية التركية واستمرار أزمة الهوية في المجتمع و الدولة في تركيا[٢].

- **استمرت إجراءات دعوي إغلاق " حزب الرفاه " تجري في مسارالها القانونية رغم** استقالة "أربكان" الذي قضي الصيف يعد مع الهيئة القانونية (٥٠ شخصا) التي تولت أمر الدفاع عنه وعن الحزب حتي بدأت جلساتها في ١٦ ديسمبر ١٩٩٧ م ومثل "أربكان" أمام المحكمة وأعد دفاعه عن التهم المنسوبة إليه في ٤١٥ صفحة، وطوال فترة المرافعة تم الرجوع إلي مايزيد عن ٥٠٠ مرجعاً تركيا وتمشيط مايزيد عن خمسين مصدرا باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية، وجابت مجموعة العمل القانونية كل دول أوروبا وأمريكا ووضعت كل ما جمعته من معلومات ووجهات نظر في سكرتارية الهيئة القانونية التي كانت تتابع المهمة.

وبعد ان أتم الادعاء اتهاماته في ١١ ديسمبر ١٩٩٧ م في المحكمة

---

(١) عن هذه التفصيلات راجع: نفس المرجع، ص ١٤٧ - ١٥١، أيضا جلال معوض، الأزمة السياسية التركية واحتمالات تطورها، م. س. ذ، ص ١١٦ حيث أشار إلي تواطأ الأحزاب السارية علي حكومة "أربكان" باستخدام أساليب غير ديموقراطية منحازة للعسكر وأساليب ديموقراطية شكلية، فقط حزب الوحدة ذي التوجهات الإسلامية هو الذي كان يدعم "أربكان" ص ١١٧، وأيضا **جلال معوض، صناعة القرار** في تركيا، م. س. ذ، ص ٧٦ - ٧٨، ص ٧٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٨.

الدستورية العليا بدأ "أربكان" دفاعه في ١٨ ديسمبر وأتمه في العشرين من نفس الشهر وتحدث إحدي عشرة ساعة في مرافعاته الشفهية وبعد أن حلت شفرات المناقشات والتوضيحات الشفوية لكل من المدعي العام وأربكان وتم إبلاغها لكل الأطراف . . فإن "يوسف أوزتوك" أمين سر الجلسة منذ إقامة الدعوي قد وضع في الاعتبار كل ماقاله كل من "المدعي العام" و "أربكان" وأعد تقريره في أربعمئة وسبعين صفحة وأعلن المتحدث في تقريره عن الدعوي وجهة النظر المؤيدة لإغلاق حزب الرفاه .

- وبعد شهر ونصف اتخذ قرار الإغلاق في المحكمة الدستورية العليا بأغلبية تسعة أصوات ضد صوتين برئاسة "أحمد نجدت سيزار" وذلك يوم ١٦ يناير ١٩٩٨ م وأعلن رئيس المحكمة الدستورية العليا القرار في مؤتمر صحفي ومعه كل أعضاء المحكمة ، وطبقا للقرار فإن عضوية "المجلس الوطني الكبير" ستسقط عن "أربكان" الرئيس العام للحزب وعن الأعضاء "شوكت قازان" و "أحمد تكدال" و "شوقي يلماز" و "حسن حسين جيلان" و "إبراهيم خليل جليك" عقب نشر القرار في الجريدة الرسمية - بعد شهر - من إعلان الحكم - ويمنع هؤلاء الأعضاء لمدة خمس سنوات ومعهم "شكري قره تبه" رئيس البلدية الرئيسية في "قيصري" من ممارسة النشاط السياسي طوال خمس سنوات ، كان قرار الإغلاق غير متوقع من جانب أعضاء "الرفاه" ولكنهم ظلوا متماسكين في مواجهته[1] .

(١) هناك مراجع عدة تحدثت عن هذه التفصيلات لكنا آثرنا هذا المرجع لترجمته عن التركية ولتضلعه في المتابعة والمعلومات وراجع: صباح الدين أوتنمار ، أربقان والتيار الإسلامي ، ترجمة وتقديم الصفصافي احمد ، م . س . ذ . ص ٣٥١ - ٣٦١ وعن إضمار حل الحزب راجع: تصريحات "احمد نجدت سيزار" بعد توليه رئاسة المحكمة الدستورية العليا حيث قال: إنه لا يعتزم التنازل او الأخذ بالحلول الوسط في مواجهة الأصولية وحزب الرفاه ، وقال "ستواصل المحكمة العليا النهوض بواجباتها دون تقديم أي تنازلات بشأن المبادئ التي وضعها أتاتورك "للدولة الوطنية والديموقراطية

- **عقب نشر قرار المحكمة الدستورية العليا بإغلاق " حزب الرفاه " في الجريدة الرسمية** التي صدرت بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٩٨ م انتهي الوجود القانوني له وجاءت حيثيات إغلاق الحزب في ٣٢٩ صفحة كاملة ، بينما جاء - حيثيات عدم الإغلاق من العضوين اللذين عارضا الإغلاق ضعف حيثيات الحكم بالإغلاق **وجاء نص قرار المحكمة الدستورية العليا كما يلي:**

- **نظراً لأعمال المخالفة لمبدأ العلمانية للجمهورية فقد تقرر إغلاق " حزب الرفاه "** حسب المادة ٦٨ و٦٩ من الدستور وحسب البند ب من المادة ١٠١ والفقرة أ من المادة ١٠٣ من قانون الأحزاب السياسية بأكثرية الأصوات مع صوتين معارضين للإغلاق هما صوتي "هاشم قليج" وساجد آدالي"[(١)] .

- **ونظراً للتصريحات والنشاطات التي قام بها " نجم الدين أربكان " نائب محافظة " قونية " و " شوكت قازان "** نائب محافظة "قوجه لي" و "أحمد تكدال" نائب محافظة "أنقرة" و "إبراهيم خليل تشليك" نائب محافظة "شانلي أورفه" والتي أدت إلي إغلاق الحزب بسبب مخالفتها لحكم الفقرة الأخيرة من المادة ٨٤ من الدستور فقد تقرر بالإجماع إبطال عضويتهم في المجلس النيابي حال نشر هذا في الجريدة الرسمية .

- **ونظراً للتصريحات والنشاطات التي قام بها أعضاء الحزب " نجم الدين**

والعلمانية . وانتخب "سيزار" رئيساً للمحكمة الدستورية العليا في جولة رابعة بأغلبية ستة أصوات فقط من مجموع ١١ هم هيئة المحكمة دون رئيسها ، وهو كان عضوا في المحكمة الدستورية منذ عام ١٩٨٨ م ، وهو جاء خلفا للقاضي يكتا جولجور آوزدن "المعروف بصلابة تشيعه للكمالية وراجع الشرق الأوسط ، الرئيس الجديد للمحكمة الدستورية التركية يزايد علي سلفه في الولاء للأتاتوركية ، ٧/ ١/ ١٩٩٨ وعن ردود الفعل علي قرار الحل راجع الحياة ، ١٨/ ١م١٩٩٨ بعنوان **الحياة في اسطنبول مدينة هادئة ولا شئ فيها يذكر بالجزائر ، أهل الرفاه يشعرون بالرضا لأن قرار المحكمة كان معتدلا** والشرق الأوسط ، ١٦/ ١/ ١٩٩٨ والحياة ١٧/ ١/ ١٩٩٨ م **اجراءات للجيش بعد حل الرفاه ،** والمسلمون **١٩٩٨/١/٢٤ تركيا بعد حل حزب الرفاه .**

(١) طارق عبد الجليل ، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، م . س . ذ ، ص ١٥٣

أربكـان " و " شـوكت قـازان " و " أحمد تكدال " و " شوقي يلماظ " و " حسن حسين جيلان " و " إبراهيم خليل " و " شكري قره تبه " والتي أدت إلي إغلاق الحزب حسب الفقرة الثامنة من المادة التاسعة والستين من الدستور فقد تقرر بالإجماع حرمانهم من تأسيس أو عضوية أو إدارة أو رقابة أي حزب سياسي مدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ نشر القرار في الجريدة الرسمية .

- **تقـرر بالإجمـاع استمرار التدبير المتخذ بتاريخ ١٩٩٨/١/١٢ م " إغلاق حـزب سياسـي " القاضـي** بعدم تسديد مبلغ ١ تريليون و٢٣٦ مليون ليرة (٥ مليون دولار) إلي الحزب حتي نشر هذا القرار في الجريدة الرسمية[1] .

وعن الأسباب الموجبة لحظر النشاط السياسي لأعضاء الحزب المشار إليهم فمنها بالنسبة " لأربكان " استضافته لزعماء طرق دينية محظورة أساساً علي مائدة الإفطار والإدلاء بتصريحات تشير إلي احتمال استخدام العنف للوصول إلي السلطة حيث قال " سنصل إلي السلطة ولا نعرف ما إذا كان سيتم بشكل دموي أو غير دموي . وفيما يتصل " بشوكت قازان " نائب رئيس " حزب الرفاه " و وزير العدل سابقاً مطالبته في يوليو ١٩٩٦ م بتدريس العلوم الدينية والأخلاق داخل السجن وبالنسبة " لأحمد تكدال " (زعيم حزب الرفاه منذ تأسيسه وحتي عام ١٩٨٧م) اعتباره أن اسم الكادر السياسي الذي يريد تأسيسه " نظام الحق " في تركيا هو " حزب الرفاه " وبالنسبة " لشوقي يلماظ " إعلانه أنه سيحاسب كل من لا يأخذ صلاحياته من رسول الله " صلي الله عليه وسلم " وبالنسبة " لحسن حسين جيلان " قوله عام ١٩٩٢ م عندما كان في " هولندا " " استولينا علي الجامعة وخدعنا " أجاويد " وفتحنا مدارس الأئمة والخطباء ولو كانت خطتنا بشأن المدارس العسكرية تحققت لكانت الدنيا

(١) نفس المرجع ، ص ١٦٣ .

تغيرت"، وبالنسبة لإبراهيم خليل تشليك"قوله"إنه إذا أغلقت معاهد الأئمة والخطباء الدينية فسوف تراق الدماء وستكون تركيا أفظع من الجزائر"، وبالنسبة"لشكري قره تيه"قوله"إن هذا النظام يجب أن يتغير"[1].

خامسا: قرار إغلاق الرفاه وأزمة الديموقراطية التركية:

لعل الإشارة إلي حيثيات قرار المحكمة الدستورية بالإغلاق وحيثيات من رفض من أعضائها قرار الإغلاق تشير إلي عمق أزمة الديموقراطية في تركيا والتي تتمثل بشكل أساسي في تنصيب الدولة لنفسها بحسبانها "نصف إله" وأنها المجسدة للأيديولوجية "الأتاتوركية" التي تعبر عن المصلحة القومية العليا للبلاد والعباد وفق دستور وضعه الجيش عام ١٩٨٢ م ولكنه لا يعبر عن الشرعية أو الدستورية.

وكما عبر "جنكيز تشاندار" علي قرار إغلاق "الرفاه" وإنهاء وجوده السياسي قائلا "بداية كنت خططت لإلقاء نظرة علي قانون الأحزاب وعلي المواد ٦٨ و ٦٩ من الدستور ثم صرفت النظر عن ذلك لأن القانون في الواقع شكلي وكل ما جري كما يعلمه الجميع أو يستشفونه أمر "سياسي" وأكد مراراً رؤساء الهيئات القضائية أنفسهم أن التحكيم غير مستقل في تركيا، والتحكيم مثل التشريع تحت إشراف التنفيذ ومقصدنا من التنفيذ ليس الحكومة أو ما شابه ذلك.. **فالحكومة هي كمبارس التنفيذ الموضوع علي المسرح لكي يقوم بدورها ويحل محلها في التنفيذ كالمنفذ بلغة الموضة اليومية هو**

---

(١) نفس المرجع، ص ١٣٦ - ١٣٨ ونص قرار الإغلاق أورده أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص٢١ وسنورده بنصه كملحق في نهاية الرسالة. وبذلك يكون هذا هو الحزب الذي تم إغلاقه لحركة "الملي جوروش" والحزب الثالث والعشرين الذي يتم إغلاقه في تركيا منذ العام ١٩٦٨ م. وعن الأسانيد الواهية التي تضمنتها أوراق الدعوي لغلق الحزب راجع: نفس المرجع، ص ١٨.

" الدولة الخفية " [1] .

– ففـي حيثيات قـرار الإغلاق قالت المحكمة الدستورية: " الرفاه " أغلق بسبب نـشاطاته المعارضـة للعلمانـية ، وأربكان " استمر في تصميمه علي أن يجعـل اسـتقلال الدولـة معـتمداً علي القوانين المنبثقة من الدين منذ تأسيسه حـزب الـنظام عـام ١٩٧٠ " و " أربكـان " وكـل إداريّـي الحـزب بهـدف جمع أصـوات الناخـبين كانـوا في كل خطبهم يدعون أن الحجاب والنقاب وغطاء الـرأس هي من الحقوق القانونية التي يجوز تلقي العلم والعمل بها وأن غطاء الرأس لا يعيق ذلك . . . .

وأربكـان " في إحدي خطبه قال: " نريد إزالة التحكم والسيطرة ، يجب أن نعيش نظام تعدد الحقوق ، ونحن عندما نأتي إلي الحكم سنجعل المسلم يمكنه أن يعقـد قرانه عن طريق المفتي أو يعقده في الكنيسة إن كان مسيحيا . . وهذا يهـدد الـتجانس القومـي . . . . والـشخص الـذي يحمـل صفة الرئيس العام للحـزب الـذي يتولـي مقالـيد السلطة يجب عليه أن يكون حريصاً في أقواله وأفعالـه أكثر من غيره عندما يرد أي أقوال تتعارض مع العلمانية والشخص الـذي يكـون رئيـساً للـوزارء والمنوط به تحقيق مبدأ العلمانية الذي استقر في الوجدان منذ أن تأسست الجمهورية التركية عندما يقوم هذا الشخص بدعوة أنـاس يـرتدون ملابساً تتعارض مع مبدأ العلمانية هذا وتطبيقاته علي وليمة إفطار في مبني ضيافة رئاسة الوزراء فإنه بذلك يكون قد امتهن مبدأ العلمانية ويكـون هو وهـم قد عبروا عن رفضهم لهذا المبدأ ، ورئيس الوزراء بتصرفاته هذه يكون تصرف تصرفاً يتعارض تماماً مع العلمانية [2] .

---

(١) صباح الدين أوتشار ، أربقان والتيار الإسلامي ، م . س . ذ ، ص ٣٧٧ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٣٦٢ - ٣٦٦ .

- وعن حيثيات عدم الإغلاق من جانب عضو المحكمة الدستورية العليا "هاشم قليج" فقد قال "**حرية التعبير عن الفكر إحدي الركائز المهمة في المجتمع الديموقراطي** حتي لو سببت إزعاجاً أو غضباً أو حتي صدمة للدولة وبدون أخذ حرية التعبير في الاعتبار لا يمكن التفكير في مجتمع ديموقراطي بأي شكل كان.

وعن الملابس وشكلها في المؤسسات التعليمية العليا قال "**إنها متروكة للقيم الاجتماعية والثقافية والرؤية الشخصية والنضج والأعراف والمعتقدات الإيمانية** ذلك لأن الجامعات مؤسسات ذات طبيعة استقلالية وأنه أنيط بها حرية الفكر، والفكر الحر والبحث الحر واتخذ أساساً في بنيانها تشكيل حرية التصرف ومن هذا المنطلق فإنه يمكن أن يكون فيها بعض الأشخاص الذين من الممكن أن يرتدوا ملابس وفقاً لمعتقداتهم ولا يمكن أن يأتي هذا أو يجري وفقاً لمفهوم "انطلاقاً من الدين"... وأضاف "**الدولة الديموقراطية هي الدولة التي يمكن أن يعيش شعبها لفترة ما في سلام بالرغم من وجود تباين وفروق بين هذا الشعب لحدما**.. ولا يمكن الحديث عن الديموقراطية في بلد يعتمد علي الفكر الأحادي".

أما عضو المحكمة الدستورية العليا "ساجد أدالي" فقد قال "إن النظام الذي يحكم علي الحزب الذي يحاول إثبات اتجاهاته بالغلق لا يمكن أن يكون مع الديموقراطية"[1].

- إذن إغلاق "حزب الرفاه" أعاد السؤال حول مشروعية الجمهورية التركية وحول هويتها وطريقة تنظيمها من جديد حتي أضحت تعبيراً عن قلق مجتمعها الذي ضاق ذرعاً باستبدادها وصلافتها وطغيانها وتسلطها

(١) نفس المرجع، ص ٣٦٧ - ٣٧٢.

وتصلبها.

ومن هنا فإن إسلامي تركيا ممثلين في الرفاه "كانوا تعبيراً عن الرغبة في النهوض بتركيا نحو وضع يكون أكثر تعبيراً عن الديموقراطية والحداثة، بينما كانت النخب القديمة والتي كان يصفها "أربكان" بالتقليدية أكثر تعبيراً عن الاستبداد والعلمانية المتخلفة التي تعبر عن "أيديولوجية أصولية فاشية" ترفض الرأي الآخر وترفض حرية التعبير وترفض التداول علي السلطة وحق الناس في الاختيار.

كان "الرفاه" يناضل من أجل علمانية متسامحة لا تنكر علي الناس حقهم في التعبير وفي الاختيار وفي التنوع والتعدد بينما كانت النخب التقليدية أتباع "أتاتورك" تصر علي علمانية أحادية تجاوزها الزمن ترفض حق الناس في حريتهم الفكرية والاعتقادية وترفض حريتهم في اختيار ملابسهم وترفض حقهم في نوع التعليم الذي يريدونه إنها علمانية شاملة تريد نزع القيم عن الحياة وليست حتي علمانية جزئية تقبل بفصل الدين عن الدولة[1]. لقد كانت معركة إغلاق "حزب الرفاه" صراع علي الهيمنة السياسية

---

(١) عن موقف الرفاه من العلمانية راجع: حوارنا مع "اربكان" في أنقرة أواخر عام ٢٠٠٣ م، حيث أشار إلي أن العلمانية الكمالية إكراهية وليست كالعلمانية الغربية محايدة، لذا فهو يرفض العلمانية الكمالية ويطالب بعلمانية تحترم الاعتقاد وكان يطالب بإضافة احترام حق الناس في الاعتقاد إلي المادة ٢٤ من الدستور التركي، وهو يطالب بحق المسلمين في ممارسة عقائدهم والتعبير عنها واحترامها وتنظيمها في دولة علمانية لا تسمح بهذا، ورجائي قوطان مثلا لا يري فصلاً بين الدين والدنيا أي يرفض العلمانية الشاملة ولكنه يقبل بالفصل بين الدين والدولة علي أن تسمح الدولة للناس بالتعبير عن معتقداتهم، حوارنا مع رجائي قوطان "رئيس حزب السعادة اليوم وأيضاً محمد نور الدين قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص ٦١ - ٦٢، ويلاحظ أن الرفاه لا يرفض العلمانية مطلقاً ولكنها يرفضها في تطبيقها التركي الذي يحرم المسلمين هناك من حقهم في التعبير عما يعتقدون ولذا فهم يتحدثون عن تطبيقات غربية للعلمانية تدع الناس وما يدينون. فالعلمانية التركية تمنع المرأة المسلمة من ارتداء الحجاب في الجامعات والمؤسسات الرسمية وقضية "مروة قاوقجي" نائبة حزب الفضيلة والتي هزت أركان العلمانية التركية عنوان لذلك، وتتحدث المصادر عن امتداد منع

تخذ في المقـام الأول شكل حرب ثقافية بين النخبة الإسلامية والكماليين حول ستمرار نظرة الجمهورية العلمانية كما حددتها النخب القديمة .

- لم يـزعج أمـر إغلاق " حزب الرفاه " زعيم الحركة الإسلامية ذات الوجه لـسياسي في تركيا فلم تكن هذه هي المرة الأولي التي يغلق فيها حزب لحركته لاجتماعـية الممـتدة "الملـي جورروش"، فقد أغلق العسكريون "حزب النظام لـوطني "بقـرار مـن المحكمـة الدسـتورية العلـيا في ٢٠ مايـو١٩٧١ م بعـد الانقـلاب الأول الـذي قاموا به في مارس ١٩٧٠ م، بحجة معارضته لأسس الـنظام العلمانـية ، وكـان هذا هو أقل الأحزاب التي أسسها "أربكان" عمرا ، فقد أسسه في يناير عام ١٩٧٠م .

ولكـنه سـرعان مـا عـاد مـن سويـسرا إلي تركيا وأسس في ١١ أكتوبر ١٩٧٢ م حزب السلامة الوطني ليعبر عن رؤية أكثر صلابة وتجذرا في الواقع

الحجـاب لخـارج المؤسسات الرسمية في الشارع مثلا فقد منع موظفون من التعيين في دوائر الحكومة بـسبب ارتـداء زوجـاتهم للحجـاب ، هـنا العلمانـية بـوجهها القمعـي والاسـتبدادي تتـناقض مـع الديموقـراطية والـرفاه يـريد الـوجه الديموقراطي للعلمانية الذي يدع الناس وما يؤمنون ، وفي بعض أحاديـث أهـل الـرفاه عـن العلمانـية اعتبروا أن الإسـلام تعـبيرا حقيقيا لها فهو أعطي مخالفيه كافة حـرياتهم الدينـية والثقافية ، وفي سياق تأمل الوضـع العجيب في تركيا والذي جعل إسلاميًا يتحدث عـن علمانـية تحترم الدين وهو ماجعل البعض يتحدث عن "**العلمانية المؤمنة**" أي التي تجمع بين فصل الـدين عـن الـشأن العـام ولكـنها في نفـس الـوقت تحـترم الـدين وتقـر باهميـته في تحقـيق الـنهوض الاجتماعـي ، ويعـد العدالة والتنمية تعبيراً عن ذلك ، فالديموقراطية المحافظة التي تعبر عن أيديولجية الحـزب تقـبل بالعلمانية بمعني فصل الدين عن الشأن العام ولكنها في نفس الوقت تدعو إلـي أهمـية الـدين والقـيم الدينية وعن هذا المصطلح راجع مثلا: صلاح الدين الجورشي ، الرسالة التركـية: **العلمانـــية المؤمـــنة مقابـــل الدولـــة الإســـلامية** ، الحـياة ٥/ ١٢/ ٢٠٠٢ وعـن مـدي الـتباس مـصطلح العلمانـية وعلاقـته بالـدين راجـع ، إبـراهيم إبـراش ، الأصـولية والعلمانـية www.sis.gov.ps/arabic/roya/archiv ، وعـن فـشل العلمانية التركية واعتبار الإسلام أحد أهـم القضـايا التي ينبغي طرحها في قضية انضمام أوروبا للاتحاد الأوربي راجع: جاكومو لوتشياني ، International Politik فبرايـر ، ٢٠٠٣ تـرجمة عارف حجاج . وعن أفول العلمانية راجع جون فـول ، **الإسلام ونهاية العلمانية** ، الجزيـرة نت ، ٩/ ٧/ ٢٠٠٤ ، وعن تحولات العلمانية الفرنسية راجع حسن الـسرات ، **تجديد العلمانية الفرنسية بين الديني والسياسي** ، الجزيرة نت ، ٨/ ٨/ ٢٠٠٥ .

التركي الذي اقترب وتماس بقوة من الإسلام في فترة السبعينيات ودخل حزب السلامة الانتخابات مرتين كأول حزب إسلامي يعبر عن العودة إلي الإسلام ويطالب بأن يكون للإسلام دور في الحياة العامة وفي النظام السياسي وفي المرة الأولي حقق ١١,٨٪ من الأصوات في الانتخابات البرلمانية و١٢,٣٪ في انتخابات مجلس الشيوخ، وفي المرة الثانية في انتخابات ٥ يونية المبكرة حصل علي ٨,٦٪. وشارك حزب السلامة في ٣ ائتلافات حكومية الأولي في ٢٦ يناير ١٩٧٤ م مع خصمه اللدود حزب الشعب حيث تولي "أربكان" نائب رئيس الوزراء في حكومة "بولنت أجاويد" وشارك بـ ٦ حقائب وزارية، والثانية مع "حكومة الجبهة القومية الأولي" ٣١ مارس ١٩٧٥ م وكان "أربكان" نائباً لرئيس الوزراء وكان لحزب السلامة ٧ وزراء والثالثة مع "حكومة الجبهة القومية الثانية" في ٢١ يوليو ١٩٧٧ وكان "أربكان" نائب رئيس الوزراء ولحزب السلامة الوطني ٦ وزارات، وأغلق حزب السلامة بعد انقلاب ١٢ سبتمبر ١٩٨١ م بدعوي تهديد النظام العلماني ووقف الأصولية الإسلامية.

وسرعان ما عادت حركة "الملي جوروش" لتعبر عن نفسها من خلال حزب الرفاه عام ١٩٨٣ م[1].

إغلاق حزب يعبر عن الحركة الإسلامية التركية لا يعني توقف التعبير السياسي للإسلام عن الوجود أو انتهاء تمثيله في الحياة الحزبية ولذا قال "أربكان" بعد إغلاق الرفاه: "**إن إغلاقه لا يعد في نهاية الأمر كونه نقطة بسيطة في مجري أحداث التاريخ وأنه لن يبطئ عجلته**" وعقد مؤتمراً صحفياً قال فيه "إنه يحترم قرار المحاكم حتى لو كانت قراراتها خاطئة ودعا أعضاء حزبه إلي

(١) عن تحولات حركة "الملي جوروش" واتخاذها أشكالا لتنظيمات سياسية متعددة راجع: محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص ٨٣ - ٨٨.

التـزام الهـدوء و الحذر واليقظة من محاولات شق الصفوف واختلاق الفتن، وقـال: إن قـضية وعقـيدة الرفاه هي قضية الأمة بأسرها وأن الشعب التركي أثـبت في كـل مـرة أنـه يقـف مـع المظلـوم، وأوضح أنه سيلجأ إلي المحكمة الأوربـية لحقـوق الإنسان وأنه علي يقين من نقضها لحكم المحكمة الدستورية العلـيا التركـية، وأضـاف "إن إغلاق "الرفاه" لن يؤدي إلا إلي تسريع صعود الحزب الإسلامي المقبل إلي السلطة.

وأعطي "أربكان" تعليمات صريحة بعدم ردود الأفعال المتطرفة والمندفعة من جانب أنصاره[١] ووجه مصدر رفاهي بارز ما أسماه "رسالة إلي أصدقاء الـرفاه العـرب" قـال فيها "اطمئن إخواني العرب أن لا يقلقوا علي مستقبل "الـرفاه" عـندما يلاحظـون عدم حصول رد فعل من أنصار "الرفاه" من تظاهر وخلافـه[٢]، لقد شكونا أمرنا للشعب التركي وهو متضامن معنا ولن نعطي الفرصة للقوة التي تريد دفعنا للصدام والتطرف".

وبالطبع عبرت العواصم الغربية عن رفضها لحل "الرفاه" فقالت "مادلين أولـبرايت" وزيـرة الخارجـية الأمـريكية "إن هـذه الخطـوة سـتلحق الأذي بالديموقـراطية في تـركيا" وأعلنت "بريطانيا" التي تترأس الاتحاد الأوروبي أنها ستبحث مع شركائها الأوربيين في اتخاذ موقف مشترك"[٣].

(١) المسلمون، تركيا بعد حل حزب الرفاه / ٤٢/ ١/ ١٩٩٨.

(٢) الحياة، تركيا: اجراءات للجيش بعد حل الرفاه، ١٩٩٨/١/١٧ وكانت ندوة عن الوضع التركي عقدت في كلـية الاقتـصاد والعلـوم الـسياسية أثـار فيها المشاركون المصريون استغرابهم الشديد من رد فعل مـؤيدي الـرفاه تجاه قرار الحل والإغلاق وأنهم لم ينزلوا إلي الشوارع كما حدث مع جبهة الانقاذ في الجزائـر حـين ألغـيت نـتائج الانـتخابات البرلمانية من قبل العسكر لمنع وصولهم إلي السلطة، ولكن الفـرق هـنا يعـود فـيما نطلـق علـيه "الثقافة التركية" أو "المزاج التركي" الذي يصدر عن عقل عميق ورث تقالـيد عمـيقة هـي تقاليد امبراطورية كبيرة هي الدولة العثمانية وراجع في هذا كمال حبيب، الحركة الإسلامية القلقة من أربكان إلي أردوغان، م. س. ذ.

(٣) فهمي هويدي، لماذا الأسف الغربي علي حل الرفاه، الأهرام، ٢٦ / ١/ ١٩٩٨ م.

– تحول أعضاء "الرفاه" إلى أكبر كتلة برلمانية ولكنهم مستقلون (١٥٠) نائباً وأشارت مصادر الرفاه إلى أن هناك حزب جديد سيتأسس ليعبر عن تيار الفكر الوطني "ملي جوروش". وبالفعل تأسس "حزب الفضيلة" FP بقيادة "إسماعيل ألبكتين" قبل قرار إغلاق الرفاه في ١٧ ديسمبر ١٩٩٧م، وانتقل إليه كل أعضاء "الرفاه" وأعلن "سليمان ديميريل" أن الحزب الجديد لا يعد امتداداً للرفاه، وأن الأعضاء الذين لم يشملهم قرار حظر العمل السياسي يمكنهم الانضمام لأي حزب أو تشكيل حزب جديد. وأصبح حزب الفضيلة هو الكتلة النيابية الأكبر في البرلمان التركي"(١).

وتخلي "إسماعيل ألبكتين" عن رئاسة الحزب ليفسح المجال أمام "رجائي قوطان" الذي أصبح رئيساً لحزب الفضيلة في المؤتمر الطارئ للحزب والذي انعقد في ١٤/ ٥/ ١٩٩٨م، ثم جدد الحزب انتخابه مرة أخرى في المؤتمر المنعقد في ١٤/ ٥/ ٢٠٠٠م في مواجهة "عبد الله جول" الذي كان يعبر عن جيل جديد داخل الحركة الإسلامية يري أنه قد اكتمل عوده السياسي ليتولى هو مقاليد توجيه الأمور داخل الحركة الإسلامية التركية"(٢).

---

(١) بعد دخول حكم محكمة الدستور بإغلاق حزب الرفاه حيز التنفيذ بعد نشر قرار حل الرفاه في الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٩٨م، انتقل أعضاء الرفاه الذين أصبحوا في حكم المستقلين إلى حزب الفضيلة الذي أصبح يمثل أكبر كتلة برلمانية في البرلمان التركي (١٤٠ نائباً). راجع: الأهرام، الرفاه صار تاريخاً.. والفضيلة قادم مع التعديلات، ٣/٣/١٩٩٨م.

(٢) كان من الواضح منذ أنه بعد حل الرفاه حدث تيار داخل حركة "ملي جوروش" من الشباب الذين يعرفون داخل الحركات الإسلامية بجيل الوسط يكون لديهم وعي مختلف بطبيعة المشاكل التي تواجهها تركيا، وأن طريق "أربكان" الذي يعتمد على المواجهة مع العسكر الذين يمثلون القوة الرئيسية في النظام السياسي [illegible]

- هـذا في الواقـع تعـبير عـن طمـوحات جـيل الوسـط داخـل التـيار الإسلامي في أن يصبحوا هم ربان السفينة التي يعتقدون أنها بحاجة إلي ملاح مـن طـراز أكثر وعيا وخبرة بمشاكل الواقع من جيل الشيوخ . وهم يعتقدون أن حالـة تـركيا ذات وضـع خـاص تحـتاج إلـي نـوع مختلف مـن الاجتهاد الـسياسي الجديـد عـن ذلك الذي قدمه جيل الشيوخ "أربكان والذين معه". وجـاء إغـلاق "حـزب الفـضيلة" في ٢٢/٦/٢٠٠١ م ليؤكد اقتناع جـيل الـشباب الـذين يطلـق عليهم في تركيا "المجددون المعاصرون" بأن المسيرة التي قادهـا "نجـم الدين أربكان" منذ عام ١٩٧٠ م بحاجة إلي مراجعة وإعادة نظر في ظـل الـسياق التركـي المعقد والذي تعرف دولته العلمانية العنيدة "بالدولة الخفية" كما عبر "جانكيز شاندار".

تحـتاج هـذه الدولـة إلـي إعادة ترتيب قواعد اللعبة السياسية من جديد داخـل الحالـة الإسـلامية الـسياسية ومـن هنا كان تأسيس هذا الجيل الجديد لحزب جديد هو حزب "العدالة والتنمية" وهو الحزب الذي يحكم تركيا اليوم مـنذ عـام ٢٠٠٢ م بأغلبـية لم تعـرفها تـركيا - ٣٦٣ مقعـدا - مـنذ الحـزب الديموقراطي في الخمسينيات لتحظي لأول مرة منذ انقلاب عام ١٩٦٠ بنظام حزبـي مـريح حـيث يـوجد حـزب يمـثل قلب اليمين التركي ومركزه بامتياز ومعارضة يعبر عنها حزب يساري.

ويعـبر حـزب اليمين "العدالة والتنمية" الذي يصف نفسه بأنه تعبير عن "الديموقـراطية المحافظـة" ومـن ثـم فهو يعبر عن الإسلاميين وجمهور الرفاه القديم كما يعبر عن القطاعات المؤيدة لأحزاب اليمين القديمة التي انهارت ولم يعد لها وجود مثل "الوطن الأم" والطريق المستقيم".

[illegible] إغلاق حزب الفضيلة ليجعل من ذلك أمر محسوما لا رجعة فيه ومن هنا [illegible] ميلاد حزب العدالة والتنمية الذي يحكم تركيا اليوم

إن حـزب العدالـة والتنمـية استطاع أن يحقق ما كان "الرفاه" يسعي إليه وهـو اخـتراق أحزاب اليمين التركي التي تضم داخلها دائما قطاعات متدينة ومحافظـة ليـصبح هـو المعـبر عـنها . ويبدو لي أن جيل الوسط التركي ورث تفكـير "شـيوخ الحـركة" واسـتوعبه ولكـنه امـتلك تكتيكات وإدراك للواقع ووعـي به ومعرفة قيوده وحدوده التي لم يكن يمتلكها جيل الشيوخ في الحركة الإسلامية التركية .

ويظل "الفكر الملي" الذي أرسي بذوره "أربكان" متجذرًا بقوة في الواقع التركـي ومرشـح للعـودة مرة أخري ولكن ذلك مرهون بقدرة جيل الوسط الحـاكم الـيوم في تـركيا علـي الوفاء بمتطلبات المزاج التركي الحساس للفساد والإصـلاحات الاقتـصادية والـسياسية والحـرية والعدالـة ، فحـزب السعادة الـذي لم يحقق أي إنجاز يمكنه من دخول البرلمان أو الحصول علي نصيب من الـبلديات لا يـزال مرشـحاً لأن يكـون خياراً للمواطن التركي في حالة عجز "العدالـة والتنمـية" أن يـوفي بمطالـب المـواطن التركـي . فالتـصويت العقابي يـصلح بامتـياز تفسيراً لسلوك المواطن التركي في الانتخابات خاصة وأن هذا المـواطن الـذي عـاش في ظـل حكـم علمانـي طويل لا يحبذ صيغة المواجهة والاستقطاب بين الجيش الذي لا يزال يحظي بثقة المواطن التركي وبين حزب الأغلبية في البرلمان .

* * *

الفصل الرابع
العدالة والتنمية ومستقبل الإسـلام السياسـي فـي تركيـا

ويتضمن خمسة مباحث

المبحث الأول : تركيا في مفترق طرق

المبحث الثاني: المعركة الدائرة في تركيا

المبحث الثالث: الوثنية السياسية - خبرة العلمانية التركية

المبحث الرابع قراءة في مستقبل تركيا بعد نتائج الانتخابات الأخيرة

المبحث الخامس: تركيا تستهل عصر الجمهورية الثالثة

خاتمة: الإسلام المقاوم في تركيا

الفصل الرابع :
حزب العدالة والتنمية
ومستقبل الاسلام السياسي في تركيا

مثلت حركة "الملي جوروش" أي الفكر الوطني التي أسسها "نجم الدين أربكان" عام ١٩٦٩ م تعبيراً عن تيار وطني يستند إلي منطلقات إسلامية ، وهي تعبير عن "حركة اجتماعية جديدة" بمعني أنها مرآة عكست وجود تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية شهدتها تركيا طوال فترة الخمسينيات والستينيات و عبرت عن نفسها في ظهور هذه الحركة الاجتماعية الجديدة التي عبرت عن الوجه السياسي للإسلام في تركيا ، وكان تأسيس هذه الحركة لأحزاب سياسية متعاقبة أولها النظام الوطني (٢٦ يناير ١٩٧٠م) ثم السلامة الوطني (١١أكتوبر ١٩٧٢م) ثم حزب الرفاه (يوليو ١٩٨٣م) ثم حزب الفضيلة (ديسمبر ١٩٩٧م) هو تأكيد علي أن هذه الحركة الاجتماعية التي تعبر عن الفكر الوطني من منطلق إسلامي لا يمكن القضاء عليها في تركيا وأن جذورها أعمق من قدرة أية قوة أن تتخلص منها أو تجهز عليها بل كلما أغلق لها حزب جاء آخر أقوي وأكبر كما كان يقول "أربكان" دائما .

بيد أن حركة "الملي جورروش" تعرضت لأول مرة في تاريخها لانقسام عبر عن نفسه في مفارقة "الإسلاميين التجديديين" لمشايخهم وآبائهم القدامي - دعنا نطلق عليهم "الإسلاميون المحافظون" - وهو ما عبر عنه "آباء الحركة الإسلامية في تركيا" بأنها مؤامرة قصد منها تفتيت الحركة من داخلها لإضعافها والقضاء عليها[١] .

(١) راجع في ذلك مثلا باللغة الانجليزية:

ولأن حزب العدالة والتنمية بوجه من الوجوه هو تعبير عن استمرارية من نوع جديد للحركة الإسلامية في تركيا فإن التعرض لفهمه وتفسيره هو جزء لا يتجزأ من خبرة "الملي جوروش" وخبرة "حزب الرفاه" أيضا التي هي محور اهتمامنا، وكما يقول "جان ماركو" فلم يكن وصول حزب العدالة والتنمية وزعيمه "رجب طيب أردوغان" إلي السلطة مجرد مغامرة حزبية انتخابية، وإنما يمكن اعتباره حدثاً يتجاوز بكثير الحياة السياسية في تركيا"[(1)].

ونشير إلي "خبرة حزب العدالة والتنمية" في سياق النظام الحزبي التركي في الخلاصات التالية:

أولا: النظام السياسي التركي قوامه في الواقع أمران هما: الجيش الذي مثل دائما روح الدولة التركية فهوالذي استعاد لها استقلالها، ثم النظام الحزبي الذي جعل من "حزب الشعب" تعبيراً عن الوجه السياسي للدولة القومية الجديدة.

بيد أن التحولات الاجتماعية والسياسية الداخلية التي عرفتها تركيا بعد

Mete Gundogan(and others(, Strategic Target, Ankara:January, 2005, p. 42 - 43.

ويعتقد قادة "الملي جوروش" أن الصهاينة والأمريكان وراء شق الحركة الإسلامية في تركيا، وأن الانشقاق تم بناءً علي إغواء للمجموعة التي يمثلها "أردوغان وعبد الله غول" بالسلطة، ويستدلون علي ذلك بالعديد من المقالات التي كتبها "أردوغان" في الصحف الأمريكية منها علي سبيل المثال:

RecepTayyipErdogan, A Shared StrategicVision, Washingtonpost, 12April, 2003

...., Turkey IsA Faitliful Ally, And a Friend, Wall Street Journal/Europe, March31, 2003.

* وهناك حوار مع مستشار الخارجية الإسرائيلية "Alon Liel" حول ضرورة شق صفوف الحركة الإسلامية في تركيا يستند إليه قيادات "الملي جوروش" في دعم ما يقولونه.

(1) جان ماركو، الإسلام السياسي وم ابعد الإسلام السياسي في تركيا، في: عمرو الشوبكي، إسلاميون وديموقراطيون، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٤، ص ١٨٤.

الحـرب العالمية الثانية جعلتها تقبل بضرورة التحول ناحية التعدد الحزبي سنة ١٩٤٦ م فـبدون تعدديـة حزبية لا يمكن لتركيا أن تكون دولة علمانية حديثة تلاحق الغرب وتسير علي نهجه كما أراد "أتاتورك".

ويشير كتاب أتراك لهم اعتبارهم إلي أن العامل الخارجي كان قويا لدفع الـنظام الحزبـي التركي ناحية التعددية حيث يتحدثون عن استجابة "عصمت أينونو" زعـيم "حـزب الـشعب الجمهوري" إلي نصائح الأمريكان والإنجليز بشأن "ضرورة توسيع الديموقراطية في تركيا[1] .

ولكـن الديموقـراطية التركـية وكمـا يـشير "متين هيبر" كانت تعبيرا عن القطـاع الرأسـي في الدولـة ولم تتـسع لتـشمل القطاع الأفقي الذي يعبر عن المجـتمع ، فالنخـبة البيروقراطية التي ورثت الكمالية ابتدعت ما أطلقت عليه "عقلـنة الديموقـراطية" واعتبرت أن الساسة الذين حاولوا ممارسة الديموقراطية فعـلاً هـددوا مـصالح الدولـة ومـن ثـم لابـد من استبدالهم بساسة يتمتعون بالمـسئولية والإحـساس ومـستعدين للاستجابة لديموقراطية معقلنة هي تعبير عـن جـدل النخـبة لـتحديد الـسياسة الأفـضل ولـيس للتوفـيق بـين الرؤي والمصالح المختلفة .

وحـين يتدخل الجـيش لإعادة رسم حدود الديموقراطية التركية فإنه لا يـري العـيب أو الخطـأ في الـنظام نفسه أو في الجماعات المجتمعية أو في نفسه كجيش ولكـن في الـسياسيين أولـئك الذين لم يتحلوا بالمسئولية كما حددتها "البيروقراطية الكمالية" وعلي رأسها الجيش ، ومن ثم نحن أمام نظام سياسي يتنازعه مركـزان للقـوي أولهمـا "العسكر" و "بيروقراطية الدولة" من ناحية ،

(٢) راجـع هذه الدراسة الفصل الرابع "الإسلام والأحزاب السياسية قبل ظهور الرفاه"، المبحث الثاني "الإسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية السياسية" المطلب الأول "الانتقال إلي التعددية الحزبية وظهور الحزب الديموقراطي"، ص ٣٥٠

وثانيهما النخب السياسية والحزبية من ناحية أخرى"[١].

ثانيا: المهندسون السياسيون للنظام السياسي في رسمهم للنظام الحزبي التركي هدفوا إلي جعله نظاما ثنائيا يدور الصراع فيه بين حزبين كبيرين أحدهما يميني ليبرالي والثاني يساري اجتماعي بيد إن الأحزاب الصغيرة قد عرفت طريقها للتأثير في النظام الحزبي التركي الذي عرف استقطابا حادا بين اليمين واليسار في السبعينيات، وكان علي رأس هذه الأحزاب "حزب السلامة الوطني "MSP الذي كان تعبيرا عن تيار جديد في الساحة التركية وهو التيار الإسلامي"[٢].

كان اليمين واليسار في النظام الحزبي التركي تعبيراً عن العلمانية بيد إن حزب السلامة كان يعبر عن تيار إسلامي وطني يختلف عن اليمين واليسار، وكما يقول "فيلاديمير إيفانوفيتش دانيلوف" بحق "تسعي الطبقة الحاكمة لجعل النظام الذي اختارته بنفسها مناسباً لخلق هيمنتها السياسية عليه في الوقت الذي تسعي فيه لجعل هذا النظام متوازنا ومستقراً لكي يتمكن من تحقيق مصالح البرجوازية في الحياة وأثناء ذلك تقترح الأحزاب السياسية مؤيدة من المجموعات التي تتكتل معها من البرجوازية عدداً من الخيارات ابتداءً من النظم شديدة التسلط ووصولا إلي النظام الاشتراكي وحتي الديموقراطي، إلا أن أيا من هذه الخيارات السابقة الذكر لم يتمكن من الاستحواذ علي مواقع وطيدة لتأمين الاستقرار السياسي، والذي يبدو معه النظام السياسي

---

(1) Metin Heber and Jacob M. Landau, Political Parties and Democracy in Turkey London:WBC Print Ltd. Bridgend, 1991 pp. 2 - 6.

(٢) عن حزب السلامة وتأثيره في الحياة السياسية التركية راجع هذه الدراسة: الفصل الرابع بعنوان "الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه" المبحث الرابع بعنوان "أحزاب الملي جوروش والحياة السياسية في تركيا (١٩٧٠ - ١٩٨٠)، المطلب الرابع "حزب السلامة يشكل الحكومة مع حزبي الشعب والعدالة"، ص ٣٨٧ وما بعدها

غير قادر علي ممارسة العمل بشكل طبيعي أو فعال"[1].

وهكذا كان حال تركيا أيضا في الثمانينيات والتسعينيات قبل أن يفوز حزب العدالة والتنمية في انتخابات ٣ نوفمبر عام ٢٠٠٢ م وحصوله علي ٣٦٣ مقعداً من مقاعد البرلمان ليكنس ركام من الفساد السياسي والتنازع الحزبي الذي شل النظام السياسي التركي فيما اعتبر "ثورة صامتة" من جانب الناخبين ضد عجز النخبة السياسية التقليدية عن حل مشاكل البلاد.

فقد أسفر انتصار حزب العدالة عن تصفية طبقة سياسية كاملة فيما يمكن أن نصفه بإعادة بناء النخبة السياسية التركية، ولن نكون مبالغين إذا قلنا أننا بإزاء "انقلاب مدني" في الحياة الحزبية فبعدما كان الجيش هو الذي يتدخل لإعادة هندسة الحياة الحزبية والسياسية فإن الجماهير واختياراتها هي التي أعادت بناء هذه الحياة من جديد وهو ما يشير إلي تعزيز الخيار الديموقراطي كأداة لتجديد الحياة السياسية وليس العسكر وانقلاباتهم.

ولو تابعنا حجم الضغوط الهائلة التي مارسها العسكر علي حزب العدالة والتنمية لمنع نجاحه في الانتخابات[2] لقلنا إن نجاحه كان انتصاراً حاسماً علي دور العسكر في توجيه الحياة السياسية وفتح الباب أمام إمكانية استعادة النظام السياسي التركي لعافيته الديموقراطية عبر الآليات الطبيعية لها بعيداً عن "الديموقراطية المعقلنة" التي يضع شروطها النخبة العسكرية والبيروقراطية وفق هندسة خاصة تعوق التطور الديموقراطي للبلاد.

ثالثا: بتحليل نتائج التصويت لحزب العدالة والتنمية والذي حصل علي ٣٤,٣٪ نجد أن الحزب عبر عن شريحة واسعة جدا من الناخبين منهم

---

(١) فلاديمير ايفانوفيتش دانيلوف، الصراع السياسي في تركيا، الأحزاب السياسية والجيش، ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني، دمشق: دار حوران للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٠، ص١٠.

(٢) محمد نور الدين، تركيا: **الإسلاميون في السلطة**، شئون الأوسط، شتاء ٢٠٠٣، ص ١٩٤.

إسلاميون ويمينيون ويسار وفئات ساخطة علي الفساد السياسي والحزبي في البلاد ومن ثم عاقبت النخبة التقليدية القديمة بإسقاطها ورموزها مرة واحدة بضربة قاضية لن تقوم لهم بعدها قائمة .

وهنا يبدو لنا حزب "العدالة والتنمية" تعبيراً عن تركيبة سياسية واجتماعية جديدة ، لا هي علمانية بالمعني الذي يمثله يمين الوسط التركي (الطريق المستقيم والوطن الأم) ولا هي كمالية بالمعني الذي يعبر عنه يسار الوسط التركي "حزب الشعب الجمهوري وحزب اليسار الديموقراطي) ، ولا هي إسلامية بالمعني الذي عبر عنه حزب "الرفاه" وحركة "الملي الجوروش" ، ولكنه تعبير عن الإسلامية واليسارية واليمينية في صيغة جديدة لا تميل للمواجهة أو الاستقطاب كما أنها لا تنزع إلي استخدام الدين كأداة في الصراع الاجتماعي والسياسي وفي نفس الوقت تحمل عنوان تغيير الطبيعة الأصولية للدولة الكمالية نحو الديموقراطية والتعددية والاعتراف بالآخر بدون إقصاء ، وهذه الصيغة الجديدة التي حملها جيل الوسط من تلامذة "أربكان" رأوا من خلال خبرتهم الذاتية أنها هي القادرة علي الانتقال بمجتمعهم التركي إلي التقدم والنهضة وليس الاستقطاب والصراع الذي يعود بالحالة الإسلامية إلي أدراجها دون الحفاظ علي منجزاتها[1] .

(١) حزب العدالة والتنمية: فخ الإسلاميين الجدد في تركيا في دليل الحركات الإسلامية في العالم ، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، العدد الأول ، ٢٠٠٥ حيث يشير الباحث إلي أن حزب العدالة ليس حزبا علمانيا ولكنه تعبير عن توليفة أيديولوجية تزاوج بين الإسلام الروحي والعلمانية السياسية وهو يشبهه بالأحزاب الديموقراطية المسيحية في أوروبا ، وعن الخلفية الإسلامية للحزب وتأثيرها علي النجاح الكبير له يقول "بوكسال سويلماز" الكاتب التركي "الإجابة نعم ولا في نفس الوقت ، فالإحساس بالإسلام جزء من الثقافة التركية والأتراك مسلمون لكنهم مختلفون في درجات تدينهم وعلي الرغم من أن الكثيرين منهم يخافون الله لكن لا يمارسون شعائر الدين بشكل يومي حيث المسلمون المخلصون ليسوا أغلبية في تركيا ، لكن الأحزاب السياسية وبدرجات مختلفة تحاول استغلال الحساسيات الإسلامية للأتراك وحزب العدالة ليس حزبا إسلاميا رسميا بل إن

رابعا: فوز "حزب العدالة والتنمية" المكتسح والذي لم يكن متوقعاً بهذا الحجم - جاء عنواناً لفشل العسكر في الحملة التي دشنوها ضد ما أطلقوا عليه استئصال "الأصولية" أو "الرجعية" في حرب طويلة قد تمتد لألف عام كما عبر بعض قياداتهم ، فهم شنوا حربا لا هوادة فيها إبان الحملة الانتخابية للحزب علي "رجب طيب أردوغان" و المرشحين علي قوائم الحزب ومن ثم فإنه علي العسكر أن يدركوا أن تطرفهم في مواجهة التوجهات الإسلامية في تركيا لن يقضي عليها بل سيؤدي إلي زيادة تصويت الناخبين لهم .

و لا بد من صيغة توافقيه تقوم علي فكرة الحل الوسط التاريخي الذي يحترم عقائد الإسلاميين وحقهم في التعبير واعتماد علمانية تقبل بقواعد الديموقراطية والتعددية بما في ذلك الاعتراف بالتعددية الثقافية والاجتماعية للأكراد ، وتغيير قواعد إدارة الدولة علي قاعدة العودة إلي المؤسسات السياسية التي أنتجها اختيار الناس وقواعد الديموقراطية لتكون هي الفاعلة في النظام السياسي ومن ثم لا بد للحكومة والبرلمان والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع الأهلي من أن تستعيد مكانتها في النظام السياسي التركي بحيث لا يكون للجيش مكان في النظام السياسي كما يقرر ذلك الدستور .

فالنضال الحقيقي لحزب العدالة والتنمية يتمثل في كيف تتحول تركيا من "الدولة العميقة" إلي الدولة الشفافة" التي يمكن معرفة كل شئ داخلها وفق قواعد واضحة ومحددة كما هو الحال في الديموقراطيات الأخرى في العالم ،

اسمه علماني غير أن سمعته كحزب إسلامي ذي جذور إسلامية اعتبرت ميزة في صورته العامة مما ساعده في انتصاره الانتخابي ، ومن جانب آخر إذا كان عامل الإسلام حاكما في اتخاذ القرار الانتخابي فلماذا فشل حزب السعادة الإسلامي . . من المؤكد أن حزب العدالة طور شكلا أكثر تمدنا واعتدالا من الإسلام ، ص ٧٣ ، ويذهب جان ماركو إلي وصف حزب العدالة والتنمية بما بعد الإسلام السياسي راجع: جان ماركو ، الإسلام السياسي ومابعد الإسلام السياسي في تركيا ، م . س . ذ ، ص ١٩٨-٢٠١

والانتقال بالديموقراطية التركية من لحظة النشأة والميلاد - وهي قديمة فعلا - إلي لحظات الانتشار بحيث تصبح جزءا من الثقافة السياسية التركية .

وعن طريق مقرطة الدولة التركية تنتقل من هواجسها التي ورثتها عن حرب الاستقلال وتبدو أكثر ثقة في التعامل مع مشاكلها بعيداً عن الأيديولوجية القومية التي بناها أتاتورك والتي ألغت شخصية الأكراد وبعيداً عن العلمانية التي تريد إلغاء حق المخالفين للأتاتوركية في التعبير عن أنفسهم وعلي رأسهم الإسلاميين[1] .

وكما يقول البروفسور التركي "محمد ألتان" : الجمهورية أعلنت لكن الباديشاهية مستمرة ، الدولة في تركيا اليوم كما الباديشاه عند العثمانيين ، ولقد خلفت الجمهورية الباديشاهية لكنها باديشاهية بدون باديشاه وبدلاً من الباديشاه جاءت البيروقراطية العسكرية والمدنية ، الدولة في تركيا تعمل خارج القانون" وهذا معني "الدولة العميقة" أما التزامها بالقانون والتحرر من سطوة البيروقراطية العسكرية والمدنية فمعناه أن تصبح دولة ديموقراطية طبيعية وليست دولة نصف إله أو إله . دولة تعبر عن مجتمعها وليست فوقه او متعالية عليه[2] .

خامساً: قال لي بعض متابعي الشأن التركي أن "أربكان" كان يضع

---

(1) هناك هواجس سياسية مريعة لدي التيارات السياسية العلمانية والإسلامية معا حول وجود خطر داهم علي تركيا ، فالعلمانيون يدركون كيف نشأت تركيا الجمهورية في سياق توازن دولي عبرت عنه معاهدة لوزان ، والإسلاميون يدركون كيف صنعت الأيدي الخارجية الوجود المعاصر لتركيا وخاصة المنظمات الدولية والصهيونية والماسونية ويهود الدونمة ولايزال لهم الباع الأكبر في توجيه السياسة الداخلية والخارجيةومن ثم لاتزال تركيا لم تصل إلي الطور السياسي والاجتماعي الذي تشعر معه فيه أنها دولة طبيعية كبقية دول العالم تتخلص من إحساس الخطر الذي يراود تياراتها السياسية دائما ، وهنا ربما تكون الديموقراطية هي الجسر الذي تنتقل فيه من دولة تشعر بالخطر إلي دولة لديها ثقة بنفسها وربما يكون حزب العدالة والتنمية هو المرشح للقيام بذلك .

(2) محمد نور الدين ، حجاب وحراب ، م . س . ذ ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

الإسلام أمامه وهو يقود الصراع مع العلمانية الاستئصالية Militant Secularism في تركيا بينما قرر "أردوغان" أن يضعه في قلبه، وبمتابعة عالم الأفكار في تركيا نلحظ تحولاً كبيراً في الأفكار وتسارعها وانتقالها بشكل واضح وهذا راجع إلى الطبيعة العملية للثقافة التركية والاهتمام بالشأن العام، وإذا كان الرأي العام التركي تحول بهذه الحدة التي رأيناها منذ ١٩٩٩ م وهي الانتخابات التي سبقت فوز العدالة والتنمية وتشكيله للحكومة الثامنة والخمسين في تاريخ الجمهورية فإن الجيل الذي مثله "رجب طيب أردوغان" قد فهم رغبة الشعب في التأسيس لسياسة جديدة وبطريقة مختلفة عن تلك التي عرفها منذ عام ١٩٨٢ م.

ولذا أعلن أنه سيقود وجهة تركيا ناحية الانضمام للاتحاد الأوربي، إنه يعبر عن إدراك جديد لهذا الجيل الذي مارس العمل السياسي والخدمي وسط الجماهير والناس وكما قال لنا "علي بولاج": إنهم تعبير عن "الإسلام المدني" وليس "الإسلام السياسي" أي أنهم يدركون ضرورة وضع اختلافات الآخرين في اعتبارهم وأنهم يقفون منها موقف المحاور المتفهم المتسامح من نفس النقطة والأرضية التي يقف عليها الآخرون بدون تمييز أو تصور استخدام أدوات لفرض مايريدونه علي الآخرين. أن يعيش الناس أفقيا معا، وليس عمودياً، أي لا يكون تعبيراً عن كمالية جديدة ترتدي ثوباً إسلاميا.

وفي الواقع هناك نقطة مهمة جدا يعبر عنها جيل "أردوغان" وهو أنهم تعبير عن تغليب فكرة "الجماعة" في النهضة أكثر من تغليبهم لفكرة "الشريعة" فنحن لدينا تعبيران ذكرناهما من قبل في عملية التجديد الأول التعبير الإحيائي (العقائدي) الذي يغلب فكرة الشريعة "ومن ثم فلابد من وجود سلطة أو دولة لتطبيقها علي الناس، فالدولة هنا أولا ثم إيجاد الأمة التي

تحكمها الدولة ، والتعبير الإصلاحي(الواقعي) والذي يغلب فكرة "الجماعة أي واقع الجماعة المسلمة واستصحابه في عملية النهضة والانطلاق منه ، وأربكان" ينتمي بهذا المعني للتعبير الإحيائي بينما ينتمي "أردوغان" للتعبير الإصلاحي"[1].

سادساً: ولكي نفهم معني "الديموقراطية المحافظة" Muhafazakar Demokrasi فإننا نشير إلى ماذكره "رجب طيب أردوغان" في American Enterprise institute عن مشروع حزب العدالة والتنمية حيث قال "الديموقراطية المحافظة هي نظام سياسي واجتماعي توفيقي تنسجم فيه الحداثة والتراث من جانب والقيم الإنسانية والعقلانية من جانب ثان ، فهي تقبل الجديد والوافد ولا ترفض القديم والمحلي وتحترم الآخر وتؤمن بخصوصية الذات ، وترفض "الديموقراطية المحافظة" الخطاب السياسي والبناء التنظيمي القائم على الثنائيات التي تفرض رؤية سياسية أو أيديولوجية أو عرقية أو دينية واحدة تلغي ماسواها .

وتؤكد علي أن الدولة يجب أن يتوقف دورها عند تسيير الأمور من خلال الحد من التناقض عبر التوفيق بين مختلف الاتجاهات بتحقيق التفاعل الإيجابي في المجتمع بما يساهم في إيجاد بيئة يتعايش فيها الجميع دون استقطاب

(١) عن رؤية الجيل الجديد للدخول في الاتحاد الأوربي راجع علي الشبكة:
www. qantra. de/webcom/show - article. php/ - c - 340/ - nr - 14/ - p - l/i. htm
لكيم اغاي ، موروث أتاتورك اليوم ، الإسلام والكمالية في تركيا . وعن مجادلات متنوعة حول الدخول التركي للاتحاد الأوروبي راجع علي الموقع ذاته ملفاً كاملا حول تركيا والاتحاد الأوربي وبشكل عام فإن التيار الذي يمثله أردوغان والعدالة والتنمية والذي يراهن علي إمكانية تغيير الطابع الكمالي القومي للدولة بالدخول للاتحاد الأوربي يقف في وجهه التيار القومي وحزب الشعب الجمهوري المعارض والتيار العلماني المتحكم في الدولة عبر البيروقراطية الحكومية والعسكر . وراجع أيضا محمد نور الدين ، أربكان وأردوغان، الواقعي والأكثر واقعية، الشرق الأوسط، ٢٩ /٧ /٢٠٠٥ فهو يشير إلي أهمية الجماعة في فكر أردوغان وأهمية الدولة عند أربكان .

أو استئثار .

وأشار "أردوغان" إلي أن تجربة حزب العدالة والتنمية أثبتت عد التعارض بين الإسلام والديموقراطية وأن الاعتدال والوسطية والأخذ بمبادئ التعددية والديموقراطية هي التجربة التي أرساها صعود حزب العدالة وسعي لترسيخها .

وتتعدي أهداف ديموقراطية الحزب من الانتخابات ونزاهتها والبرلمانات وقدسيتها إلي تنشيط دور المجتمع المدني واحترام الحريات وضمان الحق في الاختلاف والمشاركة السياسية وتوزيع واستقلال السلطات وهي المبادئ العامة للديموقراطية المحافظة والمأمول تحقيقها من قبل حزب العدالة والتنمية في تركيا .

ويهدف مشروع الحزب إلي تخفيف الهواجس التي يثيرها صعود الأحزاب الإسلامية في تركيا من خلال التأكيد علي أن الحزب ليس قوة سياسية للتعبير عن هويات ثقافية مكبوتة تتعارض مع طبيعة النظام القائم في الدولة ولكنه يسعي للتوفيق بين طبيعة هذا النظام وتلك الطاقات دون تصادم بين الاتجاهين طالما تهيأت البنية الداخلية لذلك ورضي الفاعلون الأساسيون في هذا النظام عن نتائج النموذج الذي يمثله حزب العدالة[1] .

وكان "فكرت بلا" مدير تحرير "ملليت" التركية سأل عبد الله جول وعبد اللطيف شنر عن الجديد في حركتهم فقالوا: لن تتمحور حركتنا حول المشاعر والعقائد الدينية وإنما علي الأسس الديموقراطية والشفافية والحوار والتعاون ، وأن الحركة سوف تعتمد أسلوب العمل الجماعي وليس علاقة

(١) محمد عبد القادر ، الديموقراطية المحافظة . . طرح الإسلاميين الأتراك علي موقع: www. alwihda. com ، نقلا عن إسلام أون لاين .

الطاعة والتبعية للزعيم وأن الحركة سوف تهتم بقضايا الناس اليومية مثل البطالة وعدالة توزيع الثروة وإصلاح نظام التعليم وتحسين الخدمات ، والحركة سوف تركز علي المشترك بين كل القوي السياسية والمجتمعية وليس علي الاستقطاب وتعميق النزاعات ، لن نهدد النظام القائم وسنتجنب الراديكالية في السياسات ومشكلة الحجاب سنحلها في سياق حق المرأة الإنساني في الاختيار ولن تعارض الحركة الكمالية ولكن ستسعي لتحقيق الجزء النهضوي فيها - أي النهوض الاقتصادي والتنموي[1] . نحن إذن أمام نموذج جديد من الفكر السياسي والممارسة العملية التي تعبر عن خصوصية الحالة التركية المعقدة ، وهذا النموذج الجديد يواجه مشكلات في غاية التعقيد ولكنه وفق البرنامج الذي يقدمه ربما يكون قادرا علي تحقيق تحول حقيقي نحو صيغة للتعايش بين الديموقراطية والإسلام والحداثة في ظل نظام علماني وهو في هذه الحالة سيتجاوز مجرد كونه خبرة في تركيا إلي غيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي[2] .

سابعا: حزب العدالة والتنمية يعبر في الواقع عن تطور جديد داخل حركة اجتماعية يتجه بها نحو التيار الرئيسي بعيداً عن الاستقطاب والمواجهة ، لأن القواعد التي تمثل هذه الحركة الاجتماعية تميل نحو الاعتدال والبعد عن الأفكار الحدية والمتطرفة بسبب التحولات التي جرت لهذه القواعد .

---

(١) راجع في هذه التفصيلات: إبراهيم الداقوقي ، الإسلام التركي إحياء للمشروع النهضوي المؤجل في الشرق ، النهار ، ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٢ .

(٢) جراهام اي فولر ، والآن النموذج التركي ، مجلة نيوزويك ، ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٤ وهي جزء من كتابه The Future OF Political Islam ويذكر فولر أن تركيا هي الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي حلت الصراع بين الإسلاميين ونظمهم السياسية بإدماجهم في العملية السياسية وأنها هي الدولة الوحيدة التي يحكمها حزب إسلامي منتخب ديموقراطيا وناجح عمليا في العالم الإسلامي .

فالتيار الإسلامي الذي يفترض أنه يمثل حوالي ١٥٪ ممن أعطوا للعدالة والتنمية حدث تحول كبير في توجهاتهم نحو الاندماج أكثر في المجتمع ومن ثم الاتجاه ناحية الاعتدال فهؤلاء دخلوا في عمليات اقتصادية وأصبحوا من البرجوازية الجديدة ورأس المال الأخضر في تركيا، كما أن قطاعات من الإسلاميين في تركيا تحولت لتصبح أكثر اندماجاً في النظام الاجتماعي والسياسي بعيداً عن الأيديولوجية بعد أن انتقلوا من مرحلة المراهقة السياسية إلي مرحلة النضج، ومن ثم أصبح جزءا من مشروعهم الحفاظ علي الاستقرار والبعد عن المواجهة والصراع مع النظام السياسي. والقطاعات الأخري من غير الإسلاميين من اليسار أو القوميين أو يمين الوسط والذين أعطوا أصواتهم لحزب العدالة أصبحوا هم الآخرين أكثر وعيا بضرورة الانتقال من نظام علماني دولتي قومي لنظام يعترف بالتعددية والآخر ويرون أن التماشي مع أفكار العالم والدخول للاتحاد الأوربي سوف يكون أكثر تلبية لرغباتهم ومطالبهم.

لم تعد الدولة القومية التي بناها "أتاتورك" ولا العلمانية التي أرساها تعبر عن التحولات التي حدثت لهذه الفئات والتي هي أكثر مدينية (نسبة إلي المدن) وأكثر تماساً مع العالم المعاصر خاصة أوروبا عبر الجوار الجغرافي والأتراك في أوروبا، ومن ثم فنحن أمام طبقة وسطي جديدة تريد أن تتحرر من الحدود والقيود لتضع هي قواعدها وقيودها بنفسها.

وتشعر بالمشاركة في العملية السياسية التي يفترض أن تأخذ في اعتبارها صوت القاعدة إلي القمة، إذن الحراك المجتمعي في تركيا تجاوز الحركة الملية التي عبر عنها "أربكان" وتجاوز التيار القومي التقليدي والتيار الكمالي القابض علي المؤسسات البيروقراطية والعسكرية، وجاء حزب العدالة والتنمية بأفكاره التجديدية ليكون تعبيراً عن هذه التحولات التي يمثلها التيار

لرئيسي اليوم في المجتمع التركي اليوم والذي يري أن السياسة تمارس بطريقة مختلفة .

والمثير أن هناك علاقة طردية بين الحضور الإسلامي في المجتمع التركي وبين الاتجاه نحو الاعتدال والقابلية للاندماج في العملية الديموقراطية وبالعكس تجد أن ذلك يأخذ شكلا عكسيا في حالة النخبة العلمانية حيث تزداد عزلتها عن مجتمعها ويزداد تشددها وتبدو أكثر رفضا للاندماج في العملية الديموقراطية[1] .

ثامناً: في اللحظة التي يتحول فيها إدراك المؤسسة العسكرية نحو ضرورة أن تصبح تركيا دولة صناعة القرار فيها تتم داخل المؤسسات السياسية بعيداً عن سطوة العسكر وتدخلهم في الحياة السياسية واعتبارهم قوامين بالمصلحة العليا للبلاد دون غيرهم ، هنا نكون علي أبواب تحول حقيقي في النظام السياسي التركي ، فكما حولت الدولة الإسلاميين في تركيا إلي فاعلين سياسيين أصبحوا في مقدمة المدافعين عن نظام ديموقراطي في تركيا بل وعن علمانية أكثر إنسانية وحداثة تحترم الإنسان والتعددية الاجتماعية والإثنية وتكون فضاءً يتسع كل مواطني تركيا بدون تمييز أو استثناء ، هل يمكن أن تتغير طبيعة البيروقراطية العسكرية والبيروقراطية المؤسساتية العلمانية بخطوات أكثر جسارة ناحية المساهمة في أن تصبح تركيا دولة ديموقراطية تعددية حقيقية وليست دولة قومية علمانية؟ .

وهذا في الواقع هو جوهر الصراع الذي يخوضه حزب العدالة

---

(١) عن هذه الفكرة راجع علي الشبكة الموقع المهم:

http://reflectioncafe. blogspot. com. Secularism: The Turkish Experince

حيث أوردت الندوة آراء مهمة لمتخصصين اتراك ذهبوا للفكرة التي طرحناها في المتن وهم" فاروق بيرتك وجيني هوايت وبيناز طوبراق وأحمد إيفن وفؤاد كيمان .

والتنمية – الانتصار لصوت الجماهير والناس والمجتمع في مواجهة الدولة، وهذا هو محور الصراع الحقيقي الذي يخوضه حزب العدالة والتنمية والذي سيحدد في الواقع مستقبل الإسلام السياسي بل ومستقبل تركيا ذاتها.

كيف تتغير بنية الدولة التركية بفك القيود الحريرية التي تقيد حركة المجتمع عبر دستور وضعته الانكشاريه المعاصرة؟ هل نعود للتاريخ ونقول: نحن بحاجة إلي واقعة خيرية جديدة يرسي قواعدها صدر أعظم جديد لتخليص الدولة من إرث الكمالية والعلمانية الأصولية؟ العدالة والتنمية اليوم لديه أغلبية مطلقة تمكنه من تعديل الدستور، وتمكن أردوغان من الترشح لرئاسة الجمهورية في الانتخابات القادمة[1]، ومن المعروف أن رئيس الجمهورية يتم اختياره من البرلمان، وهو الذي يمسك بمؤسسات مهمة مثل المحكمة الدستورية العليا ومجلس التعليم الأعلي ويدعو مجلس الأمن القومي للانعقاد و يتولي منصب القائد الأعلي للقوات المسلحة[2]، وربما يكون الاستقطاب العلماني – الإسلامي[3] في تركيا اليوم والخاص برفض رئيس الدولة تعيين ستة آلاف موظف في الدولة بحجة أنهم إسلاميين والخروج العلماني الكبير عقب مقتل القاضي "مصطفي يوسيل بيلجن" والذي قتله محام إسلامي بسبب منعه ارتداء الحجاب خارج المؤسسات الرسمية للمدرسات في المدارس الابتدائية[4]، هو جزء من المعركة الفاصلة الضارية القادمة حول منصب رئيس الجمهورية بين التيار الإسلامي والتيار العلماني.

---

(١) من المقرر اجراء الانتخابات الرئاسية التركية في ١٦ إبريل ٢٠٠٧

(٢) عن مهام رئيس الجمهورية المتعددة راجع: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص ١٨.

(3) Yusuf Kanali, Polarization Is Dangerous, Turkish daily news, 18May, 2006.

(4) Turkish Daily news, 18 May, 2006 And Zaman, 18May, 2006.

ورغـم أنه لا يمكن القطع بالنتائج لكنه يمكننا القول إن التيار الذي يمثله حـزب العدالـة والتنمـية وهو الذي يحاول بناء رؤية سياسية جديدة ومختلفة هـو التيار الذي سيمثل عامل الجذب والثقل في السياسية التركية والتي كانت تفتقد طوال السبعينيات والثمانينات لمركز ثقل يمكن أن يعطيها معناها .

لا تـزال الأسئلة كـثيرة ومفـتوحة والأبـواب علـي مصراعيها والمسرح السياسي التركي حافل بالغرائب ومع أهمية الوضع الداخلي التركي فالعامل الخارجي له تأثير كبير في تشكيل السياسة التركية الداخلية .

والظاهـرة الـتي يمـثلها جـيل حـزب العدالـة والتنمية في السياسة التركية تحتاج إلي تعمق ونحن فتحنا الباب للتصدي لهذا الظاهرة الزاخرة بالدلالات والتي يبقي السؤال حول مستقبلها سؤال مهم والجواب عليه سوف يجعل من هـذه الظاهـرة المحلـية دلالات تـتعداها إلـي خارجهـا في العـالم العربـي والإسلامي .

المبحث الاول:
تركيا في مفترق الطرق

تعيش تركيا أزمة منذ أكثر من عام في الواقع تحسبا لموعد الانتخابات الرئاسية التي من المفروض أن تحسم يوم ١٦ مايو الجاري، فالجميع في تركيا يعرف ان حزب العدالة والتنمية AKP - أو الحزب الأبيض - كما يطلق عليه الأتراك - والذي يحكم البلاد منذ نوفمبر ٢٠٠٢ سوف يكون له مرشح للرئاسة، والجميع يعرف أيضا أن فرص مرشح الحزب تكاد تكون مضمونة في الوصول إلى قلب القلعة العلمانية، ومن هنا كان التوتر والخوف من مجيء رئيس ذي جذور إسلامية إلي نفس المكان الذي اعتلاه مؤسس تركيا الحديثة كمال اتاتورك وأرسي قواعد الحكم فيها من منطلق علماني يستبعد الدين كلية من الحياة الاجتماعية والسياسية والفضاء العام.

المشهد الذى نراه اليوم يعكس حساسية الدولة التركية المفرطة لأي تغير حقيقي أو اجتراح لمسار جديد مختلف عن ذلك الذي أرساه "أبو الأتراك" أو الباشا معلم" كما كان يطلق عليه - فالأتاتوركية أو الكمالية تحولت لأيديولوجية صارمة لا يمكن التراجع عنها، ونصب الجيش نفسه ليكون هو حامي هذه الأيديولوجية، فالمادة ٢ في الدستور التركي تقرر علمانية الدولة والمادة ١٤ تقر حظر النشاطات المنافية للعلمانية وكلاهما لا يمكن تغييرهما أو حتي تقديم مقترح بذلك، والمشكلة هنا هي أن الدولة التركية الجديدة التي انسلخت من ماضيها وتراثها وتاريخها العثماني علي كل المستويات تجد مجتمعا يتوق إلي هذا الماضي وذلك التراث فيما أطلق عليه "العثمانية الجديدة" وهي الصيحة التي أطلقها "أوزال" تعبيراً عن التمدد التركي للقيام

بدور إقليمي تجاه دول آسيا الوسطي التي تحررت من الاتحاد السوفيتي الغابر ، وعلمانية "أتاتورك" ألغت الدين من الحياة العامة ولكنها اختصرت الدولة في روح مؤسسها والحزب الذي أنشأه وهو حزب الشعب الجمهوري ، الذي ظل حزبا واحدا متحكما في الحياة السياسية حتى عام ١٩٤٥ م .

العلمانية بدون ديموقراطية أقلقت "أتاتورك" الذي ظل مقتنعا بأن اللحاق بالغرب لا يمكن تحقيقه بدون تعددية حزبية ، وقبل أن يموت اصطنع حزبا باسم "الحزب الجمهوري الحر" كحزب معارض ولكنه لم يتحمله وتم إغلاقه فجميع معارضيه انضموا لذلك ا لحزب وهاجموه ، وظلت البلاد بدون أحزاب معارضة حتى مجئ "عصمت إينونو" إلي السلطة والذي كان أشد تطرفا في التمسك بالعلمانية ، لكنه قبل بوجود حزب جديد في الحياة السياسية هو الحزب الديموقراطي الذي أسسه منشقون عن حزب الشعب الجمهوري واستطاع هذه الحزب أن يحصل علي ٦٤ مقعداً في انتخابات عام ١٩٤٦ وكان شعاره الانتخابي "كفاية .. خلاص" ، وما لبث أن اكتسح انتخابات عام ١٩٥٠ حيث حصل علي ٥٣,٦٪ بينما لم يحصل حزب أتاتورك إلا علي ٤٠٪ وتحول للمعارضة ، وشهدت البلاد استقرارا سياسياً واقتصادياً غير مسبوق حتى عام ١٩٦٠ الذي شهد أول انقلاب عسكري في تركيا مرسخاً بذلك لتقاليد تدخل العسكر في الحياة السياسية .

ومنذ ذلك الوقت والأحزاب العلمانية التي تتبني الأيديولوجية الكمالية لم تتمكن من الحكم بمفردها و تواجه تراجعاً لصالح ما يمكن أن نطلق عليه "الأحزاب الديموقراطية المحافظة" ، وحزب العدالة والتنمية هو استمرار لتقاليد هذه الأحزاب ويمتلك الأغلبية في البرلمان ٣٥٧ مقعدا وهو ما أعطي للسياسة التركية معناها وأبعدها عن دوامة الائتلافات الحزبية المتنافرة والحكومات المتعاقبة منذ صعوده للسلطة مع وضع اقتصادي مريح حقق نموا

اقتصاديا بلغ ٧٪ وكبح جماح التضخم وجذب قدرا كبيراً من الاستثمارات الأجنبية المباشرة بلغ ٢٠ مليار دولار ، وقاد قاطرة التفاوض مع الاتحاد الأوروبي لدخول تركيا إليه ، وتري الأحزاب العلمانية أن تمكن العدالة والتنمية من خلق قاعدة توافق عام حول مشروعه (الديموقراطية المحافظة - محافظ كار ديموقراطي سي) يمكن أن تصل به إلي سدة الرئاسة ومن ثم تهديد مكتسبات هذه الأحزاب العلمانية ، ومن هنا فإن ا لاستقطاب السياسي الحاد الذي تعيشه البلاد يعكس بعمق أزمة هوية تعيشها البلاد كما يعكس أزمة شرعية حيث إن البلاد يحكمها اليوم دستور عام ١٩٨٢ م الذي وضع تحت إشراف قادة انقلاب عام ١٩٨٠ م ومثل القوي الذي دعمته في ذلك الوقت وهي القوي الكمالية العلمانية التي يمثلها حزب الشعب ، ولكنه اليوم أصبح غير كاف لمطالب مجتمع يسعى للتحول من "الديموقراطية المعقلنة" إلي "الديموقراطية الحقيقية" التي تلتزم فيه مؤسسات الدولة جميعها بما في ذلك الجيش للقانون .

هندسة النظام السياسي التركي:

في عام ١٩٣٧ تم تعديل المادة الثانية من الدستور التركي لتقرأ علي النحو التالي "الدولة التركية هي جمهورية قومية مركزية علمانية ومتطورة ، وكما يقول" محمد باشار "الأكاديمي التركي "من الممكن أن نتصور أنه عندما توفي "أتاتورك" عام ١٩٣٨ كانت البلد كلها قد تحولت إلي كيان علماني بحت ، وأن الإسلام اختفي من أجل الصالح العام إلا أن الوضع لم يكن كذلك فعلي الرغم من كون الجزء المسيطر من الصفوة المتعلمة تحول تماماً إلي كيان غربي إلا أن العامة ظلت محافظة وقريبة بطبعها من الإسلام"، ويقوم النظام السياسي التركي علي قاعدتين هما الجيش والنظام الحزبي وتصميم النظام الحزبي قائم علي قبول الأحزاب التي تعبر عن يمين الوسط

ويسار الوسط ، أي الوسط في اليمين واليسار مع وجود حزبين كبيرين أحدهما في الحكم والثاني في المعارضة مع استبعاد الأحزاب الصغيرة ، لكنه مع عجز الأحزاب الكبيرة وضعفها تسللت أحزاب صغيرة إلي الحياة الحزبية واستطاعت أن تحقق قدما راسخة في الحياة السياسية علي حسابها ، هذه الأحزاب كانت تعبيرا عن حركة "الملي جورووش" أو حركة الفكر الوطني وهي الحركة التي أسسها "أربكان" - الأب الروحي للإسلام السياسي في تركيا منذ عام ١٩٦٩ وأصبحت لاعباً لا يمكن تجاهله ، ودخلت هذه الحركة ممثلة في "حزب السلامة الوطني" منذ مطلع السبعينيات في عدد من الائتلافات كان أبرزها مع حزب الشعب الجمهوري العلماني الكمالي عام ١٩٧٤ وهو الائتلاف الذي قاد عملية إنزال الجيش التركي في قبرص لحماية القبارصة الأتراك ، ثم مع حزب العدالة الديموقراطي المحا`` عام ١٩٧٥ ، وعام ١٩٩٧٧ ، وهنا تقف تركيا لتعبر عن نموذج من التوافق المحير الذي تستدعيه المصلحة ا لوطنية بين العلمانية والتيارات الإسلامية ، وحتى هذه اللحظة كانت العلمانية التركية تقبل بتواجد للتيار الإسلامي في الفضاء العام السياسي بشرط احترامه للجمهورية وللدستور العلماني ، وبينما اقتنع التيار العلماني بأنه لا يمكن شطب التيار الإسلامي كقوة اجتماعية من الوجود السياسي ، حاول التيار الإسلامي التكيف بقدر ما يمكنه مع قواعد اللعبة السياسية ، فبقاء الجمهورية والدولة التركية هو غاية لا يمكن لأحد أن يضحي بها ومن ثم لا بد من تنحية الخلافات السياسية من أجل استمرارها ، ولكنه مع تقدم التيار الإسلامي واتساعه كانت المحكمة الدستورية ا لعليا وهي أحد المؤسسات المعبرة عن سيادة الجمهورية وعلمانيتها تصدر قراراتها المتتالية بإغلاق أحزابه لكونها أحزاب تهدد المبادئ الكمالية وعلي رأسها العلمانية ، فهي من أصدرت قرار إغلاق حزب النظام الوطني في ٢٠ مايو

١٩٧١ بعد الانقلاب العسكري الثاني للجيش التركي في مارس ١٩٧٠، ثم هي من أصدرت قرار إغلاق حزب الرفاه في ١٦ يناير عام ١٩٩٨ م، ثم قرار إغلاق حزب الفضيلة في ٢٢يونية ٢٠٠١.

هنا تقول هندسة النظام السياسي التركي أنه يمكن قبول الإسلاميين كقوة متواجدة في الحياة السياسية ولكنه لا يمكن قبولهم في قلب مؤسسات الدولة العلمانية داخل مؤسسة مجلس الوزراء ومن هنا كان الانقلاب الرابع الذي عرف باسم "انقلاب ما بعد الحداثة" أو الانقلاب اللطيف "فهو انقلاب مؤسسي لم يتم استخدام الدبابات والقوة العسكرية فيه ولكن تم توظيف "مجلس الأمن القومي" الذي يعبر عن رغبة العسكر والذي يعطي توصيات تتحول لأوامر لا يمكن عصيانها، فقد تقدم بمذكرة إلي رئيس الوزراء طالبه فيها بالاستجابة لمطالب الجيش التي بلغت ١٨ مطلباً لحماية تراث العلمانية الكمالية"، واضطر "أربكان" إلي الاستقالة في ١٨ يونية ١٩٩٧م ومغادرة مجلس الوزراء لغير رجعة واعتبر الجيش أن الخطر الأصولي الإسلامي هو الخطر الأول في البلاد بدرجة أكبر من النزعات الانفصالية والفوضوية.

العدالة والتنمية والتأسيس لجمهورية ثالثة:

يمثل "رجب طيب أردوغان" ورفيق كفاحه ودربه "عبد الله جول" ورئيس البرلمان التركي "بولنت أرينج "الجيل الثاني من الحركة الإسلامية في تركيا بعد جيل الآباء الذي مثله "أربكان" ورجائي قوطان "الرئيس الحالي لحزب السعادة، وهذا الجيل هو الذي أثبت جدارته في إدارة البلديات بعد الانتصار الكاسح لحزب الرفاه في انتخاباتها عام ١٩٩٤ م، أطل علي السلطة من منظور المسئولية واقترب من مشاكل الناس وسعي لحلها، ودخل إلي قلب مؤسسات الدولة واقترب منها وعرف حدود التعامل معها، ولذا قرر هذا الجيل الذي يعرف في تركيا بجيل "المجددون المعاصرون" تجاوز حركة الأب

الروحي لهم والتأسيس لحركة جديدة تكون علي وعي بالواقع المعقد للدولة التركية والتي أطلق عليها الكاتب التركي المعروف "جنكيز شندار" الدولة الخفية" أو الدولة العميقة"، ومن هنا تأسس "حزب العدالة والتنمية" والذي يعبر عن "الديموقراطية المحافظة" والتي يعرفها "طيب أردوغان" بأنها نظام سياسي واجتماعي توفيقي تنسجم فيه الحداثة والتراث من جانب والقيم الإنسانية والعقلانية من جانب ثان فهي تقبل الوافد والجديد ولا ترفض القديم والمحلي وتحترم الآخر وتؤمن بخصوصية الذات وترفض الخطاب السياسي والبناء التنظيمي القائم علي الثنائيات التي تفرض رؤية سياسية أو أيديولوجية أو عرقية أو دينية واحدة تلغي ما سواها.

وتري "الديموقراطية المحافظة - محافظ كار ديموقراسي" أن الدولة يجب أن يتوقف دورها عند تسيير الأمور من خلال العد من التناقض عبر التوفيق بين مختلف الاتجاهات بتحقيق التفاعل الإيجابي في المجتمع بما يساهم في إيجاد بيئة يتعايش فيها الجميع دون استقطاب أو استئثار.

وتجربة حزب العدالة والتنمية في الحكم أثبتت عدم التعارض بين الإسلام والديموقراطية وأن الاعتدال والوسطية والأخذ بمبادئ التعددية والديموقراطية هي ما أكده صعود الحزب في الحياة ا لسياسية التركية وعمل علي ترسيخه، فهو سعي لتخفيف الهواجس التي يثيرها صعود الأحزاب الإسلامية في تركيا من خلال التأكيد علي أنه ليس قوة سياسية للتعبير عن هويات ثقافية مكبوتة تتعارض مع طبيعة النظام القائم في الدولة ولكنه يسعي للتوفيق بين طبيعة هذا النظام وتلك الطاقات دون تصادم بين الاتجاهين طالما تهيأت البنية الداخلية لذلك ورضي الفاعلون الأساسيون عن نتائج النموذج الذي يمثله الحزب.

وذكر "عبد الله جول" أن الحركة التي يمثلها "حزب العدالة والتنمية" لن

تتمحور حول المشاعر والعقائد الدينية وإنما علي الأسس الديموقراطية والشفافية والحوار والتعاون والاهتمام بقضايا الناس اليومية مثل البطالة وعدالة توزيع الثروة وإصلاح نظام التعليم وتحسين الخدمات، ومشكلة الحجاب ستحل في سياق الحق الإنساني للمرأة، ولن تعارض الكمالية ولكن ستسعي لتحقيق الجزء النهضوي فيها - أي النهوض الاقتصادي والتنموي.

وإذا كان "أتاتورك" قد أسس الجمهورية الأولي التي جاءت للأتراك بالاستقلال والعلمانية، فإن "تورجوت أوزال" هو مؤسس الجمهورية الثانية وهو أول من طرح العلمانية الكمالية علي بساط البحث ودعا لانتقاد "أتاتورك" وإظهار ما له وما عليه وهو أول رئيس جمهورية ثابر علنيا وبصورة منتظمة علي أداء الفروض الدينية وأدي فريضة الحج في أول توليه رئاسة الحكومة عام ١٩٨٣ وانتعشت الحالة الإسلامية في عهده بشكل غير مسبوق، فالجمهورية الثانية تأخذ في اعتبارها الدين كمكون رئيسي للهوية التركية كما تسعي للتوافق مع المجتمع والتعبير عنه عبر الاعتراف بالتنوع في إطار الوحدة.

أما الجمهورية الثالثة والتي تشهد تركيا ملامح تكونها منذ مجئ "العدالة والتنمية" للحكم فإنها تسعي لاكتمال ملامح دولة ديموقراطية تعددية تستعيد فيها مؤسسات الدولة المنتخبة هيبتها ويتراجع دور العسكر بعيداً عن التأثير في السياسة وتوجيهها ويتمتع المواطنون كافة بحقوقهم وواجباتهم، وإذا كان الجيش صرح في الأزمة الحالية بأنه المدافع العتيد عن العلمانية فإنه يدرك أن دوره يتراجع وأن المؤسسات المنتخبة (البرلمان، الحكومة، رئاسة الوزراء) ومؤسسات المجتمع المدني هي التي توجه السياسة، وهذا يكشف عنه تصريحات رئيس الوزراء التركي بأن الدفاع عن العلمانية مسئولية الحكومة،

فلم يعد "مجلس الأمني القومي" يملي شروطه ويفرض توصياته، ويراهن "حزب العدالة والتنمية" علي أن الانضمام للاتحاد الأوروبي والوفاء بشروط الانضمام هي أحد وسائله لاختراق القلعة العلمانية والتي تكون الدولة فيها تعبيراً عن مجتمعها وليست تعبيراً عن أيديولوجية فاشية صلبة لا يمكنها الاستجابة لمتطلبات العصر والحياة وهي الأيديولوجية الكمالية.

وهذا جزء من المشهد الذي نراه اليوم، فجيل العدالة والتنمية يسعى بالانتقال بتركيا إلي عالم الدول الديموقراطية التي تختفي فيها "الدولة العميقة والخفية" لصالح دولة شفافة وقرارات علنية ومؤسسات قوية ودستور حقيقي مختلف عن الدستور الحالي.

وإذا كان تاريخ تركيا منذ منتصف القرن التاسع عشر يعبر عنه تنازع القوي الإصلاحية التي تحاول اللحاق بالمدنية والحداثة الغربية، والقوي التقليدية التي تحاول الاحتفاظ بما هو قائم خوفا علي هويتها، وكانت القوي الإصلاحية دائماً علمانية، والقوي التقليدية دينية، فإننا اليوم أمام قوي الإصلاح التي تحاول استلهام الحداثة وتكييفها لخصوصية مجتمعها وهويته الثقافية والإسلامية وهي قوي لها جذور إسلامية ووجه حديث وحداثي بينما القوي المقاومة للإصلاح هي الأحزاب العلمانية والجيش والتي لها وجه قديم ورجعي، لا يمكنه مغادرة أفكار "أتاتورك" ومبادئه التي لم تعد قادرة علي الحياة.

رئاسة الجمهورية في النظام التركي:

يظن كثيرون أن رئاسة الجمهورية التركية منصب شرفي، ولكنه مناصب واسع السلطات وبدون مسئوليات تقريبا، فرئيس الجمهورية يمثل وحدة الأمة وهو رمز الجمهورية ويضمن تنفيذ الدستور وانتظام العمل في أجهزة

الدولة، ويجري انتخابه لفترة واحدة مدتها سبع سنوات عن طريق البرلمان "المجلس الوطني الكبير"، ويكون من بين أعضائه، وقد ينتخب من بين المواطنين ممن يكونوا بلغوا سن الأربعين وأكملوا تعليمهم العالي بشر ط اقتراح ما لا يقل عن خمسة أعضاء المجلس ترشيحه لرئاسة ا لدولة، ويتعين علي الرئيس المنتخب أن يستقيل من حزبه إن كان عضوا بحزب ومهامه وصلاحياته بموجب الدستور هي:

- دعوة المجلس الوطني (البرلمان) للانعقاد عند الضرورة.

- إلقاء خطاب افتتاح المجلس في بداية دورته التشريعية عند الضرورة.

- حق مطالبة المجلس بإعادة النظر في القوانين والمطالبة بإجراء استفتاء عام بشأن قوانين تعديل الدستور.

- دعوة المحكمة الدستورية لإلغاء القوانين أو القرارات الحكومية التي لها قوة القانون علي أساس عدم دستوريتها من الناحية الشكلية أو الموضوعية.

- تعيين رئيس الوزراء وقبول استقالته وتعيين الوزراء وإقالتهم بناء علي اقتراح من رئيس الوزراء.

- دعوة مجلس الوزراء للانعقاد برئاسته عند الضرورة.

- الموافقة علي تعيين ممثلي تركيا لدي الدول الأخرى، وقبول أوراق اعتماد ممثلي الأخيرة لدي تركيا.

- التصديق علي الاتفاقيات الدولية.

- تولي منصب القائد العام للقوات المسلحة التركية نيابة عن المجلس الوطني (البرلمان) واتخاذ القرارات المتعلقة باستخدام هذه القوات، وتعيين رئيس الأركان العامة.

- دعوة مجلس الأمن القومي للانعقاد ورئاسته .

- إعلان الأحكام العرفية أو حالة الطوارئ وإصدار قرارات لها قوة القانون بما يتفق وقرارات مجلس الوزراء المنعقد برئاسته والتوقيع علي القرارات .

- تعيين أعضاء المجلس الأعلي للتعليم ورؤساء الجامعات .

- تعيين أعضاء المحكمة ا لدستورية و٢٥٪ من أعضاء مجلس الدولة والمدعي العام ونائبه في محكمة الاستئناف العليا وأعضاء محكمة الاستئناف العسكرية العليا وأعضاء المحكمة الإدارية العسكرية العليا وأعضاء المجلس الأعلي للقضاء ووكلاء النيابة العموميين .

فرئيس الدولة له سلطة كبيرة أشبه ما تكون بسلطة "الباديشاه" أيام الخلافة العثمانية ، ومن ثم فإن معركة الصراع علي مؤسسة الرئاسة لها بعد رمزي حيث إن من يتولى هذا المنصب الرفيع هو المعبر عن روح الجمهورية وهو رمزها ، ومن ثم فإن وصول مرشح العدالة والتنمية إلي هذا المنصب هو إعلان رمزي بنهاية الكمالية ، والتحول إلي علمانية لها وجه ديموقراطي وإنساني يعترف بالتعددية والديموقراطية وحقوق ا لإنسان وتراعي هوية الأمة ا لدينية وتعزز تقاليد المواطنة والاعتراف بالآخرين والعمل علي حل مشاكلهم كالأكراد .

الأزمة إلي أين:

بعد قرار المحكمة الدستورية العليا بعدم قانونية انعقاد جلسة البرلمان التي أجرت الجولة الأولي من الاقتراع علي منصب الرئيس بسبب عدم اكتمال النصاب المطلوب لانعقادها وهو ٣٦٧ صوتاً ، فإنه لا مجال لإجراء جولات اقتراع جديدة علي المرشح لمنصب الرئيس "عبد الله جول" ، فأحكام المحكمة الدستورية نهائية وعلي الحكومة الآن أن تذهب للإعداد لانتخابات نيابية

جديدة ومبكرة عدة أشهر عما كان مقررا لها ، وذلك من أجل البعد عن مظاهر العنف والاستقطاب والتوتر في الحياة السياسية والتي تؤثر علي الوضع الاقتصادي من ناحية وعلي صورة تركيا وتوجهات نظامها السياسي من ناحية أخري ، ومن المفترض أن تدعو الحكومة للانتخابات في فترة ما بين ٤٥ - ٩٠ يوما ، ومن ثم فإن نتائج الانتخابات ا لبرلمانية الجديدة هي التي ستقرر من سيكون رئيس الجمهورية القادم .

ويبدو من خلال قراءة توجهات الرأي العام التركي أن ما حدث إلي اليوم من عدم مشاركة حزب الشعب الجمهوري في التصويت ولو بالرفض علي مرشح حزب العدالة والذهاب إلي المحكمة الدستورية في سابقة هي الأولي من نوعها في التاريخ التركي وحكم المحكمة الدستورية بعدم اكتمال نصاب الجلسة الأولي التي عقدت ، وخروج القوي العلمانية في أنقره ثم في اسطنبول في مظاهرات ضخمة وتصريحات الجيش بأنه "مدافع شرس عن العلمانية وأنه شريك في الجدال الدائر" وأداء الحكومة المتزن الذي سعي لوضع الجيش في مكانه وأن رئيس ا لأركان مسئول أمام رئيس الوزراء ، وأنه يتعين علي الجيش أن يبقي تحت سيطرة مدنية صارمة ، وأنه لا يصح في دولة ديموقراطية ملتزمة بالقانون أن تصدر مثل هذه التصريحات عن هيئة خاضعة لأمرة رئيس الوزراء"، كل ذلك يصب في انحياز الرأي العام التركي إلي ناحية الحكومة ، فهو عادة ما يتجه للانتصاف لمن يراه محاصراً ضعيفاً في مواجهة القوي الذي يستعرض عضلاته ونفوذه .

ومن ثم فإن القوي العلمانية في تركيا أجلت فقط مجيء عبد الله جول مرشح حزب العدالة والتنمية إلي منصب الرئاسة وعليها أن تتهيئ نفسيا لقبول رئيس كانت له جذور إسلامية ، كما قبلت من قبل رئيس وزراء له نفس الجذور .

* * *

المبحث الثاني:
المعركة الدائرة في تركيا..

تركيا التي نراها اليوم مساحتها أقل من مليون كم، ولكنها تعبر عن الموجة الكبري الثانية من الفتح الإسلامي الذي قاده العثمانيون استكمالاً لجهود السلاجقة الأتراك في بداية القرن الثالث عشر الميلادي، ومدينة استطنبول الضخمة التي تتوزع بين قارتي آسيا وأووربا، ويشرف عليها في الجانب الأوروبي المسجد السليماني الضخم، كما يبدو في الأفق القصر الضخم الذي حكم العثمانيون منه العالم والمعروف "بطوب قابو"، وبها مسجد محمد الفاتح ومسجد الصحابي الجليل "أبو أيوب الأنصاري" وقبره، والسور القديم الضخم للقسطنطينية (مركز العالم الأرثوذكسي الامبراطوري" قبل أن تصبح "إسلام بول" أي مدينة الإسلام - ومسجد آيا صوفيا الذي كان كنيسة ولا يزال في غالبه متحفاً حتي اليوم بضغوط غربية، لم يستطع "أتاتورك" تحمل العبق الإسلامي القوي في المدينة، فهرب إلي أنقره التي يشعر زائرها بالضيق فليس بها سوي بعض التماثيل ومؤسسات الحكم العلمانية التي أقامها "أتاتورك".

تعبير ترك وأتراك وتركيا، لم يكن معروفا أيام الدولة العثمانية، حيث لم يكن هناك انتماء للقومية والعرق، وإنما الانتماء للدولة العثمانية باعتبارها جامعة لشعوب متعددة تحترم الإسلام ونظامه وتدين بالولاء للسلطان والخليفة والخلافة باعتبارها رمز الإسلام وعنوانه، فالتركي كان تعبيراً عن عدم التحضر في السلوك، ولم تصعد تعبيرات الترك هذه إلا مع انهيار حكم الدولة العثمانية وسقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ م، وهو العصر

الـذي بـدأ بحكـم الاتحـاد والترقـي وانتهي بقمة جبل الجليد متمثلا في كمال أتاتـورك ١٩٢٣ م وهـو العـام الـذي تأسـس فـيه حزب الشعب الجمهوري الذي ظل يحكم تركيا منفردا حتي عام ١٩٤٦ م .

تعرضـت تـركيا للاحـتلال الكامـل مـن دول الحلفـاء بعد نهاية الحرب العالمـية الأولـي ، واحـتل اليونانيون الأعداء التقليديون للعثمانيين والإسلام وتركيا منطقة أزمير ، ودخلوا عاصمة الخلافة الإسلامية في مشهد حزين أعاد للأذهـان دخـول التتار لعاصمة الخلافة العباسية بغداد في ١٢٥٨ م ، وكانت هـناك حـرب للتحريـر هـي الـتي بـزغ فـيها نجم "أتاتورك" الذي كان ياوران للـسلطان والـذي بـدأ المقاومـة بتحـريض مـنه وبأمـوال دفعهـا لـه ، ولكنه تمرد عليه .

اتفاقـية لـوزان ١٩٢٣ والـتي مـنحت تركيا الاستقلال اليوم هي معاهدة دولـية كان ضمن بنودها إسقاط الخلافة العثمانية وهي رغم ضعفها من بعد السلطان عبد الحميد ولكنها كانت رمزاً يسعي مشعلو حرب "المسألة الشرقية "إلي إنهائها بإعلان إسقاط الخلافة وقام أتاتورك بذلك وكوفئ بتتويجه وكيلا للحضارة الغربية علي جسد تركيا التي كانت قلب دار الإسلام .

علمنة تركيا:

العلمـنة تـسللت إلـي أفكار المثقفين في العالم الإسلامي من خلال التأثر بالـثورة الفرنسية ، والثقافة الفرنسية هي التي كانت سائدة في الدولة العثمانية وفي حواضر ا لإسلام الكبيرة كمصر ، وظهر هذا الاتجاه بقوة داخل مؤسسة الخلافـة ذاتهـا ، معتقداً أن الهزيمة أمام الغرب حلها يكون باتباع قيمه والتزام حـضارته واتـباع سـننه ، وجـاء "أتاتـورك "ليعـبر عن هذا الاتجاه ليس كتيار فكـري وإنمـا كحـاكم يمسك بالسلطة والثروة وبإرادة نافذة لا يمكن مقاومتها

أو الاعـتراض عليها ، وهناك دراسات عديدة تتحدث عن الأمراض النفسية الـتي كان يعاني منها "أتاتورك" - وهذا ليس اسمه الحقيقي ، فاسمه مصطفي كمـال - ولكن جنونه دفعه لتغيير كل الأسماء القديمة واختيار أسماء جديدة للأتـراك - ومعـناه أبـو الأتـراك ، فهو كان يعتقد أنه الباعث الحقيقي لنهضة تـركيا وتقـدمها ، ومـن سافر لتركيا يلاحظ أن جميع تماثيل أتاتورك تشير إلي الغرب ، أي أن الغرب هو الوجهة التي علي تركيا أن تتجه إليها .

ظـل نـص "الـدين الرسمـي هـو الدين الإسلامي لتركيا" حتي قبل وفاة "أتاتـورك" بعام أي حتي عام ١٩٣٧ م ، وكان آخر تعديل في الدستور التركي الـذي عـرف حوالـي ١٠ تعـديلات ، وأثـبت في المـادة الثانـية مـن الدستور التركـي أن "تـركيا دولة علمانية" واعتبر نصا لا يمكن تغييره ، وكل تعديلات الدسـتور التركـي كانـت في اتجـاه حـذف كـل مـا له صلة بالإسلام من آثار العثمانـيين مـن أول ما تبقي من الشريعة - الأحوال الشخصية وحتي القيافة أي الأزيـاء - مـا يـرتديه الـرجال والنساء ، وصارت تركيا في كل أوضاعها المؤسـسية والدسـتورية والقانونـية علمانـية لا مكـان للـدين الإسـلامي فيها مطلقـاً ، ومـثل ذلـك كارثة كبيرة لكل العلماء والمثقفين والمدرسين والخطباء والـوعاظ والقـادة الـذين اعتبروا الإسلام والخلافة جزءًا مهما من وجودهم وحـياتهم ، فـضاقت بهـم تـركيا الجديـدة وهاجـروا مـنها في أفـواج ، تـشير المعلـومات إلـي أن من هاجر إلي مصر وحدها بلغ أكثر من مائة من العلماء والـوجهاء والمـثقفين وأكابـر القـوم وكان علي رأسهم العلامة شيخ الإسلام "مصطفي صبري" ، والشاعر العظيـم "محمد عاكف أرصوي" الذي ألف نشيد الاسـتقلال لتركـيا والذي لايزال جزءاً من ثوابتها إلي اليوم ، وهو يمثل أحد رواد الحركة الإسلامية في تركيا .

في فـترة حكـم "أتاتـورك" المـرعبة الـتي تـشابه حكـم ستالين" في الاتحاد

السوفيتي الغابر، تعرض الكثير من العلماء للموت شنقاً، وأنا أسير مع أحد الأصدقاء حول مسجد الفاتح في حيه باسطنبول، أشار لي مرافقي إلي المواطن التي كانت تعلق فيها جثث العلماء المعارضين لهذا الطاغية، وظل حزب الشعب يحكم وحده ويرأسه "أتاتورك"، ولم يتحمل المعارضة الملكية حين جاء بصديق له اسمه "فتحي أوقيار" وجعله يؤسس حزبا اسمه "الحزب الجمهوري الحر" ودخله معارضو "أتاتورك" ومزقوا صوره وداسوها بالأقدام، ولم يتحمل فأغلقه، وجاء عصمت إينونو" من بعده وكان أكثر وحشية وعلمانية، وأدرك أنه لم يعد ممكنا لتركيا أن تظل بدون تعددية حزبية، فقبل تأسيس مجموعة من المعارضين لحزب الشعب لحزب جديد سموه "الحزب الديموقراطي" ودخل الحزب الانتخابات البرلمانية علي عجل وحقق نتائج مبهرة (حصل علي ٤٦ مقعدا)، وفي الدورة التالية عام ١٩٥٠ اكتسح البرلمان وشكل الحكومة وتحول حزب الشعب إلي المعارضة، وبدأ الإحياء الإسلامي الأول في تركيا، فأعيد الآذان بالعربية وبدأ القرآن يبث من الإذاعة وبدأت دورات تعليم الدين في الجيش، وافتتحت كلية الإلهيات ومدارس الأئمة والخطباء وهكذا بدأ استعادة الإسلام لمكانته ودوره في الحياة.

الإسلام المنتصر:

مهندس النظام التركي أقامه علي الجيش والنظام الحزبي، والنظام الحزبي يقبل بأحزاب الوسط في ا ليمين واليسار، والأحزاب الكبيرة هي المسيطرة والصغيرة لا مكان لها، ولم يكن للإسلاميين مكان في هذه اللعبة، ولكن بعد عام ١٩٦٠ والانقلاب الأول لم تعرف السياسة استقراراً وكان هناك أجنحة للإسلاميين في الأحزاب، ولكنه في نهاية عام ١٩٦٩ تأسست أول لبنة في الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا، وتأسس لها حزب مستقل هو حزب النظام الوطني الذي سرعان ما أغلق مع انقلاب ١٩٧٠ ثم جاء

حزب السلامة الوطني الذي دخل في عدد من الائتلافات مع حزب الشعب وحزب العدالة ، ولكنه أغلق مع انقلاب ١٩٨٠ ثم تأسس الرفاه في عام ١٩٨٣ م ، واكتسح الانتخابات المحلية حيث أدي ممثلوه أداء متميزا ونزيها وكان منهم "طيب أردوغان" الذي كان عمدة لاسطنبول ، ثم اكتسح الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٥ وشكل حكومة ائتلافية في عام ١٩٩٦ تولي رئاستها "أربكان" أبو الإحياء الإسلامي المعاصر في تركيا ، ولكنه لم يكمل العام وتم الانقلاب عليه من الجيش فيما عرف باسم "انقلاب ما بعد الحداثة" أو الانقلاب اللطيف"، وخرج من الحكومة ثم تأسس حزب الفضيلة وأغلق من المحكمة الدستورية التي كانت كل مرة تغلق هذه الأحزاب بدعوي تحديها للعلمانية وانتهاك مبادئها ، ثم جاء للحكم حزب العدالة والتنمية للسلطة في نوفمبر عام ٢٠٠٢ م مكتسحاً الحياة السياسية وطرد منها الأحزاب الكبيرة التي تربعت علي عرش السياسة التركية منذ الثمانينيات ، وأصبح له الأغلبية في البرلمان التركي (٣٧٣) نائبا أصبحوا ٣٥٧ ، وجاء "طيب أردوغان" أحد رموز الإسلاميين الأتراك في الثمانينيات ، وسمي حزبه ما عرف باسم "الديموقراطية المحافظة"، واستطاع أن يحقق نجاحات مهمة في الاقتصاد ويحقق الاستقرار للسياسة التركية التي فقدت معناها مع الأحزاب العلمانية اليمينية واليسارية معا .

هنا "أردوغان" و"عبد الله غول" وبولنت أرينج" وغيرهم زوجاتهم محجبات ، والحجاب ممنوع بحكم القانون التركي ، والديموقراطيون المحافظون ، ذوي الجذور الإسلامية هم اليوم في قلب رئاسة الوزراء ، وهم دعم لا شك فيه للعودة الكبيرة للإسلام في تركيا ، فهناك قانون اجتماعي ثابت في تركيا وفي غيرها حين يكون هناك حكومة غير يسارية أو ديموقراطية محافظة فإن الصعود الإسلامي يمضي إلي وجهته ، الإسلام والصحوة الإسلامية تتعاظم

في ظل الحكومات التي لا تقمع ولا تأخذ موقف أيديولوجي من الإسلام، هناك انتصار وصعود واطمئنان للإسلام في تركيا وهو ما يفسر خروج المظاهرات المليونية في أنقرة وتركيا من جانب العلمانيين، إنهم يقطعون الطريق علي الصعود الإسلامي الذي لا يمكن إيقافه.

تغيير قواعد اللعبة:

المشهد الذي نراه اليوم، وهو ترشيح "غول" لمنصب الرئيس هو استكمال للأدوات ا لدستورية التي يمكن من خلالها استعادة الدولة التركية من أيدي العلمانيين والقوميين الذين يستلهمون تقاليد أتاتورك"، وإذا كان "طورجوت أوزال" هو من أسس للجمهورية الثانية التي انتقدت العلمانية وطرحتها للنقاش العام، وهو من أعلن تمسكه بالصلاة علنا، وبالقيام بأداء فريضةا لحج ورفض تصنيم "أتاتورك" فإن ما يجري اليوم من توتر وصراع هو محاولة استعادة "أردوغان" والذين معه للدولة التركية من الكمالية والعسكر، بحيث يتحول البرلمان إلي مؤسسة حقيقية تتخذ قراراتها دون تأثير من "مجلس الأمن القومي" ودون تأثر بتهديد رئاسة أركان الجيش، ومن يقول إن الرئيس منصبه شرفي في تركيا فإنه لا يعرف قدر ما يستحوذ عليه الرئيس من سلطات دون أية مسئوليات، لو استطاع الإسلاميون الذي يخوضون ا لمعركة في تركيا اليوم أن ينجحوا في محاولاتهم تغيير قواعد اللعبة وتغيير الدستور العلماني وانتخاب الرئيس مباشرة من الشعب فإن هناك آفاقًا ضخمة لتحول حقيقي في المركب التركي العلماني الأتاتوركي الذي يمثل أكبر عقبة في حياة تركيا، وعندها سوف يحقق الإسلام والمسلمون تحولات اجتماعية وسياسية تستعيد لتركيا وجهها المشرق والمعبر عن الإسلام.

* * *

المبحث الثالث:
الوثنية السياسية.. خبرة العلمانية التركية

في تركيا الجديدة استطاع حزب العدالة والتنمية أن ينتزع نصراً كبيراً على العلمانية المستبدة بإقرار البرلمان التركي لتعديل الدستور بما يعطي الطالبات المحجبات الحق في الدخول إلي الجامعات بالحجاب، وجاء هذا النصر بعد القراءة الأولى للتعديل الدستور الذي وافقت فيه الأغلبية ب ٤٠١ صوتاً في مقابل ١١٠، وفي القراءة الثانية تحققت الأغلبية ب ٤٠٣ صوتاً في مقابل ١٠٧ وهو ما يعني أن التعديل تمت الموافقة عليه بشكل نهائي، وكان حزب العدالة والتنمية عمل على إدخال تعديلات في الدستور التركي، أهمها على الإطلاق حق الفتيات المحجبات في الالتحاق بالجامعة، والمعلوم أن الجامعات في تركيا أحد أهم معاقل العلمانية التركية، فهناك مؤسسات في النظام التركي هي عنوان العلمانية مثل الجيش والجامعات والإدارات البيروقراطية المدنية، والمحكمة الدستورية العليا، و في شهر ديسمبر الماضي تم تعيين "يوسف ضيا أوزكان" رئيساً لما يطلق عليه "YAK" بالتركية أي "مجلس الجامعات التركية"، والذي يعين رئيس مجلس الجامعات التركية هو "رئيس الجمهورية"، والرئيس الجديد للجامعة يشجع حرية التعبير في الجامعة بما في ذلك حق الطالبات المتدينات اللواتي يرتدين الحجاب في دخول الجامعة، لأن حرمانهم لأسباب متصلة بسلوكهم الديني هو نوع من التمييز الذي يجب أن تترفع عنه الجامعات التركية التي يجب أن تكون ساحة لإعلان الأفكار وتداولها بما في ذلك حق الباحثين والأساتذة في التعبير، ومن خلال متابعتنا للصحف التركية فإن هناك حوالي "دستة" من عمداء الكليات العلمانيين هم من انتفضوا ضد التعديل الدستوري الجديد الذي يدعمه"

حـزب العدالـة والتنمية" والحركة القومية التركية"، وهو ما يضمن لهما ثلثي المقاعد التي تتيح لهما تعديل الدستور، وعلي الجانب الآخر من الصورة فإن أكثـر من ٣٠٠ من أساتذة الجامعة وعمدائها أصدروا بياناً أعلنوا فيه إدانتهم لمنع الفتيات المحجبات مـن الدخـول إلـي الجامعات، أي أن غالبية أساتذة الجامعات التركية هم مع حق المحجبات في إكمال تعليمهن.

ولكـي نتخيل معاً "وحشية الدولة التركية" والتي أسسها "أتاتورك" فإن رئـيس الأركـان التركـي دخـل بنفسه علي الخط وأعلن أنه ضد التعديلات الدسـتورية الـتي لا تـزال مشروعاً والـتي تمـنح بنات تركيا الحق في استمرار تعليمهن في الجامعة، ومن المعلوم أن حكماً للمحكمة الدستورية العليا وهي أحـد قـلاع العلمانـية التركية هي التي أصدرت حكماً بمنع الفتيات المحجبات مـن دخـول الجامعـة، كان ذلك في الثمانينيات ومنذ ذلك الوقت والحجاب هـو أحـد المعـضلات الكـبري في تركيا حيث ترفض الطالبات الجامعيات أن يخلعن الحجاب من أجل دخول الجامعة، واضطر معظمهن إما إلى عدم إكمال التعلـيم الجامعـي تمـسكاً بالحجاب أو الذهاب إلي بلدان مجاورة لتركيا للتعلم فيها مثل ماليزيا وسوريا ومصر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية.

ثـم بـدأ العلمانـيون إعلانـاً لمظاهـرات في ١٧ مديـنة تركية ضد مشروع التعديلات الدستورية بدعوي أن فتح الباب لدخول المحجبات الجامعة سوف يـؤدي إلي المزيد من المطالب الأخري والتي تقود في النهاية إلي تغيير الطابع العلماني للدولة التي أسسها "أتاتورك".

بالطـبع يمكـن للمؤيدين للحجاب وهم بالملايين - فثلثي نساء تركيا مع حق الفتيات الجامعيات في ارتداء الحجاب، وما يقرب من نصف نساء تركيا محجـبات - أن يخرجوا في مظاهرات مضادة تأييداً للحجاب وهو ما يعني جر الـبلاد لـنوع مـن الاسـتقطاب الـسياسي الـذي يهـدد وحـدة المجتمع التركي

وأمنه ، ومن ثم فالمشهد الذي نراه هو نوع فقط من إثبات الوجود العلماني وليس تعبيراً عن عافية حقيقية ، إنها مرارة الروح العلمانية التي تشعر أن الرياح والعصر والقبلة والزمان ليس في صالحها ، وأن زمان تركيا استدار كهيئته يوم أن كانت مسلمة في ظل الخلافة العثمانية .

العلمانية والوثنية السياسية:

العلمانية التركية كما أرسي تقاليدها "أتاتورك" هي علمانية فاشية ضد الإنسان والتاريخ والثقافة والحضارة والطبيعة ذاتها ، وهذه العلمانية تهاوت تحت مطارق التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها البلاد والتي قادت في النهاية إلي هزيمتها أمام "الحزب الديموقراطي" الذي قاده "عدنان مندريس" بعد إعلان التعددية الحزبية في تركيا عام ١٩٤٦ م ، ثم جاء "طورجوت أوزال" في الثمانينيات ليعلن أن الجمهورية الأولي التي بناها "أتاتورك" قد جاوزها الزمن وكان هو أول رئيس وزراء ثم رئيس جمهورية يجهر بأداء الصلاة ثم يذهب لبيت الله الحرام ليحج ، وهو من فتح الباب واسعاً أمام طبقة رجال الأعمال المسلمين في تركيا ليكونوا جزءا من المجتمع وليزاحموا لتأكيد الوجود الاقتصادي الإسلامي في تركيا ، كان "أوزال" هو من تجرأ علي نقد "أتاتورك" وهو أول من تجرأ علي "إقالة رئيس للأركان" ، وكان يعتبر نفسه المؤسس الحقيقي لما أطلق عليه "الجمهورية الثانية" .

العلمانيون حين ضاقت بهم السبل في أزمة الحجاب اتجهوا فورا إلي ضريح "أتاتورك" في أنقرة وهم يشكون له ما يحدث - هكذا تحدثت بعض التقارير ، ومن هنا فالوثنية والشرك ليس فقط دعاء الأولياء والصالحين كما يفعل العوام - وإنما هي أيضاً الاعتقاد السياسي أن "أتاتورك" هو الملاذ والغوث حين المدلهمات والذهاب لقبره لطلب العون السياسي والاجتماعي منه .

فالعلمانية هي أيديولوجية تفقد الإنسان قدرته علي التفكير الصحيح لأنها تفرض عليه أيديولوجية تتوحش لتصبح ديناً يطلقون عليه في العلوم الاجتماعية "الدين السياسي" وهذا الدين السياسي يحاول أن يحتل مكان الدين الإلهي فيفشل، ومن هنا نلحظ محنة العلمانية التي هي بالضرورة أيديولجية شمولية فاشية يتم فرضها استناداً للسلطة والقوة كما حدث مع النازية والشيوعية، ولدينا أيضاً مصطلح "الفرعونية السياسية" حيث الفرعون يعتقد أنه يتحول من الصفة الإنسانية البشرية إلي صفة جديدة يتلاشي فيها الناسوت واللاهوت، وهذا معني يمكن أن نطلق عليه "الحلول السياسي" حيث يتجاوز الفرعون المستبد قدره ويزعم أنه إله كما في قوله تعالي: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] وفي قوله تعالي أيضاً ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]، ومن هنا فالعلمانية بالضرورة هي ذات طبيعة حلولية تنعدم فيها الحدود والمسافات والصفات والحدود، ومن هنا فهي تقود بالضرورة إلي نظام يختزل الإنسان وحريته في التفكير والاختيار، وتنتج في التحليل الأخير نظاماً يفرض سطوته وجبروته واستبداده علي الإنسان حتي لو اتخذ طابعاً تعدديا ديموقراطياً، فالعلمانية لا تقود فقط للوثنية السياسية وإنما أيضاً للتأله السياسي.

أما التوحيد حيث توجد الحدود وتعرف الصفات والمسافات وتحدد فإن الألوهية تكون لله والإنسان هو عبد لله والكون والطبيعة هما مجال الفعل الإنساني، وهناك دائماً "الوحي" - القرآن والسنة الصحيحة - الذي يحدد للإنسان مصادر الإيمان، ومن ثم لا يمكن أن تتلاشي المسافات بين الله والإنسان ولا يمكن في الحالة التوحيدية أن يخرج إنسان ليقول "أنا الله، أو ما في الجبة إلا الله" كما يقول الحلوليون في الصوفية والذين كانوا بالضرورة

علمانيين بمعني أن المسافات والحدود بين الله والإنسان انهارت لديهم، ونظرو لأنفسهم بمنظار استكبار وغرور حتي لو كان في صيغة وجد وذوبان وعرفان صوفي كما يزعمون، كما لا يمكن أن يظهر في النسق الإسلامي ديكتاتور فرعون يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] أو يقول: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فهو هنا بالضرورة علماني أيضاً بمعني انهيار الحدود والمسافات وسقوط ثنائية الله - الإنسان، وثنائية الإنسان - الطبيعة.

الوثنية السياسية هي تضخيم مكانة إنسان ميت في إدراك إنسان حي تجعله يعتقد أن بإمكانه أن يضر وينفع وأنه يلجؤ إليه في وقت الأزمات والمشكلات، وهكذا تلجأ الأيديولوجيات السياسية والشمولية لتجعل من هذا الميت الذي لا يضر ولا ينفع وثنا، لقد كان مشهد العلمانيين في تركيا وهم يلجأون إلي قبر "أتاتورك" تعبيراً عن العودة إلي حالة البدائية الوثنية وما قبل الحضارة التي يفتقد الإنسان فيها الرشد ويتحرر من نزعات الغواية والضعف أمام الشيطان والأيديولجيات والصيغ الوثنية التي تجعل من الإنسان عبداً لغير الله، والإسلام هو الحضارة فهو الذي أعطي للإنسان حريته وكرامته وبلغ معه رشده وسواءه، والتوحيد هو تحرير الإنسان من العبودية إلا لربه عبر المسئولية والفاعلية "إنا عرضنا الأمانة علي السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً"

مستقبل العلمانية التركية:

العلمانية التركية إلي زوال ومستقبلها إلي أفول، ذلك لأنها كما العلمانية الغربية لا مستقبل لها، لقد كان التصور الغربي يقول إن المزيد من العلمنة سوف يؤدي للمزيد من التحديث والتقدم والديموقراطية والإنسانية والعقلانية كما أنه سيؤدي إلي تراجع الدين، ولكن المزيد من العلمنة لم يؤد

لذلك ، فالعلمانية هي التي قادت للحروب التي راح ضحيتها الملايين الحرب العالمية الأولي والثانية "وحروب "بوش "الأخيرة وإن اتخذت غطاء دينيا لكنها في روحها ذات طابع علماني يقول إنه يريد أن يصبغ العالم كله بصبغة أمريكية وغربية ، والعقلانية هي التي قادت إلي الاستعمار وما قيل وقتها عن "عبء الرجل الأبيض "وهي التي قادت لاحتلال العراق والحرب الدائرة هناك وهي التي قادت لاحتلال أفغانستان والحرب الدائرة هناك ، فهي تري الإنسان مادة استعمالية يمكن فقط توظيفها من أجل المقاصد العلمانية والتي هي في الحقيقة مصالح للأقوياء في مواجهة المستضعفين وفق المنطق الدارويني الغربي .

ودعنا نسمع شهادة لأحد أبرز علماء الاجتماع الديني في الغرب وهو رودني ستارك "يقول "لا بد من إعلان نهاية إيمان علم الاجتماع بنظرية العلمنة والإقرار بأنها لم تكن سوي محصلة لأفكار وتوجهات محببة ، فبعد ثلاثة قرون من إخفاق نبوءاته حري بمبدأ العلمنة أن يلقي في مقبرة النظريات الفاشلة "، تصور كثيرون في العالم الإسلامي أن التحديث يشترط استبعاد الدين والتمسك بالعلمنة بينما أثبتت التطورات خطأ هذه الرؤية فمن الممكن أن يكون الإنسان والنظم السياسية حديثة وفي نفس الوقت تستند لأسس أخلاقية ودينية ، والآن وبعد ما يزيد عن ثمانين عاماً من ا لعلمانية في تركيا فإن نهضة البلاد والتحولات التي تعيشها يقع في القلب منها الإسلاميون فهم ينتقلون من الهامش إلي القلب ويمثلون قاعدة تتسع كل يوم حتي أصبحت تعبر عن التيار الرئيسي في المجتمع التركي ، ومن ثم فإن عجلة التاريخ تدور باتجاه استعادة الإسلاميين للفضاء الذي سلبه منهم بالقوة بغشم السلطة "الدولة الأتاتوركية ".

وهذه هي المعركة الدائرة اليوم بين قوي تتراجع وهي القوي العلمانية

وقوي تصعد في هدوء وهي القوي الإسلامية والحجاب هو أحد عناوين المعركة التي نشهد بداياتها ، يشعر العلمانيون بالخوف والعصبية لأن العلمانية ليست مجرد أيديولوجية ولكنها تعبير عن مصالح وامتيازات ، ومن ثم فالذين يخرجون للمظاهرات اليوم يخرجون من أجل مصالحهم وامتيازاتهم التي منحتها العلمانية لهم ، والإسلاميون يقولون نحن الآن في البرلمان ومن الواجب تعديل الدستور من أجل إعادة الحق للفتيات الجامعيات في استكمال تعليمهن ، يقول المشروع المقترح أن الفتاة يجب أن تضع فوق رأسها فقط "إيشارب" صغير يربط من تحت عنقها ، لكن لا يمكنها ارتداء حجاب كامل كما لا يمكنها تغطية وجهها ، وهو ما جعل بعض الإسلاميين في تركيا يتحدثون عن ضرورة أن تكون الحكومة أكثر جرأة في المطالبة بحق هؤلاء الفتيات بحجاب كامل في الجامعات وخارجها في الإدارات المدنية والبيروقراطية .

ولم تنجح مظاهرات العلمانيين ولا تهديدات العسكر في التأثير علي البرلمان التركي الذي أقر للطالبات المحجبات الحق في دخول الجامعة بإضافة تعديلين للدستور ينص الأول علي معاملة مؤسسات الدولة للمواطنين الأتراك علي قدم المساواة والثاني علي المساواة في الحصول علي حق التعليم وهو ما يعني من الناحية العملية إلغاء حظر الحجاب في الجامعات التركية ، والحق في الحصول علي التعليم الجامعي ، ومن المقرر أن يستكمل التعديل وضعه الدستوري بموافقة رئيس الجمهورية "عبد الله غول" ، ومن ثم تغيير القانون الذي ينظم عمل الجامعات ليقبل بحق الطالبات المسلمات المحجبات بدخول الجامعة ، المشهد التركي العام أن العلمانية تتراجع وينكشف الوجه الاستبدادي لدعاتها بينما يتسع القبول العام للتوجه الإسلامي الذي يتقدم وينتقل من الهامش إلي الصدارة ، ومسألة الحجاب في الواقع هي واحدة

فقط من مظاهر التحول الاجتماعي والسياسي في تركيا والذي يؤكد أن مصير العلمانية إلي زوال بينما مستقبل تركيا هو في العودة إلي دينها وتراثها وحضارتها وثقافتها وتاريخها ، إنها العودة التي تتبدي في الأفق إلي الإسلام لكي تعود الحقوق إلي أصحابها ويسترد المسلمون الأرض التي اغتصبها منها العلمانيون .

* * *

المبحث الرابع :
قراءة في مستقبل تركيا بعد نتائج الانتخابات الاخيرة

اظهرت نتائج الانتخابات النيابية الأخيرة في تركيا والتي جرت يوم ٢٢ يوليو اكتساحاً لحزب العدالة والتنمية الحاكم ، فقد حصل علي ٤٧٪ من الأصوات محققا بذلك تقدماً كبيرا عن نتائج الانتخابات الماضية والتي جرت في نوفمبر ٢٠٠٢ م وحصل فيها الحزب علي ٣٤٪ من الأصوات ، وهو الحزب الذي استطاع تحقيق تقدما في الانتخابات الثانية له في تركيا علي مدي أكثر من خمسين عاماً .

ورغم أن الحزب حقق نسبة أعلي بفارق كبير عما كان عليه الأمر عام ٢٠٠٢ (٣٦٣ مقعدا) لكنه حصل علي عدد أقل من المقاعد في ا لبرلمان الحالي (٣٤٠مقعداً) ، بسبب دخول حزب الحركة القومية إلي الحلبة السياسية وتجاوزه نسبة ال١٠٪ المطلوب الحصول عليها من أصوات الناخبين لتمثيل الحزب في البرلمان ، فقد استطاع الحزب الأخير أن يحصل علي نسبة ١٤٪ ويكون له ٧١ مقعدا في البرلمان التركي ، وذلك بسبب تأجج المشاعر القومية لدي المواطنين الأتراك وذلك للضغوط التي يمارسها حزب العمال الكردي علي الدولة التركية بما في ذلك إحداث تفجيرات كبيرة في العاصمة أنقرة راح ضحيتها العشرات فضلا عن الاشتباكات المتعددة علي الحدود مع العراق مع كوادر الحزب الذي يتمترسون في شمال العراق ، وهناك تداع بين الأتراك جميعاً علي ضرورة القيام بعملية عسكرية ضخمة ضد قواعد الحزب وكوادره لكن أمريكا تقف ضد مثل هذه الخطط .

وتراجع نصيب حزب الشعب الجمهوري من المقاعد هو الآخر من

١٧٨ مقعدا إلي ١١٠ مقعدا(حصل علي نسبة ٢١٪) سيخسر منها عشرات المقاعد لحساب نواب حزب الوطن الأم ونواب حزب اليسار الديموقراطي الذين دخلوا الانتخابات النيابية تحت مظلة الحزب .

ويسمح الدستور التركي للمستقلين بدخول الانتخابات للمستقلين أيضاً ، ولأنه غير مسموح بحزب كردي فإن الأكراد دخلوا الانتخابات مستقلين واستطاعوا أن يفوزوا بعدد كبير من المقاعد (٢٧) مقعداً وهو ما قد يمكنهم في المستقبل من تكوين كتلة برلمانية تمكنهم من تكوين حزب لهم ، ومن بين النواب المستقلين "محسن يازجى أوغلو" زعيم حزب الوحدة الكبري ذو التوجهات الإسلامية ، وأيضاً زعيم حزب الوطن الأم "مسعود يلماز" ، ويعد حزب الشعب الجمهوري وريث الكمالية التركية والمدافع العتيد عن العلمانية وحليف الجيش في مواجهة أي توجه إسلامي لتركيا هو أكثر الحزب التي منيت بخسارة في هذه الانتخابات ، ذلك أن المواطن التركي عاقب ذلك الحزب بسبب مواقفه المتصلبة من حزب العدالة والتنمية حين أراد أن يطور النظام السياسي التركي نحو اختيار الرئيس مباشرة من الشعب ، فهو من أخرج المظاهرات المليونية ضد حزب العدالة والتنمية لإرهابه وهو من تحالف مع المحكمة الدستورية العليا ومع الجيش بالطبع لمنع أي تطوير في الحياة السياسية التركية للانعتاق من سيطرة العسكر والبيروقراطية المتصلبة خاصة في الجامعات والتي تمنع الطالبات المحجبات من دخول الجامعات كما أنها هي التي تمنع خريجي مدارس الأئمة والخطباء من الالتحاق بالكليات الجامعية وتحاصر هذه المدارس التي مثلت في يوم من الأيام قاعدة مهمة للتعرف علي الإسلام والتواصل مع الشريعة الإسلامية والتعرف علي العالم الإسلامي .

ومن الواضح أن حزب السعادة التركي الذي يقوده "رجائي قوطان"

وهـو استمرار للأحزاب التي أسسها أبو الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا هو المهـندس "نجم الدين أربقان" لم يستطع أن يحقق نسبة الـ ١٠٪ التي تمكنه من دخول البرلمان .

الإنجـاز الرئيسي الذي شفع لحزب العدالة والتنمية لدي المواطن التركي هـو الإنجـاز الاقتـصادي ، فقـد اسـتطاع الحـزب أن يقفـز بمعدلات الدخول بـشكل كـبير في الـبلاد ، كمـا اسـتطاع جذب الاستثمارات الأجنبية للبلاد ، وآخـر تصريحات أردوغان بعد الفوز أنه لا يزال أمام مشوار للوصول بدخل المـواطن التركـي إلي عشرة آلاف دولار ، كما أن البنك المركزي التركي أكد يـوم (٢٨/٧) أنـه لم يعـد بحاجة إلي أية قروض من صندوق النقد الدولي ، مـاذا يمكنـنا أن نقـول؟ نـصر كـبير أن يتحـرر الاقتـصاد التركـي مـن هيمنة لمؤسـسات الأجنبـية الامـبريالية التي تمتص خيرات الاقتصاديات الإسلامية العـربية ، وتفرض عليها أنماط محددة من التنمية الاقتصادية تضمن أن تظل يها تابعة للاقتصاديات الغربية .

مستقبل تركيا بعد الانتخابات:

الـوجهة الحضارية لتركيا وبوصلتها يبدو أنها تتحدد وتتبلور بشكل نهائي ، ذه الوجهة الحضارية هي تغيير القبلة التركية من الغرب إلي مكة ، فكل تماثيل تاتـورك "الرجل الصنم - يشير فيها بأصبعه ناحية الغرب فهو القبلة التي يجب ، تـصلي إلـيها تـركيا ، وهناك معلومات موثوقة أن "أتاتورك" في لحظة تاريخية بينة فكر أن يتحول بتركيا إلي المسيحية ولكنها استعصت عليه .

الـيوم - بحمـد الله - لدينا وزراء في حزب العدالة والتنمية أغلبهم حج ي بـيت الله الحـرام وعلـي رأسـهم "طـيب أردوغـان" و "عـبد الله جـول" ساؤهم محجـبات وعلـى رأسـهم زوجة أردوغان وزوجة عبد الله جول ،

ومن المعروف أن "أردوغان" لا يقيم في القصر المخصص لرئيس الوزراء بسبب أن زوجته ترتدي الحجاب، وهو يسكن في سكن خاص به، كما أن زوجته لا تشارك في المسائل البروتوكولية، لكن زوجته المحجبة وزوجة غول كانا في قلب مشهد الفوز بالنجاح الكاسح لحزب العدالة والتنمية.

هناك استحقاقات تنتظر الحزب وعلي رأسها إصلاح النظام السياسي التركي الذي أسسه دستور ١٩٨٢ والذي وضعه العسكر بعد انقلاب عام ١٩٨٠ وهو دستور كان يعبر وقتها عن رؤية العسكر متحالفين مع حزب الشعب الجمهوري وهو يكرس للكمالية والعلمانية (ففيه ثمانية مواد كاملة تدعم العلمانية الكمالية وتنص علي عدم المساس بها)، ولم تكن الكمالية العقيدة الفاشية المتصلبة العاجزة التي لا تنتمي للعصر الذي تعيشه تركيا أو العصر الذي يعيشه العالم موضعاً لأي نقد حتي جاء "تورجوت أوزال" زعيم حزب الوطن الأم ليؤسس فيما عرف بتركيا بالجمهورية الثانية، وهذه الجمهورية ترفض العقيدة الكمالية المتخلفة وتدعو لنقدها واعتبارها غير مناسبة للعصر، وأوزال هو أول رئيس تركي يؤدي فريضة الحج ويصلي علنا وبانتظام، لقد كانت الأتاتوركية تعتبر الصلاة جريمة، وهي لا تزال تري حجاب المرأة المسلمة جريمة فضلا عن بقية شعائر الإسلام وشرائعه، ولكن اليوم تركيا تستعيد وجهها الإسلامي فتجد المساجد تكتظ بالمصلين في اسطنبول وفي قونية وفي قيصري وفي أنقرة ذاتها العاصمة التي أسسها "أتاتورك" وهرب إليها حتي لا تلاحقه أنفاس العثمانيين التي تعبق كل زاوية وجهة ومحلة ودار في عاصمة الخلافة ودار ا لإسلام.

لا تزال العلمانية تقاوم في تركيا لكنها مع الصراع الحضاري والتاريخي الدائر في تركيا بقوة اليوم، والذي نشاهده في التنازع بين حزب العدالة والتنمية والأحزاب العلمانية الجيش والبيروقراطية العلمانية والمؤسسات

القانونية ، مع هذا الصراع فإنها أيديولوجية بلا مستقبل ، خاصة وأن العلمانية الكمالية لم تستطع التحرر من الوجه القمعي والاستبدادي لها والذي يحرم علي زوجة رئيس الحكومة أن تدخل أي مؤسسة حكومية تعبر عن الدولة لأنها ترتدي الحجاب ، فهي عقيدة ضد الإنسان وضد التاريخ وضد السنن التاريخية .

.. بعد الجمهورية الثانية التي أسسها "طورجوت أوزال"، اليوم يؤسس حزب العدالة والتنمية الجمهورية الثالثة ، وهذه الجمهورية ربما تنجح في تغيير الدستور التركي الذي يمثل عائقاً للتطور السياسي والاجتماعي والإنساني ، كما أن هناك خطط جعل مدة البرلمان ٤ سنوات بدلا من ٥ سنوات ، واختيار رئيس الجمهورية من الشعب مباشرة وليس من البرلمان كما هو حاصل الآن ، وجعل مدة ولايته لمرتين كل منهما ٤ سنوات بدلا من مرة واحدة اليوم مدتها ٧ سنوات والأهم من ذلك كله استعادة المؤسسات السياسية لدورها في النظام السياسي والذي يغتصبها منه الجيش عن طريق "مجلس الأمن القومي" وهو المجلس الذي يمثل إرادة العسكر ويملي الأجندة التي لا راد لها علي البرلمان وهو المجلس الذي أسس لما عرف باسم "انقلاب ما بعد الحداثة" حيث فرض علي أول رئيس وزراء إسلامي لتركيا "نجم الدين أربكان" الاستقالة لعدم قدرته علي الوفاء بشروط هذا المجلس ، المعركة الكبيرة التي يقودها حزب العدالة والتنمية هي معركة استعادة النظام السياسي المختطف من الجيش والقوي العلمانية لكي يتحرر من ضغوط العسكر وهيمنة البيروقراطية العلمانية .

وهذا الاستحقاق في تقديري هو الأهم والأكبر والأخطر ، وقد يساعد هذا الاستحقاق علي أن يأتي لسدة الرئاسة في تركيا رئيس مسلم وعلي عكس ما هو شائع فإن الرئيس التركي له صلاحيات هائلة وكبيرة وواسعة

لايستهان بها أبدا ولكنه في المقابل لا يتحمل أية مسئوليات ، ومن ثم مجئ رئيس من العدالة والتنمية لتركيا سوف يغير في تقديرنا المشهد القائم لصالح استعادة هوية تركيا الحضارية والإسلامية .

منهج نظر الإسلاميين لتركيا:

كيف ينظر الإسلاميون للتحولات التاريخية الكبيرة التي تحدث في تركيا اليوم؟ هذا سؤال مهم علينا أن نحمل عقلا كالعقل التركي حين نجيب عليه ، أذكر أن أحد كوادر حزب الرفاه الكبار قال لي " إن العقل التركي كما يعرفه الغرب عقل كبير ، ومن ثم فكل الجهد الذي يبذلونه هو من أجل السيطرة علي هذا العقل وتخريبه ، الحركة الإسلامية التركية ورثت تقاليد دولة امبراطورية كبيرة دخلت في حرب وفي تفاوض وفي ديبلوماسية عاتية مع العالم الغربي ، ومن يقرأ التاريخ العثماني يعرف كيف استطاع أحد الساسة الكبار " السلطان عبد الحميد ١٨٧٦ - ١٩٠٨ " أن يؤخر سقوط الدولة التي كانت قد ضعفت وتكالب عليها الغرب كما تتكالب الأكلة علي القصعة ، والتاريخ العثماني ملئ بالقدرة علي توظيف التناقضات بين الخصوم وتوظيف السياسة الغربية لصالح الدولة ، الحركة ا لإسلامية ورثت هذه التقاليد ومن ثم هي لديها تصور نحو الانتقال بتركيا من المحنة التي وضعها فيها " أتاتورك " إلي وضع تكون أملك فيه لأربها وقرارها .

وهذا شأن تغيير مصير دولة هي أحد الدولة المركزية في المنطقة ، وتغيير هذه المصير لا يتقرر بين يوم وليلة ، كما أن أصحاب المصالح العلمانيين وأصحاب المصالح الدوليين من الصعب عليهم ترك تركيا لتفلت من خيوط العنكبوت التي لفت بأحكام حول روحها وكل خلجة فيها ، ومن ثم فعلي الإسلاميين في عالمنا العربي بالذات النظر إلي تركيا من منظور السياسة الشرعية التي تقدر ريح التغير الحضاري العام وتقدر اتجاهه وبوصلته ، وإن

أكبر ما يمكن أن ينجز في بلد كبير ومهم كتركيا هو تحررها من رجس العلمانية الكمالية، فإذا كان هذا هو الاتجاه وتلك هي الريح فهي بإذن الله ريح طيبة وهو ما قرره علماء الأصول في ذلك وهو "دفع المفاسد العليا بتحمل الأدني"، وإذا كنا نقول أن أمر تغيير الإنسان الفرد يحتاج إلي سياسة ومناهج وصبر وأناة فما بالك بتغيير دول كبيرة وضخمة كدولة مثل تركيا.

المعيار الذي نحكم به علي التحول الجاري في تركيا هو معيار وجهة التحول والتغيير وبوصلته وقبلته، ومعيار استعادة الوجه الإسلامي لمكانته، ومعيار استعادة الروح الحضارية والبعث الإسلامي.

حين ذهبت لأول مرة لتركيا عام ٢٠٠٢ لجمع مادة رسالتي للدكتوراه، كان همي الأول هو كيف سنصلي؟ وأين؟ وكان ذلك بين المغرب والعشاء وبينما أنا غارق في تساؤلاتي إذ بصوت المؤذن الرائع الجميل يهز اسطنبول ويكاد يرفعها، كانت المساجد كلها تصدر عن صوت واحد جميل وفي أول مسجد قابلني دخلت وصليت وتعرفت علي إمامه الذي كان يتكلم العربية فهو من خريجي مدارس الأئمة والخطباء وكان خير عون لي في رحلتي الطويلة التي استمرت شهرين.

كذا تركيا اليوم هي البلد المسلم الوحيد الكبير الذي يملك تقاليد مؤسسية وسياسية واجتماعية واقتصادية تمكنه من أن يكون له دور رائد في منطقة تتعرض كل نظمها للضغوط والفوضى، إن تركيا اليوم بتوجهها ببوصلتها ناحية محيطها الشرقي يمكن أن تلعب دورا قائدا وكبيرا ومحوريا يمكن أن توازن فيه كدولة سنية كبيرة مع إيران كما يمكن أن تكون لاعباً مهماً لدعم الحقوق السنية المهدرة في ظل الاحتلال الأمريكي والحكومات الطائفية المرتبطة به.

النهوض الاقتصادي الكبير لتركيا سوف يهيئ لها استعادة مكانتها كلاعب إقليمي في المنطقة ، ولا يجوز لنا أن ننسي أن البرلمان التركي صوت ضد استخدام الأراضي التركية لضرب العراق عام ٢٠٠٣ م ، وكان ذلك في ظل حكومة العدالة والتنمية ، ويمكن أن تكون تركيا مع العرب لاعباً مهماً للحفاظ علي وحدة العراق واستقرار المنطقة . فوز حزب العدالة والتنمية هو حدث داخلي له وجه إقليمي ، فتركيا هي الدولة الوحيدة تقريباً التي تمتلك نظاماً ومؤسسات في دول تتراجع فيها المؤسسات ومن ثم فهي قادرة علي أن يكون له دور للحفاظ علي المنطقة من خطر الفوضي التي تحيق بها .

* * *

المبحث الخامس:
تركيا تستهل عصر الجمهورية الثالثة

مجيء عبد الله جول إلي قلب القلعة العلمانية ليحتل المكان الذي تبوأه من قبله "كمال أتاتورك" مؤسس الجمهورية الأولي يضرب لنا الأمثال، فالجمهورية الأولي كانت ضد مجتمعها تبنت العلمانية كعقيدة ثيوقراطية لا تعرف التعدد وترفض الدين الإسلامي وتوقن أن التقدم هو عند الغرب، ولذا فكل التماثيل المنصوبة لأتاتورك في العاصمة السياسية للبلاد "انقرة" أو العاصمة الثقافية "اسطنبول" تشير ناحية الغرب، الجمهورية الأولي التي أسسها "أتاتورك" جاءت علي أسنة العنف والقسر استناداً إلي ثقافة دولتية لا تعرف الرحمة، وكانت نموذجاً لدولة من بنات أفكار مؤ سسها ولم يكن لها وجود في أرض الواقع، إذ ظل المجتمع مغاضباً لها رافضاً لمنهجها وأسلوبها الفوقي الحاد الذي أسس لقطيعة روحية ومعرفية مع التراث السابق للجمهورية، فحتي موت مؤسس الجمهورية الأولي عام ١٩٣٨م عرف الدستور الذي وضعه عام ١٩٢٤م أكثر من عشر تعديلات دستورية كلها كانت تسعي لإلغاء أي تعبير عن الإسلام في البني القانونية أو السياسية أو الاجتماعية للدولة بما في ذلك طبعاً الإشارة إلي أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولم يوضع نص علمانية الدولة في الدستور إلا عام ١٩٣٧ م، ومثل "عصمت إينونو" خليفة "الباش معلم" كما كان يطلق علي "أتاتورك" استمراراً لتقاليد الجمهورية العلمانية التي أصبحت العلمانية فيها أيديولوجية فاشية متعصبة، جعلت من "مصطفي كمال" الرجل الصنم، وتحت الضغوط الاجتماعية والخارجية معاً اضطر "إينونو" إلي أن يقبل بالتعددية الحزبية وظهر "الحزب الديموقراطي" الذي قاده "عدنان مندريس" عام ١٩٤٦ وبذلك

انتقلت تركيا من نظام الحزب الواحد إلي نظام التعددية الحزبية ، وفي انتخابات عام ١٩٥٠ اكتسح الحزب الديموقراطي الانتخابات النيابية وتسيد المشهد السياسي حتي انقلاب عام ١٩٦٠م ، وهو الانقلاب الذي عمد التدخل العسكري في الحياة السياسية التركية .

وفي الواقع فإن الديموقراطية التركية كما أسس تقاليدها العسكر والبيروقراطية المدنية - وكما يقول "ميتن هيبر وجاكوب لاندو" في كتابهما المهم عن "الأحزاب السياسية والديموقراطية في تركيا" - كانت تعبيراً عن القطاع الرأسي في الدولة ولم تتسع لتشمل القطاع الأفقي الذي يعبر عن المجتمع ، فالنخبة البيروقراطية التي ورثت الكمالية ابتدعت ما أطلقت عليه "عقلنة الديموقراطية" واعتبرت أن الساسة الذين حاولوا ممارسة الديموقراطية فعلا هددوا مصالح الدولة ومن ثم لا بد من استبدالهم بساسة يتمتعون بالمسئولية والإحساس ومستعدين للاستجابة لديموقراطية معقلنة هي تعبير عن جدل النخبة لتحديد السياسة الأفضل وليس للتوفيق بين الرؤي والمصالح المختلفة .

ومهندسو النظام السياسي التركي كما أرسته تقاليد الجمهورية الكمالية جعلوه يرتكز علي ركيزتين أولهما: الجيش الذي مثل دائماً روح الدولة التركية فهو الذي استعاد لها استقلالها ، ثم النظام الحزبي الذي تأسس ليكون حزبين كبيرين أحدهما يمثل اليمين التقليدي والثاني يمثل اليسار التقليدي ، ومع انقلاب عام ١٩٧١ وعام ١٩٨٠ اكتسب الجيش والبيروقراطية الدولتية صلاحيات واسعة جعلت النظام الحزبي والمؤسسات المعبرة عن الجماهير والمجتمع رهينة لرضاهما .

الجمهورية الثانية كما تعرف في الجدالات السياسية التركية تنتمي لمن أرسي تقاليدها وهو "طورجوت أوزال" الذي أسس حزب "الوطن الأم" عام ١٩٨٣ وحمل برنامجاً اقتصادياً متكاملا حرر به الاقتصاد التركي من هيمنة

الدولة والقطاع العام وهو ما فتح الباب واسعاً أمام تركيا لتصبح قوة اقتصادية إقليمية ، لقد كانت رؤية "أوزال" الثاقبة لاستعادة الوجه المدني للدولة التركية لا تعتمد علي اجراءات سياسية فقط بل علي إدخال المجتمع في دورة حياة اقتصادية ليبرالية علي النمط الغربي بحيث يستحيل تلقائياً تدخل الجيش ، وكان "أوزال" يعتبر نفسه المؤسس الثاني للدولة التركية ، وهو أول مسئول رسمي تركي يدعو علانية إلي انتقاد الكمالية وطرح العلمانية علي بساط البحث ونقدها طالما أن قطاعاً من الشعب يرفضها ، وكان أول رئيس جمهورية تركي يثابر علنا وبصورة منتظمة علي أداء الفروض الدينية وزيارة أضرحة الأولياء وأدي فريضة الحج وانتعشت في عهده موجة التدين وبروز الطرق الصوفية ، وهو من وصف الدولة التركية بأنها علمانية وإسلامية وديموقراطية ، وقال ماذا لو انتهكنا الدستور ولو لمرة واحدة؟ والعديد من الأفكار التي يحملها اليوم مؤسسو الجمهورية الثالثة جول وأردوغان والذين معهم "مثل ضرورة تغيير الدستور وانتخاب الرئيس مباشرة من الشعب هي من بنات أفكار "أوزال" الذي يحظي باحترام كبير بين النخب الاقتصادية التركية عامة والإسلامية منها خاصة فهو من فتح لهم الباب واسعاً لتأسيس أكبر الشركات التركية التي عرفت باسم "رأس المال الأخضر" ، وأوزال هو أول رئيس تركي يتحدي الجيش ويقيل رئيس الأركان واستخدم علي نطاق واسع علاقاته الدولية خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب ليحجم سطوة الجيش وتدخله في الحياة العامة والسياسة .

أهم ما طرحته الجمهورية الثانية هو أن العلمانية الكمالية ليست مقدسة أنها لم تعد صالحة للتعايش مع حقائق العصر الجديد وأن التطور الاجتماعي والثقافي في تركيا والعالم لم يعد يقبل بأيديولوجية جامدة متصلبة

صبحت في مقام العقيدة السياسية ومن ثم لا بد للبحث عن تأويل جديد للعلمانية يتجاوز التفسير الكمالي ويعطيها وجها إنسانيا يجعله تقبل بالتعددية والتسامح مع الآخرين المختلفين مع الكمالية خاصة الإسلاميين، ومن ثم لا بد من احترام اختيارهم وأخذ رغباتهم الدينية في الحسبان.

أما الجمهورية الثالثة التي تسجل بداية لعصر جديد في تركيا والتي يقودها حزب العدالة والتنمية (الآق بارتي "أو الحزب الأبيض - فإنها تمثل ثورة صامتة في البلاد حيث إننا أمام حزب يمثل قلب يمين الوسط التركي فهو يعبر عن تقاليد التعددية السياسية والاقتصادية والمسئولية الاجتماعية تجاه الفقراء ولذا فإن التيار الاجتماعي الذي صوت لحزب العدالة والتنمية هو خليط من الإسلاميين والمحافظين في تقاليدهم وقيمهم والعلمانيين وأبناء الطبقة الوسطي والطلاب والشباب والمرأة وكذلك قطاع مهم من الفقراء، فقد حصل الحزب علي ٤٧٪ من الأصوات في الانتخابات الأخيرة التي جرت يوم ٢٢ يوليو محققا بذلك تقدما كبيراً مقارنة بنتائج الانتخابات الماضية التي جرت في نوفمبر ٢٠٠٢ م، ومثلت الإنجازات الاقتصادية التي حققها فريق حزب العدالة والتنمية المحفز الرئيسي لتصويت المواطن التركي له.

والحدث الأهم هو أن يعتلي سدة رئاسة الدولة "عبد الله جول" رفيق كفاح رئيس الوزراء التركي "طيب أردوغان" لتنسجم مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع معاً من أجل إنجاز المهام الملقاة علي عاتق مؤسسي الجمهورية الثالثة ذوي الجذور الإسلامية والذين يسمون أنفسهم بأنهم "ديموقراطيون محافظون"، والديموقراطية المحافظة تعبر عن استحضار التقاليد العثمانية ذات الطابع المدني التي تغلب التوافق والوئام علي المواجها والصراع، كما ترفض الاستقطاب والثنائيات التي تلغي الآخرين وتسعي

لبناء حالة تنسجم فيها الحداثة والتراث والقيم الإنسانية والعقلانية .

والتحدي الأكبر الذي يواجهه مؤسسو الجمهورية الثالثة هو كيف تتحول الدولة التركية من "دولة عميقة" - أي دولة فيها جانب لا يمكن رؤيته أو معرفته يخترق النظام السياسي لصالح فئات معينة إلي "دولة طبيعية" يحكمها ويوجهها القانون وحده ولا شئ غيره ، والدستور الذي يحكم البلاد والذي وضع عام ١٩٨٢ هو محل سخط النخبة التركية لأن الجيش هو الذي وضعه متحالفاً مع حزب الشعب الكمالي ، وقال عنه رئيس محكمة الاستئناف "سامي سلجوق" عام ١٩٩٩ م "تركيا لا يمكن ويجب أن لا تدخل القرن الواحد والعشرين بدستور قاربت درجة شرعيته الصفر" ، ومن ثم فإن مطلب تغيير الدستور هو علي سلم أولويات مؤسسي الجمهورية الثالثة ، وهذا الدستور سيأخذ في حسبانه بالضرورة التوازن المدني - العسكري بما يسمح بتراجع تأثير العسكري علي المدني وهناك محاولات جرت في هذا السياق - لم تكتمل بعد - تمثلت في تغيير الدستور التركي بما جعل الغلبة في "مجلس الأمن القومي التركي" للمدنيين ، كما سيأخذ في حسبانه المركب العلماني - الإسلامي ، وكما يقول هاينتس كرامر في كتابه الهام "تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد: "ليس الخيار الحقيقي بالنسبة للأتراك في عملية تصميم دولة حديثة قادرة علي مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين خياراً بين كمالية علمانية من ناحية وإسلام سياسي أصولي من ناحية ثانية ، فالخيار الحقيقي هو الخيار بين أسلوب قائم علي دولة أكثر تسلطاً في تنظيم مجتمع سريع التغير ، يشكل فيه الإسلام عاملاً اجتماعيا يتعذر استئصاله من جهة وأسلوب قائم علي مجتمع مدني أكثر ديموقراطية في التعامل مع عملية التغيير من جهة ثانية".

فتركيا الجديدة هي تلك التي تعتمد أسلوباً للإدارة ذات طابع مدني

ديموقراطي يأخذ في حسبانه انتقال الإسلام من الهامش الذي وضعه فيه "أتاتورك" إلي القلب الذي فتح له طريقه "أوزال"، ولم تعد الكمالية ولا حزب الشعب الجمهوري أو اليسار الديموقراطي أصواتاً صالحة لعصر تجاوز الأيديولوجيات السياسية المغلقة.

فوز "عبد الله جول" برئاسة الجمهورية - "القلعة العلمانية" - وإلي جواره "رئيس الحكومة" طيب أردوغان" هو تعبير عما يمكن أن نصفه بالمصطلح العثماني "واقعة خيرية معاصرة" تجسر الفجوة التي أقامتها الكمالية العلمانية بين الدولة والمجتمع التركي وتفتح الباب واسعاً أمام آمال راودت الغالبية العظمي للأتراك وهي كيف تستعيد الدولة التركية ومؤسساتها السياسية والقانونية وظائفها وفعاليتها أمام تغول البيروقراطية العسكرية التي تتذرع دوماً بحماية العلمانية وتعرضها للخطر وهي ذريعة كانت مقبولة وممكنة في ظل الجمهورية الأولي أما في ظل الجمهورية الثالثة ذات الوجه المستند إلي إرادة الشعب واختياره من ناحية وإلي تمثل العقل التركي الكبير الذي يعرف كيف يصل إلي أهدافه بدون مواجهة واستفزاز فإن هناك آمال تتعاظم باستعادة دولة الخلافة هويتها وتماسكها في الداخل و تأثيرها الإقليمي والدولي في وقت تتعاظم الحاجة إليه في الخارج.

* * *

خاتمة

إسلام المقاوم في تركيا

نقول الإسلام المقاوم أي الذي استطاع الصمود للهجمة العلمانية الشرسة التي شنها "كمال أتاتورك" علي كل ما له صلة بالإسلام لمحاولة استئصاله من الوجود الفردي والجماعي معا في تركيا، وتشير بعض الدراسات الغربية الجادة أن "أتاتورك" فكر في لحظة (ما) من لحظات سطوته وسيطرته أن يحول تركيا للمسيحية ولكنه لم يستطع، ومن ثم سعي لتكون تركيا نسخة من الغرب المسيحي.

ظن "أتاتورك" أن استلهام القيم الغربية المسيحية سوف يأ[illegible] بيد تركيا من التخلف إلي التقدم، وكانت أفكار العلمانية والتقدم والتحديث لها بريق وجاذبية لا يمكن مقاومتها، ومن هنا استبدت فكرة اللحاق بالغرب بمعظم دول العالم الإسلامي، وتصور العديد من الساسة والنخب المثقفة أن اللحاق بالغرب يكون بتقليده في قيمه ومفاهيمه وروحه، وكان "أتاتورك" هو الأكثر سعياً للالتحاق بهذه القيم، لذا يجد المسافر لتركيا أن تماثيل "أتاتورك" كلها المنتشرة في اسطنبول أو أنقره كلها تشير ناحية الغرب.

استند "أتاتورك" والنخبة العلمانية معه إلي ما يمكن أن نطلق عليه "استعلاء الإنتلجنسيا" علي الجماهير، فهم قرروا أن التغيير العلماني الذي يقصي الدين بشكل كامل عن الحياة العامة والفردية هو لصالح الشعب ورغما عنه في نفس الوقت، لأن الشعب لا يعرف أين مصلحته ومن ثم يتم استخدام القوة والعنف في فرض ما تقرره النخبة.

غير "أتاتورك" طوال فترة حكمه كرئيس للجمهورية ولحزب الشعب

الجمهوري الحاكم والوحيد الدستور التركي أكثر من عشر مرات كانت كلها تهدف إلي استبعاد أي إشارة ولو رمزية للإسلام ، وفي عام ١٩٣٧ أي قبل أن يموت بعام واحد أقر في متن دستور الجمهورية أن العلمانية هي عقيدة الدولة وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال استخدام الدين في الفضاء العام وأن هذه المادة في الدستور لا يمكن تغييرها ، وهنا وكما يقول محمد يشار الكاتب التركي في كتابه المهم عن "الإسلام والتعددية الحزبية في تركيا"، فإن معرفة دور الدين في ا لحياة العامة أو الخاصة كان أمرا أشبه بمغامرة لأنه لا يجوز استخدامه أصلا .

ألغي أتاتورك الطرق الصوفية واللغة العربية والعثمانية القديمة وفرض الكتابة اللاتينية علي الناس ، وألغي الحجاب للمرأة وفرض التبرج عليها ، وألغي الإجازة يوم الجمعة ، وأغلق المساجد وألغي تميز رجال الدين وعلماؤه بلباس الجبة والعمامة ، ونشر قوات الأمن لمهاجمة علماء الدين الذين يرتدون العمامة ، وألغي التعليم الديني وأغلق مدارسه ، وألغي الأذان باللغة العربية وفرض الصلاة لمن يصلي باللغة التركية ، وسعي لحذف أي إشارة للغة العربية في اللغة التركية اللاتينية الجديدة التي كانت نوعاً من التلفيق الساذج المثير للسخرية والإشفاق معا .

توفي "أتاتورك" عام ١٩٣٨ م ولم يعد هناك أي أثر للعالم القديم عالم الإسلام وعالم العثمانيين وعالم الحضارة الإسلامية التي أرسيت بقوة منذ السلاجقة ، وألغي التاريخ الإسلامي ومعاركه ، وقبل كل ذلك قضي علي الخلافة العثمانية التي كانت عنواناً علي وحدة الأمة .

لكن ماذا حدث؟ هل استطاعت "الكمالية" والأتاتوركية" المستندة إلي قوة القوانين العلمانية التي استوردها من بلجيكا وفرنسا والغرب ، والمستندة أيضا إلي بطش الدولة الرهيب الذي لا يعرف الرحمة ، هل استطاعت أن

تناصب الإسلام كما كان يريد "أتاتورك" والذين معه؟

لا ، استطاع الإسلام الصمود والمقاومة ، وفي حياة "أتاتورك" حين أراد أن يصطنع حزباً معارضاً يرأسه أحد أصدقائه "فتحي أوقيار" ليكون ديموقراطياً ، انضم الناس إلى الحزب وصبوا نقمتهم على "أتاتورك" ومزقوا صوره ، ولم يستطع تحمل الحزب فألغاه . وقامت الطريقة النقشبندية ممثلة في الشيخ "سعيد الكردي" والطريقة التيجانية التي تحدت الكمالية وسعت لتحطيم تماثيل "أتاتورك" ، وحين أصبح خليفته "عصمت إينونو" يعني التعددية الحزبية عام ١٩٤٦ استعاد الإسلام مكانته بسرعة ففي عصر الحزب الديموقراطي الذي ترأسه "عدنان مندريس" وحكم البلاد باختيار شعبي مطلق منذ عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠ عاد الأذان يرفع باللغة العربية وعادت إذاعة القرآن تتلو القرآن وعادت المساجد لتفتح أمام المصلين ، وظهر الشباب الإسلامي المتعطش للإسلام في الجامعات ، وظهرت الترجمات المتعددة لما يكتبه المفكرون الكبار في العالم الإسلامي خاصة العربي ، وبدأ مفكرون أتراك يعلنون عن هويتهم الإسلامية مثل "نجيب فاضل" و "أشرف أديب" و "سزائي قراقوج" ، وظهرت "الجماعة النورسية" التي تدعو للإسلام وتدعو لمقاومة العلمانية والتمسك بالعقيدة الإسلامية ، وأعيد الاعتبار للإسلام مرة أخرى وهذا ما نصفه بأنه "الإحياء الإسلامي الأول" في تركيا .

ورغم الانقلاب العسكري عام ١٩٦٠ لكن ظل الإسلام أقوى من أن يهزمه بشر مهما كان أو تهزمه دولة أو عقيدة بشرية ، بدأ الإدراك التركي يكتشف أن الإسلام هو صمام الأمان للشباب التركي في مواجهة العقائد الشيوعية والإلحادية والعدمية ، ومن هنا استمر الحضور الإسلامي بقوة بين الشباب في الجامعات وبدأت تترجم على نطاق واسع كتب المفكرين الإسلاميين من مصر وباكستان ، وظهرت الأجنحة الإسلامية في الأحزاب

العلمانية المختلفة وبدأ الوجود الإسلامي يتعمق في المؤسسات الاقتصادية، وبدت العلمانية المستعلية بالقوة تتراجع وتدخل في أزمة، ذلك لأن المنظومة التي كانت تقوم عليها تعرضت للاهتزاز، فهي تقول أن المزيد من التحديث والعلمنة يعني تراجعًا للدين ومع توسع عملية العلمنة هذه أكثر فأكثر سوف يختفي الوجود الديني وينقطع الناس عن تاريخهم ودينهم وحضارتهم وثقافتهم وولاءاتهم القديمة ليصبحوا خلقا حداثيا جديدا.

بيد أن ماحدث كان أنه مع محاولة العلمنة المتزايدة بالقوة والعنف من جانب الدولة والنخبة فإن الجماهير كانت تذهب بقوة إلي دينها وحضارتها وتاريخها وخاصة الفئات المتعلمة والتي أخذت بأكبر قدر من معطيات التحديث والحداثة.

وهنا ظهرت أطروحة تركية بديلة وهي "أسلمة الحداثة" وليس "تحديث الإسلام" كما كان يريد "أتاتورك" والعلمانيون، ومع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات ظهر في تركيا لأول مرة مؤسسات مستقلة للإسلاميين، فظهر "حزب النظام الوطني" الذي أسسه أبو الإحياء الإسلامي المعاصر في تركيا "نجم الدين أربكان"، ولكن الحزب أغلق بعد انقلاب عام ١٩٧١، وعاد الإسلاميون مرة أخري إلي الحياة بقوة مع "حزب السلامة الوطني" الذي تحالف مع حزب الشعب العلماني وبدأ يؤسس لما يطلق عليه حملة العودة للأخلاق، وعادت مدارس الأئمة والخطباء للوجود بقوة وسافر الطلاب لمصر للتعلم في الأزهر، وذهب بعضهم لباكستان وبعضهم للسعودية، وبدأت روح الشرق والعودة للأمة تهب نسماتها بقوة علي شباب تركيا، وبدأت المرأة تعود للحجاب في المدن الكبري "أنقرة" واسطنبول" والمساجد بدأت تمتلئ عن آخرها من الشباب والفتيات الصغار مشيرة إلي أن المستقبل لهذا الدين العظيم الإسلام.

وفي الثمانينيات كان عصر "الإحياء الإسلامي الثاني حيث جاء إلي الحكم رجل السياسة والاقتصاد الكبير "طورجوت أوزال" الذي أسس لعالم الاقتصاد الإسلامي قواعده، فظهرت المؤسسات الاقتصادية الإسلامية الكبيرة في كافة مجالات الحياة وارتبطت بقوة باقتصاد العالم العربي خاصة منطقة الخليج، وبدت تحيزات الناس للإسلام في اختياراتهم الاقتصادية وتأسس في البلاد الجمعيات الأهلية باسم الأوقاف لحد أن أصبح هناك عشرات الآلاف من الجمعيات الأهلية الإسلامية في كافة مناحي الحياة، وكان "أوزال" هو رئيس وزراء ثم جمهورية يطرح العلمانية والأتاتوركية علي نطاق البحث والنقد العام، فهو أول من انتقد "أتاتورك" وهو من أسس الجمهورية الثانية التي تقول إن علمانية "أتاتورك" غير قادرة علي الحياة، وأن الإسلام هو هوية الدولة وثقافتها ولا يمكن لنا أن نعيش بدونه، وفي منتصف التسعينيات ظهر "حزب الرفاه" واكتسح الانتخابات المحلية والعامة وحكم "أربكان" لأول مرة كرئيس وزراء مسلم لدولة علمانية، ولكن الجيش انقلب عليه ولما يمض في الحكم أقل من عام وعرف هذا الانقلاب "بانقلاب ما بعد الحداثة" لأنه لم يستخدم القوة لمباشرة.

ومع عام ٢٠٠١ تأسس حزب "العدالة والتنمية" الذي يعرف بالحزب الأبيض - آق بارتي "أسسه "عبد الله جول" وطيب أردوغان" وبولنت أرينج"، ومعهم صفوة العقول المفكرة في تركيا مثل "أحمد داوود أوغلو" صاحب كتاب "العمق الاستراتيجي" المهم والخطير معا، واكتسح الحزب الإسلامي الأحزاب العلمانية القديمة فيما يشبه "الثورة الصامتة" عام ٢٠٠٢ ثم عاد فاكتسح الانتخابات في إبريل عام ٢٠٠٧، ثم استطاع "عبد الله جول" أن يصل إلي قلب العلمانية ويحتل مركز رئيس الدولة، وهاهو الإسلام وأبناؤه يستعيدون مكانتهم مرة أخري، ويعيدون البلاد لهويتها في صمت ودون

جلبة ، واليوم تجد الإسلام يكتسح كل المجالات فقد انتقل من الهامش إلي المركز والقلب ، وهو الذي يحرك قلب تركيا لحو التقدم ، فممثلو البلديات الإسلاميين يحققون نجاحات هائلة في مواجهة الفساد ، ومن أجل ما يطلق عليه "ثقافة المعاش " أي تحسين أحوال الناس المعيشية .

الحجاب والمساجد والصلوات والأوقاف والعمل الأهلي والمثقفون الإسلاميون والطلاب ورجال الأعمال الكبار والساسة ، كلهم يؤكدون أن كلمة الإسلام أقوي من أية نزوة جنونية لحاكم مهما كانت سطوته ، الإسلام المقاوم في تركيا يقدم نموذجاً حقيقيا للمزاوجة بين الإسلام والعصر ، وبين الإسلام والحداثة وبين الإسلام والغرب وبين الإسلام والقدرة علي الإنجاز وبين الإسلام والحياة المعاشة .

تركيا التي كان يراد لها أن تكون نموذجاً لانتصار العلمانية والحداثة علي الإسلام إذا بها تستدير إلي قبلتها الحقيقية ومرفأها السرمدي الأول لتقول إن الإسلام أقوي وأبقي ، وأن تركيا ستكون هي النموذج لانتصار كلمة الإسلام: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر: ٩] .

* * *

الفهرس

* * *

د/ كمال حبيب

الدين والدولة

فى تركيا المعاصرة

صراع الإسلام والعلمانية



القاهرة ميدان حليم خلف بنك فيصل (الفرع الرئيسى) شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
ت/ ٢٧٨٧٧٥٧٤ ٠١٠٠١٠٤١١٥ ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ٠١٢٩٩٦١١٦٣٥

د/ كمال حبيب
الدين والدولة
فى تركيا المعاصرة